

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشريعة
فروع العقيدة

الإسلام

وأشارة في الحياة الأوربية الحديثة

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصّص الأولى (الماجستير)



من الطالب: صالح السبيح بابنا صالح

بإشراف الاستاذ:

محمد العبدلي

١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ

٢١٥

٢٠٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطْرَقَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ
تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ .
ابراهيم ١٠٦

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ
تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ
قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . البقرة ١١٨
أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ
حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . المائدة ٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

ان الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهد به ، ونعوذ
بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له ومن
يضلل فلا هادي له ..

وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له .. وأشهد ان محمدا
عبده ورسوله .. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين نصبوا
انفسهم للدفاع عن بيضة هذا الدين الحنيف ..

أما بعد : ان من اعظم فضل الله - عز وجل على الأمة الاسلامية

ان ارسل فيها افضل نبي وافضل دين .. دين كان ابرز صفاته ، أنه من صنع
بارئ هذا الكون .. وفضي نواحيه وقوانينه .. والعالم بما يجد فيه
وما يتطور .. دين وجه الفكر الانساني الى العلم بالله ، وملا القلب الانساني
بالخشوع لله .. ثم عن طريق العلم شرح قضية الوجود .. ووظيفة المرء في الحياة ،
شرحا عامرا بالصدق والجمال ..

لقد كان في علمه - سبحانه وتعالى - هذا التطور التاريخي ، وما

يترتب عليه من تطور اجتماعي واقتصادي وفكري عام .

ولذا وضع الخطوط الثابتة

والقواعد الشاملة

والمبادئ العامة .. التي لا تخرج احوار الانسان في النيابة عن حدودها

وترك التطبيقات لتطور الزمان ، وبرز الحاجات في حدود مبادئه العامة ..

وتساعده الشاملة ..

لا لشيء الا انه يريد ان نكون دائما في المقدمة .

قال تعالى * كُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرُ لِتَتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوُا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ *

وقال ايضا * وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا *

ولا يريد أبدا ان ننطلق الى التشريع الفرنسي البائس المنكود تارة مع اليمينيين وتارة مع اليساريين نستمد منه القانون ..

أوالى النظريات السياسية الغربية الظالمة الشعبية ،
نستمد منها نظام الحكم

أوالى الفكر الغربي الملحد الحائر .. نستمد منه التصور لمعرفة
الله والكون والانسان .. كلا ! وإنما جعل لنا مبادئ وقبلا .. نسبر على
ضوئها .. في ظلمات الاحاد والمادية ..

بهذه المبادئ السامة وهذا الفهم الضيق لمدلول " لا اله الا الله "
قامت دولة الاسلام بانحة الحضارة ، واسعة السلطة ، عظيمة الهيبة ، ظلت
في المجال المالي ، الدولة الأولى بين أتربها ... لا عشرات السنين بل
مئات من السنين قاربت الألف عام .

وهذه الدولة الاسلامية انفردت بالصدارة دهرها طويلا ، ثم شاركتها
في هذه المكانة المرموقة ، بعد قرون طويلة دول أخرى ...
وإذا كانت الولايات الامريكية ترى في عصرنا هذا اعظم دول الأرض
بنازعها في ذلك الاتحاد السوفيتي .. فان الدولة الاسلامية ، في عصرها الطويل
المديد ، كانت أشرف مكانة وأعز نفرا ..

وقد ظلت أمدًا غير قصير لا يجرؤ أحد على مطالعتها ...

ولم يكن هذا السبق العالي ، كسبق هاتين الدولتين اللتين تتسابقان الى التسلح لتدمير الجنس البشري - كلا - بل كانت احوال المسلمين العلمية والخلقية والمدنية والعسكرية ، ترجح كفتهم في كل موازنة .. وتعلو رايهم في كل سباق ..

ولم يكن هذا الرجحان ولابد حضارة قديمة انتفع الاسلام بها ، أو نتيجة ارتقاء محلي مشى الاسلام على قمته .. لا هذا ولا ذاك ! بل جاء بمبادئه السامة واخلاقياته الفذة التي بذل فيها فقهاء هذا الدين ومفكره جهدهم الضخم المشكور في تطبيق تلك المبادئ على تطورات الأمور ، لكي تلبى حاجات المجتمع المتجددة في ذلك الزمان ، الذي كان المجتمع فيه محكوما بشريعة الاسلام ..

* * *

ثم وقف هذا الجهد - مع شديد الأُسف - منذ أن غلب الاستعمار الصليبي دار الاسلام في الشرق والغرب وفي كل مكان .. فاذا بالأمة الاسلامية تأخذ في الانحطاط ، وحضارتها تأخذ في الذبول ..

فقامت اوربا وتقدمت ونجحت في دراسة الانسان من زوايا كثيرة .. لقد تقدمت علوم النفس والاجتماع والاخلاق والاقتصاد والسياسة تقدما غير منكور .. وسار معها على الدرب تقدم آخري في علوم الطبيعة والكيمياء وسائر الدراسات الكونية .. وبدأ كأن الانسان يتبوأ مكان السيادة المطلقة في عالم دانت له عناصره واستكانت قواه ..

والحقيقة : لنحترف بأن علماء الدين في الأعصر الأخيرة لم تحسنوا بسط هذه القضية ولا ائارة الأُفئدة بتوضيحها ..

دراسهم

وقد انكشمت او انهزمت امام التيارات المناوئة لأسباب عديدة ، ان هذا البحث معنى بدراسة تلك الأسباب وآثارها ، حتى لا يكون المبطلون الملاحدة ، أقدر على اقتياد العالم من المؤ منين .. وحتى لا يحرم العالم خيرا هو أفقر ما يكون اليه ..

ومع هذا التقدم الصناعي والسياسي والفكري .. ان اوربا ، قد جرت فلسفتها وعلومها واخلاقها واقتصادها واجتماعها وسياستها وقانونها .. وبالجملة كل ما يتصل بها .. قد جرى كل ذلك من نقطة انطلاق منحرفة .. وهي الالحاد وانكار الشيبات والنبوات ..

وبقيت تخطو وترتقى في وجهة غير صحيحة حتى انتهى الى مرحلة ترى منها نهاية هذه الحضارة وهي الهلاك ..

لذا اصبح الانسان غريبا في العالم الذي ابتدعه .. لا يستطيع أن ينظم دنياه بنفسه .. لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته وجبرله به مطابق ..

ان الحضارة العصرية ، تجد نفسها في موقف صعب ، لأنها لا تلائمنا لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية .. وشبهوات الملحد بن .. وأوهامهم .. وظنرياتهم .. ورجاتهم ..

وعلى الرغم ، من انها انشئت بمجهود الانسان الا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمه وشكله ..

ومن ثم كان التخبط .. وكانت الشقوة .. وكان خط الدمار الذي تنحدر فيه البشرية الى الهاوية في هذا الزمان ، وكانت هذه الأزمة الحادة التي يواجهها " الوجود " الانساني ..

* * *

لقد وقعت اوربا الجاهلة في الحاد لا مثيل له في التاريخ ثم عمت

بلوته الأرض كلها فيما بعد ..

وكان الالحاد فيما غير من الزمان يوجد فيكون مزاجا شخصيا أو
غفلة عامة أو عوجا فكريا .. ولكن الالحاد الأوربي الحديث ليس كذلك .
لأنه ثورة على الايمان تبغى قطع دابره .. واجتياح اهله ..

ان هذا الالحاد ، ليس شبيهة توشك ان تلحقها الأدلة فتتلاشى
لا ! انه الواقع وغيره الباطل !

..... انه الجد وغيره الهزل !

..... انه الجد بر بالحياة وغيره الجد بر بالفناء ..

* * *

أما في العالم الاسلامي ، فما زال الصراع قائما بين الدين والالحاد ..
لأن الدين - من ناحية - ما زالت له قبضته على نفوس الجماهير كعقيدة وفكرة ..
رغم الجهد الضخم الذي بذله " المثقفون " لتفتيت العقيدة وتحطيمها ..
ليقودوا الجماهير المسلمة الى سوق الالحاد الراجح ، في هذه الأونة الأخيرة ..
ومن ثم فما زالت هناك معركة ..

بعضهم يكتبون في اخلاص عن وجوب تطوير الدين حتى لا يفوته الركب

الحضاري الأوربي ولا يبقى في الرجعية والجمود ..

وبعضهم لا يذكر اسم الدين على الاطلاق .. وانما تراه بهاجم

المفاهيم الدينية .. كقولهم : " ان هذا الأمر لا علاقة له بالدين .. وانما

هو قضية سياسية ، او قضية اقتصادية "

وبعضهم يقول : ان الدين كان في السابق أفكارا سامية ولكن تشريعاته

وتوجيهاته ، قد نزلت بعصر معين ، وظروف معينة .. ونحن اليوم في القرن
العشرين ، قرن غزو الفضاء وقرن النزول فوق سطح القمر .. فقد تغيرت الأمور ،

وتغيرت احوال الناس اقتصاديا وسياسيا وفكريا ..

فيجب علينا الغاء هذه الخلافة الاسلامية .. لقد شاء الله ان يتم ذلك

على يد الشيطان الكبير والطاغوت العاتي - مصطفى كمال الذي ألغى الخلافة
الاسلامية المجيدة في ٢ مارس سنة ١٩٢٤ م الخلافة التي طالما كانت خنجرا في صدر
أعداء الاسلام . فصارت الجماهير في عالمنا الاسلامي ، تتشرب هذه الابحاث
المختلفة التي يرددونها هؤلاء ، ادعاء الثقافة بمختلف وسائل الاعلام :

التحقيق الصحفي والسبنا . . .

القصة والمسرحية . . .

والمقالات والاعخبار

الكتاب والتلفزيون . . .

يقولون لهؤلاء البسطاء : هذه هي اوربا او العالم المتحضر . . .

أو الأمم الراقية قد تقدمت بدون ديانة . . .

ويتحتم علينا ايضا ، ان ننبد ديننا نبذ النواة لكي نلحق بالركب

الحضارى لأن التمسك بالتقاليد البالية هي التي تعرقل خط سيرنا

الى قمة التقدم في دنيا العلم والصناعة بل هي التي جعلتنا منعزلين في

زاوية النسيان . . .

من هنا وقع الجماهير (في الانبهار) بهذه الحضارة المادية الاوربية . . .

مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى . . .

" لتبعن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو

ان احدكم دخل حجر ضرب لدخلتم وحتى ان احدهم جامع امرأته بالطريق

لفعلتموه رواه مالك وأصله في مسلم .

فجاءت على الأمة الاسلامية تيارات فكرية مختلفة :

جاءت القومية والوطنية والديمقراطية والحرية وتحرير المرأة اقتصاديا وسياسيا

وجاء مذهب النشوء والارتقاء الدارويني ومسألة الجنس بقيادة فرويد اليهودي . . .

وخرافة العقل الجمعي تحت سيادة دوركاهم الملحد اليهودي

واخيرا جاءت الاشتراكية والشيوعية باشراف كارل ماركس الملحد الطاغى

اليهودي ايضا . . .

وجاءت أشياء أخرى لا تعد ولا تحصى من الشمارات البراقة الفارقة ..
فاندفع إليها اليسطاء اندفاع الفراش الى النار حتى ستر أعداء الله
على ان هذه الأمة ستلفظ أنفاسها الاخيرة دون ما تأخير ..
ولكن القائل ^{الله} * نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * رد كيد الكائدین
في نحورهم .. وأثبت في وسط هذه التخبطات والتخرصات ، رجالا مخلصين
* صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا *
فأعادوا باقلامهم المؤمنة الشريفة - راية " لا اله الا الله " من جديد ..
وخرجوا للناس بفكر اسلامي اصيل بعيد من شوائب الشرك .. الذي
قد غشى التصور الاعتقادي والشعائر التعبدية ، والحاكمية والطاعة ..
ان هذا الفكر المخلص يستمد - بادئ ذي بدء - من كتاب
الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .
فبينوا للناس ان الجفوة المفتحلة بين الدين والعلم في أوربا كانت
لأسباب تاريخية - سنذكرها في هذا البحث - ولا نظير لها في تاريخنا
الاسلامي ..
ولفهموهم ايضا ان الاسلام لا كبرياء فيه ولا وساطة بين الخلق والخالق
فكل مسلم في اطراف الارض ... وفي فجاج البحر ، يستدليح بفرداه ان يتصل
بربهه ... بلا كاهن ولا قسيس ..
والامام المسلم لا يستمد ولا ياتيه من " الحق الالهي " ولا من الوساطة
بين الله والناس .. انما يستمد مباشرة السلطة من الجماعة الاسلامية ..
كما وضحو للناس مرة اخرى .. ان الدين الاسلامي لا يعتمد على الخوارق
والمعجزات انما قام على التأمل والنظر في آيات الله في الأنفس والافاق ..
ثم * ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
آيات لقوم يعقلون * البقرة ١٦٤

فلا جفوة - اذن - بين الدين الاسلامي والعلم الصحيح المؤدى الى معرفة

الله عن طريق آياته في الأنفس والآفاق ..

فانما اضطرت اوربا الجاحلة لتنجية الدين عن حياتها المأمنة
فلسنا مضطربين ان نجاريها في هذا الطريق .. لأن طبيعة دينهم
ليست كطبيعة ديننا ولا تاريخهم كتاريخنا ..

كما اشاروا لهؤلاء " المثقفين " الى ان سبب انحطاط هذه الأمة
في هذه الغربية الثانية هو انحرافها عن حقيقة كلمة " لا اله الا الله " وأن
الطريق الى استعادة عزتنا ومجدنا يتدئ من تصحيح مفهوم " لا اله
الا الله " كما صححه الرسول صلى الله عليه وسلم في الغربية الاولى للاسلام
الذى يقول : بدأ الاسلام غربيا وسيمود غربيا كما بدأ فطوبى للغرباء
الذين يصلحون ما أفسد الناس .. او كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

ولم تكتف هذه الاقلام المؤمنة بتصحيح مفهوم " لا اله الا الله " بل
بدأت ايضا تكشف عن المذاهب الهدامة الأوربية ، امام أعين الناس
مخافة ان تتكرر المأساة وتحقبقا لقوله تعالى :

* وكذلك نفضل الايات ولتستبين سبيل المجرمين *

ومما لا شك فيه ان علمائنا الافاضل قد اتخذوا شتى الوسائل للوقوف
امام الخطر الاحادى . وقد تختلف الاساليب بين مفكر ومفكر .. ولكنه اختلاف
كاختلاف الابرة المغناطيسية في السفن التى تعبر المحيط المجهول ..

هذه الى اليمين ..

وهذه الى الشمال ..

وهذه مترددة ..

وهذه عائدة بعد التردد .

وكل ابرة في كل سفينة لها حركاتها ولها رجعاتها ولكنها لا تختلف الا

لأنها تحاول جميعا ان تصل الى قطب واحد .. هو قطب الشمال ..

وهكذا كان مفكروننا في دحض خرافات الالحاد .. بعضهم كانوا يكتبون ... وبعضهم يلقون الخطب ... وبعضهم يؤسسون دراسات اسلامية تخصصية .. تدرس العقيدة الاسلامية .. كما تدرس العقائد الالحادية على ضوء النصيح الاسلامي النبيل .. وقصدتهم جميعا اخراج فكر اصبل للناس من الكتاب والسنة ودحض الافكار الالحادية ..

وكان من بين هؤلاء المؤسسين للدراسات الاسلامية شيخنا المرحوم المخلص " محمد الامين المصرى " اسكنه الله في فرايس جناته ... الذى كان رئيسا لقسم الدراسات العليا بكلية الشريعة بكلية المكرمة .. ولم بدخرجيدا الا بذله حتى ادخل مادة " المذاهب الفكرية المعاصرة " في برنامج الدراسات العليا لفرع العقيدة ..

وكان من توفيق الله ان اسند تدريس هذا الفرع ، فرع العقيدة ، الى اعلام من اعلام الامة الاسلامية .. منهم الاستاذان الشيخ محمد الغزالى ، والشيخ محمد قطب ..

اما الاول فقد اسند اليه تدريس مادة (الكتاب المقدس) الجامع للمعلومات المظلمة والابخار المتناقضة ، ندرسه لكي نعريف الفرق الجوهرى بين هذا الكتاب المحرف وبين القرآن العظيم الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم علم .

وأما الاستاذ الثانى فقد اسند اليه تدريس مادة المذاهب الفكرية المعاصرة .. ندرسها ايضا لتبين سبيل المجرمين والملاحدة ..

وقد ايقنت بحد موافقة اللجنة على الموضوع اننى - لامحالة - مقتحم في ليج بحر لانسى بدأت اغوض في ميادين بحيدة عن مجال دراستى الشرعية البحتة التي تلقيناها في رحاب الجامعة الاسلامية شرفها الله بطيبة الطبية .

فلذا خصصت جل اوقاتي في مطالعة الفكر الغربى ، وقد استغرق ذلك

نصف المدة المحددة للرسالة - تقريبا - . . . وكنت في ذلك استرشداً بالتوجيهات القيمة والآراء المستقيمة التي كان استاذي الفاضل والمشرف على هذه الرسالة الشيخ محمد الفزالي ، يزودني بها فألمعت على أكثرها من النظريات والاتجاهات الأوربية في مختلف الميادين . . . في العلم والسياسة . . . والاقتصاد والاجتماع والأدب والفن . . .

هناك كلمة يجب أن أسجلها شكراً لله تعالى الذي ابتلاني ثم عافاني . . . فقد ابتلاني الله تعالى باندلاع تاركبيرة في العمارة التي كنت أسكنها فذهب ضحيتها جل من كان عندنا من ممتلكات . . . فبقيت أنا وعيالي في تلك اللبلة وهي لبلة ٢٧ من شوال سنة ١٣٩٦ هـ بدون مأوى . . . والحمد لله على ذلك . . .

ثم ابتلاني ايضاً في اثناء اعداد هذه الرسالة بشروء أكبر اولادي الذي غاب عن البيت أكثر من ثلاثة اعوام . . . فكم من وقت استغرقناه في البحث عنه . . . والشكر لله الذي لا يحمده على مكروهه سواه . . . ولكن كل ذلك لم ينقص شيئاً من همتي ولا من عزمي الذي لا يعترف باليأس والقنوط . . .

وكان من توفيقه تعالى ايضاً لكاتب هذا البحث ان يلتحق بفرع العقيدة وان يختار رسالته لنيل درجة التخصص الأولى " الماجستير " في هذه المادة على يد ذلك الاستاذ الشيخ محمد الفزالي حفظه الله . . . وان كان يطيب لي ان اختار موضوعاً فكرياً ، ولكنني ما كنت اهتدي الى هذا الموضوع بالذات الا بتوفيق الله اولاً ثم بتوجيهات هذا الاستاذ الذي كان يحرص دائماً على ان نختار موضوعاً فكرياً للوقوف على تفاهة الالحاد والملحدون . . .

ولذا اخترت هذا الموضوع : " الالحاد وأثرها في الحياة الأوربية " ^{الطبعة} وقد آثرته على غيره لعدة أسباب :

١ - تفهيم المثقفين الذين يريدون تعبيد امتنا الاسلامية
للغرب . ان ظروف اوربا التي ساعدت على ظهور الالحاد تختلف عن ظروفنا
وعن طبيعة الاسلام وطبيعة تاريخنا .

٢ - تحذير الاجيال القادمة من خطورة الالحاد على الانسانية بأسرها ،
وما يترتب عليها من آثار سيئة . فاوربا - اليوم - هي الدليل . .
٣ - غموض المعنى الحقيقي لهذا الاصطلاح . . فقد غاب عن
حس كثير من الناس ان الانحراف في التصور الاعتقادي وفي الشريعة والشريحة
لا يدخل في معنى الالحاد . . انما الالحاد عندهم انكار وجود الله
فحسب . .

واخيرا احمده تعالى الذي ارانى الفكر الالحادي الغربي على
حقيقته حتى علمت ان هذه الافكار ليست فحسب ، مجردة من السند
الملكي ، ولكنها ايضا تافهة وحقيرة . .
والذي أتمناه - بعد هذا البحث - ان يوفق الله كل شاب من شباب
العالم الاسلامي ان يقف على تهاة هذه الافكار الالحادية وعلى تخبطات
رجالها التاعمين الحائرين . . . ويقف ايضا على طغيان الكهنة وحمقات
رجالها . . الذين جعلوا الناس - في اوربا - يشردون من ظل الكهنة . .
ومن ظل كل الدين - شرودا لا عقل فيه ولا وعي ، ولا مجال لتحكيم العقل
والوعي . .

* * *

ثم بدأت الكتابة مقسما الموضوع الى ثلاثة ابواب . . ثم قسمت تلك الابواب

الى جزئين :

أما الجزء الأول ويشتمل على الموضوعات التالية :

- أ - التمرينات
- ب - ظروف عامة ساعدت على ظهور الالحاد الحديث . .
- ج - الباب الأول

أما التعريفات فقد اثبتنا فيها ان الالحاد لفظ عربي موضوع للميل
والازوار عن الوسط حسا ومعنى . وأبدنا هذا القول بشواهد من القرآن
الكريم والمعاجم اللغوية ..

ثم تحدثنا عن كلمات ثلاث قد استغلها الملاحدة ابشع الاستغلال للوصول
الى غرضهم الخبيث .. لانها تعبر عن المقصود دون صدام للمشاعر والاحاسيس
وهي كلمة : الحضارة والتطور والعلمانية . فبيننا نواياهم الخبيثة ..
وأما الظروف .. قد تحدثنا فيها ان هذا الالحاد الأخر لا مثيل
له في التاريخ فأبدنا ذلك بشواهد من التاريخ ابتداء من العصر اليوناني
فالعصر الروماني - والعصر الجاهلي واخيرا العصر الكنسي .. فكل ذلك
أثبت بشكل واضح ان هذا الالحاد فريد في نوعه وشكله ..

وفي نهاية هذا الفصل سيجد القارئ ان الملاحدة اتخذوا العلم
الحديث سندا لاثبات الحادهم والعلم برىء من ذلك ..

ثم قدمنا فكرة عامة عن أوروبا الحديثة .. لأنه من المستحيل ان
نقدم اكثر من موجز بسيط لقارة تضيق عنهما الاسفار الكبيرة فاكثفنا بثلاث
نقاط رئيسية ..

(١) - متى بدأت العصور الحديثة

(٢) - الصراع بين الدين والعقل والحس في التاريخ الأوربي

(٣) - أوروبا في النهضة العلمية ... وقد اثبتنا بشواهد كثيرة من قلب

أوروبا نفسها ، كلياً توكد بصورة جازمة ان الحضارة الغربية
لم تأت بشيء من المجالات العلمية الا ويمكن ارجاع اصله الى مؤثرات
الثقافة الاسلامية ..

وأبدنا ذلك أيضاً بصور فوتوغرافية ، لتثبت ان العلم كان أهم

ما جادت به الحضارة الاسلامية على العالم الحديث ...

الباب الأول : لماذا الحد الناس في أوروبا الحديثة ؟

وسبى القارئ ان هذا السؤال قد اجيب عنه باسلوبين :

أولا :

اسلوب الملاحظة الذين يرون ان سبب الالحاد هو : معارضة العلم

مع الدين المبني على الخرافة ..

ثانيا :

اسلوب المفكرين الاسلاميين وغيرهم . فهم قد ذكروا في كتبهم اسبابا

كثيرة فاستطعنا ان نجمع هذه الاسباب المنتشرة في ثنايا كتبهم ونقسمها الى

قسمين اساسيين :

أ - اسباب ظاهرة ..

ب - اسباب خفية ..

وأما الاسباب الظاهرة فذكرنا فيها خمسة اشياء فهي تعتبر بحق أكبر

الاسباب التي اقترنت بمسألة العقيدة منذ القرن السادس عشر .. والتي كان لها

شأن قوى في اضعاف العقائد الموروثة على تقدير الباحثين بالاجماع .

وقبل ان نتحدث عن تفاصيل هذه الاسباب الخاصة بالالحاد الحديث

قد نعرضنا أولا الى السمات المشتركة بين جميع الملاحدة قديما وحديثا .. وأثبتنا

ان هذه السمات توجد لدى جميع الملحدين رغم اختلاف الصور الالحادية ..

ذلك ان الالحاد ليس شيئا لا يوجد الا في فترة من الزمن محدودة في ثنايا

التاريخ وليس هو الشيء الذي يمثل العلم والحضارة والمدنية والتقدم المادى

كما يقولون .

لقد اثبتنا ان الالحاد هو رفض الاهتداء بيدي الله ، ومحاولة اقامة

الحياة بممزل عن الدين .. فهذا لا علاقة له بالبيئة والتطور الاقتصادى

والاجتماعي والسياسي ..

فقد أجمعنا هذه الملاحح في خمسة أشياء :

(١) - كراهة ما انزل الله

(٢) - البحث عن الله عن طريق الحس فقط

(٣) - اتباع اليهود

(٤) - الانجراف في الشبهوات

(٥) - وجود الطواغيت في الأرض

ثم بينا الاسباب الخاصة بأوروبا الحديثة فقلنا :

السبب الاول هو : الدين الذي كُفرت بهما أوروبا وثار عليه . قد

بدأنا الحديث بالتوراة المحرفة حيث اثبتنا تحريفها بعدة طرق :

١ - بالاطوار التاريخية

٢ - بالمعلومات المتناقضة المضلة

٣ - برواية الطوفان . .

وقد اوضحنا ان عقيدة اليهود في اليهود (يهوه) عقيدة فاسدة

وكذلك عقيدتهم مع انبيائهم الذين صورهم اليهود في صور قطاع الطرق

والفسقة . .

وسبلا حظ القارئ وقوفنا الطويل عند طغيان الكنيسة وحماقات

رجالها . . وما ذاك الا لعلنا بأن السبب الاكبر في انحراف أوروبا

من صنع الكنيسة . . كما بينا ان الاسلام كما يحارب الالحاد ، يحارب ايضا

الخرافات والخزعبلات .

السبب الثاني : قوانين المادة . . واثبتنا ان الملاحدة اتخذوا هذه

القوانين التي نسميها بالسنن الربانية - سندا لتوطيد أركان الالحاد . .

وتتبعنا تطورات هذه الفكرة في التاريخ . . منذ ايام علامة الفلك

الفرنسي (لابلاس) المعاصر للأمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت - وأثبتنا

كلمته المشهورة التي يقول فيها :

" اننى لم اجد في نظام السماء ضرورة القول بتدبير اله "

ثم ذكرنا نظرية كوبرنيك ونظرية نيوتن . . واثبتنا اخيرا ان هذه

القوانين لا تدل على الالحاد لو وجدت في بيئة صالحة لأنها آية تدل على وجود

ان هذا أمر يجب أن تكون له صفة الاستمرار والدوام في حياة
الجماعة نفسها وفي نداء القرآن للرسول بقوله :

* يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم وماواهم
جبرئيل وبئس المصير * (١)

وتوجيه النداء على هذا النحو للرسول باعتباره راعيا ورؤسا للجماعة
المؤمنة مما يويد أن الاسلام لم يكن وفقا على تبليغ رسالة بل كان
رعاية أيضا لاستقرار هذه الرسالة وتمكينها ، سواء في وقت الرسالة
أو بعده أي هودين ٠٠٠ ودولة معا ٠٠٠

أنواع الالحاد

نريد هنا أن نفرق بين الالحاد الذي يجب أن تعلن الجهاد
ضده وبين غيره الذي نكتفي فيه بالموعظة الحسنة والجدال
بالتى هي أحسن ..

وإذا رجعنا إلى كتب التفاسير ، نجد أن الراغب قد أشار إلى هذه
التفرقة فقال : " الالحاد ضربان :

الأول : الحاد إلى الشرك بالله

الثاني : الحاد إلى الشرك بالأشياء

(١) سورة التوبة ٧٣ وسورة التحريم : ٩

(٢) تفسير المنار رشيد رضا ج ص

وأما دور اليهود في افساد اوربا فسجد القارئ اننا اثبتنا ان هذا

الدور كان خطيرا جدا وانه كان في شئئين اثبتين :

دور عملى ودور نظرى .

فالعملى يمثل الثورة الفرنسية والثورة الصناعية : قد اكدت بروتوكولات

اليهود انهم كانوا وراء كل ثورة قامت في اوربا وفي مقدمتها الثورة اليهودية

التي نسميها - خطأ - بالثورة الفرنسية . .

وقد اثبتنا علميا ان اليهود كانوا هم الممولين لهذه الثورة كما اثبتنا

ان اليهود ايضا كانوا وراء الثورة الصناعية التي افسدت اخلاق اوربا . وقد وقفنا

عندها طويلا . . وسيرى القارئ اننا اوضحنا كيف استغلت اليهودية العالمية

التنظريات والمنظمات السرية لنشر الاحاد في اوربا . .

ولم نكتف بما يخص اوربا فحسب بل تحدثنا عن البد اليهودية

الخفية التي كانت سببا لا لغاء الخلافة الاسلامية . . وقد بينا الوسائل التي اتخذوها

للوصول الى هذا العمل الاجراحي الخطير . . . كاستغلالهم هذا الشيطان الكبير

مصطفى كمال واستغلال الصليبية واستغلال القومية العربية . .

وأما السبب الثاني من اسباب الاحاد الخفية هو : رجوع اوربا

الى ارضها الوثنى اليونانى القديم . .

وقد بينا ان الملاحدة لم يكونوا يريدون الخير للانسانية والالرجعوا

الى الدين الاسلامي بعدما رفضوا المسيحية الظالمة . .

الى الاسلام الذى يحل لهم الطبيات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم

والاغلال التي كانت عليهم .

ولكن الاحاد مضعهم من كل ذلك . . .

وبهذا انتهينا من الجزء الأول من هذا البحث .

الجزء الثاني : يشتمل على الباب الثاني والباب الثالث

الباب الثاني :

موضوعه مناقشة الملحدين .

ان هذا الباب من أهم الايواب في الموضوع وقد ركزت ان اقسمه الى ثلاثة فصول ولكن قبل ان ادخل في تفصيل ذلك مهدت له تمهيدا وقلت : اننا عندما نحاول مناقشة الملحدين في انكار وجود الله لا لكونها ادلة قائمة على الحق : وانما نناقشها باعتبارها شبهة تمسك بها الملاحدة . . . والا لا يوجد احد على الاطلاق ^{يستطيع} ان يثبت انكاره لوجود الله بدليل . كما لا يستطيع احد ان ينفي فكرة الله ^{وهو} بدليل . . . ولكن لما تسربت هذه الافكار الى عقول بعض الناس فالحذوا ، كان واجبا على ان نقوم - بدورنا - لتحطيم هذه الأفكار الخبيثة في القلوب . . .

الفصل الأول :

تحدثنا في هذا الفصل عن بعض مستندات الملاحدة . . . واكتفينا

بمناقشة ثلاثة مضيا لانها تعتبر اهمها واشهرها وهي :

(١) اصل الكون ونصيب الصدفة مضيا

(٢) نشأة الحياة وتنوعها

(٣) الدين يتعارض مع العلم الحديث

وقد ناقشنا أولا اصل الكون وسبب القارئ ان الملاحدة ليس لديهم برهان يقيني في اصل الكون وانما قدموا للناس ثلاثة فروض كل واحد مضيا بنقض الاخر . . . وما اكتفينا بنقض هذه الفروض فحسب بل أبرزنا لهم وجهة نظر القرآن في هذا الباب .

الفصل الثاني :

ناقشنا الملاحدة في نشأة الحياة وتنوعها . . . وأبطلنا جميع ادلتهم

فيه حتى تبين انهم يهربون من الأمر الواقع وهو وجود الله .

وتحدثنا ايضا عن روسيا في محاولتها امكانية نشأة الحياة كهاوسا كدليل

تثبت به مذهبها الالحادي . . . وسبب القارئ انها فشلت في ذلك فشلا ذريعا . . .

وناقشناها مناقشة هادئة حتى لم يبق امامها أى مخرج أو منفذ ..
وفي النهاية قررنا ان نشأة الحياة شئ استأثر الله بعلمه . وابدنا
ذلك بآيات قرآنية واقوال بعض العلماء المنصفين من الأوربيين ..

الفصل الثالث :
موضوعه الدين يتعارض مع العلم الحديث .. وسيرى القارئ
اننا سقنا أولا ما يعتبره الملاحدة كدليل يثبت مزاعمهم هذه ، ثم ناقشنا هذه
الأدلة واحدة اثر واحدة حتى لا يستطيع ملحد مهما كان بلغ عتوه أن
يتفلسف منا .

وبينا ان مصدر الضلال عند الملاحدة هو طريق الاستدلال العلى
وذلك ان هذا الطريق لا يعتبر شيئا علما الا اذا كان كيبلا او موزونا ،
أوما يدخل تحت التجارب الحسبية .
وقد فندنا هذا الادعاء بالعلم الحديث نفسه وبالقرآن أيضا .

* * *

الباب الثالث :
موضوعه : اثار الالحاد في الحياة الاوربية .
لقد رأيت منذ وضع خطة الموضوع انه لا ينبغي بحث الالحاد بصفته
مذهبا فكريا تافها دون التعرض لاثارها في الحياة الاوربية ..
والحق ان تتبع اثار الالحاد جذير برسالة مستقلة لكننى ارجو ان اكون
قد وفقت لعرض نماذج منها مع مراعاة حجم هذه الرسالة ومدتها ..
ان الذى يتبع آثار الالحاد في أوربا ، يجد انهم يعيشون في ضنك
شديد لأنهم قد سلموا قيادتهم للشريرة الجنسية حين قصروا غاياتهم في الاشباع
المادى .. فصاروا أضل من الأنعام ..
وقد قسمت هذا الباب الى ثمانية فصول .. لأنه هو الباب الرئيسى فى

الموضوع .. ذلك ان صلاحية المذهب لا تتبين لكل الناس الا بالاثار .. فسبى
القارئ الولايات التي جلبتها الافكار الالحادية الى اوربا ثم عمت مصائبها
العالم بأسره ..

الفصل الأول : قد مهدت له بالحديث عن فساد اخلاق اوربا وان حضارتها قد
انشئت على قواعد خاطئة .. ولكنها لا تدرى ان الفساد من اصل حضارتها ..
فتجدها - دائما - تحاول معالجة الفروع .. وأبدنا هذا التقرير بشواهد
من المواقع المؤلمة ومن القرآن الكريم .

وقد تحدثنا في هذا الفصل عن آثار الالحاد في الفكر الغربي وأثبتنا
أن هذه الافكار جاءت عن طريق عدد من فلاسفة أوربا منهم ديكارت صاحب
المذهب الاستنباطي وفرنسيس بيكون صاحب المذهب التجريبي .. كما
تحدثنا عن آثار الالحاد في فكر عمانويل كانت وأوجست (كانت) وفكر
هيوم الملحد ..

ثم وقفنا وقفة بسيرة محرواد الفكر الغربي هم :

داروين وفرويد ودوركاهم وكارل ماركس

واختتمنا هذا الفصل بالمذهب البراجماتزمى الذى تتبناه اليوم الولايات

الامريكية .

الفصل الثاني : آثار الالحاد في الحكم والسياسة .

اثبتنا فيه ان اوربا لم تصرف دين الله الحق وان شريعة المسيحية لم
تتأق في عالم الواقع . فجاء عصر التنوير للقضاء على البقية الباقية وايدت هذا
التقرير باقوال بعض المفكرين كأمثال ابي الحسن الندوى .

ثم قررنا اول من دعا الى عزل الشؤون الاجتماعية عن فكرة التدين هو

” ميكيافلى ” ثم تحدثنا عن مظاهر الالحاد في المذاهب الجديدة ..

ثم لم نكتف بذلك ولكننا تحدثنا ايضا ان المساواة التمسى تدعيه

الديمقراطية حبر على ورق ودلينا في ذلك الدول الديمقراطية نفسها حيث
انقسم الناس هناك الى فقراء واغنياء ..

وبينا هنا ان الحرب الفيتنامية التي دخلتها امريكا تتنافى مع الديمقراطية
والمساواة .

واخيرا اثبتنا ان ما يتنافى مع المساواة والحربة والاخوة التوسع في بيع
العبيد الذي قامت به أوروبا وامريكا ..

الفصل الثالث : موضوعه : الخمر وعجز القوانين الوضعية

وقد اثبتنا في هذا الحجز ان الانسان عاجزان يجعل لنفسه مضجعا
بسيوف ضوئه في حياته .. واستدلنا على ذلك ان امريكا قد فشلت في ذلك
بحيث منعت شرب الخمر لمدة لا تقل عن اربعة عشر سنة ثم عادوا لشربها
بشكل فظيع ثم قارنا بين التجربة الامريكية وبين التجربة الاسلامية فتبين
ان الانسان عاجزان يضح لنفسه مضجعا حياته وان اصغر على ذلك فهناك اضطراب
وتيه .. وشقاوة وأبدنا هذا التقرير بقول الدكتور الكسيس كاريل القائل :
ان جهلنا مطبق .

الفصل الرابع : مشكلة العقوبات في القوانين الوضعية .

قمنا بالمقارنة بين نظرية العقوبات الشرعية الاسلامية وبينها في القوانين
الوضعية .. سيجد القارئ ان الفرق بينهما بون شاسع ..
ثم استشهدنا بالمملكة العربية السعودية التي لم تنزل تنفيذ العقوبات الشرعية
واثبتنا ان معدل الجرائم فيها اقل بكثير من الدول المتحضرة ..

الفصل الخامس : ظهور اثار الالحاد في الدول الكبرى .

وقد اتينا بتقارير صارمة تبين ان فوضى الجنسية هي التي بدأت
تملك أمم الغرب .. اتينا بشواهد من فرنسا وبريطانيا وروسيا وامريكا وغير
ذلك ..

الفصل السادس : اسباب تدنير الأمم والشعوب •

قد اثبتنا ان جريمة الشعب أو الأمة هي سبب هلاكها ••
• واستشهدنا على ذلك بأيات كثيرة من القرآن الكريم
كما اثبتنا انه ليس بهذا الهلاك والتدمير ان تقلب طبقات البلاد بل من
صور الهلاك ان يشتت أمر الأمم وتكسر قوتهم الاجتماعية وتضرب عليهم الذلة
والعبودية والخزي ••

الفصل السابع : عقوبة الفطرة •

فقد اثبتنا بتقارير صحيحة ما جرى في عروق الملاحدة من عقوبة ••
وسيجد القارئ ما تكبدته البشرية في الحرب العالمية الاولى •• وما جرى في
فرنسا حتى اصبحت بعض النساء تنتحر •• وذكر ما في سائر الدول الغربية
وما اشتق منها من امريكا وروسيا ••
وتعرضنا على الاستعدادات الحربية التي توجد اليوم في أمم
الغرب انتظارا للحرب العالمية الثالثة •

الفصل الثامن : موضعه : حضارة لا تلائم الانسان •

تحدثنا عن الشروط اللازمة للمجتمع المتحضر •• ثم قارنا بين المجتمع
الغربي والمجتمع الاسلامي فاتضح ان المجتمع الغربي مجتمع متخلف •
وأبدنا هذا التقرير بشواهد من العلماء الأوربيين وغيرهم •
وأخيرا تحدثنا عن كيفية الخلاص من الالحاد ••
وسيرى القارئ اننا اثبتنا ان الايمان الصحيح الذي لا يعترف بشك
ومعرفة صفات الله تعالى كما أخبر بها القرآن من غير تمثيل ولا تكيف ولا تحطيل
ولا تحريف •• هما طريق الخلاص من الالحاد ••
كما سيرى القارئ اننا اثبتنا بالأدلة الصارمة ان الملحدين والنافي
لصفات الله يلتقيان في النهاية على نقطة واحدة فالملحد يؤمن بقوة مطلقة

سماها الدابحة • والنلفى كذلك يؤء من باله قد جرد من جميع صفاته حتى صار قوة مكالفة •• وأبدنا هذا التقرير بشواهد عديدة من القرآن ومن أقوال العلماء المحققين •• فكان هذا نهاية هذا البحث •

والحق ان تضخم حجم الرسالة مع انتهاء المدة المقررة لها قد حالا دون الافاضة والتفصيل في بعض الموضوعات لا سيما ما يتعلق بأثار الاحساد في العالم الاسلامي المعاصر ••

كما حالا دون الاسترسال في الخاتمة •

وحرصا على ان يستفيد القارئ من بشرح بعض الكلمات وأعلام الانسان والبلدان استعملنا الرقمين : العربي والافرنجى • أما العربي فللاشارة الى المراجع في الهامش وبعض الاعلام تارة •••

وأما الافرنجى فللاشارة الى الحواشى التي سببها القارئ بعد

كل باب •

وكل ما أرجوه هو ان يتقبل الله منى هذا الصل خالصا لوجهه الكريم •• وأن يسير الطريق لكل من يريد ان يسلك هذا الطريق من بعد لنصل الى تحطيم جميع الأفكار الالحادية والنزىل الفبى عن هذه الشريعة الاسلامية الفراء •

(شكر وتقدير)

وانى اذ اشكر الله تعالى على تو فبقه وكرمه لأشكر من بعده فضيلة الشيخ العباد الذى كان نائبا في الجامعة الاسلامية وفضيلة الشيخ النائب الحالي في الجامعة المذكورة الشيخ (زائد) وسعادة وكيل جامعة أم القرى الدكتور راشد الراجح ، وسعادة عميد الكلية الدكتور عليان محمد الحازى وفضيلة المشرف على هذه الرسالة الشيخ محمد النزالى وكل من أسهم بجهدده المشكور في شىء منها وآخردعوانا ان الحمد لله رب العالمين •

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وصلی اللہ علی سیدنا محمد وعلی آلہ وصحبہ وسلم •

نحب فی مطلع هذا البحث ، القاء الضوء علی الأصل اللغوی لكلمة
(الحاد) التي شاع استعمالها فی العصر الحديث •• اذ الوضع
المنطقی السليم فی ترتيب أعمالنا العقلية يقتضينا أن نبدأ - أولا -
بمعرفة عناصرها العامة و قبل أن نأخذ فی البحث عن مميزات
ومشخصاتها •• (١)

فمن أحب - مثلا أن يتعرف كنه الاحاد أو المذاهب الهدامة
التي ظهرت فی الوجود ••••• يجعل به أن يوفر همته - قبل كل
شيء - علی تعرف المعنى الكلى الذى يجمعها ، والقدر المشترك
الذى تنطوي عليه فی جملتها •• اذ أنه من الواضح أنه وان تفاوتت
أنواع الاحاد ومظاهرها فی جموع الحياة الأوربية • فلا بد
أن تكون هناك وحدة معنوية تنظمها ، ويهبر عنها بهذا الاسم
المشترك ••

فما هي تلك الوحدة ؟

ما الاحاد ؟

هذا هو السؤال الذى يجب أن نضعه نصب أعيننا ، ونحن على
عتبة باب البحث فی الاحاد وآثارها المدمرة فی الحياة الأوربية •

(١) راجع كتاب الدين ، دكتور محمد عبدالله دراز ص ٢٨ ط : دار

من العقيدة والحكم والسياسة . . . والاجتماع والأخلاق . . . والملم وطريقة الاستدلال العلمي . والأدب والفن وكل شئ . . .

وللاجابة على هذا السؤال يتطلب منا الرجوع الى معاجم اللغة العربية للنظر في كل من الاشتقاق ، والمعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي

أولا : الاشتقاق :

بيانه أن كلمة (الاحاد) تؤخذ تارة من أصل رباعي (الحاد) يلحد الحادا) وتارة من فعل ثلاثي (لحد يلحد لحداء) . (١)

والمعلم من القواعد الصرفية ، أن الصور المعنوية التي تعطى بها صيغة من الصيغ ، تختلف باختلاف الاشتقاق . ولكننا من الموافقات العجيبة نجد الوزنين (الرباعي والثلاثي) هنا يؤيدان معنى واحدا بصرف النظر عن اختلافهما في الوزن . . .

وعلى هذا الأساس ، اتفقت كلمة المفسرين واللغويين على صحة قراءة الضم والفتح في قوله تعالى (٢) : ﴿ لسان الذي يلحدون اليه ﴾ . فقالوا : ان (الاحاد واللحد) بمعنى واحد في هذه الآية . ان هذا لفريه جدا في اللغة العربية . . . (٣)

(١) راجع لسان العرب ج ٣ ، ص ٣٨٩ مطبعة دار صادر ، راجع تاج المروس من جوهر القاموس ج ٢ ص ٩٣ مطبعة منشورات دار كتب الحياة ، راجع أيضا قطر المحيط بطرس البستاني ج ٢ ص ١٩٣٠
 (٢) الآية في سورة النحل ١٠٢
 (٣) الكشاف للزمخشري ص ١٣٢ ج ٢

ولكن ليس معنى ذلك أن الوزنين في درجة واحدة في الاستعمال
 فلفظ (الاحاد) أكثر استعمالاً في كلامهم من لفظ (الحد) لقولهم:
 (هذا ملحد) ولا تكاد تسمع العرب يقولون: (هذا لأحد) بمعنى الانحراف
 عن الايمان^(١) . . . وأما الوزن الخماسي: (التحد) ان كان يستعمل
 أيضاً في معنى (الحد ولحد) ولكنه يترك عليهما أنه يستعمل في
 معنى (اللجؤ) كما في قوله تعالى: ﴿ولن أجد من دونه ملتحداً﴾^(٢)
 أي ملجأ .

فتلك هي أهم ما تؤخذ منه هذه المادة . . .

ونستخلص من ذلك إلى القول: ان هذه المادة لها ميزة فريضة
 وهي عدم وجود اختلاف في معانيها رغم اختلاف أوزانها واشتقاقاتها
 وعلى هذا نستطيع أن نقول: (أحد فلان ولحد والتحد) بمعنى
 واحد وهو الانحراف عن الوسط والمدول عن الحق أو الميل
 عن القصد . . .

ثانها: المعنى اللغوي:

(الاحاد) لفظ عربي موضوع للميل والازوار عن الوسط حسياً
 ومعنى ولا بد من توضيح ذلك بضرب أمثلة بسيطة:

(١) تفسير المنار، رشيد رضا ج ٩ ص ٤٤١

(٢) في سورة الجن الآيات ٢٤

(٣) وراجع تفسير البحر المحيط تأليف محمد بن يوسف ج ٤ ص ٤٢٨



وأما الحسى ، منه قولهم : " لحد القبر للميت "
 أو قولهم : " أهد السهم الهدف " أى مال فى أحد جانبيه ولم يصب
 وسطه (١) .

المعنوى :

وأما المعنوى ^{وهو} لما كان خيار الأُمر أو سطحها ، كان الانحراف عن الوسط
 مذموما ومنه أخذ التعبير عن الكفر والتعطيل والشك فى الله تعالى بالاحاد
 وسمى ذروه الملاحظة أو الملحدون ^{والملاحدين} ، على حد قول أبى عمر الذى
 يقول : " ان الاحاد هو المدول عن الاستقامة والانحراف عنها " (٢)
 وانطلاقا من نفس هذا المفهوم المعنوى يرى الأعمش أن المعنى الحقيقى
 للاحاد ، هو التكذيب ^{بما اقتاده} يرى أن معناه هو : الاشراك .
 هكذا رأينا أن الاحاد يطلق لفة على الميل الحسى أو المعنوى
 اذ المعنى العام هو الميل عن القصد والهدف ومنه قوله تعالى :
 * ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم *
 أى المدول عن القصد والاستقامة المعنوية ، وهى تشمل جميع الآثام
 وجميع أنواع الظلم حتى احتكار الطعام فى الحرم (٦) .

(١) تفسير النسفى الجزء الأول ص ٦٦

(٢) راجع تفسير المنار - رشيد الرضا - ج ٩ ص ٤٤١

(٣) المرجع السابق ص ٤٤٢

(٤) المرجع السابق

(٥) الآية من سورة الحج ٢٥

(٦) للحديث الشريف " احتكار الطعام / الحاد فيه " رواه أبوداود باب مناسك ص ٨٩

(١)
يقول ابن جرير الطبري (أصل الالحاد في كلام العرب : العدول عن
القصده والاعراض عنه ثم استعمل في كل معوج غير مستقيم) وهذا هو
المعنى الواسع الذي فهمه الصحابي الجليل ، عبدالله بن عمر رضي الله
عنه (٢) الذي كان يعتبر كلمة " لا والله " الحادا في الحرم . فاتخذ
لنفسه ، فسطاطين : أحدهما في الحل والآخر في الحرم . فاذا أراد
أن يصلح صلى في الذي في الحرم ، اذا أراد أن يصاب أهله
عاتبهم في الذي في الحل ، فقيل له : فقال : " نحدث أن من الالحاد
فيه ، لا والله ، بلى والله " (١) .

مثال آخر يؤكد أن هذا الفهم الصحيح لمعنى الالحاد لم يكن
مقتصرا على ابن عمر وأمثاله ولكنه كان فيها شائعا عند جل الناس . منهم
(عبد بن حميد) (٣) الذي صح أن معنى الالحاد هو الذنوب كلها بدون
استثناء فقال : " ما كنا نشك أنها الذنوب ، حتى جاء أعلاج
من أهل البصرة الى أعلاج البصرة الى أعلاج من أهل الكوفة فزعموا
أنها الشرك " (٢) .

وهذا النهم كان شائعا أيضا حتى عند الشعراء فلنسمع الى حميد بن
شور :

(٤)
قدنى من نصر الخبيبيون قدى ليس الامام الشحيح الملحد
أى الجائر في مكة . والمراد بالامام هنا عبدالله بن الزبير (٢) .

-
- (١) الطبري ج ٩ ص ١٣٤
(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩
(٣) تفسير روح المعاني الألوسى ج ١٧-١٨ ص ١٤٠
الخبيبان : عبدالله بن الزبير وابنه ضبيب راجع فاكهة البستان ص ١٣٨
(٤) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩

وأشد الأزهري في المعنى نفسه :^(٤)

لما رأى الملحدين حين الحماس صواعق الحجاج يسطر ن الدماء^(١)

فاطلاق الاحاد هنا على ابن الزبير^(٥) دلالة واضحة على أن كلمة الاحاد تستعمل في جميع المعاصي ، لأنه لم يحرف أن ابن الزبير كان ينكر وجود الله تعالى . .

وكما يدل على أن الوحدة المعنوية التي تربط جميع أصناف الاحاد وأشكاله هو الهبل عن القصد .

فالاحاد لفة : يتناول التحريف في أسماء الله كما فعل ذلك المشركون

في مكة حيث حرّفوا اسم الجلالة " الله " باللات (6)

و " للمنان " بالعناة (7)

و " العزيز " بالعزى . . (٢) (8)

كما يتناول كل من يحدون في تصورهم لحقيقة الألوهية (على الاطلاق) والذين يدعون له الولد ، وكما ينسحب على الذين يدعون أن مشيئة الله نسبحانه - مقيدة بنواميس الطبيعة الكونية .

وكالذين يدعون له كيفيات أعمال تشبه أعمال البشر وهو سبحانه وتعالى

ليس كمثله شئ . .

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩

(٢) في كتب التفسير الآتية :

تفسير الطبري أبي محمد بن جرير المتوفى (٣١٠هـ) ج ٩ ط ٢ ص ١٣٣

تفسير الجواهر للشهيد الطنطاوي الجزء الرابع ص ٢٣٩

وكالذين يدعون أنه - سبحانه وتعالى - اله في السماء وفي تصريح نظام الكون وفي حساب الناس في الآخرة ولكنه ليس الهيا في الأرض ولا في حياة الناس ويقولون (أعط لقيصر ما لقيصر وما لله لله) * أو يطالبون بفصل الدولة عن الدين . . . (١)

* أفحكم الجاهلية يخفون ومن أحسن من الله حكما لقوم يثنون * (٢)

فكل هذا الحاد في الله وفي اسمائه وكلماته وصفاته وأحكامه يقول تعالى :

* الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا * (٣)

والمسلمون مأورون بالاعراض عن هؤلاء كلمهم واهمال شأنهم لأنهم موعودون بجزاء الله لهم ما كانوا يحملون *

يقول الله تعالى : * وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما

ما كانوا يحملون * (٤)

(١) في ظلال القرآن سيد قطب ج ٧ - ٩ ص ٦٣ طبعة أولى

و تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن ، الى عبد الله محمد بن أحمد

الأنصاري القرطبي ج ٧ ص ٣٢٨

و التفسير الكبير الفخر الرازي ج ١٥ ص ٧١

(٤) الآية في سورة المائدة / ٥٠

(٣) فصلت / ٤٠

(٤) الاعراف / ١٨٠

تحديد معنى الالحاد الاصطلاحى

وفى الاصطلاح عرّفه الباحثون بتعريفات كثيرة متفاوتة :
 " حول ان فرض المبدئى منه الذى هو المدول عن الحقيق
 والاستقامة فمن قائل بأن الملحده : " هو المدول عن الحق المدخل
 فيه ما ليس منه " (١)

ومن قائل : انه : " هو الذى أمال مذهببه عن الأديان كلها لم
 يمله عن دين الى دين ... " (٢)

ومن قائل : الملحده : هو الذى يشك فى الله " (٣)

وأما صاحب المعجم الفلسفى ^{وهو} يرى أن أحسن تحديد لهذا اللفظ
 إطلاقه على المذهب الذى ينكر وجود اللغ تعالى لا على المذهب الذى ينكر
 بعض صفات الله أو يخالف معتقده دينية أو رأيا اجتماعيا مقررًا :

فلذلك يقول : " فالفلاسفة الماديون ملاحدة لأنهم قالوا ان للمادة

وجودا مطلقا ، وانما هو علة الحركة والحياة والفكر .

والدهريون ملاحدة لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وأنه

بما فيه مبنى على الاتفاق ولكن اذا قال الفيلسوف :

" ان الأجسام لا تحشر أو قال : ان الله لا يعلم الجزئيات كان كافرا

بأصل من أصول الدين لـ " ملحده " .

(١) راجع تفسير الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ١٣٢

(٢) راجع لسان العرب ص ٣٨٨ ج ٣ والتفسير الكبير للفخر الرازى ج ١٥ ص ٢١٥

(٣) راجع لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٨ .

" وكذلك اذا قال : بوحدة الوجود ، فان هذا القول لا يستلزم

انكار وجود الله ولا يجمل صاحبه ملحدا " (١)

ومن تأمل في هذه التعريفات يجد بينها تقاربا شديدا ولا منافاة

بينها . وبيان ذلك : ان بعضهم عرف (الملحد) بالمعنى المصام
للالحاد والبعض الآخر عرفه بالمعنى الخاص المشهور فى العصر
الحديث .

ولكننا نستطيع أن نوضح أقوالهم على النحو التالى :

ان الالحاد يطلق على كل ظلم ^{كل} واجور ، ثم شاع استعماله
فى انكار وجود البارى حتى أصبح عند اطلاقه لا يفهم منه الا ذلك
المعنى بعد أن كان يستعمل فى كل انحراف وتحريف .

فلذا نجد الشوعيين يعرفون الالحاد بالتحريف التالى :

الالحاد عبارة " أن لا اله والكون مادة " (٢)

ان هذه الخرافة - ليست عندهم شعارا مجردا بل مادة دستورية

فى قانون الاتحاد السوفيتى . .

فيه أنكروا جميع المبادئ السامية والمعائد الدينية . .

فهذا البحث معنى - اذن - بهذا التحريف الخاص الذى غيّر

وجه التاريخ الانسانى . وله فى كل شىء من الشؤون الأوربية مظهره

مظهر فى الحكم والسياسة . . مظهر فى العلم وطريقة الاستدلال الملقى . .

(١) المعجم الفلسفى :

(٢) بؤس الفلسفة كارل ماركس ص ١١٢

مظهر في الانحلال الخلقى والتفكك الأسرى • مظهر في الاقتصاد

والبنوك •• مظهر في الأدب والفن •• وفي كل شيء ••

فمهمتنا - اذن - في هذا البحث ليست يسيرة ، لأن علينا أن

نخوض معركة ضارية شرسة مع الملاحظة في تصوراتهم الخاطئة

نحو الأديان ونحو الانسانية التي أصبحت عندهم لا فجرة ، بينية

وبين الديدان والفئران بل جعلوها حيوانا اقتصاديا أو حيوانا

ماديا على حد زعمهم •••

موقف البشرية اليوم من الاحاد

ان هذه الرؤيا الصادقة لمعنى الاحاد ، تفيدنا من معرفة موقف البشرية اليوم من الاحاد الذى يتمثل فى الدينونة لغير الله - سبحانه - وتعالى من الأرباب المتفرقة - . لا فى الشعائر التبعدية وحدها ولا فى الاعتقاد القلبى وحده ولكن فى الحاكمية والاتباع والطاعة أيضا

وقعت البشرية اليوم فى الحاد - حسب المفهوم اللغوى السابق - يتمثل فى صور شتى

بعضها يتمثل فى الحاد بالله سبحانه وتعالى ، وانكار لوجوده

فهو الحاد اعتقاد وتصور كالحاد الشيوعيين

وبعضها يتمثل فى اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه وانحراف فى الشعائر التبعدية ، وفى الدينونة والاتباع والطاعة :

كالحاد الوثنيين من الهنود وغيرهم من عبادة الأصنام فى أفريقيا وكالحاد اليهود والنصارى كذلك .

وبعضها يتمثل فى اعتراف صحيح بوجود الله تعالى وأداء للشعائر التبعدية ، مع انحراف خطير فى تصور دلالة شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مع استيراد القوانين الوضعية من الشرق أو الغرب لتطبيقها فى بعض قطرنا الاسلامى

وذلك كالحاد بعض من ينتسبون الى هذا الدين العظيم (الاسلام) مع سوء فهم لمعنى الشهادتين

وكلمها الحاد في الله تعالى
 وكلمها كفر بالله تعالى
 وكلمها شرك به سبحانه وتعالى

ان رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح ، تؤكد لنا أن البشرية
 اليوم - الا ما شاء الله - قد ارتدت الى جاهلية شاملة ان صح التعبير ،
 وأنها تعاني رجعية نكدة الى الجاهلية التي أنقذها منها الاسلام مرات
 متعددة ، على يد سيدنا نوح ومن تبعه .. كان آخرها /الاسلام
 الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

فملى المسلمين اذن - أن يبدؤوا في دعوة البشرية من جديد
 الى الدخول في الاسلام ككرة أخرى والخروج من هذا الالحاد الشامل
 النكد الذي ارتدت اليه .

فعلينهم أن يحددوا للبشرية مدلول الاسلام الأساسي :

" وهو الاعتقاد بالوهمية الله وحده
 وتقديم الشرائع التبعية لله وحده

والدينونة والاتباع والطاعة والخضوع في أمور الحياة كلها لله وحده ،،،

وأنه بغير هذه المدلولات كلها لا يتم الايمان الحقيقي بالله ،،، وان
 تخلفت احدى هذه المدلولات كتحلفها جميعا ، يخرج الناس من الايمان
 الحق الى لوثة الالحاد .. والى الشرك والكفر ،،،

انها دورة جديدة من دورات الالحاد

التي تعقب الاسلام - بمعناه العام

فيجب على المتخصصين - كما قلنا - أن يقوموا لتعميرة زيفها والتوقف

أمامها ويواجهونها بدورة من دورات الايمان ليخرجوهم من عبادة
المباد الى عبادة الله وحده .
ان هذا الحديث يقودنا الى تبين موقف الاسلام من الالهيات
ليعلم المؤمنون أن أول عدو للمسلمين هم الملاحدة المصاحبة .

موقف الاسلام من الالحاد

ان (الالحاد) خطر على البشرية كلها ، وليس خطرا على
 (الجماعة الاسلامية) وحدها . من هنا كان موقف الاسلام من
 عدم المهادنة . . .

ان عدم مهادنة (الالحاد) دعوة لدفع الخطر المحدق بالانسانية
 كلها ، طاب الاسلام من المسلمين القيام بها .
 وفي دفع هذا الخطر ، اقرار للسلم : واستقرار الجماعة الاسلامية
 وكفالة اقرار السلم العالمي جانب من رسالة الجماعة الاسلامية في نشر
 الاسلام . .

ومن هنا كان دفع هذا الخطر فرضا ملازما لقيام الجماعة الاسلامية في
 أطوار حياتها وفي كل أجيالها . وعليها أن تكون متيعة بصفة
 مستمرة القدرة على دفعه . . .
 وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو
 خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (١)
 هذا التيهن والاعداد لدفع خطر (الالحاد) الذي يتمثل في الكفر
 وعدم الايمان^{بالله} واليوم الآخر . وهو ذلك المبدأ المعروف في الاسلام بمبدأ
 (الجهاد) .

ان هذا أمر يجب أن تكون له صفة الاستمرار والدوام في حياة
الجماعة نفسها وفي نداء القرآن للرسول بقوله :

* يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم وما هم
جبرئيم وبئس المصير * (١)

وتوجيه النداء على هذا النحو للرسول باعتباره راعيا ورعيسا للجماعة
المؤمنة مما يويد أن الاسلام لم يكن وقفا على تبليغ رسالة بل كان
رعاية أيضا لاستقرار هذه الرسالة وتمكينها ، سواء في وقت الرسالة
أو بعده أي هودين ٠٠٠ ودولة معا ٠٠٠

أنواع الالحاد

نريد هنا أن نفرق بين الالحاد الذي يجب أن تعلن الجهاد
ضده وبين غيره الذي نكتفي فيه بالموعظة الحسنة والجدال
بالتى هي أحسن ..

وإذا رجعنا إلى كتب التفاسير ، نجد أن الراغب قد أشار إلى هذه
التفرقة فقال : " الالحاد ضربان :

الأول : الحاد إلى الشرك بالله

الثاني : الحاد إلى الشرك بالأسباب

(١) سورة التوبة ٧٣ وسورة التحريم : ٩

(٢) تفسير المنار رشيد رضا ج ص

فالأول ينافى الإيمان ويبطله .. (وهو الذى يجب على المؤمن أن يقاومه بالجهد والتضحية) .

" والثانى هو من عراه ولا يبطله .. هو النظر فى الأسباب مع الخفلة عن كونها من خلق الله وتسخيرها .. "

اذن هذا النوع من الالحاد - وأن كان يتناوله معنى الالحاد - لا يجب فيه الجهاد فى سبيل الله .. ولكنهم داخلون فى التهديد الربانى الخيف * ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا * (١)

كلمات مزيفة

هناك كلمات قد استغلها الملاحدة أبشع استغلال .. استفلوا للوصول الى أغراضهم الالحادية ، لأنها تعبّر عن المقصود دون صدام للمشاعر والأحاسيس .

وتحت شارات هذه الكلمات تجرى وسائل الاقناع المختلفة لتحقيق نشر الأفكار الالحادية المسمومة فى العالم ، فى الشرق والغرب ، فى كل مكان .. (٢)

(١) الآية فى سورة غصن / ٤

(٢) أساليب الفوز الفكرى فى العالم الاسلامى ، تأليف الأستاذين د . على

محمد جريش ومحمد شريف الزبيق ص (٥٩) .

فمن واجبنا - اذن - أن نقوم لاستبانة تزييفهم ومخططاتهم

المنحرفة عملا بقول الله تعالى الذي ذكرناه سابقا .

* وكذلك فصل الآيات ولتستبين سبيل الجرمين *

فما هي - اذن - هذه الكلمات ؟

انها كلمة الحضارة والعلمانية والتطور ، فلنصط ..

كلا .. كلمة ..

أولا : كلمة الحضارة : / La Civilization

الحضارة لغة : الإقامة في الحضر بخلاف البداوة ^(١) ، قال

القطامي :

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا ^(٢)

والحاضر خلاف البادية . وفي الحديث : " لا يبيع حاضر لباد " ^(٣)

فالحاضر هو : المقيم في المدن والقرى . والبادي هو : المقيم بالبادية .

(١) راجع لسان العرب المجلد الرابع ص ١٩٦

(٢) المرجع السابق راجع ايضا قاعوس الفرنسي الحمزي تولى الطبعة ١٩٧٥

(٣) الحديث أخرجه البخاري في باب الشروط

الحضارة في الاصطلاح :

ان الحضارة عند الاجتماعيين الأوربيين ، تعنى الحالة المراقبية
التي توجد عليها الأمم تحت العلوم العالية والفنون الجميلة والصنائع
المناسبة * .

فعلى هذا نعلم ، أن معنى الحضارة عندهم ، غاية تتدرج الأمم في
الوصول الى أوجها الأعلى تحت تأثير العلوم والفنون والصنائع * وتكون
آصرة التجمع فيها هي الأرض والجنس واللون فحسب * .

ان هذا المعنى - وان كان هزيلاً - لا يدل - باديء ذي بدء -

على رفض الايمان وانكار وجود الله تعالى * .

فالمسلمون قد عرفوا هذا المفهوم من الحضارة قبل أوروبا بل هم الذين
نقلوا كنوز القداى الى بلاد الغرب * . وقد أجمع المؤرخون المنصفون
على أن أول من عرف الحضارة بمفهوم يقارب المفهوم الحالى هو رجل
مسلم قد عرفه العالم حتى الأعداء بعمق آرائه وصحة اتجاهاته
في تقرير القواعد العلمية وخاصة في علم الاجتماع والتاريخ * ذلك الرجل هو
* ابن خلدون * .

وقد أدرك هذه السمة المبهزة في تاريخ الاسلام ، كل باحث في هذا

التاريخ حتى المستشرقون الذين نصبوا أنفسهم لهدم هذه الركيزة
الكبرى * .

(١) راجع مستقبل الحضارة بين العلمانية والشهوية والاسلام : يوسف كمال ص ١

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون * .

وهذا المستشرق "جب" يقول في كتابه : "الاتجاهات المعاصرة في الاسلام" :

"أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي الى أوروبا في العصور الوسطى" (١).

ويقول "بريفولت" في كتابه "بناء الانسانية" :

"لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ... ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد الى أوروبا الحياة ، بل مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية بعثت باكورة اشحتها الى الحياة الأوروبية .

ولكن على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة .

فان هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون ، وأهم ما تكون ، في نشأة الطاقة التي تكون ما للعالم الحديث من قوة متميزة ثابتة ، وفي المصدر القوي لازدهاره: أي في العلوم الطبيعية وروح البحث العلمي ."

(١) راجع كتاب هل نحن مسلمون للأستاذ محمد قطب ص ٦٢

(٢) راجع الكتاب السابق .

بهذه الشهادات ندرك أن الحضارة - كما عرفه الأوربيون
الاجتماعيون - قد سبق إليها المسلمون ومع ذلك ظلوا مؤمنين
بالله سبحانه . ذلك ان الاسلام دين لا يسمح لمطالب الرج أن تطفئ
على مطالب الجسد وبالعكس أيضا . " دين يجعل كل دقيقة
من دقائق هذه الحياة مثقلة بعضها ببعض برباط الدين " (١) على حد
تعبير المستشرق ويقول جرونباوم (Von Grunebaum) في
كتابه (الاسلام) ..

اذن ان الحضارة بهذا المفهوم السابق لا يتعارض مع الدين الاسلامي
وسياتى تفاصيل ذلك ، وبعد هذا ننقل سريعا الى تعريف الحضارة عند
الملاحدة الماديين لكي نضع أيدينا على نقطة الضلال فيها .

(١) بناء الانسان تأليف بريفولت ، ص ٢٠٢

(٢) راجع المرجع نفسه ص ١٩٠

وراجع أيضا الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص ٣٣

مفهوم الحضارة عند الماديين المعاصرين

ان أصحاب الحضارة المادية في أوروبا وغيرها ، يرون أنها
نقى للدين من تلقاء نفسها لأنها جاءت لتطهير الانسان من دنس الأديان
والمعتقدات القديمة .

هذه هي نظرية " أوجست كونت " (١٥) . فقد ذهب هذا الفيلسوف

الى أن الحضارة الانسانية قد مرت بأدوار ثلاثة :

أولا : دور الفلسفة الدينية . أو المرحلة اللاهوتية

ثانيا : دور الفلسفة التجريدية . أو المرحلة الميتافيزيقية (Positive Stage)

ثالثا : دور الفلسفة الواقعية . أو المرحلة الوضعية .

وهذا الدور الثالث - في نظره - هو آخر الأقطار وأسماها ، وفي

هذه المرحلة ، على حد زعمه لا تذكر الأرواح والالهة والقوى المطلقة .

(١) ترجمة أوجست كونت ولد سنة ١٧٩٨ وتوفي سنة ١٨٥٧ م هو فيلسوف

فرنسي شهير أسس الفلسفة الوضعية أو الحسية ثم هو واضح علم الصمان

البشرى على القواعد المصرية . وله تحزى ديانة سماها (الديانة

الانسانية) التي أبدل فيها الخالق بالانسانى ، والمعابد

بالمجامع العلمية والكهنة والقساوسة برجال العلم . *Loide Troisage*

هذه الديانة عدل على أن أوجست كونت لا يؤمن بالله ولا باليوم

الآخر وهي غفلة تأدت به الى هذه الحال نعود بالله من شر

الفتن .

العشرين

راجع دائرة معارف القرن ، فريد وجدى (ج ١) ص ٧٥٢ -

٧٥٣ .

" لقد أثبت ليهيتون^(١١) انه لا وجود لاله يحكم النجوم . وأكد لا بلاس^(١٢)

بنكرته الشهيرة أن النظام الفلكي لا يحتاج الى أسطورة لا هوية ."

" وقام بهذا الدور العالمان (دارون)^(١٣) و (باستور)^(١٤) في ميدان

البيولوجيا وقد ذهب كل^(١٥) من علم النفس المتطور والمعلومات الثمينة التي حصلنا عليها في هذا القرن بمكان الاله ، الذي كان مفروضاً أنه هو مدير شؤون الحياة الانسانية والتاريخ " (١)

ويؤكّد ذلك الملحد المعاني البروفيسار جوليان هكسلي بقوله :

" تعتبر التطورات العلمية التي حدثت في القرن الماضي " انشجاراً

مصرفياً " في وجه الأساطير الانسانية من الالهة والدين كما تفجرت الأفكار القديمة عن المادة ونسفت بمجرد تفجير الذرة " (٢)

هكذا يرى أصحاب هذه الحضارة المادية أن الناس بعد ما أن كانوا

يحللون الظواهر الكونية بقوة أو بقوة ارادية خارجة عنها انتقلوا الى

تفسيرها بمعان عامة وخصائص طبيعية كامنة فيها . ثم انتبهوا الى

رفض كل تفسير خارجي او داخلي ، واكتفوا بتسجيل الحوادث كما هي .

وعلى هذا في نظر هؤلاء الماديين تكون الحضارة الدينية يمثل الحالة

البدائية التي لصبت بها الانسانية في مرحلة طفولتها ، فلما كبرت أخذت

ثوباً وسطاً في دور مراهقتها حتى اذا بلغت أشدها واكتمل رشدها

أخذت حلتها الأخيرة من الملوم التجريبية .

(١) راجع الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان ص ٣٤ - ٣٥ نقله عن كتاب :

(٢) راجع الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٢ ط السابعة ، المختار الاسلامي نقله عن كتاب :

Hisbstantimes Sunday Magzie,

Spet. 24 (1961)

تلك هي مفهوم الحضارة عند الملاحدة المعاصرين • وبهذا المفهوم
 الهابط ساقوا الجماهير السذج الى سوق الالحاد • فأفهموهم بأن معنى
 الحضارة هو رفض جميع الأفكار القديمة التي منها الدين والقيم الأخلاقية
 والمبادئ السامية •

من هنا - فقط - أصبحت كلمة الحضارة تستعمل في محاربة
 الأديان فإذا قالوا مثلا " ان الغرب متحضر " معناه : انه رفض الأفكار
 الدينية والأخلاق والمبادئ السامية •

وإذا قالوا أن الشرق متأخر مثلا معنى ذلك انه متمسك بدينه وتراثه
 المجيد ••

إذا كان هذا هو مفهوم الحضارة عند الماديين فلا شك أنه يصطدم بالدين
 وقد اصطدم - فعلا - مع الدين في أوروبا - لأسباب سنتكلم عنها ان شاء
 الله •

ثانيا : كلمة العلمانية : Secularisme

ان هذه الكلمة من الكلمات التي استعملها الملاحدة لضرب
 الأديان في أوروبا الا أنها في حقي ذاتها - لا تدل على الالحاد •
 ولا علاقة لها بالالحاد ، لا من قريب ولا من بعيد ••• ويتضح
 لنا ذلك في التعريفات الآتية :

تعريف العلم :

العلم في اللغة هو : في اللغة نقيض الجهل • وهو من أشيع

الكلمات المستعملة قديما وحديثا • وهي في كل دور من أدوارها تطلق على ما يضاد الجهل بنوع محدود من المعارف • ومثال ذلك :
كانت هذه الكلمة - عند العرب في الجاهلية - تطلق على ما ينافي الجهل بمعارف الجاهليين المحدودة • وكانت لا تتعدى الشعر والكهانة والقيافة والخطابة • • والانساب • •

فلما ظهر الاسلام كان يراد من العلم ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة : وهي الكتاب والسنة وأخبار الملائكة وغيرها • • ولما زادت معارف العرب صدرت تطلق على ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة كالفقه والتفسير وشرح السنة والتاريخ وطبقات رواة الحديث والنحو والبلاغة وغير ذلك • • ثم انتشرت العلوم الكونية فيهم وتشعبت المعلومات لديهم فصار يستعملها كل فريق بما يناسب ما لديه من العلم • فاتسع مدلولها اتساعا يناسب اتساع مجالات المعارف الجديدة • • (٢)

وبهذا يتضح لنا أن كلمة العلمانية التي تعنى رفع شمار العلم لا تعارض بينها وبين الاسلام بل هي احدى وسائل الاسلام وبعض أهدافه واذنا عرفنا هذا فلننتقل الى تعريفات للكلمة عند الغربيين الماديين لنضع أيدينا على نقطة التحول من المعنى الايجابي الى المعنى السلبي اللاحادي • •

(١) راجع كتاب لسان العرب ج ١١ ص ٤١٧

(٢) راجع عرضا دائرة معارف القرن العشرين ، فريد وجدي الجزء السادس ص ٥٨٣ مع تغييرات طفيفة •

العلمانية في تعريفات الغربيين الماديين :

لقد ذهب دعاة العلمانية الى القول بأن العلمانية هي : " الدعوة الى الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس ، وبند كل ما لا تتقدمه التجربة ، والتحرر من المقائد الخيالية التي هي عندهم ضرب من الاوهام ومن الصوابف بكل ضروبها . . . وطلبة كانت او دينية ، بزعم انهم تضلل صاحبها ، وتحيل بينه وبين الوصول الى احكام موضوعة محايدة " (١) .

ويقول المعجم الدولي الثالث الجديد " مادة "

" العلمانية " اتجاه في الحياة اوفى شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً فهي تعني مثلاً :

السياسة اللادينية البحتة في الحكومة . . .

" وهي نظام اجتماعي في الأخلاق ، مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر الى الدين " (٢) .

(١) اتجاهات هدامة في الفكر المعاصر ، د . محمد محمد حسين

ايضا كتاب سقوط للعلمانية ، أنور الجندي ص ٣٩ نقلاً

عن المرجع السابق .

We Ester's Third New International (٢)

ويقول قاموس (العالم الجديد) لو بستر شرحا للمادة نفسها :
 " والروح الدنيوية أو الاتجاهات الدنيوية ، ونحو ذلك وعلى
 الخصوص نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أى شكل من أشكال الإيمان
 والمباداة ."

" الاعتقاد بأن الدين والشئون الكنسية لا دخل لها في شئون الدولة
 وخاصة التربية العامة "

ويقول مصجم اكسفورد شرحا للكلمة :

دنيوى أو مادي - ليس دينيا ولا روحيا : مثل التربية
 اللا دينية : الفن او الموسيقى اللا دينية السلطة اللا دينية الحكومات
 المناقضة للكنيسة .

الرأى الذى يقول : انه لا ينبغى أن يكون الدين أساسا
 للأخلاق والتربية ... "

وعلى ضوء هذا التحريف المزيّف : اتخذ الماديون في أوروبا ،
 العلم سلاحا لمقاتلة الدينين والنص علىهم . فلم يجرى القرن التاسع
 عشر حتى كان أنصار الدين في ضعف مطلق أمام خصومهم وظهرت المبادئ
 المادية ظهورا لا مزيد عليه ، وتذرعوا بهذا السلاح ينكرون الخالق
 والروح والخلود لخرج هذه العقائد عن دائرة اختصاص " العلم " الحديث .
 والعلم الحديث برى من هذه الفريسة ...

(١) نقلا عن رسالة العلمانية وأشهره في الحياة الاسلامية : تأليف سفر ص ٢

وهكذا صرح الماديون أن معنى (العلمانية) هو انكار لوجود الله
واقامة الحياة بمعزل عن الدين ولكن المترجمين الذين نقلوا هذه الكلمة
الى العربية كانوا خبيثاء وخونة حيث قالوا : ان (Secular)
معناها : العلمانية . بينما صرح الماديون بأن معنى العلمانية هو اللادينية
فلنستمع الى تصريحاتهم .
ويقول المستشرق " اربري " في كتابه (الدين في الشرق الأوسط)
عن الكلمة نفسها :

" ان المادة العلمانية والانسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها
اشكال اللادينية . . واللا دينية صفة مميزة لآسيا وأمريكا . . ومع أن
مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط فانها لم تتخذ أى صبغة فلسفية
أولية محددة . . والنموذج الرئيسي لها هو فصل الدين عن الدولة فى
الجمهورية التركية " (١) .

تقول دائرة المعارف البريطانية مادة " (Secular)
هى حركة اجتماعية تهدف الى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة
الى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها . . .
ذلك انه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف
عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر ، وفي مقاومة هذه الرغبة
ظفقت ال (Secularism) تعرض نفسها من خلال تنحية

Religion in The Middle East A. J. Abber (١)
Vol. 2. P. 606-607

Ency. Britannica Vol. IX P. 19 (٢)
راجع رسالة العلمانية وأثرها في الحياة الاسلامية المعاصرة ، سفر ص ٣

النزعة الانسانية بحيث بدأ الناس في عصر النهضة لظهور تعلقهم الشديد
بالانجازات الثقافية البشرية ، وبإمكانية تحقيق خالصهم في هذه الدليسا
القريبة ..

وظل الاتجاه الى الـ (Secular) يتطور باستمرار

خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية *
(16) ^{سنة العلم الحديث لا عين إلا حيا سيرا من العلم الفلوري: كذا ما أكد (هود)}
الذي يقول : " أن الفكر الحديث من ناحية ثانية يتصف بنزعة من

الشك في احكامه واستنتاجاته ، ينتج عنهما ميل الى الحرية والانطلاق

في امتحان مختلف الفرضيات وتحصيلها . فالكون كما يبدو لنا نحن

المحدثين مليء بالغموض والأسرار الخفية خلافا لنظرة القرن التاسع عشر

لقد أصبحنا نشعر بضآلة معارفنا على أنه كلما ضاققت

حدود المعرفة المقررة ، اتسعت مبادئ النظر الى الاحتمالات الممكنة وأفضل

الخيال في تصورها ، ولا تتعلق شكوكنا في الأحكام التي تقررها فحسب ،

بل تتجاوز ذلك الى أساليب البحث في الوصول اليها .

" ومن هنا تستولي على الناس رغبة ملحة في ارتياد مختلف السبل لفهم

طبيعة الكون في جوانبه المتعددة ، سواء عن طريق العلم أو الفن أو عن

طريق النشرات الدينية في حالات العبادة . وليس ذلك فقط ، بل هناك

رغبة ضمن نطاق الدراسات العلمية نفسها في التجريب بمختلف مناهج

البحث ، مع استخدام أدوات جديدة لهذا الغرض ، فنحن نسمي

الى فهم الكون من جوانب متعددة وأساليب متباينة .

" ويبدو لدى المتأمل أمرا لا مفر منه ، ذلك أنه كلما اتسعت

دائرة معارفنا مسّت أمورا لا تزال خافية علينا ، ولذلك يزداد شعورنا

بالجهل . . و شبهه بذلك ما حصل في ميدان الدين ، فان الشك في المقائد الدينية التقليدية يقتصر بالاهتمام الذي يتزايد شيئاً فشيئاً بالنظرة الدينية للكون عامة ، وبالاعتقاد بأن العلم لا يلزم أن يكون قد قال كلمته الأخيرة بعد " (١) .

وبهذه الشهادة وأماليها ، تعلم أن العلم على النحو الذي حددته المفاهيم المستحدثة لا يمثل الا جانباً صغيراً من العلم الأوسع الذي سبقه الأديان الى اضاءة الطريق فيه . ورسم مفرج واضح لك ، لأنه يوصل بحال الخيبا الذي لا يستطيع العقل أو العلم في خطواته بعد الوصول الى حقيقته .

وكما قال جولد في تقريره السابق من أن الفكر الحديث " من ناحية ثانية يتصف بنزعة من الشك في أحكامه واستنتاجاته " فهذا (مارتين ستانلي كونجون) يصل في بحوثه الى النتائج نفسها فهو يقول :

ان نتائج العلوم تبدأ بالاحتمالات ، وتنتهي بالاحتمالات وليس باليقين والنتائج بذلك تقريبية ، عرضة للأخطاء في القياس والمقارنات ونتائجها اجتماعية وقابلة للتعديل والحذف ، وليست نهائية . وقد أضر العلم منذ أجيال أن يترك البحث في كنه الأشياء بعد أن تبين أنه لا سبيل الى معرفة الكنه المغيب عن الحواس واكتفى بدراسة ظواهرها . (٢)

(١) جولد ، متنازع الفكر الحديث ، عرّبه عباس فضل خماش ، وثق الترجمة

عبد العزيز البسام ص ١٦-١٧ - طبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

(٢) راجع كتاب سقوط العلمانية (أمير الجندي) ص ٤٧

ونود أن نختم هذا الفصل بكلمة (رسل تشارلرأرنست) (١) التي

تعتبر بحق الكلمة الفاصلة في هذا الباب فلندعه يتكلم :

" ان كل الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحياة .
قد باءت بالفشل والخذلان الذريعين ، ومع ذلك فان من ينكر وجود الله
لا يستطيع أن يقدم الدليل المباشر المتطالع ، على أن مجرد تجمع الذرات
والجزئيات عن طريق المصادفة ، يمكن أن يودي الى ظهور الحياة وصيانتها
وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية " .

وبعد هذه الجولة نستطيع أن نقول انه من الخطأ المحض أن تشتق
العلمانية من العلم . فالتجربة نفسها كذبت دعواهم الكاذبة القائلة :
ان العلوم وحدها ستنقذ الانسانية " أو المصرا الذي يسود فيه العقل ، يصل
الانسان الى الكمال " تلك كانت دعواهم التي أصارتها التجربة الى وهم
وجهم مريير .

وبعد هذه الجولة نصل الى الحقائق التالية :

ان كلمة (Secular) معناه اللاديني أو غير عقدي
ولكن الذي قاموا به بترجمة هذه الكلمة الى العربية دسوا هذا المعنى
السخيف . فقالوا معناه : العلمانية لأنها كلمة محبوبة لدى الجميع .
وان دل هذا على شيء فانما يدل على خيث هؤلاء المترجمين
الملاحدة .

ثالثا - (كلمة التطور) :

السطور في اللغة : التارة • تقول : طورا بعد طور • أى تارة بعد تارة وقال الشاعر في وصف السليم (١)

* تراجمه طورا وطورا تطلق * (٢)

وتطلق هذه الكلمة ويراد بها (الحال) كما في قوله

تعالى : * وقد خلقكم أطوارا * (٣) معناها : ضروبا وأحوالا مختلفة •

كما رأيت ، ان هذا المفهوم لا يتعارض مع الدين الاسلامي • ولكن

الملاحدة اخترعوا من عند أنفسهم مفهوما آخر خبيثا للطور ، فهو لا بد

أن يتعارض مع الأديان لأنهم يستعملون مفهوم التطور في مقابل الجمود ،

جمود العقيدة وجمود العبادة •• وجمود القيم •• وجمود المفاهيم ••

وجمود التقاليد ، وجمود الحياة •• فهم يرون ان المقياس الحقيقي لعظمة

الانسان وتطوره هو جهاز الراديو أو التلفزيون أو السيارة التي يركبها

أو جهاز النسيب الآلي أو القنبلة التي يدمر بها الحياة على وجه

الأرض •

وعلى هذا المفهوم قامت الثورة الفرنسية باسم التطور • حتى صارت

" الموضة " هي التطور • وما لا يتطور بذاته ينبغى أن يتطور بالقوة!

(١) لسان العرب ج ٤ ص ٥٠٧

(٢) البيت للناخبة الذبياني • وهو بكامله :

تناذرها الراقون من سوء سمها
أوظر المرجع السابق •

(٣) سورة نوح الآية رقم ٧١ •

انه لا ينبغي ان يظل شيء على الاطلاق ثابتا في كل الأرض • لا الدين
ولا فكرة الله • ولا الأخلاق • ولا التقاليد • ولا القيم • ولا الرواسط
الاجتماعية • لا شيء • ••• لا شيء على الاطلاق •

تسمح في كل أنحاء أوروبا : (دعه يمر) ! (دعه يفعل) !
ينبغي أن نحطم قيود الأخلاق فهي قيد يحوق التطور • فينبغي السهم
أن نطرحها في المجتمع الصناعي المتطور الذي يتطور بتطور وسائل
الانتاج •••

بل ينبغي أن ننشئ أنفسنا في المجتمع الجديد ••• المتطور •••
المتحرك ••• الوثاب ••• وتركزت الفتنة كلها في " تحرير المرأة "
لكي تخرج الى الطريق فتنة للرجال • (١)

فبدأ الكتاب يكتبون ••• والصحافيون يزينون التبجح ••• والقصاصون
يقصون القصص الماجنة والمصورون يصورون الصورة الخليعة • كل ذلك
باسم التطور ••• كأن السبيل الى تحقيق هذه الرغبات هو :
السينما والأفلام الداعرة العارضة الداعمة الى الفساد •
كان السبيل هو بهوت الأزياء •

كان السبيل هو صناعة أدوات الزينة •

كان السبيل بكل السبيل والوسيلة • (٢)

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص (٢١ - ٢٥)

(٢) المرجع السابق ص ٣١

وكان أهم شيء عند هؤلاء المتطورين أن ينفخوا في الصور المادية
 "المتطورة" • ومن حيلة هذا كله حدثت حركات ضخمة في المجتمع
 الغربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين • وهي
 حركات التطور الفرهد لأنهم تداولوا عن عالم الفهب الذي لا يرونه
 ودخلوا في عالم المحسوس الذي يعاملونه بالكهل والوزن والمسافة ••
 هذا هو مفهوم التطور عند الضر بهيسل وقد ساعدهم على ترويض
 هذه الفكرة الشنيعة ما أعلنه " داروين " في كتابه (أصل الأنواع سنة
 ١٨٥٩) وفي كتابه : أصل الانسان سنة ١٨٧١ م أن الانسان أصله
 حيوان وبتعبير عصري أوضح ان الانسان نهاية التطور الحيواني •
 لقد رحب الماديون بفكرة (دارون) لأن عقيدتهم تقوم على المنف
 وصراح الطبقات ولم يكن الدافع لتبني هذه الفكرة هو الأدلة العلمية
 وإنما المذهب السياسي الأعلى • لذلك أحلوا المقام الأول بين جميع
 العلوم • وان لم نذكرنا هؤلاء الملاحدة ، نذكر أيضا تلك اليد اليهودية
 الخفية التي كانت تحمل دائما في خفاء لبث مثل هذه الأفكار الاحادية •
 تقول بروتوكولات حكما صهيون : " لقد رتبنا نجاح دارون وماركس ونيشة
 بالترويض لآرائهم • وان الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم
 في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد " (١) • ولقد حدثت بالفعل
 ذلك الأثر الهدام للأخلاق باسم التطور ••

(١) راجع البرتوكول الثاني ص ١٢٣ ط • الرابعة : دار الكتاب العربي

وهكذا رأينا جزءاً من مفهيم التطور عند الضرب ، وسنعود الى ذلك
ان شاء الله في (باب النشوء والارتقاء) الذي سنمقده فيها يأتي من الصفحات .
تلك هي الكنيمات التي استعملها الملاحدة كالسلاح لضرب الأديان
مستترين وراء الممى اللغوى الظاهر لسوق السنج البسطاء الى
سوق الالحاد . والحمد لله الذى أيدنا للكشف عن هذا الزيـف
وهذا الخبث والضلال .

فكرة عامة عن أوروبا الحديثة

لما كان عنوان هذا البحث هو : الالحاد وأثره في أوروبا الحديثة ،
يجمل بنا أن نعطي فكرة عن كل من الكلمتين " الالحاد " و "أوروبا"
الحديثة " ، وقد تحدثنا عن كلمة الالحاد لغة واصطلاحاً ، والآن
نود أيضاً أن نقدم فكرة موجزة عن " أوروبا الحديثة " .

وكيف لا ، ان أوروبا هي التي تصارع فيها " الايمان " و " الالحاد " ،
وجال الدين مع رجال المادة ، ، ، ، والتطور مع الثبات ، والحق مع الباطل ، ،
ولومضينا بالبحث دون أن نعطي أية فكرة عن أوروبا الحديثة ، كأننا
تحدثنا في عمية ، وقديماً قيل : " الحكم على فرع تصور " .
وفوق ذلك ان معرفة شئ من بداية العصر الحديث تساعدنا على
معرفة تطور الأحداث الالحادية هناك ولكن من المستحيل أن أقدم هنا أكثر
من موجز بسيط لقارة تضيق عنها المجلدات الضخمة ، ولذا سوف نكتفي
بثلاث نقاط ، وكفى ، ، ، وهي :

- (١) متى بدأت العصور الحديثة ؟
- (٢) كيف بدأت النهضة العلمية في أوروبا الحديثة ؟
- (٣) الصراع بين الدين والعقل والحس في تاريخ الفكر الغربي ، ، ،
وقبل أن نتحدث عن أوروبا الحديثة ، يحسن بنا أن نقدم صورة
صغيرة عن القرون الوسطى التي تابعتها العصور الحديثة لأن التاريخ
متصل الحلقات لا يمكن أن يحرف فترة انتقال من عصر الى عصر الا بدراسة
شاملة للفترتين معاً ، اذن متى بدأت العصور الوسطى ؟

أولاً - بداية العصور الوسطى

ان كان أبناء المدرسة القديمة من المؤرخين قد أصروا دائماً على اتخاذ سنة ٤٧٦ - وهي السنة التي سقطت فيها الإمبراطورية في الغرب - حداً فاصلاً بين العصور القديمة والوسطى ، وسنة ١٤٥٣ - وهي السنة التي سقطت فيها القسطنطينية في أيدي العثمانيين ، وانتهت فيها حرب المائة عام (١) بين إنجلترا وفرنسا حداً فاصلاً بين العصور الوسطى والحديثة الا أننا لا نستطيع أن نسايرهم باطمئنان في هذا الاتجاه . . .

ذلك ان اختيار سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر همبدو في نظرنا - كما سبق - أمراً بعيداً عن الحقيقة ، لأن التطور التاريخي يمتاز دائماً بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها في بعض ، أشبه شيء بنمو الكائن الحي . . . وكما أننا لا نستطيع اتخاذ لحظة بعينها نقول : ان الفرد ينتقل فيها من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب أو من هذه المرحلة الأخيرة الى مرحلة الشيخوخة . . . فكذا من المبالغة التاريخية أن نختار سنة محددة لنقول : ان العصور الوسطى توقفت فيها عن السير تماماً لتفسح المجال للعصور الحديثة . . .

هذا ما ورد في كتاب التاريخ الأوربي الحديث مؤكداً لما قلنا :

(١) راجع أوربا العصور الوسطى ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ج ١ الأول

ص ٣ ط : مكتبة الأنجلو المصرية .

" عندما ندرس للتاريخ ، نجد التطور الانساني يسير في تيارات فكرية تتغير معها نظرة الانسان الى الحياة وادراكها لفهاهيمها وتصرفه بازائها . ومن العسير أن نحدد تاريخا محدودا لظهور هذه التغيرات الهامة فسي مجرى التاريخ أو الانتقال من العصور القديمة الى العصور الوسطى أو من الوسطى الى الحديثة " (١) ،

وليس معنى ذلك أن نترك الأمر دون أي بحث ، وإذا لم يكن التحديد الدقيق في استطاعتنا ، نستطيع أن نتخذ بعض السنوات الهامة أو الأحداث التاريخية الكبرى لتكون فواصل بين العصور التاريخية ، وعلى هذا الأساس اتخذ المؤرخون القرن الرابع الميلادي بداية للعصور الوسطى لكثرة الحدوث المظيمة التي لها كآثر في تغيير وجه التاريخ القديم .

نوجز بعض هذه الأحداث فيما يلي :

- (١) اعتراف الامبراطورية بالديانة المسيحية سنة ٣١٣ م
- (٢) نقل عاصمة الامبراطورية الى القسطنطينية سنة ٣٢٣ م

(١) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمصر فيينا ، تأليف الاستاذين : الدكتور عبد الحميد البطريق ، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس والجامعة الأردنية .
والدكتور عبد العزيز نوار ، أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة عين شمس وجامعة بيروت العربية ص (١١) ط : دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ٧٤٩ .

(٣) لزيادة خطر للجرمان على كيان الأمبراطورية عقب موقعة

"أدرنة" سنة ٣٧٨

(٤) اتخاذ المسيحية ديانة رسمية للأمبراطورية سنة ٣٩٢

(٥) تقسيم الأمبراطورية الرومانية الكبرى الى قسمين : شرقى وغربى

سنة ٣٩٥ (١).

فالقرن الرابع ، اذن — يمثل العصر الذى اجتمعت وتفاعلت فيه مختلف

العناصر الأساسية التى كوّنت تاريخ اوربا فى المصور الوسطى : وهى

(الكنيسة المسيحية ، والجرمان ، والامبراطورية) (٢).

(١) راجع أوربا المصور الوسطى ، ج الأول — د • سعيد عبد الفتاح

عاشورص ٤ ، أستاذ كرسى تاريخ المصور الوسطى كلية الآداب —
جامعة القاهرة •

(٢) المرجع السابق ص ٤

راجح دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى

بدلية العصر الحديث

وما هو جدير بالذكر ، أن الكثير من الآراء التي ساهمت في العصور الوسطى عاشت أيضا بعض الزمن في العصر الحديث . فمن الصعوبة أن توجد حداً فاصلاً بين عصر وآخر كما قلنا سابقاً . ولذا يحتبـر عصر النهضة من دلائل الانتقال من العصور الوسطى الى العصر الحديث .

واليك أهم ما اعتبره المؤرخون بداية لتاريخ العصر الحديث : سقوط القسطنطينية في يد الأتراك المـثانيين عام ١٤٥٣ م لأنه قد ترتب على هذا الحادث قيام حركة احياء العلوم في أوربا عندما غادر القسطنطينية عدد كبير من العلماء اليونانيين الى أوربا حاملين معهم مخطوطاتهم الثمينة التي انبثقت منها دراسات جديدة أضاءت الطريق لظهور النهضة الأوربية وحركة احياء العلوم . (١)

(الناحية الثقافية) :

أما الناحية الثقافية ، فهي سمة بارزة في الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة . وذلك ان الكنيسة كانت وحدها ملاذ الثقافة والتعليم ولذا اصطبغت الثقافة في العصور الوسطى بالصبغة الدينية فقد كان العلماء في تلك العصور هم أنفسهم رجال الدين ، وما يقوله رجال الدين حينئذ يتقبله الناس وما يرفضونه يرفضه الجميع . (٢)

(١) التاريخ الأوربي الحديث الدكتور عبد الحميد البطريرق ود . عبد

المزيز نوارص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤ .

وكل تعلمهم مسلّم بهما لا تقبل النقض ولا تحيل النقاش الملقى وكانت
 للغة اللاتينية هي اللغة الأساسية التي يجب على كل فرد أن يحلمها ويتقنها •
 أما اللغات القومية فكانت للتخاطب المحلي •

ومن أراد المعرفة فلا سبيل إليها إلا عن طريق اللغة اللاتينية التي كانت
 إذ ذاك لغة الجامعات يتفاهم بها الطلبة مع أساتذتهم لذلك نصّت لوائح
 الجامعات الأوربية في المصورالوسطى على عدم اجازة من يثبت أن لغته
 اللاتينية غير سليمة •

ثم تطورت الدراسة حتى اتجهت في المصورالحديثة الى الناحية القومية
 ولم تعد اللغة اللاتينية وحدها هي لغة الثقافة والأدب •
 ولم تلبث الجامعات أن تصدت لهيمنة الكنيسة البابوية وناهضت المبدأ
 بخضوع الكنائس في البلاد الغربية خضوعا تاما للبابا وبية وكان على رأس
 الجامعات الممارضة ، جامعة باريس التي أيدت مبدأ استقلال الكنيسة
 الفرنسية •

وقد تحقق فعلا للكنيسة الفرنسية هذا الاستقلال واكتسبت صبغتها
 القومية في عهد لويس الحادي عشر (١٤٦١ - ١٤٨٣) (١) •

فلذا عدّ المؤرخون الناحية الثقافية فترة انتقال من المصور
 الوسطى الى الحديثة •

(١) المرجع الأول مع تفسيرات طافية ص (١٥) •

(الاكتشافات الجغرافية) :

ومن المظاهر الثقافية لانتقال أوروبا إلى العصور الحديثة ، عنابة
بعض الشعوب الأوربية بجغرافية العالم واكتشاف أبعاده .

وقد كان احتلال البرتغاليين (سبتة) على الساحل الإفريقي عام
١٤١٥ بمثابة الحلقة الأولى في سلسلة المغامرات البحرية التي أدت دوران
(فاسكوداجاما) حول أفريقيا سنة ١٤٩٢ م وتأسيس الامبراطورية البرتغالية
والاستعمار البرتغالي في الشرق ثم أدت تلك المغامرات إلى اكتشاف أميركا .

الناحية الاجتماعية والاقتصادية :

أما الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، فقد تميز العصر للوسيط بالنظام
الاقطاعي الذي بدأت تتلاشى مظاهره في العصور الحديثة فقد كانت الأرض موزعة
بين أشراف يمتلكونها بما فيها من إنسان وحيوان ، ويحكمون اقطاعاتهم
بمطلق ارادتهم . يقضى بين الناس بما شاء له حكمه ، وبذلك كانت الأرض
هي عماد الثروة الاقتصادية لذلك انعدم وجود الطبقة الوسطى التي تعتبر عماد
الحياة .

الخلاصة : كان المجتمع طبقتين : أشرافا يتمتعون بكل شيء

وقلاحين يعتبرون أرقاء للأرض .

ولما كان أكثر الأحداث وقعت في القرن الرابع عشر اعتبره المؤرخون

بداية العصور الحديثة . وهي الفترة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها باسم

عصر النهضة (Renaissance) بمعنى البعث الجديد أو

بالمعنى الحرفي (الولادة الجديدة) .

وقد ظهرت حركة النهضة في بدايتها في إيطاليا وكان ذلك في منتصف القرن

الرابع عشر . اذن ان العصور الحديثة تبدأ من القرن الرابع عشر والله أعلم .

(ثانها) - أوروبا في النهضة العلمية والأدبية :

نحاول في هذا الجزء من البحث أن نتعرف على أثر الحروب الصليبية ونتائجها في النهضة الأوروبية في مجالات العلم والأدب والحضارة . الا أننا - نحاول - أن نتحاشى عن التعصب والمزايدات * سواء أكانت من تلك الأفكار التي تبالغ في تأثير هذه الحروب على أوروبا من حيث استفادتها من حضارة الاسلام أم كانت من تلك الأفكار التي تميزون من شأن تأثير هذه الحروب * اعنى أفكار المثقفين الذين وقصوا في الانبيار من هذا الابداع المادى للحضارة الغربية المعاصرة *

ذلك أن الأصالة قدر مشترك بين الحضارات جميعها * فكل حضارة أبدعت ونقلت وكانت لها سمة تميزها بين الحضارة العالمية * ولم توجد قط حضارة تفردت بالابداع أو تفردت بالنقل أو خلقت من السمة التي تميزها بين سلمات الحضارة (١) .

والحق الذى ينهى أن يتمسك به كل باحث في تاريخ أوروبا العلمى ، هو أن أوروبا قد مرت بثلاث مراحل :

الأولى منها كانت مظلمة حقا وهى تقع في الفترة ما بين نهاية القرن الثالث ونهاية القرن التاسع الميلاديين ، وكانت ممبرا انتقل عليه القديم الى ما بعده . . (٢)

(١) عباس محمود العقاد : أثر الحرب في الحضارة الأوروبية ص ٢٨ ط :

دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .

(٢) الغزو الصليبي والعالم الاسلامي ، تأليف الدكتور عبد الحلیم محمود ص ٢٧١

(٣) هل نحن مسلمون ، محمد قطب ص ٧٥

والثانية منها : كانت تشهد تدفق العلوم والدراسات العلمية الإسلامية على أوروبا الغربية وهي تقع بين بداية القرن العاشر ونهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، وهي مستغرقة أكثر من قرن في زمن الحروب الصليبية .

والثالثة منها : وهي المرحلة التي أدت الى ازدهار العلوم والدراسات العلمية تمتد من بداية القرن الثالث عشر الميلادي ، من نهاية العصور الوسطى وهي التي أفادت تماما من اتصال دول أوروبا الغربية بالعالم الإسلامي عن طريق الحروب الصليبية . (١)

ولقد أفادت أوروبا من علوم المسلمين وطبهم في هذه المراحل الثلاثة جميعا وليس بين الباحثين المنصفين من ينكر أن المسلمين قد فاقوا في الطب والعلوم من عاصروهم من سكان أوروبا منذ ظهور الإسلام الى أن كان عصر النهضة العلمية في أوروبا .

وفي الوقت الذي كانت الكنيسة تحرم صناعة الطب لا اعتقادها أن المرض عقاب الهى لا ينبغي للإنسان أن يصرفه عن يستحقه وهو الوقت المسمى عندهم بعصر الايمان . في هذا الوقت ، عند استهلال القرن الثاني عشر الميلادي ، كان المسلمون يمارسون الطب منذ زمن مبكر عن ذلك . (٢)

وتأييدا لما قلنا نسوق اليك شهادات من قلب أوروبا قد أداها رجال منصفون أريسون .

(١) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، تأليف دكتور عبد الحلیم محمود ص ٢٧١

(٢) المرجع السابق ص ٢٧١ .



(شهادة من النمسا) :

وهي شهادة يوز دييها (محمد أسد النمساوي) المسلم في كتابه
القيّم : (الاسلام على مفترق الطرق) يقول فيها :
" ان تحرير العقل الأوربي من القيود العقلية التي فرضتها
عليه الكنيسة المسيحية قد اتفق في أثناء النهضة التي كانت مدينة الى
حد بعيد لذلك العامل الثقافي الذي كان العرب ينقلونه الى الغرب .
وكل ما كان خيرا في الثقافة الاغريقية القديمة ثم في العصر الهيلاني
التالي ، فان العرب بعثوه في علومهم وزادوا فيه في القرون التي تلت
تأسيس الامبراطورية الاسلامية الاولى . انا لا أقول ان تقبل العرب والمسلمين
لنتائج الفكر الهيلاني كان على وجه العموم فائدة لا شك فيها ليم - ان
انه لم يكن كذلك .

ولكن مع كل العقبات التي يمكن أن تكون الثقافة الهيلانية قد خلقتها
في سبيل تقدم المسلمين بالمعنى الاسلامي الصحيح ، فان تلك الثقافة
نفسها كانت باعثا قويا عن طريق العرب أنفسهم في سبيل نهضة
أوروبة .

ان العصور الوسطى قد اطلقت القوى المنتجة في أوربة : كانت العلوم في
ركود وكانت الخرافات سائدة ، والحياة الاجتماعية فطرية خشنة الى حد من
الصعب علينا أن نتخيله اليوم . في ذلك الحين أخذ النفوس الاسلامي
في العالم - في بادئ الأمر ، بمغامرة الصليبيين الى الشرق ، وبالجامعات
الاسلامية الزاهرة في اسبانيا المسلمة في الغرب ، ثم بالصلوات التجارية المتزايدة
التي أنشأتها جمهوريتا جنوة والبندقية - أخذ هذا النفوذ يقرع على الأبواب

الموصدة دون المدنية العربية . (٢)

(١) راجع كتاب الاسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ص ٤٢ ، ترجمة د / مرفوخ

(٢) المرجع السابق ص ٤٢

" وأمام تلك الأَبصار المشدوِّهة ، أبصار العلماء والمفكرين الأوروبيين ظهرت مدينة جديدة - مدينة مهذبة راقية خفاقة بالحياة ذات كنوز ثقافية كانت قد ضاعت ثم أصبحت في أوربة من قبل نسياناً منسياً .

ولكن الذي صنعته العرب كان أكثر من بحث لعلم اليونان القديمة ، لقد خلقوا لأنفسهم علماً علمياً جديداً تام الجدة .

لقد وجدوا طرائق جديدة للبحث وعملوا على تحسينها ، ثم حملوا هذا كله بوسائل مختلفة إلى الغرب . ولنا نبأ إذا قلنا إن المصراع الحلي الحديث الذي نميش نميش فيه لم يدرش في مدن أوربة النصرانية ، ولكن في المراكز الإسلامية ، في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة .

وإن أثر هذا النفوذ في أوربة كان عظيماً . لقد بزغ ، مع اقتراب الحضارة الإسلامية نور عقلي في سماء الغرب ملأها بحياة جديدة ويتعطر إلى الرقي . ولم يأت التاريخ الأوربي بأكثر من اعتراف عادل بقيمة الحضارة الإسلامية حينما سعى عصر التجديد الذي نتج من الاحتكاك الحيوي بالثقافة الإسلامية " عصر البحث " (١) فإنه كان في الحقيقة ولادة لأوربة ، ولم يكن أقل من ذلك .

هذه هي شهادة رجل أوربي نساوى ، وقد أتاحت له فرصة الاطلاع على الثقافتين ، الإسلامية والعربية فهداه الله تعالى إلى الإسلام الخفيف فهو يدلي بهذه الشهادة بدون أي تعصب أو تحيز . (٢)

(١) عصر النهضة (Renaissance) كما يقال في التاريخ الحديث ولا ريب أن انصراف المسلمين في الأندلس . في العصور الوسطى إلى العلوم والفنون جعلهم إلى حد يهبطون الناحية العسكرية الحربية في حياتهم فشجع ذلك الكنيسة على تأليب الأوربيين على العرب فكان ذلك سبباً من أسباب ضياع الأندلس .

(٢) راجع هامش كتاب " الإسلام على مفترق الطرق " محمد أسد ص ٢٣ .

شهادته من فرنسا :

ومن الجدير بالذكر ان نتائج الأبحاث العربية الفريدة التي تتعلق بعلمى الطبيعة والفلك ، قد تمتعت هي أيضا في العالم قاطبة بأهمية واهتمام زائدين .. وقد شهد بذلك كثير من الباحثين الأوربيين .. فالهجوم نختار شهادة رجل كاتب غير متمصب ... فمن هو ذلك الرجل ؟؟

هو رجل من فرنسا وهو الأستاذ سديلو (Sedillot) ان هذا الاستاذ رغم كون فرنسا تعتبر أم الحضارة المادية الحالية - لم يتحيز اليها ، بل صرح بالحق .

فشهادة فرنسا في مثل هذا الوطن مقبولة لمكانتها بين دول العالم لما قامت به الثورة الفرنسية المشهورة ^{من} وما نادى به من حقوق الانسان . فلنستمع ^{الى} هذه الشهادة :

" لقد توصل " فلكيو بغداد ، في نهاية القرن العاشر الى أقصى ما يمكن أن يتوصل اليه انسان في رصد السماء وما دار فيها من كواكب ونجوم بالعين المجردة دون اللجوء الى عدسات أو منظار . ولكن لم يجد جميع فلكى العرب مترجما لا تهنيا فلذا لم تدخل علومهم جميعا الى بلاد الغرب .

(١) عن كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف المستشرق الألماني زيخريد هونكه ص ١٤٥ .

ومن بين العرب الذين وصلت آثارهم الى مواطن العالم الغربيين
بطريق مباشر نجد العالم (الفرغانى) (١) (Al Farghani)
الذى كان يحمل في بغداد أيام أبناء موسى . لقد قام الفرغانى بقياسات
طول خط الأرض المستقيم . . .

وكان أول من ادرك ان مدار الشمس والكواكب على مر الزمن
يجرى في اتجاه خلفي . وكتاب " جوامع علم النجوم " " للفرجانيوس"
(Al Fraganus) ثم ترجم كتاب الفرغانى الى اللاتينية ،
وأصدره مالاينتون : (Melancton) في عمله الجديدة عام
١٥٣٧ م في نورنبرغ كملحق لكتاب " راجيمونتانوس " -
(Regiomntanus) وبهذا يعترف هذا الرجل الغربي
بتفوق العرب على الغرب - آنذاك - في جميع المجالات العلمية . . .

(١) الفرغانى : فلى أرسله الخليفة المتوكل الى الفسطاط (القاهرة)
لينظر بنائمه مقياس النيل (٨٦١) له : جوامع الكواكب
والحركات السماوية . . . نقل الى اللاتينية والمبريه . . . وله
أيضا كتاب في الأسطرلاب : المرجع السابق ص ١٩٥ .

شهاده أخرى من فرنسا : يؤيد بها بكل أمانه الاستاذ (موريس بوكاي)
الفرنسى :

يقول : (١)

" ولكن علينا أن نتذكر أن في عصر عظمة الاسلام • أي بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر من العصر المسيحي ، وعلى حين كانت تفرض القيود على التطور العلمي في بلادنا المسيحية ، انجزت (الحضارة الاسلاميه) كمية عظيمة من الاختراعات والمكتشفات بالجامعات الاسلاميه •

في ذلك العصر كان الباحث بهذه الجامعات يجد وسائل ثقافية عظيمة •• ففي قرطبه كانت مكتبة الخليفة تحتوى على اربعمائة ألف مجلد • وكان ابن رشد يعلم بها • وبها أيضا كان يتم تناقل العلم اليوناني ، والهندي والفارسي • لهذا السبب كان الكثيرون يسافرون من مختلف بلاد اوربا للدراسة بقرطبه مثلما يحدث في مصرنا أن تسافر الى الولايات المتحدة لتحسين وتكميل بعض الدراسات • ولكن هي كثيرة تلك المخطوطات القديمة التي وصلت اليها بواسطة الأدياء العرب ناقلة بذلك الثقافة الى البلاد المفتوحة ••••! ولكم نحن مدينون للثقافة العربية في الرياضيات (فالجبر عربى) وعلم الفلك والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا وعلم النبات وطب (ابن سينا) و (الرازي) الى غير ذلك ، لقد اتخذ العلم لأول مره صفة عالمية في جامعات العصر الوسيط الاسلاميه • في ذلك العصر كان الناس أكثر تأثرا بالروح

(١) راجع كتاب دراسة الكتب المقدسه في ضوء المعارف الحديثه ، موريس بوكاي ص ١٤٠ ط : دار المعارف •

الدينيهه ، مما هم عليه في عصرنا . . . ولكن لا يمنعهم من أن يكونوا
في آن واحده مؤمنين وعلماء . كان العلم الأخر التوأم للدين . لكم
كان ينبغي على العلم ألا يكف عن أن يكون كذلك . . .

" كانت البلاد المسيحيه ، في تلك الفترة من القرون الوسطى ،
في ركود وتزمت مطلق ، توقف البحث العلمي ، ليس بسبب التوراة
والانجيل وانما ، وعلينا ان نكرر ذلك ، بأيدي هؤلاء الذين كالتوا
يدعون أنهم خدام التوراة والانجيل . وبعد عصر النهضة في أوروبا ،
كان رد الفعل الطبيعي أن يأخذ العلماء بثأرهم من منافس الأُمم
(وهو الله) وهذا الثأر مستمر حتى اليوم . لدرجة أن التحدث حالها
في الشرب عن الله في الأوساط العلميه يعتبر فعلا - على الرغبه
في التفرد . ولهذا الموقف تأثيره السيء على العقول الشابه التي تتلقى
تعليمنا الجامعي " .

شهادة من المانيا :

ان هذه الشهادة قد أدتها امرأة من المانيا فقد ساء لها ما تراه من انتقاص قيمة الحضارة الاسلامية في الغرب . مع أنها تعلم يقينا أن الحضارة الغربية لم تأت بشيء من المجالات الطبية والتكنولوجية الا ويمكن ارجاعه الى أصل عربي فاذلك حمت معها هذه الشهادة لتؤديها للعالم وهي المستشرقة الألمانية (ريفريد هونكه) حيث تقول :

(١) " قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الباريسية أصغر مكتبة في العلم ، لا تحتوى الا على مؤلف واحد ، وهذا المؤلف كان لعربي كبير . وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة ، بدليل ان ملكة للمسيحية الشهيرة ، " لويس الحادي عشر " اضطر الى دفع اثني عشر ماركا من الفضة ومئة (تالر) (Talar) من الذهب الخالص لقاء استعارته هذا الكنز الغالي رغبة منه في أن ينسخ أطباءه نسخة يرجعون اليها اذا ما هدد مرض أوداء صحته وصحة عائلته . وكان هذا الأثر الملقى الضخم يضم كل المعارف الطبية منذ أيام

(١) ترجمة المستشرقة هي الدكتور هـ زيفريد هونكه ، مستشرقة المانية طائفة الشهيرة لها عدة كتب في بيان فضل العرب على الغرب منها : الرجل والمرأة ، وكتاب شمس العرب تسطع على الغرب وغير ذلك وقد زارت عددا من البلدان العربية مثل مراكش ومصر والعراق على اثر دعوه من رؤساء تلك الدول .

(٢) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف (ريفريد هونكه) ص ٤٤

الاغريق حتى عام ٩٢٥ بعد الميلاد . وظل المرجع الأساسي في أوربه
 لمدة تزيد على الأربعمائة عام بعد ذلك التاريخ ، دون أن يزاحمه
 مزاحم أوتوثر فيه أوفى مكانته مخطوطه من المخطوطات الهزلية
 التي دأب في صياغتها كهنة الأديرة قاطبة ، وهو العمل الجبار
 الذي خطته يد عربي قدير .

ولقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه
 عليهم وعلى الطب اجمالا . فأقاموا له نصبا في باحة القاعة الكبيرة
 في مدرسة الطب لديهم ، وعلقوا صورته وصورة عربي آخر
 في قاعة أخرى كبيرة تقع في شارع ، (سان جرمان) ، حتى
 اذا ما تجمع فيه اليوم طلاب الطب وقامت أبصارهم عليهم
 ورجعوا بذاكرتهم للورا يسترجعون تاريخه . . فمن هو ؟ انه
 الرازي أو رازاس (Rhases) كما ستمت بلاد الغرب ، وأما اسمه
 الحقيقي فهو أبو بكر محمد بن زكريا . ولد في مدينة (الري) في
 خراسان شرقي مدينة طهران حاليا .

شهادة من امريكا :

يقول الأهركى دريبر فى كتابه النزاع بين العلم والدين :
 " واننا لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء الملمية ما كنا
 نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر ، ومن ذلك أن مذهب النشوء
 والارتقاء للكائنات المضيوية الذى يحتبر مذهباً حديثاً ، كان يدرس
 فى مدارسهم " .

(١) المرجع السابق (٢٤٤)

(٢) راجع كتاب الاسلام دين علم خالد للاستاذ محمد فريد وجمدى
 ص ٢٣٣ من الطبعة الثانية ويلاحظ من هذا التقرير ، شىء لى
 أخطاره الكبيره وهوانه جعل التطور الذى عرفه المسلمون
 والتطور الذى اخترعه (داروين) و (ولاس) فى درجته
 واحده ، ، خاشاً وكلاً ، ، فبينهما بون شاسع ، وذلك ان التطور
 الذى اهتدى اليه المسلمون كان ملاحظاً للتدرج فى مراتب المخلوقات
 من الجوامد الى الانسان ، ولكنهم لم يقولوا ، كما قال داروين - ان
 الانسان من أصل حيوانى ولم يخسوه قدره ولا نفوا عنه أخصص
 خصائصه الذى تفرد به ، وعرفوا أنه متميز من بين سائر الحيوانات
 ومن ثم عرفوا فكر التطور ولكنهم لم تتحول فى تفكيرهم الى لوشة
 مدمره كما حدث فى الفكر الغربى الملحد .

ان شهادة بريطانيا كانت عامه • فهي ترى أن السراليندى
 ان الذي ارادها (23) تقدم به الحرب كامن في القرآن الكريم/نكبو (غلا دستون) وزير بريطانيا
 الاول أحد موطدى أركان الامبراطوريه في الشرق - حينما قال :

• مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربيه السيطرة على
 الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان •

هذا ما يقوله المفكرون المنصفون في أوروبا أن الحضارة الغربيه
 الحاليه لم تنهض الا على ما قدمته الحضاره العربيه
 الاسلاميه • هذا ما يؤكده المستشرق (بريفولت) -
 (Briffault) •

• ان روجو بيكون : درس اللغة العربيه ، والمعلم العربيه
 في مدرسه (اكسفورد) على خلفاء معلميه الحرب في الأندلس •
 وليس (لروجر بيكون) ولا لسميه الذي جاء بعده •

(١) محمد اقبال : تجديد التفكير الدينى : ترجمته عباس محمود نقلا
 عن كتاب بناء الحضاره (بريفولت) نقلناه عن كتاب التفكير
 الفلسفى في الاسلام • عبد الحلیم محمود شيخ الأزهـر
 سابقا ص ٢٨٣ •

(٢) راجع ايضا المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وجهد الدين
 خان ص ١٠

الحق في أن ينسب اليهما المفضل في ابتكار المنهج التجريبي ،
 فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين
 الى أوروبا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم
 معاصريه اللغة العربية وعلوم الغرب ، هو الطريق الوحيد
 للمعرفة الحقة .

والمناقشات التي دارت حول وأضحى المنهج التجريبي : هي
 الطرق من التحريف الهائل الأصول للحضارة الأوروبية . وقد كان
 المنهج التجريبي ، في عصر بيكون : قد انتشر انتشارا واسعا
 وانكب الناس في ليف ، على تحصيله في ربوع أوروبا .

شهادة من الهند :

يقول للكاتب الاسلامى والمفكر الموفق فى القطر الهندى السيد
وحيد الدين خان :

" توجد فى المتحف البريطانى بلندن عسطة معدنية قديمة ،
يحمل أحد طرفيها اسم (أوفاريكس) بالحروف اللاتينية فى ثنائيا
محمد رسول الله فى ثلاثة أسطر باللغة العربية ، ويحمل
الطرف الآخر كلمة (لا اله الا الله وحده لا شريك له) الى جانب
اسم اثنين من ضاربي العملات ببغداد ، باللغة العربية . (١)

ثم قال :

" وأوفاريكس (Offarex) هذا ملك انجليزى كان يحكم
منطقة مرشيا (Mercia) فى القرن الثامن الميلادى . وهذا
يدل على أن حكم أوربا كانوا يطلبون من ضاربي النقود البغداديين
أن يصكوا لهم نقودهم . وهذا يدل كذلك على أننا ، معشر المسلمين
كنا نتمتع فى زمن / الأزمه ^{من} بما يتمتع به الغرب اليوم ———
تقدم على وصناعى ، ان المسلمين ، خلال مائتى سنة فقط

Charles Owen, History of England (1)
Before The Norman Conquest, 1910.
راجع كتاب المسلمون بين الحاضر والماضى والمستقبل وحيد الدين

خان ص (٧)

من البرجره النبويه كانوا قد أصبحوا أئمة العالم ، وأصبحت
حاضرتهم - بغداد - عاصمة العالم الحضارية بدلا من اصطخر
الایرانية ورمسيس المصرية وروما الأوربية .

* ان أسلافنا بدأوا لإحلتهم من مرحلة البداوة حتى قفزوا
الى أعلى مدارج الحضارة بينما نحن أخلافهم التمسسا ،
الذين تمكنوا من استئناف المسيرة ، من مرحلة متقدمة ، الا أننا
فضلنا أن نسير في الاتجاه المضاد .*

ثم نقدا الاستاذ عن أحد المستشرقين كان يصف النهضة الإسلامية
بما يلي :

* لقد ولد الاسلام في حى مجهول بمكة في الصحراء العربية .
ولم يكسب يخرج منها حتى غزا الشرقين الأدنى والأوسط بسرعة
مدهشة . ثم وصل الى الأندلس عبر شمال افريقيته والى حدود الصين
عبر ايران . وكانت آخر نقطة وصل اليها الاسلام في أوروبا هي
(بودابست) ، حيث لا تزال مقبرة "جل بابا" ، بطرازها التركي
على ضفاف (الدانوب) ، تذكرنا بأن المسلمين وصلوا حتى هذه
البقعة النائية .

وكان من معجزات هذا الزحف أن أنشأ العرب المتوحشون إمبراطوريه
عالميه ، ولم يكتفوا بنشر لغتهم في كل أرجاء العالم ، بل اكتشفوا
العلوم الانسانيه واستفادوا منها ورفعوا من مستواها .

* وفي القرن السابع الميلادى أنشئت الأسس السياسيه والاقتصاديه
لإمبراطوريه العربيه العالميه .*

وقامت الخلافة العباسية ، في القرن الثامن الميلادي ، بخلق
أعظم الحضارات في التاريخ كان مؤسسوها هذه الحضارة يريدون
نشر الاسلام ، ولكنهم اهتموا باحتضان جميع الاشياء الجيدة
وأفادوا الاسلام بها "

شهادة الاستاذ جوستاف لوبون :

ان هذا الاستاذ الكبير يشهد - رغم كونه من الخريبيين -
 شهادة رجل واثق على ما يقول : ويصوح تصريحاً لا غموض
 فيه من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار
 الأوربي الا ويهكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة العربية
 بصورة قاطعة .

فلندعه يتكلم :

يقول : " ظهر ما تقدم أن تأثر الشرق في تمدن الغرب كان
 عظيماً جداً بفعل الحرب الصليبية ، وأن ذلك التأثر كان في الفنون
 والصناعات والتجاره .. أشد منه العلوم والأدب ...

وإذا ما نظرنا الى تقدم العلاقات التجارية العظيمة باضطراد بين
 الغرب والشرق والى ما نشأ من تحاك الصليبيين والشرقيين من النمو
 في الفنون والصناعة تحكى لنا أن الشرقيين هم الذين أخرجوا الغرب
 من التوحش ، وأعدوا النفوس الى التقدم بفضل علومهم وآدابهم التي
 أخذت جامعات أوربه تعول عليها فانبثق عصر النهضة منها ذات
 يوم ...

وبهذه الشهادة نعلم أن مصدر الحضارة الغربية الثقافية

مستمد من الحضارة الاسلامية . ولكن كيف كانت النتائج ؟
 هل اعترف الغرب بالجميل ؟ هل أدوا الاحترام لآساتذتهم ؟
 الجواب لا !

بل أن الاحتقار التقليدي الذي وطد قواعده رجال الكنيسة

أخذ يتسلل إلى بحوثهم العلمية ..

وبعد فترة من الزمن أصبح احتقار الإسلام جزءاً أساسياً

من التفكير الأوربي ... فتحامل المستشرقون على الإسلام تحاملاً

لا مثيل له حتى تركوه غريزته موروثه في أعقابهم ... وهذا

جولد تسيهر في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام) يقول كلمة ^{مؤيداً}

" لا في الأفكار ولا فيما يتصل بعلاقة الإنسان بما هو فوق حسه

وشعوره وبلا نهاية .. "

وتوضح ذلك ، أن الإسلام في نموه مصطبغ بالأفكار والآراء الهند

الهيلينستية ونظامه الفقهى الدقيق مستمد من القانون الروماني ، ونظامه

السياسي متأثر بالنظريات السياسية الفارسية ... وتصوفه يمثل

تيارات الآراء الهندية والأفلاطونية الجديدة .. !!

* كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الاكذبا *

وهذا (فليبن رابن) تلميذ مرجليوت في كتابه : " اللغات

القديمة في غربي بلاد العرب " الذي يقول كلمة يحلم كذبه فيها قبل

غيره : " ان القرآن قد احتوى على أخطاء لغوية ونحوية (!!)

وان المسلمون على مرّ الأجيال قد صححوا كثيراً منها ولكن ما زال

بعضها باقياً حتى اليوم " . الى آخر هذا اللغو الذي لا يحترمه

عقل ولا علم ولا ضمير ...

هذا هو جزاء المعلمين من قبل تلاميذهم ... لم أر شعباً ينكر الحقائق ويخفيها كـشعب أوروبا ... ان هذا الشعب الحسود استطاع أن يخفي عن أعين الناس هذه الحقائق الضخمة مع وجودها في الكتب .

ان هذا الفريد في تاريخ الانسان العام ... انظر الى العرب لما أخذوا الفلسفة والمنطق وغيرهما . من اليونان ، بينوه للناس ولم يخفوا من ذلك شيئاً وما نقصوا من قيمة الاغريق بل رفعوا أرسطو الى ما هو فوق منزلته : ف قيل له : انه هو المعلم الأول .

وأما أوروبا الجاهلة كانت مواقفها خلاف ذلك : تطاولوا على صاحب الرسالة الاسلامية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . ان كوجيليت الذي يعتبر اماماً من أئمة المستشرقين يقول : فسي بحثه عن الاسلام في موسوعة تاريخ العالم :

(Universal History Of The World)

" ان محمداً صلى الله عليه وسلم رجل مجبول النسب ، لأنه (محمد ابن عبد الله) . . . فأى سخف وأى تفاهة في التفكير والتعبير ؟ أخبروني هل سمعتم من أحد / أن العرب كانوا يطلقون على من لا يعرفون نسبه (اسم عبد الله) أو يسمونه محمد بن عبد الله بـ ... عبد المطلب بن هاشم بن قصي ... انه لغريب ؟

يقوم محمد المجبول النسب يتحدى آلهة قريش وتقاليدهم وعبادتها وعاداتها وأوضاعها كلها بنسبه المجبول !!!

هل يبلغ الحسد بانسان حتى يهجم على الناس بمثل هذا الافتراء

المكشوف ؟

وان نكرتم هذا الاحسان الكبير نقبل لكم (ان للبر عينا لا تفضى)

وفي الفصل التالى سنرى ما يدل على عدم اعتراف أوربنا

بالجميل ..

لقد قدم الاسلام لهؤلاء الأوربيين خدمات كثيرة في شتى المجالات

لا يتسع المكان لذكرها : واليك بعضا من هذه الخدمات ...

هدايا العرب للغرب

من هدايا العرب للغرب هذه الساعة التي كانت تسير على الزيت
وعلى الزيت وعلى الشمع المشتعل ، أو التي بواسطة الأثقال
المختلفة .

فكان أن وجدوا الساعات الشمسية الدقيقة التي كانت تحمل ساعة
الزيت بصوت رنان . . .

والساعات المائية كانت تقذف كل ساعة كرة في اتجاه معين
وتدور حول محور تظهر فيه النجوم ورسومات من عالم الحيوان ، أو
ساعات تحمل فحاح منسقة الواحدة تلو الأخرى من هذا القبيل
هذه، وما تابك تبرق كلما جلوزت الساعة الثانية مفرقة ليلاني
حين يمر فوقها هائل وضاء . . .

وفي عام ٨٠٧ م قسّم عبد الله رسول هارون الرشيد إلى الأندلس
(26) في مدينة آخن (Aachen) (1) من أعمال اللانكس
ساعة من هذا النمط . . . وقد علق مؤرخ القيصر " اينارد "
(Einard) على هذا الحدث في يومياته قائلا :

" كانت ساعة من النحاس الأصفر مصنوعة بمهارة فنية مدققة ،
وكانت تقيس مدة اثنتي عشرة ساعة وفي حين تمامها لذلك

(1) آخن (Aachen) مدينة في ألمانيا عدد سكانها ١٤٠٠٠٠

نسمة وهي مدينة صناعية مشهورة .

تسقط الى الأسفل اثنتى عشرة كرة صغيرة ، محدثة لدى اصطدامها بقرص معدنى مثبت ، ودويا ايتاعها جميلا بالاضافه الى عدده مماثل من الأفراس الصغيره التى كلما دارت الساعه دورتها الكامله قفزت (١) من فتحة اثنى عشرة بوابه واغلقتها بقفزاتها هذه ..

وهناك أشياء أخرى كثيرة تسترعى الانتباه فى هذه الساعه تدعو الى الحجب والدهشه ، وليس ثمة مجال لمدّها اذ ذلك قد يقودنا الى تفاصيل كثيرة ...

وعلقت المستشرقه الألمانية ريخريد هونكة على هذا التقرير بقولها :

" نحن ما زلنا حتى يومنا هذا نقف فاعرى الأفواه دهشة واعجابا كلما رأينا ساعة كبيرة فى مبنى البلديه ، وما يرافق دقائقها من ظهور شخصوس صغيره متحركه تذكرنا بما فعله العرب فى الماضى ، حبا بالألماب الميكانيكية وولما بيها ..."

(ثانيا) - طريقة الاستدلال العلمى القائم على التجربة :

لقد اعترف الجميع للعرب بفضليهم فى اىمال الفلاسفة والعلماء القدماء وآثارهم للعالم الحديث ... ولكنهم لم يأخذوا العلم الذى ورثوها عن طريق الاقتباس كما أنهم أيضا لم يأخذوا الآلات العلمية

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب المستشرقه الألمانية ريخريد

ومواد العلم القريب دون مناقشه أو تحقيقى فنذ البدء ادهشوا
العالم بأسره بالحريه الموضوعية والشجاعة العلمية التي
استقبلوا بها نتائج السالفين وأقوالهم لهيبوا بحثا ولقدا وتفنيدا وتحقيقا
للأخطاء ودحضها وعملا دائبا في الحقل الجديد ، دون أن يفتنى
بصرهم غاشية صيت ذائع ومن فيهر أن يدخل الوجل الى قلوبهم
اسم كبير فيرهبهم . ولعل أبلغ برهان على هذه الصفة التي كانت
تفتنى بالأيوء منوا حقا وصوبا الا بالأشياء التي تثبت صحتها
التجارب وتدعمها . . . نقول لعل أبلغ برهان على هذا ما نراه من
عسناوين لمخطوطات كانت تسمى الى نقد كتب أرسطو (العظيم) نفسه
أوبطليموس .

لقد كانت وقبحتهم العلمية الشديدة تدفعهم دفعا ثابتا
الى القيام بتجارب واختبارات عديدة ، ولكن كان ادراك الاغريق
دوما الشمول في نظرة واحدة كاملة واكتشفوا النظام البديع
والترتيب العقلانى فى كل الظواهر الطبيعية فان الصرب كانوا يسرون
الهدف العلمى الذى من أجله يهبطون أنفسهم بكليتها ليس فى اجراء
تحقيق واحد أو عشرة تحقيقات فحسب ، بل فى المئات الكثير منها . . .

(١) لا يفهم من كلامى هذا أن الصرب كانوا مثل الماديين الملاحده للذنين
لا يوء منون بشيء الا ما كان وزنا وكهلا ومسافة . . . حاشا وكلا . . . ان
الصرب كانوا يطبقون هذه القاعدة على المحسوسات فقط . . . وأما الغيب
كانوا يوء منون به كما أراد الله تعالى .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٢

(٣) المرجع السابق ص ١٤٢

ان هذا الحديث يقودنا الى سر تفوق العرب على الاغريق في الابحاث
العلمية أولا وسر تفوقهم على الأمة المسيحية ثانيا ...
أولا سر تفوق العرب على الاغريق في الابحاث العلمية :

وليس غريبا ان يتفوق العرب على الاغريق في ميدان علم
الهيئة والتنجيم بل في المجالات العلمية المتعددة .. بيان
ذلك ان الابحاث العلمية التي حققها العرب ، كانت تلبية لحاجتهم
اليومية ...

كالقيام بالصلاة في مواعيدها المحدودة ... وهو يحتاج
الى معرفة صناعة الساعة . وكالقيام بتمييز ظهيرة القمر
في شهر رمضان في لحاته الأولى ... وهو أيضا يحتاج الى معرفة
علم الهيئة والتنجيم معرفة دقيقة ...

وكالقيام بتحديد سير القوافل في الصحارى الذي يحتاج أيضا الى
معرفة تامة بكل ما يتعلق على ذلك ...

بل كان هناك دافع قوى يدفعهم الى الابحاث العلمية بكل
ما أعطوا من قوة ... وذلك الدافع هو الأوامر الربانية التي
تحث دائما الى طلب المزيد من الابحاث العلمية ...

كقوله تعالى ﴿ وقل رب زدني علما ﴾

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " اطلبوا العلم ولو في الصين "

" اطلبوا العلم من المهد الى اللحد "

" طلب العلم فريضة على كل مسلم "

وكان الاغريق على خلاف ذلك اللذين انهم كانوا يتساهلون غالباً بالدقة ويهملون عن رضى كثيرا من الحسابات المويضة . . . وليس عندهم هدف في هذه الأبحاث الا الترف العقلي فقط . . . ولا يرجون منها لا ثوابا ولا عقابا .

ان هذه الأسباب كافية في أن يتقدم العرب على الاغريق في الأبحاث العلمية .

ثانيا - ولكن ما هو سر تقدم العرب على الأمة المسيحية وهي ديانته كالمسلمين . .

ولم لم يتقدموا في المجالات العلمية مثل العرب . مع وجود الفرصة السانحة أمامهم كالعرب . بل ان فرصتهم كانت اكبر في أن يأخذوا التراث العظيم ويتطوروا به درجات في سلم الرقى ؟؟

هذا ما نحاول الاجابة عليه فيما يأتي :

سر تقدم العرب على المسيحية في الأبحاث العلمية :

ان الاجابة على هذا السؤال سهل ميسور انه يرجع - بأدى ذى بدى - الى طبيعة الديانتين : الاسلام والمسيحية البوليسية . . انهما في خطين متوازيين :

الاسلام يرضى أصحابه بحلب العلم ويجعله فريضة عليهم ، ويحتبر دراسة المخلوقات وعجائبها وسيلة التعرف على قدرة الخالق . . كقوله تعالى : * ولقد بينا الآيات لقوم يوقنون * (١)

وأما المسيحية البوليسية تعتبر كل من يدرس المخلوقات من الأغبياء
والحمقى - يقول بولس : " الم يصف الرب المعرفة الدهيوية
بالفاوة ؟؟ "

مفهومان مختلفان بل هما على طرفي التقيض ومتفصلان تماما ، حددا
بهذا ، طريق الاسلام للعلم والفكر عن طريق المسيحية ...
وبهذا اتسمت اليهودية بين الحضارة التي أسسها محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحضارة التي طمس بولس نورها وقضى قسطنطين
على البقية الباقية بينما كان المسلمون يحتبرون دراسة الكون شرحا
لقرآنهم ، نجد المسيحية تعتبرها تناقضا لا ناجلها .

ولا بد من ايضاح ذلك بالمثال :

وأما المسلمون يحكى عنهم مايلي :

" يحكى أنه كان يجلس ، ذات يوم ، فلكيان عربيهان في ساحة
الجامع وأمامهما كتاب " المجسطي ⁽²⁷⁾ " مرت بهما جماعة من علماء
الدين فتوقفت مستفهمة عن النبع الذي منه يرتعون ؟ فأجاب
أحدهما : " اننا نقرأ شرح الآية التالية :

* أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ... *

ويوضح ذلك أحد كبار فلكيي العرب (البتاني) في قوله ⁽²⁸⁾ :

فان " علم النجوم هو يتوجب على كل امرئ أن يحلمه ، كما

يجب على المؤمن أن يلم بأمر الدين وقوانينه ... لأن علم الفلك

يوصل الى البرهان وحدة الله والى معرفة عظمته الهائله وحكمته

السامية وقوته الكبرى وكمال خلقه . . .

هذا هو موقف المسلمين من دراسة الكون .

وأما موقف المسيحيين من الدراسة نفسها كالتالي :

قد رأينا قول القديس أن المصدر الوحيد لمعرفة الله هو

الكتاب المقدس وأما دراسة الكون كفر وضلال . . .

والغريب أن يستمر هذا التفكير العقيم سائدا لا يتغير فيحسد

بمثل هذا في القرن الثالث عشر ، القديس " توما الاكوييني (

(Toma EL-Akwiny) يقول : " ان المعرفة التي

لأمر سامية أجل قدرا من معرفة كبره موضوعيا أمور حقيرة ."

بعد هذه المقارنة اللطيفة نصل الى النتائج التالية :

(١) انه لا الرومان ولا الهنود ولا اليونان ، هم الذين قاموا في تطوير

هذا العلم . . . وانما كان من فخر المسلمين أن يفعلوا ذلك وحدهم .

(٢) بينما كان العرب يعتبرون دراسة الطبيعة شرحا لكتابين نجد

المسيحية الحقاء تستقدر معرفة الطبيعة .

(٣) فلتعلم أوروبا الجاهلة ، أن مدنيتهم هذه ، ولولا العرب لتأخرت

الى عدة قرون ولبدءوا من حيث بدأ العرب . . .

وقبل أن نختم هذا الفصل يحسن بنا أن ننبه القارئ الكريم الى فريضة

عظيمة اختلقها المسيحيون لأجل النيل من الاسلام عن طريق تلوطين

المسلمين .

غزوة الجبل

ان هذه الفريضة / قد رفح لوائها المستشرقون في كل مكان يريدون

بذلك أن يثبتوا للعالم أن المسلمين ما كانوا يحترمون العلم ولا العلماء ...

فما هي هذه الفريضة العظيمة اذن ؟

تزيوير لحقيقة تاريخه ...

ان الكنيسة لما كشف أمرها امام الأنظار من أنها ضده

العلم وأن الاسلام هو دين العلم ، ادعت أن المسلمين - بقيادة عمرو (29)

بن العاص - لما دخلوا الاسكندرية عام ٦٤٢ قد قاموا باحراق مكتبة

الاسكندرية بصفه بربرية وحشية ...

نقول أنها فريضة لا أساس لها من الصحة ...

لأن التاريخ يخبرنا أن عمرو فاتح الاسكندرية هو نفسه عمرو

الذى ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحه ، وقد حرّم النهب

والسلب والتخريب على جنوده وعمل ما كان غريبا عن فهم الشرقيين -

القدماء والمسيحيين على السواء : لقد ضمن صراحة للمفلوبين حرية

ممارسة شعائهم الدينية المتوارثة ..

ولم يكتف عمرو باصدار الأوامر لهذه المعاملة الطيبة بل

عقد صلحا معهم على تلك المعاني .. وكان هذا الاتفاق يشمل

الرعايا المسيحيين كهننة ورهبانا وراهبات وهو ضمن لهم الحماية

والأمن أينما كانوا حسب مشيختهم .. وبالمثل يحق كنائسهم

ومساكنهم وأماكنهم المقدسة وكذلك يحق من يزور تلك الأماكن

من كل من يؤمن بالنبي عيسى ...

وهم يفعلون ذلك للتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنه

هو أول من كرم المسيحيين منبها أن يكون المسلمون كذلك معهم ..
 واليك نص الأمان الذي تم الاتفاق عليه بين عمرو بن العاص وبين
 أهل مصر الجديدة عند فتحها ، ونصه بعد البسطة : (١)
 " هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم
 وملتهم وأموالهم وكنائسهم وبرهم وبحرهم .. لا يدخل عليهم شيء
 من ذلك ولا ينتقص .. ولا تساكنتهم التوبة .. وعلى أهل مصر أن
 يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم
 - خمسين ألف ألف وعليه ممن جنى نصرتهم ، فان أبي أحد
 منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزى بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم :
 من الروم والنوبة فله ما لهم وعليه ما عليهم .. ومن أبي واختار الذهب
 فهو آمن حتى يبلغ ما منه أو يخرج من سلطاننا . وعليهم ما عليهم
 أثلاثا في كل ثلث جباية . ثلث ما عليهم .

شهد على ما في هذا الكتاب : عهد الله ونصه ونمة رسوله ونمة
 الخليفة أمير المؤمنين ونم المؤمنين .. وعلى التوبة الذين استجابوا
 أن يمينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا فرسا على أن لا ينجزوا ولا يمنعوا
 من تجارة صادرة ولا واردة ..

(٢)

شهد الزبير وعبدالله ومحمد ابناه .. وكتب وردان وحضر ..

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ريفريد هونكه ص

(٢) راجع صبحي الأعشى ، قلقشندى ج ١٢ ص ٣٢٤

ان هذا النص لا يدع مجالاً للشك من أن الكذبة لا أساس لها
من الصحة .. فالمجد والتقديم العلى للأمة الاسلامية ، وأما
المكر والحماقة للأمة المسيحية المحرفة ..

ولا نكتفي بهذه العبارة القليلة في بيان حماقة المسيحية
حتى نسندها بأدلة قاطعة :

ولقد ذهبت الحماقة بالمسيحيين الى أبعد مدى حتى قدموا الى
احراق الكتب العلمية الثمينة ، واعتبروا الحضارة الاغريقية اصلية
كسبزي وعارا في جبهون الانسانيه ...

وهذا الأب ايرونيموس (Hieronymus) يعلن بالتصريح

التالى :

" ان الفكر الاغريقي لعنة على البشرية ، وقال : لقد ترجم الانجيل
الى اللاتينية ليطرد عن الأذهان ذكر (هوميروس) ..

ولم تكف الكنيسة بهذا التشهير والتلطيخ بل قامت فعلا باحراق
جميع هذه التراث ... فلنخططف ما يلى من كتاب شمس العرب تسطع
على الغرب لبيان مدى هذه الحماقة الفريده ..

" وكان أكبر دليل مؤلم على هذا التفكير الضريب أعمدة الدخان
والسنة اللهب التي اندلعت فوق الاسكندرية ، كنز المرفسة
الاغريقية على مر العصور ... والتي أصبحت حينذاك مركزا للكنيسة

(1) يراجع شمس العرب تسطع على الغرب تأليف ويخريد هونكه ص ٣٧١

المسيحية الى جانب رومة • احمرت السماء بنيرانها فوق دلتا النيل ..

وحرقت نفائس ثمينه لا تموض من الشعر والآداب والفلسفة والتاريخ والحلم والثقافة الافريقية .. حرقتها وأبادتها جموع من المسيحيين لمتصيين *

وأناى قائلا :

" وببذرة الطريقة فقدت البشريه جزءا هاما من ثقافتها لا يمكن تصريفه .. وهكذا اختفت مراكز الحضارة الافريقية واحدا اثر واحد وأقفلت آخر مدرسة للفلسفة في (أثينا) ⁽³⁵⁾ عام ٥٢٩ م وأحرقت في رومة عام ٦٠٠ م مكتبة البلاطين وهدم مابقى من آثار ابنية القدماء .."

وليس غريبا أن يصدر مثل هذه الفعلة الشنيعة من المسيحية وتد فعلت أشنع من ذلك : قد أحرقت جميع الكتب التي كانت تثبت عبودية للمسيح وشفق عنه الألوهية : وتمسكت بأربع كتب فقط التي وضعوا فيها ألوهية المسيح وبنوته ... تلك جزء من المأساة ^{التي} جلبتها المسيحية الى الانسانية ومع ذلك أرادت أن تدفع هذه التهمة الى الآسام العظيم الآسام الذى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويضع ^{عنه} أمرهم والأفعال التي كانت عليهم ؟

(ثالثا) - من هدايا العرب موسوعات الطب الاسلاميه :

ان التاريخ يخبرنا أن أطباء المسلمين والعرب ، لم يقتصرُوا
بدا كان ساعدا من كتب طبيه للافريق والفرس أو الهندود ، وإنما
ترجموا في المباحث الطبيه كتوسصيم في بحوث الهندسنة
والنجوم وسائر العلوم ووضعوا الكتب فيما قرأوه وترجموه ، فإذا هبني
موسوعات تشمل جميع مختلف الفنون (١) .

ومن موسوعات الطب الاسلاميه ما لم يوضع له نظير في الضخامة
والتمحيص على قدر أسباب التمحيص في زمانه . وقد ترجمت كلها الى
اللاتينية فنقلت هذه الصناعة بين أطباء أوربه من حال الى
حال . ولم يضارع مؤلفي العربية فيها أحد من علماء الأوربيين
الى مطلع العصر الحديث مع شغف الأوربيين أخيرا باداء
ملكه العلم للعلم . والهمم الشرقيين بأنهم لا يطلبون العلم الا
للصناعة وأرباحهم (٢) .

ولكى ننفذ هذا الاتجاه الأوربي الماكر ، كان علينا أن نذكر
بعض أمهات الكتب الطبيه الجامعه التي استحدثت منها دول
أوربا .

-
- (١) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسمودي صنفه سنة ٩٤٧ م ونقحه سنة
٩٥٧ م وهي سنة وفاته في ٩ أجزاء طبعة باريس وطبعة القاهرة في ٤ أجزاء
(٢) راجع منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيخية أو الكونية
جلال محمد عبد الحميد موسى ص ١٤٤
(٣) عباس محمود العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوربية ص ٣٨ ط دار
دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م

ومن هذه للكتب :

(أولاً) - كتاب القانون " للشيخ الرئيس ابن سينا فقد اعتمدت عليه

جامعات أوروبا في تدريس الطب حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادي وهو كتاب نال تقدير الأوربيين وغيرهم . ولا تزال موضوعات كثيرة مما تحدث عنها ابن سينا جديدة بالتقدير حتى الآن على الرغم من التقدم " التكنولوجي " / ^{الذي} نميشه في هذا العصر . (١)

(ثانياً) - كتاب " الحاوي " لمحمد بن زكريا أبو بكر الرازي المتوفى

سنة ٣١١ هـ وهو كتاب في الطب الاكلتيكي ، والرازي هو الذي ابتدع علم التشخيص واستقصاء الدلالات والتمييز بين الأمراض المتشابهة . وهو الذي قدر التدوين في ذلك كله . (٢)

(١) الفزوالصليبي والعالم الاسلامي علي عبد الحميد محمود ص ٢٨٣ ط :

دار الصناعة والنشر . القانون لابن سينا تهجد منه طبعات شرقية

كثيرة : اجودها طبعة بولاق سنة ١٨٧٧ م وفي الغرب

طبعة روما سنة ١٥٩٣ م وهي تشتمل على النجاة أيضا

وهو مختصر الشفا .

راجع هامش كتاب منهج البحث العلمي عند العرب السابق ص ١٤٤ .

(٢) الحاوي :: أوسع كتب الرازي الطبية . وهو دائرة معارف ضخمة

لا يمكن غجزم بعدد الأجزاء ومحتوياتها وتحتوي ترجمة اللاتينية

التي قام بها اليهودي (فيرج بن سالم سنة ١٢٧٩) على ٦٥ جزءا

ليس هناك اتفاقا أصلا بين الموضوعات والترتيب في مختلف المخطوطات

ولا توجد طبعة حديثه له سوى الطبعة الوحيدة لحيدرآباد

الدكن سنة (١٩٥٥ م) وقد تم حتى الآن نشر خمسة عشر جزءا

ولهما (أى ابن سينا والرازي) كتب كثيرة ولكن الكتابين —
المذكورين هما أشهر كتبهما •

(الثالث) — كتاب " الفصريف لمن عجز عن التأليف " لخلف بن عباس الزهراوي •

المتوفى ٤٢٧ هـ • وهو كتاب ترجم إلى اللاتينية • أفاد منه الأوربيون
في الطب وفي الجراحة فهو يذكر في كتابه الآلات جراحية من عمله
ويعين بالرسم شكلها ويوضح طريقة استعمالها • ولقد
صور لبعض هذه الآلات وسيرها القارئ في نهج

(رابعاً) — كتاب "الأدوية المفردة" لعبدالله بن أحمد البيطار :

المتوفى سنة ٦٤٦ هـ وقد أفاد الغربيون منه أكبر فائدة في
علم العقاقير والأدوية المركبة والفردة • وظل كتاب ابن
البيطار مرجعاً للأوربيين حتى أواسط القرن الثامن عشر الميلادي •

(٣١)

(خامساً) — كتاب نظام المستشفيات " البيمارستانات " :
وهو نظام

عرفه المسلمون ونقله عنهم الأوربيون • وقد عني البابوات وبعض
ملوك أوروبا بإقامة المستشفيات على نظام البيمارستانات العربية •

=== والحاوي بخلاف الجامع الحاصر لصناعة الطب والذي يشمل
على ١٢ مقالة • وقد ظن البيروني أن الحاوي والجامع
واحد • نقلا عن كتاب منهج البحث العلمي ، جلال محمد عبد الحميد
موسى ص ١٤٤ في الهامش
راجع عرضاً كتاب الغزو الصليبي •• والعالم الإسلامي ، على عبد الحليم
محمود ص (٢٧٣ - ٢٧٤) •

وكذلك الحال في طبيعة الضوء وسرعته وانكساره . والذي كتب فيه ابن الهيثم قبل ابطاله من علماء أوروبا :

كذلك قاسوا محيط الأرض وسجلوا مبادرئ الاعتدالين ، وقد روي حجم الكواكب وما بينهما من مسافات قبل " جاليليو وكبلر وكوبرنيك " وأضافوا إلى المعارف النلكية الشيء الكثير . وأضافوا : البناتي والفرغاني (32) والكندي (33) والخوارزمي (34) والصفوي وغيرهم .

وابتدع الخوارزمي استعمال الأرقام في الحساب بدلا من حساب الجمل الذي كان سائدا . واختار سلسلتين من الأرقام : الأولى ما يحرف بالأرقام الهندية (١ - ٢ - ٣) والثانية ما يحرف بالأرقام الفبائية أو العربية (١ - ٢ - ٣) وتستعمل الأولى في أغلب البلاد العربية ، والثانية في بلاد المغرب العربي وفي أوروبا (١) . ولقد كانت لا تعرف (الصفر) في الحساب وإنما علمته من علماءنا والدليل على ذلك ما يأتي :

يقول المؤرخ للمدقق " كانتور " قائلا : " لقد امتدحنا (ليوناردو) (35) بعد أن قرأنا كتابه الأول . ولكننا ، في الواقع ، بعد قراءة تلى المخطوطات ، لا ندرى بأي لغة تكيل له الشناءة . . ان الكلمات لتمجذ عن اكرامه " .

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ، المستشرق زيفريد هوتكه

وكتب ليوناردو الفصل الأول من كتابه (Liber Abaci)
 عن الأرقام العربية فقال : " ان الأرقام الهندية التسمية
 هي : ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩
 وبواسطتها جميعا ، علاوة على تلك العلامة " 0 " التي
 تسمى الصفر العربي (١) . فانه يذكر كتابه أي عدد منها كان .

ولا يمكن أن يحجب فضل لبن الهيثم والبيروني والكندي والغافقي
 (39) والبغدادي والقزويني وابن مسكويه والجاحظ والخازن وجابر بن
 (40) (41) (42) (43) (44)
 حيان ، وابن النفيس (45) وابن البيطار وداود الانطاكي والمقدسي
 (46) (47) (48)
 والبناني والفرغاني والادريسي وابن ماجد والدينوري والدمهري
 (49) (50) (51)
 والصوفي وابن حمزة وابن يونس والرازي والجلدكي والخوارزمي
 (52)
 وموسى بن شاكر بل وابن سينا وابن الرشد وعباس بن فر ناس
 (53) (54) (55)
 وغيرهم .

(١) المرجع السابق ص ٩٣

قد أخذ كلمة الصفر عن العرب ليوناردو وكتبه باللاتينية
 (Cephirum) وفي ايطاليا تحولت هذه الكلمة
 الى (Zefro) ثم الى (Zero) وفي فرنسا قال الناس
 (Chiffre) بمعنى الرقم القريب . وفي انكلترا الى
 (Cipher) ثم الى (Zero) وفي المانيا
 (Ziffern) + المرجع السابق ص ٩٣ .

وظلت مؤلفات هؤلاء كما قلنا سابقا - المراجع المعتمدة - ففى
جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر . واعترف عدد كبير من
مؤرخى العالم بفضليهم على العلم والانسانيه حتى قال قائلهم :
" انه لولا أعمال الملثاء العرب لا خطر علماء النهضة الأوربيهه
أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سيرالمدنيه عدة قرون " .
وحتى قال آخر : " ان كثيرا من الآراء والنظريات العلميه
حسبناها من صنعنا فاذا العرب سبقونا اليها " (١) .
وظلت الأمة الاسلاميه والعربيه حاملة لواء النهضه
عدة قرون فى وقت كانت أوروبا ما تزال غارقة فى الظلام .
وكانت أدمغتهم معشوه بالخرافات والخزعبلات .

(١) راجع كتاب أثر العرب والاسلام فى النهضه الأدبيه ص ٢٠٤ -

٢٠٦ تأليف د . عبد الحلیم منتصر .

La Traduction : رابعاً - الترجمة :

ان الترجمة حيث هي عامل حضارى * وهذه الترجمة هي العماد الثانى الذى قامت عليه الثقافه العربيه فى العهد الأموى والعباسى وما بعدهما ..

وقد ثبت تاريخيا أن الدولة الاسلاميه ، ما أن استقرت وامتد سلطانها من مشارق الصين شرقا الى مشارف فرنسا غربا حتى أخذ العلماء المسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروعها وفنونها ، فأخذوا يترجمون الذخائر العلميه وينقلون الى اللغة العربيه علوم الاغريق والرومان والفرس والهنود .. ترجموا عن الاغريقيه والفارسيه والقبظيه والآراميه والهنديه .. ونقلت ألوف الكتب من المكتبات القديمه . وأقيمت دور الكتب والمكتبات . وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء ، وتنافس الخلفاء والحكام فى رعاية العلم والعلماء وسابقوا فى الانفاق وبسخاء على العلم والعلماء ...

واليك أمثله على ذلك :

(36)
قد قبل هارون الرشيد الجزية كتبا . كما دفع المؤمن وزن ما ترجم ذهباً وانشئت الجامعات فى جميع أقطار العالم الاسلامى :

وكان جامع المنصور فى بغداد

والجامع الأموى فى دمشق

والجامع الأزهرى	فى القاهرة
وجامع القيروان	بتونس
وجامع القرويين	بفاس
وجامع قرطبة	بالأندلس
والجامع الكبير	بصنماء
وبيوت الحكماء	فى بغداد أيضا
ودار الحكماء	فى القاهرة أيضا

وكانت جميعها بمثابة معاهد للعلم فى أرقى صورته وكان
فى رعاية الخلفاء والحكام من أمثال المأمون ونظام الماسك وغيرهم
الدين زكى والحاكم بأمر الله وصالح الدين الأيوبي^(٥٦) من يوفضون
على القمة من حيث رعاية العلم والعلماء...^(٥٧)

وقد خصص أبناء موسى بن شاكر الثلاثة ربع أملاكهم
للخدمة للترجمة وجمع الكتب فضربوا بذلك المثل لغيرهم
أمثال الطبيب قسطا بن لوقا البعلبكي .

ولقد أضاف المسلمون والعرب كثيرا من الآراء والنظريات التى نسبت إلى
غيرهم فمثلا " ابن مسكويه^(٥٨) واخوان الصفا وابن خلدون^(٥٩) قد تكلموا فى
التطور ولكن نسبوه لآلى داروين .

وتحدثوا فى الجاذبية والربط بين السرعة والثقل والمسافة وان
نسب كل ذلك إلى نيوتن^(٦٠) .

وتحدثوا فى أثر بيئة على الأحياء قبل (لامارك) . وشرح ابن
التيبس الدورة الصغرى قبل (هارفى) ببضعة قرون^(٦١) .
(١)

كلمات عربية في اللهجات الأوربية

تتميز للفائدة نود هنا أن نشير الى بعض الكلمات العربية
قد استعملها الأوربيون أيام كانوا يتلقون دروسهم من الجامعات
الإسلامية ... واليك بعض ذلك :

(Café) بالفرنسية : هي (القهوة) التي تشرب

(Sofa) هي كلمة (صفة) العربية

التي تعني المقعد المظلل في جوار جامع • وما يقابلها في سائر اللغات
يدل في الغالب على مقعد طويل ذي خشبة في موضع الجلوس •

(Tass) بالفرنسية : هي (الطاس أو الكاسة) •

(Sucre) بالفرنسية و (Sugar) بالانكليزية

(Zugar) بالألمانية ، أي السكر وقد انتقلت هذه الكلمة

لضرورتها في التغذية الى معظم لغات العالم •

(Limonade) : أداة نسبة : (Ade) ،

وعلى ذلك تكون الكلمة منسوبة الى الليمون ، من كلمة ليمون الذي
اشتهرت • وقد أخذ الأوربيون هذا الاسم عن العرب فبقى مستعملاً
عندهم الى هذا اليوم ••

(Alkohol) هو الكحل أو الكحول : والكلمة عربية

كما ترى وقد استعارها الأوربيون في حاجتهم العلمية •

(Banane) هو الموز • ونحن نعرف أن الموزة تشبه

البنان أي الأصبع • فقلنا : بنان الموز • فجاء الأوربيون ، وأخذوا

الكلمة الأولى أي البنان واستغنوا عن الثالث ، أي الموز وهكذا

صارت (Banane) تعني الموز .

(Cotton) القطن : مأخوذ من العربية كما هو

واضح .

(Chiffon) الشفاف : وقد استعملت هذه الكلمة

في اللغة الفرنسية فيما بعد بمعنى الخرق أو المحاء من القماش

(Atlas) الأطلس مأخوذة من العربية .

(Divan) الديوان : هذه الكلمة وأمثالها تدل

على مقعد طويل ذي حشايا أو نحوها في موضع الجلوس وهي

بالفرنسية (Arroz) وكذلك في الانجليزية ويقال في

الروسي أيضا .

(Arroz) الأرز بالاسبانية وبالبرتغالية (Arroz)

وبالفرنسية (Riz) .

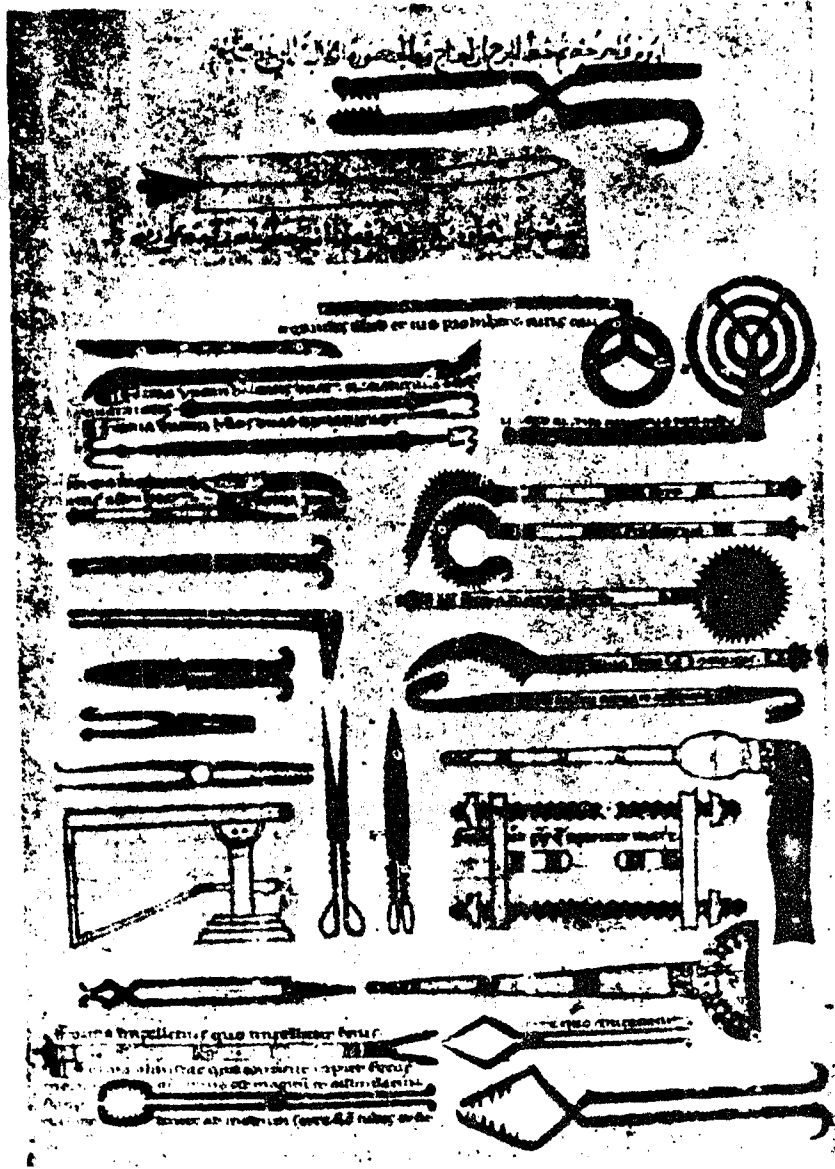
تكتفي بهذا القدر للاثبات أن المدنية الأوربية - رغم نكران

أهلها الجميل - مستمدة من الحضارة الإسلامية .

وأكبر دليل هذه المفردات التي بقيت في لغاتهم الأوربية

بدون تفسير لتكون شاهدا عليهم . . .

والى الجزء الثاني من هذا الفصل .



ادوات جراحية عربية

كان أبو القاسم الزهرراوي من ألمع جراحي العرب وأعظمهم فضلا وقد نقل للأطباء الغربيين صور الأدوات الجراحية العربية.

عن كتاب تاريخ الطب العربي تأليف علي المغربي، قاليت الدكتورة ريفريد، وتوكلها ألمانيا، ص: ٥٧١

ساعة عربية فنية



ساعة عربية فنية

رسم قديم لاحدى الساعات الفنية (حوالي عام ١٢٠٠ م) يظهر فيه
 بوضوح عالم الحيوان المتحرك والشخصيات المتنقلة من صقور تغذف الحلقات
 في رعد معدني محدث صوتا ايقاعيا جميلا ، الى هازقين على آلات موسيقية
 مختلفة ...

- ٥٦٧ -

في سنة ١٨٥١م نشر المربي تشارلز شيلي الغرضه في كتابه
 الآلة برون ريفريد دوتكه الألماني من ٥٦٧



صيدلية عربية
صيدلية عربية كما جاءت مخطوطة بالعربية لابن سينا

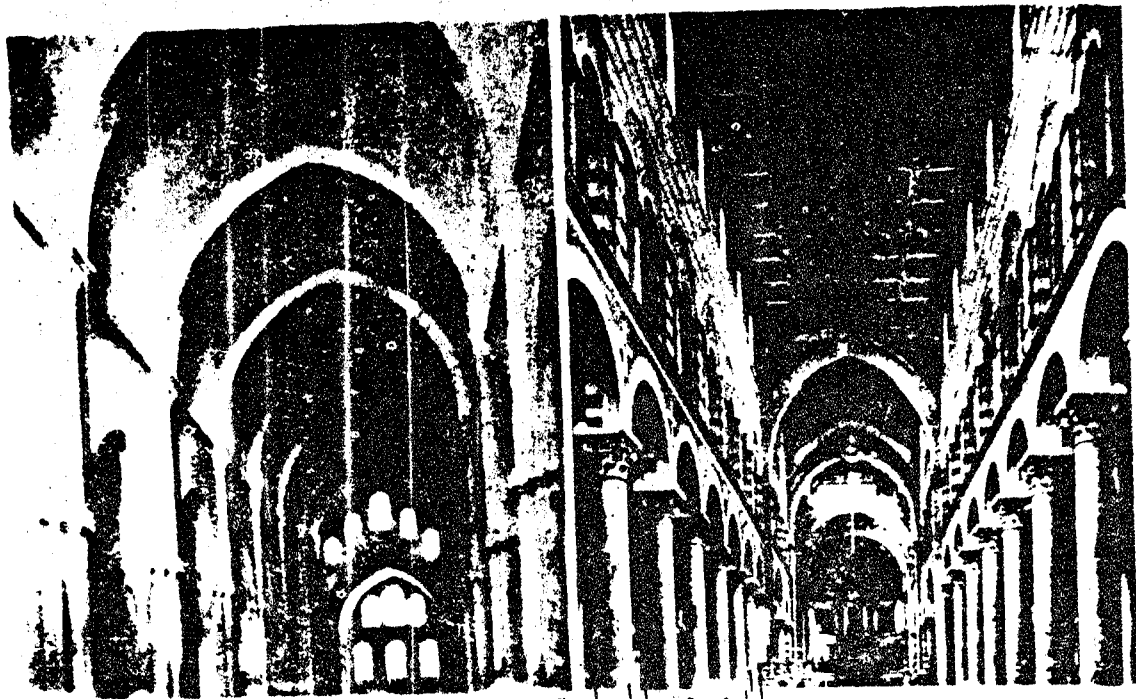
المرجع السابق ص ٥٧٤



طراز البناء العربي

انتقل الطراز العربي في بناء المقود المنحنية الى اوروبة وتطور حتى اصبح عنصراً هاماً في فن البناء القوطي (Gothic) ، الصور من اليمين :

- ١ - تمثل لنا جانباً من هذه المقود في جامع « ابن طولون » بالقاهرة .
- ٢ - قبة موندريال بالقرب من بالرمو في النصف الاول من القرن الثاني عشر .
- ٣ - قبة « بيزا » وقد بدى . تشييدها عام ١٠٦٣ اي بعد الاستيلاء على « بالرمو » .
- ٤ - كنيسة دير فوتنناي Fontenay وقد بوسر في بنائها عام ١١٣٠ . ونرى الطراز العربي في بناء المقود المنحنية ، حتى في طراز الابواب ، كما يظهر في الرسم .



المرجح السابق مرة ٨ ٥٧

الصراع في تاريخ الفكر الأوربي

ان المتأمل في التاريخ الأوربي ، منذ القرن الرابع عشر
الى الآن ، يجد أن العقليه الأوربيه شهدت صياغة فكرية جمادا
واتجاهات عقليه مختلفه . فكل ذلك يدور حول شيء واحد
وهو : أي شيء يصلح أن يكون مصدرا للمعرفه اليقينييه ؟ هل هو
الدين أو العقل أو الحس ، فكان الصراع دائما يدور حول هذه
الأشياء الثلاث في أوربا . واليك تفاصيل ما أجمل :

أولا - سيادة الدين (١)

كان الدين أو النص مائدا طوال القرون الوسطى في توجيه
الانسان سواء في سلوكه وتنظيم جماعته ، أو في فهمه للطبيعه .
وكان يقصد بالدين " المسيحيه " . وكان يراك بالمسيحيه ، الكاثوليكه
وكانت الكاثوليكه تعبرا عن " البابويه " . (٢)

" والبابويه نظام كنسي ركز " الساطه الملأ " باسم
الدين في يد البابا ، وقصر حق تفسير " الكتاب المقدس " على

(١) عقائد المفكرين ، عباس محمود المقاد ، ص ٣٤ ط : دار الكتاب

المربيسي .

(٢) الفكر الاسلامي تحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د . محمد البهي

ص ٣١٩ ط / السادسة

البابا وأعضاء مجلسه من الطبقة الروحية الكبرى - وجعل
عقيدة التثليث عقيدة أصيلة في المسيحية كما جعل الامتياز
بالخطأ " وذكوك الففران " من رسم العبادة وغير ذلك مما
يقبل بالكاثوليكية كذهب وكنظاظام لا هوتى .

واستمر الحال كذلك حتى كان القرن الخامس عشر هـ وحسبوا ابتداء
الحروب الصليبية (٦٢) (٣) ثمر ثمرتها الايجابيه في المتابعه الأوربييه
فقام مارتن لوثر (٤) (Luther) وكافح تصاليف الشيطان كما
سأها ٥٥ فحارب ذكوك الففران - كما سيأتى بيان ذلك - وألقى
الأضواء على عقيدة (التثليث) كما حارب سلطة البابا وجعل
السلطة الوحيدة هي " الكتاب المقدس " وكلمت الله " النفس "
وطالب بالحرية في بحث الكتاب . . .

-
- (١) مقارنة الأديان د . شلى ج ٣ المسيحية ص ٢١٤
 - (٢) محاضرات في النصرانية الشيخ أبوزهره ص ٢٠٢ ط : الخامسة
 - (٣) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث د . عبد الحميد بطريق
د . عبد العزيز نوار ص : ط ١٩٢١ م
 - (٤) ترجمة مارتن لوثر : (١٤٨٣ - ١٥٤٦ م) زعيم الإصلاح ال
البروتستانتى نال شهاده استاذ في العلوم من جامعة ايرفورت ١٥٠٥م
وبدا يدرس القانون ثم تحول عنه ودخل ديراً للرهبان وحرّم لوثر
رسمها ذكوك الففران ١٥٢١ م . ومساءلة المشاء الربانى وتزج
١٥٦٥ م باحدى التراجميات .

وجاء بعد لوثر - في طريقه - (كلفين) (١) (Calvin)

وبينذرين الثورتين تعرضت الكنيسة للجدل الفكري وأصبحت موضوعا
للنقاش العقلي والمذاهب الفلسفية وحتى عصر جديد وهو : عصر
سيادة العقل الذي زحزح العقائد المسيحية من قلب كثير
من فلاسفة وعلماءهم .

ثانيا - سيادة العقل :

استمر اعتبار الوحي كمرجع أفضل للمعرفة ، حتى النصف
الثاني من القرن الثامن عشر وهو عصر التنوير في تاريخ الفلاسفة الأوربيين
وسمي أيضا (عصر الانسانية) وكذلك سمي عصر ()
أي عصر الايمان الفلسفي باله ليس له وحي وليس بخالق للعالم .
فالتنوير - اذن لا يقصد به الا ابعاد الدين عن مجال التوجيه
واحلال العقل محله (٢) . فوضعوا بعض المؤلفات للتدليل على سذاجة
أصول الدين وزعموا أن اصوله من أوهام الجماعات الأولية ، وأكثرها
من الخط من كرامة الدين في كل فرصة سنحت لهم حتى افضت
هذه الحال الى نفور مستعم من الأديان ، والى انتشار الاحاد بين كثير

(١) ترجمة (كلفين) * جون : (١٥٠٩ - ١٥٦٤ م) لاهوتي فرنسي
بروتستانتي من رجال الإصلاح ولد في مدينة (تويون) وكان فليحا
في اللاهوت والقانون . ثم تحول (١٥٣٣ م) الى البروتستانت .
(٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي

من العاطفات وما زال ينتشر حتى اعتبروا التمسك بالدين دليلاً على الجليل... .

ولنعطد القارئ مثلاً ما كان يهاجم به الدين في ظلال حريسة

الذكر في عصر التنوير • تنقل ما جاء في دائرة معارف لا روس القرن

العاشر تحت كلمة "دين" في كسلا من مؤلف الدين :

" ان قلنا أن الذوق للانسان يقتضى احتواء الأضواء التي يكسبها

تقليها يقوون : لا لا ! ثم يحاربون اذلال هذا العقل الانساني

الذي يدعى لنفسه حق التمييز بين الخير والشر ويحسن العدل

والظلم حتى اذا تم تعمية عين العقل وتغشيت باصرة

البصيرة ، الى حد أن تعتبر المعجزات أمورا عادية ،

وان تتوهم الأبيض أسود ، وأن تعد الرذيلة فضيلة ، يصود

الدين فهيب بالناس الى الطاعة .

فان سألتهم تطيع من ؟ أنطير عقولنا ، أم واجباتنا

الطبيعية أم احساساتنا القلبية ؟

أنطيع القوانين المقيدة للانسانيه ، والتي تنتج من تلك

القدمة نفسها ، أجاوبك لا ، ولكن أطع وأنت أعني... . (١)

(١) راجع روح الدين الاسلامي : مؤلف عبد الفتاح طبّاره ص ٢٥٠

ومن فلاسفة هذا العصر :

أولا - في (ألمانيا) (ولف) : (Christian Wolff)

و (لسنج) : (Lessing)

ثانيا - في إنجلترا : (لوك) (١) (John Locke)

ثالثا - في فرنسا (فولتير) (٤) (Voltaire)

و (بايل) (Pierre Bayle)

و (لامتريين) (Lamettrien)

هؤلاء هم أشهر الفلاسفة الذين أسسوا هذه المدرسة العقلانية .

(١) لوك جون (١٦٣٢-١٧٠٤م) فيلسوف انجليزي ، تعلم في أكسفورد وحاضر
بها ثم ألف كتابه المشهور في العقل البشري فلذا عرف في أوروبا كلها بأنه
نصير الحرية . راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٧٨ .

(٤) (فولتير) فرانسوا (١٦٩٤-١٧٧٨) فيلسوف ومفكر فرنسي ، نشأ في
باريس وتعلم في كلية لويس الأكبر اليسوعية اتهم باهانة الوطني
فيليب الثاني فموقب بالسجن في الباستيل احد عشر شهرا وكان حر الفكر
في الدين لذا رفض رجال الدين أن يدفنوه في باريس حسب الطقوس
المسيحية ولكن نقل جثمانه (١٧٩١) ودفن في مقبرة المعظماء
"البانشون" جمعت آثاره في سبعين مجلدا .

ولكن يجب أن نشير هنا الى نقطة هامة وهي :
ان ديكارت الفيلسوف الفرنسي (١٥٩٦-١٦٥٠) (١) هو الذي أرسى
قواعد الفلسفة العقلانية ، المعروف بصاحب المذهب الاستنباطي (٢) الا أن
هذا المذهب في جملته فكر مادي . وكانت أول عبارة نادى بها هي " العقل
أعدل الأشياء قسمة بين الناس " (٣) .

أما (جون لوك) السالف الذكر فقد خطا خطوة أبعد من ديكارت بأن
طالب باخضاع الوحي للعقل عند التعارض قائلا : (من استبعد العقل
ليفسح للوحي مجالا فقد أطفأ نور كليهما وكان مثله كمثل من يقنع انسانا بأن
يفقأ عينيه ويستععض عنهما بنور خافت يتلقاه بواسطة المرقب من نجم
سحيق .. (٤) .

ديكارت : (١٥٩٦-١٦٥٠) م واسمه رني ديكارت ، ولد بلاهي من أعمال
مقاطعة تورين بفرنسا . دخل في أول حياته مدرسة (لافاليس) للأباء
اليسوعيين التي يخلب عليها الطابع الفلسفي ثم غادرها بعد ثمانى سنوات ،
وبعد أربع سنوات أخرى نال الاجازة في القانون - بعدها تطوع للخدمة
في جيش الأمير موريس ناسو بهولانده خليفة فرنسا على اسبانيا ثم
عدل عن المهنة العسكرية للعمل في معالجة المسائل الطبيعيات
بالطريقة الرياضية وتجريدها من المبادئ الفلسفية .

(١) راجع تاريخ الفلسفة الحديثه ليو سف كرم ص ٥٦

(٢) راجع أساليب النزو الفكري د . علي محمد جريشه ومحمد شريف

ز نبق ص ٨

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثه ، يوسف كرم ص ٥٦

(٤) انظر المشكله الأخلاقية والفلسفية

ورسالة في اللاهوت والسياسة ، لسبينوزا ترجمة حنفي ص ١٢٢-١٣٣

كما دعا إلى تطبيق مبدأ جديد على الحياة الأوروبية آنذاك
هو مبدأ التسامح الديني ولمنطق الحق. وكان الإنسان في أن يعتقد
بشيء ويكفر ما يشاء من الأديان والمذاهب *

على أن نقد هؤلاء الذين لم يصل بهم إلى انكار الواسع والوسائط
للمساوية بصراحة كما أنه ظل يفتن أولئك بطلبه من
التي تبرز على الأثر أمام ضغوط المجتمع التي تفتن في ضوء بالبرهانية
بأنها جزءاً من كيانها وتباً عزيزاً ما بعد
التي تبرز في المسألة من أجلها كالتالي :
للإيمان بالأمانى فيخته (1) (Fichte) *

وهيجل (2)

ألا أن فيخته يختلف عن هيجل لأنه يرى أن سبب كل شيء

(1) ترجمة فيخته : يوهان جوتليب فichte (1762 - 1814) فاشهره وروى
"عقائد ألماني شفاف بالفلسفة" انتهى به * بحيم بالألمانية وفاسد
(بيننا) حيث كان يشتغل بالمحاماة * وبفضل كتابه "خطبتي
التي صارت زجراً قومياً" استدل فيخته على وجود ارادة
اخلاقية للكون ، هي بمثابة الله * *

(2) ترجمة هيجل ، جورج قاسم فريدمان : (1770 - 1831) فيلسوف
ألماني * بسط مذهبه في مؤلفات أهمها "علم المنطق" و"موسوعة
المعلم الفلسفي" وكتب في الأخلاق والتاريخ والدين * فلسفته مثالية
مقتضى * مؤداه أن للكون روحاً تتقدم في مراحل تطورية بعضها
المنطق البشري * وحصله أن فكرة تولد نفسها * ومن تامل المتخصصين
تنتج فكرة جديدة ثم تولد منها * ثم تأخذ الفكرة الجديدة نفس
المرحل الثلاث المذكورة وهكذا * * ففكرة الوجود تولد فكرة المعدم
ومن تألفها تنتج الصيرورة * * الموسوعة العربية المبررة ص ٩٤ (1)

مطلقه على كل شيء آخر سواء ، حتى على الدين والوحى
بينما هيجل يميل الى سيادة العقل فحسب على الطبيعة . مع
العلم ان كلا منهما أخذ مبدأ النقيض لفلسفته العقلانية ، المبدأ
الذى اعتمد عليه كارل ماركس فى تأسيس الشيوعيه أو الاشتراكيه .

ثالثاً - سيادة الحس :

انتهى عصر التنوير بانتهاء القرن الثامن عشر تقريباً ، وابتدأ عصر
آخر من عصور الفكر الأوربي بظهور فجر القرن التاسع عشر . وموضوع
الصراع العقلى عند الأوربيين واحد لم يختلف عن ذى قبل - هو
الدين والعقل والحس أو الطبيعة .

ولكن تميز القرن التاسع عشر بفلسفة معينة . لأن اتجاه
التفكير مال فيه الى سيادة الطبيعة على الدين والعقل معا . والى
استقلال " الواقع " كمصدر للمعرفة اليقينية مقابل الدين
والعقل .

تميز القرن التاسع عشر بأنه (عصر الوضعية *)
(positive) و " الوضعية " والغايه الأولى
للمذهب الفلسفى الوضعى هى معارضة الكنيسة وبالتالى :
معارضة معرفتها . ومن باب التغطية عارض هذا المذهب
باسم (العلم) (١) وليضع ، مكان الكنيسة ديناً جديداً ، هو

(١) راجع الفكر الاسلافى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى محمد البهى

دين الانسانيه الكبرى ويقوم هذا الدين على (عبادته) و (طقوس)
 كما تقوم المسيحية وله قداسة واحترام في نفوس تابعيه على نحو
 ما نكتأه .

وأما الأساس الخاص لهذه السيادة ، سيادة الحس هو إعلان
 صريح لسيادة الطبعه على حساب الأديان والعقل . . . انهما
 طريق المعرفة اليقينييه ، وهي التي تنقش الحقيقه في عقول
 الانسان .

وفي نظر هذه السيادة ، ان المعلومات التي تلتى من وراء
 الطبيعة خداع ومكر . وقد أمر بنا في هذا البحث أن لنبين
 قال :

" اننا نكر بشده جميع هذه الأسس الأخلاقية التي صدرت
 عن طاقات وراء الطبعه غير الانسان والتي لا تتفق مع أفكارنا الطبعيه
 ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع " (١)

هكذا رأينا أن الفكر الأوربي قد مرّ بيده الأديان الثلاثه
 التي هي :

سيادة الدين

سيادة العقل

سيادة الحس (١)

(١) عقائد المفكرين ، المقاد ، ص ٣٥

ويلاحظ هنا شيء يحسن الوقوف عنده قليلا : وهو أن
 الايمان بالمقل والايمان بالعلم الحديث ليسا شيئا واحدا كما يلوح
 من النظرة العاجلة * لأن الناس آمنوا بالمقل وحسبوا أنهم يفهمون
 به كل شيء من طريق المنطق والقياس ومن طريق القضايا والبراهين *
 فلما اختلطت عليهم الأمور وقصر بهم العقل دون الحكم بالمحسوسات فضلا
 عن المفاهيم - تحولوا الى التجربة الحسية ووقفوا عليها جهود
 العلم الحديث ، فلا علم بغير سند من الحس والتجريب * *

فالهم - في القرن العشرين - أين تسير الحضارة الغربية بهي
 هذه الشكوك التي بدأت بالشك في الدين ثم مضت أشواطاً بعد
 أشواط تارة مع العقل وتارة مع العلم الحديث ، فلا شك
 أن دعوى العقل قد تواضعت في أوائل القرن التاسع عشر وتواضعت
 دعوى العلم في أوائل القرن العشرين * وكاد العلماء - الآن - أن
 يتفقوا على أن التفسير والتعليل فوق طاقة العلم ولا سيما
 تفسير الغايات والأصول *

بناء هذا المذهب الوضعي

يذكر التاريخ أن من بناء هذا المذهب الوضعي ، (أوجست كومت) (١) الذي تحدثنا ^{عنه} أولاً في بحث قانون الدورة الثلاثية ، فهو يقول هنا : " يجب أن يحل (العلم الواقعي) محل اللاهوت .
 ثانياً (فريخ) (٢) هو الفيلسوف الألماني الذي يعتبر بحق همزة وصل بين هيجل وكارل ماركس فهو يرى أن علم الانسان هو الدين . والدين اذن محصول للعقل الانساني وليس موحى به من خارج الانسان .
 والطبيعة الالهيه كذلك هي طبيعه الانسان نفسه (قبحه الله) .

-
- (١) أوجست كومت (١٧٦٨ - ١٨٥٧)م فيلسوف فرنسي مؤسس الفلسفه الوضعيه التي ترفض الميتافيزيقا ، وتعتمد على نتائج العلم الطبيعيه الحديثه هدفه الاساسي هو اصلاح المجتمع ليحيى الناس في توافق وانسجام .
 ومذهبه مبسوط في كتابه " محاضرات في الفلسفه الوضعيه " وفيه يبين المراحل الثلاثه التي اجتازها الفكر في تطوره (١) اللاهوتيه التي تحلل الأشياء بقوى خارقه (٢) الميتافيزيقيه التي تحلل الأشياء بمبادئ مجردة (٣) الوضعيه التي تحلل الأشياء بالمشاهده . .
 (٢) والتجارب تأييد للفروض وتتفاوت العلم بساطا وتركيبيا . فأبسطها الرياضه فالفلك فالفيزيقيه فالكيميا فعلم الاجتماع وكل يعتمد على سابقه والاجتماع يعتمد عليها جميعا ، وكلها في خدمته . .
 الموسوعه العربيه الميسره ص ١٧ ١٥

وثالثا (ماركس) (١) (Marx)

ان هذا الفيلسوف هو الذي أثر تأثيرا كبيرا في انتشار البحث الطبيعي الواقعي على الميغيزيقا . وعلى طريقة التفكير الخاصة بعصر التنوير في القرن التاسع عشر .

(١) (كارل ماركس) ولد في عام ١٨١٨ في بلدة تريف في ألمانيا حيث تغلغل النفوذ الفرنسي وبسط جذوره اكثر ما تغلغل في اي جزء آخر من ألمانيا .

وقد انحدر من سلسلة طويلة من الحاخامات اليهود ، ولكن والده كان محاميا ، وعندما بلغ ماركس السادسة من العمر ، اعتنقت أسرته المسيحية ونشأ هو برتستانتيا ، ولكنه لم يلبث ان تغلى عنه ، وكان لانحدره من أسرة الحاخامات اليهودية أهمية كبيرة لسببين :
انه استمد منها روح السلطة التي تميز بها . . . وانه تأثر بشخصية المسيح المخلص وهي العقيدة التي تلعب دورا هاما في الفكر اليهودي (واليهود يعتقدون ان المسيح لم يظهر بعد وانما سوف يظهر) ولم يكن التفكير اليهودي في يوم ما تفكيرا في العالم الآخر ، وانما يصر على واجب اقامة عهد سلامه وسعادته في العالم الحالي .
و«كذا لم يكن من محض الصدفة ان يكون كثيرون من زعماء الشيوعية من ايام ماركس الى الان من اليهود (انظر كاريو هنت ، الشيوعية نظريا وعمليا ص ١٧) . . . درس كارل ماركس فـيـ

====

=== الجامعات الألمانية حتى حصل على درجته دكتوراه في الفلسفة ولم

يستطع أن ينال عملاً بالجامعه بسبب اتجاهاته الديمقراطية ، التي كانت تمد ثمارها آنذاك ، فلجأ الى الصحافة ليحمل بها ، وأصبح محرراً

بمجلة (الرين) بكونها هـ لكن حكومة (بروسيا) ضاقت ذرعاً بمقالاته وأوقفت صدور هذه المجلة ٠٠٠ وعلى اثر ذلك انتقل ماركس

الى باريس حيث تقابل مع مجموعه من المفكرين الذين شغلوا انفسهم بنشكلات المجتمع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي واشتبك معهم

في نضال عنيف اذ كانت آراؤه بعيدة عن اتجاهاته ، فلما تقابل

مع (فردريك) أنجلس أدرك الاثنان أن افكارهما متقاربة ، فساروا

مما طيلة حياتهما ، وأربطت باسميهما (الاشتراكية العمليه)

وكان لكارل ماركس نصيب السبق ، ولكن أنجلس أتم بعد وفاة (ماركس)

أيضا اتجاهات هذا الرائد فكان أنجلس بذلك امتداد الحياة ماركس .
(راجع احمد شلبي ، الاشتراكية ص ١١٧) .

وقد حفل العقد الخامس من القرن التاسع عشر باضطرابات بالغة

حتى سعى عام الثورات ، وقد ناضل الأحرار القوميون في سبيل الديمقراطية

والاستقلال وكانت ثورة فرنسا من أبرزها . وقد كان من أسباب الثورات

المثاليه وقتئذ التعطل وانخفاض الأجور وسوء حالة العمال مع

كثرة ساعات العمل .

وحدث أن تكونت جميعه سريره دوليه سميت باسم (عصبة

المدول) وبحلول عام (١٨٤٨) م بثوراته واضطراباته أعلنت هذه

الجمعية عن اهدافها وطلبت من ماركس وانجلس ان يكتبوا بياناً يحمل صيغة اهدافها

فاستجاب ماركس وانجلس لذلك وأعدوا البيان الشهير عي . . وبعد ان انهارت ثورة

١٨٤٨ م انتقل ماركس الى لندن عام ١٨٤٩ م ليقضى بقية حياته في عمل متواضع يكسب

به عيشه ككاتب في صحيفة (نيويورك تريبيون) في حين كان صديقه انجلس -

وكان ابن رجل انكليزي ثرى - يسدد نفقات صديقه (ماركس) بما يقدمه له من

مساعدات . . وبعد لجوئه الى لندن دون كتبه الكبرى وهي (نقد الاقتصاد السياسي

١٨٥٩م) ونداء الطبقات العاملة في اوربا عام ١٨٦٤م) وكتابه الاشهر (رأس المال

١٨٦٧م) فأسس الدولة الاشتراكية الاولى سنة ١٨٦٦م التي ظلت قائمة الى ١٨٧٠م و

سنة ١٨٨٣م

وآراءه مع انجلز (١) (Enclos) تعتبر دستورا للماركسية فيما سمي
بالاشتراكية الجماعية او ما يسمى بالشيوعية او البلشفية .

وهذا المذهب الشيوعي (١) يبنى على الاسس التالية :

(١) الصراع بين الطبقات :

وماركس له جدل (Dialektik) ، ومنطق استخدم

(١) معظم اعضاء المجلس الشيوعي الذي يحكم روسيا الان سنة ١٩٥١
من اليهود الصرحاء . فالاعضاء ١٧ هم : ستالين رئيس المجلس ،
وكاجانوفيتش نائبه ، ثم بيريا ، وفيرشيلوف ومولوتوف ، وشفرنيك ،
وكيرتشنينين ، وجوركين ، و (الياير همبرج) وديفنسكي
وهينسبرج وميخاليس ، وقرصين ، وجودي ، ولوزوفسكي ، وكافتانوف
وبيترليفنتسكي وهو "لاء" يهود صرحاء الاثلاثة منهم : ستالين
وفيرشيلوف ومولوتوف ولكن زوجات الثلاثة يهوديات . والحركة
الشيوعية حركة يهودية . فمؤسسها يهودي (كارل ماركس)
لقد نجح الشيوعيون اليهود اخيرا في النفوذ الى الصين على
ايدى وكلائهم من الصينيين وغيرهم . وشرعوا يسيطون سلطانهم علانية
بالعنف والخديعة على آسيا ، الى جانب ما استهووا عليه من

=====

فيه (النقيض) الذي عرف للفيلسوفيين الالمانيين (فرشته و هيرجل)
ولكنه استندمه في مجال اخر غير مجال التصوير الذهني الذي كان عند
(فرشته) وغير (مجال الفكرة) الذي كان عند هيرجل . ان استخدمت
في مجال الاقتصاد . واستند في هذا الاستخدام الى طريق الجملة .

=== من الاقطار الاوربية ولا يوجد قطري في العالم لم تتسبب في
الشيوعية اليهودية مستغلة ضيق الناس وشرهم وجملتهم . وشيرة
عسدهم وبغضهم على من هم اعلى منهم ، هذا الى ما تصبرهم
في الحكومات والشركات وغيرها ممن لا يعطون باسم الشيوعية تظاهروا
وليسوا مع ذلك الا صنائع في الحكومات والشركات وغيرها ممن
لا يعطون باسم الشيوعية ظاهرا . وليسوا مع ذلك الا منافقون
منفذين لأغراض صهيون . وفي ذلك ما يدل على انهم يريدون
تسخير الصين وامريكا كما هو حاصل . وتسخير اليابان ايضا
ضد اوربا عند الضرورة وهذا شيء لم يكن في حساب سياسي
قط منذ خمسين سنة الا حكما صهيون .

(راجع بروتوكولات حكما صهيون الترجمة العربية محمد خليفة

فكل شيء في نظره - يتضمن نقيضه ، بحيث ان كل شيء (يهدم نفسه وهذا هو التطور العام لمبدأ النقيض .

ولكن (ماركس) يستخدمه كى يدل على وقوع انهيار المجتمعات
فالمجتمعات السابقه على الرأسماليه وهى :

دول الملوك والمجتمعات الاقطاعيه (أصحاب المزارع الكبيره)
انهارت بناء على تفكير (ماركس) لانها تضمنت عنصر المقابل
أو النقيض كما يقولون : " ان كل بذره تحمل بذور نقيضه " .
وعلى هذا النحو ستتهار هذه المجتمعات الحديثه الرأسماليه
وتتحول الى المقابل أو النقيض لها وهو المجتمع الشيوعى ذو الطبقه
الواحد من العمال . وهو مفهوم الصراع بين الطبقات عند
الفيلسوف كارل ماركس .

وخلاصه آرائه فى هذا الصراع الدؤوب بين الأمم يرجع
أولا وأخرا الى البحث عن الطعام لا غير وعدوه الوحيد هو الملكيه
الفرديه +

وهذه هى سلسله الصراع التى تخيلها ماركس منذ أن ظهر الانسان
الأول على ظهر هذا الكوكب الأرضى .

الشيوعيه الأولى - الرق - الاقطاعيه ، الرأسماليه
الشيوعيه الأخيره . هذه هى حتميات التاريخ عند كارل
ماركس . ومعنى ذلك أن الانتقال من طور الى طور

آخر حتى لا طاقة للإنسان التخلص منه أبدا .^(١)

(١) نظره عن الشيوعيه : ففي مذهب يقضى أن يمتلك الناس الأشياء شيوعا ، ويعملون فيها معا دون اختصاص أحد بشيء معين . وقد دعا الى هذا المذهب كثير من المثيوسيين المناكيد منهم " مزدك " الذي ظهر في فارس قبل الاسلام سنة ٤٨٢ م وكان شيوعية النساء على شيوعية الأموال واعتبر ذلك ديننا ، فتبعه كثير من السفهاء حتى كاد يذهب بالدولة ، ولكن

الملك قياد ، كاد يستأصله هو وأتباعه في مذهبه عامه سنة ٥٢٣ م . كما دعا الى هذا المذهب ، القرامطة أيام دواع المياسين

وفتروا كثيرا من الخلق وارتكبوا كثيرا من الشنع البشعة في جنوبى العراق وما والاها حيث قامت دولتهم نحو سنة ٨٩٠ م الى أوائل القرن الحادى عشر ، كما دعا اليه الشيوعيون في العصر الحديث ورأس

مذهبهم (كارل ماركس) اليهودى . وقد تمكن بلاشفتيم اليسيرود من وضع روسيا تحت هذا النظام . وأكرهوها بالعنف على هذه الفكرة

الخاطئة ولا يزالون يتخبطون في تطبيقها هناك متحدرين من خيبة الى خيبة ، مع تمكنهم من الحكم المطلق فيها / سنة

١٩١٧ م وهم يحلزون الرأسمالية الفرديه . ولكن الشعب هناك فى

يدى الحاكم المطلق الذى يملك المال والارواح . فيجمع بين استبداد

المال واستبداد الحكم مما .

راجع الفكر الاسلامى الحديث ^{مناهج} بالاستعمار الغربى ، د . محمد البينى
راجع البروتوكولات ص ١٨٦ فى الهامش

نقول ان هذه الحتميات لا أساس لها من الصحة ، فلذا لا نحتاج الى وقوف طويل معها . فوجود العالم الاسلامي ينقض هذه الحتميات لأنه آمن بإمكانية إقامة المجتمع وعلاقته الاقتصادية والسياسية على أساس إيماني بقطع النظر عما طرأ على المجتمع من تغيير في شروطه المادية والمدنية والمادية خلال أربعة عشر قرناً .
 وباجتماع المؤرخين ، ان الاسلام لم يمر قط في هذه الحتميات المزعومة . . .

ولما تضح ذلك للماركسيين تراجعوا عن غطرستهم فقال أنجلز :
 " ان الظروف التي ينتج البشر تحت ظلها ، تختلف بين قطر وآخر ، وتختلف في القطر الواحد من جيل لآخر . لذا فليس ممكناً أن يكون للأقطار كافة وللاؤدوار التاريخية جمعاء اقتصاد سياسي واحد " (١) .

وهكذا فشلت المادية التاريخية في أداء مهمتها العلمية المزعومة وثبت لدى التحليل أنها لا تعبّر عن القوانين الصارمة الأبدية للمجتمعات البشرية ، فمن الطبيعي اذا أن تنهار الماركسية المذهبية التي تركز على هذه الفكرة المتطرفه

(١) راجع ضد دوهرنك : ج ٢ ص ٥ نقلاً عن كتاب اقتصادنا محمد

ثانياً (الدين مخدر :

هذا هو الأساس الثاني الذي تقوم عليه الشيوعية الماركسية .
ولكارل ماركس (نظريته ماديته ، وهو لا ينكر (العقل) كما
يفكره المذهب الميكانيكي ولكنه لا يدعي فحسب أن المادة توجد قبل أن
توجد العقل بل يدعي أيضا أن المادة أكثر ثباتا وأكثر أهمية من
العقل . إذ العقل متوقف على المادة أكثر من وجوده ولا يمكن
أن يوجد منفصلا عنها ونتيجة ذلك :

أن (ماركس) لا ينكر فقط أن يبقى العقل أو الروح بعد الجسم
بل يرفض الفكرة الأساسية في الدين وهي الايمان بالله كوجوده
أزليّ مستقل تماما ومتجرد تماما عن المادة

والحقيقة واضحة في الماركسية : كل دين بالنسبة لماركس من
حيث المبدأ لعنه وماركس يحدثنا أن كل دين مخدر
للشعب : (١) وهذا نصه :

" ان البؤس الديني ، لهو التعبير عن البؤس الواقعي ، والاحتياج
على هذا البؤس الواقعي في وقت معا . الدين زفره الكائن المثقل بالألم ،
ورج عالم لم تبق فيه روح ، وفكر عالم لم يبق فيه فكر ، انه أفيون
الشعب " . (٢)

(١) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي ص :

(٢) كارل ماركس ص ١٦-١٧

نقلا عن كتاب اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ص ٨٤ .

اذن فنقد القدين هو الخطوه الأولى لنقد هذا الوادى الخارق

فى الدموع •

" بالنسبه الينا فى ميدان التاريخ ان الماديه القديمه لا تصدق

مع ذاتها لأنها تعتبر القوى المثاليه المحركه فى التاريخ عللا

نبيائيه وذلك بدلا من البحث عما وراءها أى البحث عن القوى

المحركه الفعليه ، الكامنه وراء هذه القوى المحركه وينبذو التفانى

لا فى الاعتراف بهذه القوى المثاليه فحسب ، بل فى عدم مواضع

البحث وراء هذه القوى ، حتى يمكن ازاحة الستار على المثل المحركه (ز)

هذا هو المقصود عند ماركس وأتباعه من التفسير المادى للتاريخ

الذى هو عبارته عن تحليل للحوادث التاريخيه ، بواسطه تطبيقتى

مبادئ البحث الجدلى القائم على مبدأ النقيض •

(ثالثا) - المذهب المادى التاريخى :

ان التفسير المادى للتاريخ ، من أهم المزايا الماديه الحديثه ،

ان لا يمكن بدونها اعطاء التاريخ تفسيرا صحيحا ، يتجاوب مع

الماديه الفلسفيه ويتسق مع المفهوم المادى للحياه الانسانيه

والكون •

(١) راجع كتاب التفسير الاشتراكى للتاريخ ص ٢٥ •

وما دام التفسير المادى للتاريخ صادقا فى رأى للماركسيه - على
الموجود بصورة عامه ، فوجب أن يصدق بالنسبه الى التاريخ ، لأن
التاريخ ليس الا جانبا من جوانب الوجود العام . (١)

" وعلى هذا الأساس ، تميب الماركسيه على مادية القرن الثامن
عشر ، وموقفها من تفسير التاريخ . لأن مادية القرن الثامن عشر
البركانيكيه ، ولم يتوفق الى هذا الكشف المادى الجبار فى الحقب
التاريخى " .

بل كانت مثاليه فى مفاهيمها عن التاريخ ، وبالرفس من احتوائها
الماديه فى المجال الكونى العام .

ولماذا كانت فى مفهومها التاريخى مثاليه ، كما ذكرنا فى
رأى الماركسيه لأنها آمنت بالأفكار والمحتويات الروحانيه للانسانيه ،
ومنحتها دورا رئيسيا فى التاريخ . ولم تستطع خلال العلاقات الاجتماعيه
التي كانت تعيشها ، أن تتخطى هذه المراحل المثاليه ، الى السبب
الأعمق ، الى القوى الماديه للتاريخ ، ولم يحالفها التوفيق فى
وضع تصميم على ، لماديه تاريخيه تتجاوب مع الماديه الكونيه .
وانما ظلت تتعلق بالتفسيرات المثاليه السطحيه التي تدرس السطح
التاريخى ولا تنفذ الى الأعماق " (٢) .

(١) راجع لودفيج فيورباخ ص ١٠٣ - ١٠٥

راجع كتاب اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ص : ٢١

(٢) راجع التفسير الاشتراكي للتاريخ : ص ٥٧

(رابعاً) الماركسيه كنظام سياسي للجماعه :

وهذا الأساس الرابع الذي يعتمد عليه الماركسيون في توطيد

أركان الشيوعيه •

(66)

ان النظام الشيوعي ليس فيه مكان لأكثر من حزب واحد هو

(68)

(67)

الحزب الشيوعي والاشتراكيه • يجب أن تحل محل الرأسماليه :

وكل الصناعات والمزارع ومصادر الثروه الطبيعيه والخدمات ، يجب

أن تملكها الدوله وتشرف عليها •

وهذه الجماعه الجديده الاشتراكيه أو الشيوعيه ، تبرز للوجود

عن طريق الكفاح بين الطبقات كنتجه لحرب أوضفت ، ويسقط النظام

القديم السابق عليها ، وتنشأ دكتاتوريه من العمال •••

ان المرحله الاشتراكيه أو الشيوعيه تتلخص معالمها الرئيسيه

وأركانها الأساسيه فيما يلي :

(69)

أولاً - محو الطبقيه وتصفيه حسابها نهائياً بخلق المجتمع اللاتبقي •

ثانياً - استلام البروليتاريه للأداه السياسيه بإنشاء حكومه "دكتاتوريه" (71)

قادره على تحقيق الرساله التاريخيه للمجتمع الاشتراكي •

ثالثاً - تأميم مصادر الثروه ووسائل الانتاج الرأسماليه في البلاد وهي

الوسائل التي يستثمرها مالكيها عن طريق العمل المأجور -

واعتبارها ملكاً للمجموع •

رابعاً - قيام التوزيع على قاعده : (من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله) (1)

(1) راجع اقتصادنا محمد باقر الصدر ص 190 - 191

هذا هو المذهب الماركسي بكلتا مرحلتيه ، الاشتراكية والشيوعية
وقد رأينا من خلال هذا الاستعراض السريع أنه يستهدف دائماً
لإزالة فكرة التدين أو فكره وجود خالق لهذا الوجود ،
إذ الحاد لا مثيل له في التاريخ البشري .

وهذه هي أوروبا الحديثة قد رأينا كيف بدأت ومن أين
تبدأ النهضة العلمية وأخيراً وتتناهى إلى الأدوار الثمانيه التي
مرت بها .

وكما رأينا أن عصر سيادة الحس يدهي أنه أفضل العصر
التي مضت على أوروبا لنكرانه للتدين ورفضه كل قيمه وكنس
اخلاق . هذا ان دل على شيء فانه يدل ان هذا التدهور
الحاد عرفته البشرية من لدن آدم الى أيامنا هذه .

ولكى تتضح أماننا هذه القضية يجب علينا أن نستعين بشركه
التاريخ ابتداء من العصر اليوناني والعصر الروماني وكذلك العصر
الجاهلي وأخيراً العصر الكنسي . لنرى أن هذا الحاد فريسه
في نوعه وأشكاله .

الألحاد فريد في التاريخ الانساني :

ان الألحاد الذي نمنيه هنا ، هو انكار وجود الله - سبحانه - انكارا كاملا ، وهو المذهب السائد اليوم - في أوروبا أولا وفي أقطار كثيرة من " " . (١)

فهذا النوع من الألحاد لم يسبق له نظير فيما سلف من الزمان (٢) . لان الألحاد قد يوجد على انه عوج فكري او خلل نفسي او انحراف فردي او جهل مؤقت او غفلة عامه على اسوأ الاحوال . .

اما الألحاد الاحمر الحديث ، فهو ثورة على الايمان ، تبني قذاحه ابره ، واجتراح ادله .

هو ثورة تتحقق وراء اسباب اقتصادية خطيره ، وتستظهر بمصيبيه قويه من العامه المحتاجين والمظلمين . .

ان هذا الألحاد ، ليس شبيهه - شأن الألحادات الماضيه - تؤشك أن نأقبحها الأدله فتتلاشى ، لا ! انه الواقع ، وغيره الباطل . .

انه الجدير بالحياه ، وغيره الجدير بالفناء . . انه الجد وغيره الخيال . . انه الرأي الاول والاخير في نظام الانسانيه ، ولا مكان لرأي اخر أبدا . .

(١) راجع كتاب كيف نحارب الألحاد ، محمد احمد باشميه ص ٥ الطبعة

الاولى ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

(٢) راجع كتاب الاسلام في وجه الزحف الاحمر محمد الفزالي ص ٤٨ منشورات

المكتبة المصريه راجع ايضا كتاب حوار مع الشيوعيين في اقبية السجون

بمد الحليم خفاجي ص ٦٩ وما بعدها .

فقد ادعى اصحاب هذا الالحاد الفريد ، انه لا يوجد لهذا الوجود

خالق .. بل يقولون بان كل ما في الوجود ازلي صادر عن "الماده"

والنواميس الطبيعية نشأت على سبيل الصدفة والاتفاق وبلغت ما بلغت

من الكمال والاتفاق عن طريق التطورات المتعاقبة وان الانسان نتيجه

التطورات الحيوانيه .. وقد سرت تعاليم الماديين الى بعض الناس فحدثوا

واحدوا ايضا - فلما سمعنا انهم قد عرفوا سر الحياه ، اى كيف نشأت الحياه

فيقولون : " ان الحياه بدأت خليه بسيطه او مجموعه خلايا ، ثم بدأ التكاثر

يحمل عمله والتطور يحمل عمله بدون اى تدخل خارجى ، حتى وصلت

الحياه الى ما وصلت (٤) .

ان هذا الكلام ليس من عندنا وانما يقوله عميد مذهب التطور (تشارلز داروين)

في كتابه أصل الانواع ، وهذا نصه :

" لا يمر بي خليه من الشك في ان ما اقتطع ، كما قطع به الطبيعيون

من القول بان كل نوع من الانواع قد " خلق " مستقلا بذاته (خطأ محض) .

وانى اعلى تمام الاعتقاد بان الانواع دائمه التحول وان الانواع التى تاحق

بما نسميه الاجناس اصطلاحا ، هى اعقاب متسلسله عن انواع طواها الافتراض على

نفس الطريقه التى نعتبر بها الضروب التابعه لائى نوع ، أعقابا متسلسله عن

ذلك النوع ذاته ...

(١) راجع روح الدين الاسلامى ، عفيف عبد الفتاح طباره ص ٨٥ الطبعة التاسعه

(٢) راجع ايضا كتاب من ازمه المصر ، محمد محمد حسين ص ٨ الناشر عفاظ

للطباعة والنشر ..

(٣) راجع كتاب هل نحن مسلمون ، محمد قطب ص /

(٤) العالم يدعو الى الايمان : تاليف ا. كرسى موريسون ص ٩٣ .

ثم قال وهو يفتي تدخل الله في الخلق :

" واني فوق ذلك لشديد الاقتناع بالانتخاب الطبيعي هو السبب الاكبر
والمهيء الاقوى لحدوث التحولات .. " (١) هكذا يدعون ..

وبعضهم يقول ان الدين تفسير زائف للوقائع التاريخيه .. والبعض الاخر يقول :

" ان الدين اكبر خدعه في التاريخ وأما كارل ماركس الملحد العاتي يقول :
" الدين افيون الشعوب ؛ (٢) .

ويشبهه بعضهم برجل يكتب شيكا لا رصيد له في المصرف .. ومعنى

ذلك ان علماء الدين صاغوا عبارات وليس وراءها حقائق علميه ، فعبارة " وجود
الله " - على حد زعمهم - ليس لها اي اساس علمي .. (٢)

الجدير بالذكر ان الملاحده المعاصرين اتخذوا العلم الحديث لتوطيد

اركان الحادهم - والعلم برىء منه ..

وحيثما نعود نعوده سريعه الى اشهر علومهم ستجدهم قد بذلوا

كل جهودهم فيها لتفنيد فكره وجود الله ، واتجهت هذه العلوم كلها

نحو هذه الفكره اتجاه الابرمغناطيسيه نحو القطب الشمالي : واليسلك

نموذجا من هذه الموافقات المجيبه على الالحاد ..

(١) اصل الانواع ، تاليف دارون ص ١٢٦ ترجمه : اسماعيل مظهر ، مكتبه

النهرضه ببيروت - بغداد .

(٢) التفسير الاسلاني للتاريخ .. الدكتور عماد الدين خليل ص ٦٣ ، راجع

الدين تاليف وحيد الدين ص ١٩ .

أولا : (علم الفلك) : L'Astronomie

في مطلع القرن التاسع عشر وجه نابليون بونابرت (١٨٠٨ - ١٨٢١)
سؤالا الى علامه الفلك في زمانه " لا بلاس " (١) عن عمل القدره
الالهيه في تنظيم الافلاك السماويه ، وكان لتوجيه هذا السؤال الى (لا بلاس)
(سبب خاص وهو ظهور كتابه عن علم الحركه العلميه
" او الميكانيكا السماويه ، وفيه شرح حركه الفلك ويحللها بالقوانين الالهيه
كما يدل اسم الكتاب ، فقال علامه الفلك مجيبا سائله الكبير الذي كان يقول
في الدين بمثل قوله : " اننى لم اجد فى نظام السماء ضروره للقول بتدبير
اله . (١)

ومضى القرن التاسع عشر الى نهايته والرأى الغالب فيه بين المشتغلين
بالعلم والمؤمنين به هو هذا الرأى الذى تحدث به لا بلاس الى نابليون : ان
العلم كاف كل الكفايه لتفسير جميع الاسرار الكونيه .

كتب السورجيس فتزجيس ستيفن في سنه ١٨٨٤ (٢) فصلا يحتبر
يوهنا مثلا للاراء العلميه فى تلك الفتره نختطف منه مايلى :

" اذا كانت الحياه الانسانيه فى نشأتها قد استوفى العلم وصفها فلسف
ارى بعد ذلك ماده باقيه للدين ، انما هى فائدته وما هى الحاجه اليه ،

(١) لا بلاس ، بهرسيمون : ١٧٤٩ - ١٨٢٧ فلكى فرنسى ورياضى ، ساهم
فى علوم مختلفه وكان استادا فى الرياضيات بالمدرسه الحريمه فى باريس . بحث
فى تغيير حركات القمر . الموسوعه ص ١٥٣٥ .
(٢) (سورجيس) ١٨٧٧ - ١٩٤٦ عالم رياضيات فى مسائل الطبيعه والفك . راجع
المرجع السابق ص ٦٨٢ .

اننا نستطيع ان نسلك سبيلنا بغيره وان تكن وجهه النظر التي يفتحها العلم لنا لا تعطينا ما نعبده فهي كقيله ان تعطينا كثيرا مما نستمتع به ونتمناه .. نحن قادرون على ان نعيش عيشه حسنه بغير الديانه ، وان اقمناها على اصول غير هذه الاصول قلما تخالف في لبابها اصول العيش التي يدبسون بها نفسه كل ذي اخلاق . (١)

انقضى القرن التاسع عشر وهذا هو الراى الغالب على اصحاب الراى فيه ممن يروون بالعلم الحديث ويتوقعون له القدره على الاعطاء في المستقبل بما بمجهولات الغيب التي لم يحط بها في ذلك الحين ..

ثانيا : (علم النفس) : Psychologie

ها هو علم النفس يزعمه (فرويد) يدعي ان العقل الانساني مركب من شيئين : هما : (الشعور) وهو مركز الافكار التي تخطر على قلوبنا في ظرف عاديه ... و (اللاشعور) : وهو مخزن الافكار التي مرت بنا ونسيناها ، ولا تظهر الا في احوال غير عاديه ، كالجنون والهستيريا وهذا القسم الثاني اكبر بكثير من الاول ..

اكتشف فرويد بعد جهد طويل ان اللاشعور ، قد يقبل افكارا نفسية

(١) راجع الموسوعه للمقاد .

(٢) (فرويد) سيجموند : ١٨٥٦ - ١٩٣٩ م طبيب نمساوي مؤسس مدرسه

التحليل النفسي . اشترك مع جوزيف برويد في علاج الهستيريا بالنوم ، واثارت نظريته في تطور الفريزه الجنسيه منذ الطفوله وفي عقد اوديب . وله عدة كتب . وكان لنظريته اعنى الاثار في الدراسات النفسيه والاجتماعيه ، وفي التربيه والفن والادب . راجع الموسوعه الصريه الميسره ص (١٢٩٧ م) .

العاقولة وتؤدي الى اعمال غير عقلية ، وهذا ما يحدث بالنسبه الى العقائد الدينية . فان فكره الجحيم والجنه ترجع الى صدى الاماني التي تنشأ لدى الانسان ابان طفولته ولكن لم تسمح له الفرصه لتحقيقها ، فبقى دفينه نسي (الاشعور) ثم يفرض الاشعور بدوره حياه اخرى يتيسر له ^{فيها} تحصيل ما كان يتمناه ، شأن الرجل الذي لا يظفر بما يحب في الواقع فيحصله في المنام . (١)

ثالثا : (علم مقارنة الأديان) : Comparison Des Religions

واما علم مقارنة الاديان ، يقول اصحابه : ان القضايا الدينية وجدت لاسباب تاريخيه احاطت بالانسان فلم يكن في استطاعته ان يفلت من السهول والاعاصير والطوفانات والزلازل والامراض " فأوجد قون فرضيه " يستغنيها لتنقذه من البالياء النازله . وهكذا ظهره الحاجه الى شيء يجتمع الناس حوله ، ولا يتفرون فاستغل اسم (الاله) الذي تفوق قوته قوه الانسان ويبرز اليه الجميع الى رضاه . (٢)

هذه النظرية التي سموها : (بالمذاهب الكونية او الطبيعية) اشهر مقرري هذه النظرية هو العالم الالمانى (ماكس ميلر) (Max Mullet)
في كتابه عن الاساطير المقارنه (Comparative Mythology) . (٣)

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٦ الطبعة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م

راجع ايضا كتاب علم النفس د . فاخر عاقل ص ٢١

(٢) الدين - د . محمد عبدالله دراز ص ١١٤ وراجع ايضا كتاب علم النفس

الحديث الدكتور سارجنت ص ٥٣

(٣) راجع الدين - د . محمد عبدالله دراز ص ١٠٧

وأما المذهب التقدمي ، او التصاعدي :

(Evolutionnisme progressisic Ascendent)

الذي ساد أوروبا في القرن التاسع عشر ، في أكثر من فروع من فروع العلم ، وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان عدد من العلماء منهم سبنسر (١) (Spencer) وتيلور (٢) (Tylor) وفريزر (٣) (Frazer) ودوركايم (٤) (Durkheim) وغيرهم ، وان اختلفت وجهات نظرهم في تحديد صورته العبادية الأولى وموضوعها إلا أنهم اتفقوا على ان التدين بدأ في صورته الخرافية والوثنية ، وان الإنسان اخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد ، كما تدج نحو الكمال في علومه وصناعاته ، حتى زعم بعضهم أن عقيدته " الاله الواحد " عقيدة جنس ديشه ، وأنها وليده عقليه خاصه بالجنس السامي . . (٥)

(١) سبنسر هيرت (١٨٢٠ - ١٩٠٢) فيلسوف انجليزي ، درس الهندسه ثم تحول الى دراسة العلوم الطبيعيه وعلم النفس . يرى ان الفلسفه هي حصر المصرفه في مبدأ التطور وطاقق يطبقه على جميع الظواهر حتى لقب " فيلسوف التطور " راجع الموسوعه العربيه الميسره ص :

(٢) تيلور ادوارد : ١٩٠٨ - عالم بالفيزيقا النوويه امريكي ، ولد ببنفارييا وتلقى علومه بليينج قدم ١٩٣٥ الى الولايات المتحده ، ثم حصل على الجنسيه الامريكيه ١٩٤١ (الموسوعه ص ٥٧٢)

(٣) فريزر هير جيمس جورج : ١٨٥٤ - ١٩٤١ انثروبولوجي اسكتلندي معروف بكتابه (اليام النصفن الذهبي ١٢ مجلد وهو دراسه في السحر والدين ومن كتبه الطوطميه والزواج بغير ذى القربى ١٩١٠م

(٤) دوركايم ، اميل ١٨٥٨ - ١٩١٧ رائد علماء الاجتماع الفرنسيين بعد " كونت " وله عدده كتب منها : تقسيم العمل في المجتمع ١٨٩٣ وقواعد المنهاج الاجتماعي ١٨٩٥ والانتحار ١٨٩٧ والاشكال الاولى للحياه الدينيه ١٩١٢ . . (٥) المرجع السابق ٨١٦ وانظر ايضا الجفوه المفتعله بين العلم والدين ، محمد علي يوسف ص ٣٢ .

philosophie

تلخص الفكره الالهيه بين الفلاسفه العقلانيين بتلخيص الاراء التي ردها
اشهر مفكرينهم الي مطلع القرن العشرين • وكفينا منهم ثلاثه هم :
(نيتشه) (هارتمان) (وشبنجلر) وهم الذين ترووا في مسائل ما بعد
الطبيعه رايًا مستقلاً لا يحسب شرحاً من شروح الكتلكه او البروتستانتيه • ولا
يحسب حاشيه من مقاييس المنطق ومعايير العلم •

" فمئذ نيتشه ١٨٤٤ - ١٩٠٠ ان الله (قد مات) * كبرت كلمته
تخرج من افواههم ان يقولون الا كذباً * وان الشجاعه الغم ما يانم النفس من
حقيقه -- او عقيدته -- في عالم خلا من الله " •

-
- (١) نيتشه فردريك فديلم ١٨٤٤ - ١٩٠٠ فيلسوف الماني مات عنه ابوه
صغيراً • فربته امه على التقوى فلا نقلبت تقواه ثوره عقليه • كان استاذاً
لاصول الفقه في بال (١٨٦٩) وتأثر بفلسفه شومبر وصادق فاجنر ثم
خرج طبيباً وعلى سائر اصدقائه بعد اصابته باضطرابات عصبية • ومريض في
عنه فترك التدريس وطافق ينتقل مستشفياً • ولكنه يجهد نفسه حتى انتهي
به الامر الى مرض خطير • الموسوعه ص ١٨٦٤ •
- (٢) ادوارد فون هارتمان : ١٨٤٢ - ١٩٠٦ فيلسوف الماني الف كتاب (فلسفه
الوعي) ويقصد بالاروي ، القوي المهيمنه التي تسير الكون • سواء اكانت
كائنات ذرات او عضويات او العالم بأسره • وهو متشائم ان لا سبيل الى
السعاده الا بالتحرر من السعاده • راجع المرجع السابق ص ١٨٢٨ •
- (٣) شبنجلر ١٨٨٠ - ١٩٣٦ راجع الموسوعه لعباس محمود العقاد ج ١ ص ٢٩٦ •

و عند ادوارد فون هارتمان " ان الله ليس بذات وانه غير شاعر بنفسه "
 أو صامبي " أنا " تتشخص في كيان "

و ليس الله في رأى شبنجلر الا " اراده " على عاينه الالمان المحدثين
 في ترويج الاراده على الذكر . يقول : " ان الله بالنسبه اليها - الله الذي هو
 صفة العالم والذي هو القوي الكونيه . والذي ينفك من فناء العالم الذي
 فناء المرج القائم بالخيال " .

خامسا : (علم الاجتماع) : La Sociologie

يرى دوركايم في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ان التدين ليس
 فطريا في الانسان ولا الاخلاق فلا يطلع ان ان نأخذ قواعد الدين
 دستور المجتمع ولندعه يصرح بنفسه (١) في اسطورة (المثل الجمعي) :

" . . . ومن هذا القبيل ان بعض هؤلاء الممراء يقبل بجهود طائفة دينية
 فطرية لدى الانسان ، وان هذا الاخير مزود بحد ادنى من الخير الجسدية
 والبر بوالوالدين وحبه الابناء ، وغير ذلك من الصواطف ، وقد اراد يمشي
 تفسير نشأة كل من الدين والزواج والاسره على هذا النحو ، ولكن التاريخ يوقفنا
 على ان هذه النزعات ليست فطرية في الانسان " (٢) .

(١) راجع التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٥٢ .
 (٢) راجع قواعد المنهج في علم الاجتماع تأليف لوبل دوركايم ، ترجمه محمود قاسم
 ومراجعة الدكتور السيد محمد بدوي - مقدمه الطبعة الثانية ص ١٦٥ .

وحيثذ فانه يمكن القول ببناء على الرأى السالف بانه لا وجود لتفاصيل القواعد القانونية والخلقيه في ذاتها ، اذ اصح هذا التعبير . .
ومن ثم فليس من الممكن ، تبعا لهذا الرأى ، ان تصبح مجموعه القواعد الخاتيه التي لا وجود لها في ذاتها موضعا لعلم الاخلاق . . (١)

واضح في هذا التصريح :

ان الدين ليس شيئا فطريا . وكذلك الزواج والاسره والقواعد الخلقيه لا وجود لها في ذاتها .

اننا لا نناقش دور كايمن هنا ولا غيره ممن سبق ذكرهم ، انما اردنا هنا فقط ان نثبت ان هذا الالحاد الحديث لا مثل له في التاريخ الانسانى وستأتى مناقشتهم في حينها ان شاء الله تعالى .

سادسا : (كلمه دائره المعارف الانسانيه) :

يقول محرر دائره معارف العلوم الانسانيه الاجتماعيه تحت اسم الدين :
" وبجانب الموء ثرات الاخرى التي ساعدت في خلق الدين . فان اسهام الاحوال السياسيه والمدنيه عظيم جدا في هذا المجال .
ان الاسماء الالهيه وصفاتها خرجت من الاصول التي تسود على ظهر الارض . . ففقيهه كوه الاله " الملك الاكبر " صورته اخرى للملكيه الارضيه . وكان الملك الارضى القاضى الاكبر ، فاصبح الاله يحمل هذه الصفات ، ولقب " بالقاضى الاكبر الاخير " الذى يجازى الانسان على الخير والشر من اعماله . وهذه العقيدة القضائيه التي تؤمن بكون الاله محاسبا ومجازيا لا توجد

في اليهودية فحسب ، وإنما لها مقامها الاساسى في المقائد الدينيه ،
المسيحيه والاسلاميه " (١) .

" لقد خلق الحقل الانسانى الدين ، واتم خلقه فى حاله جهل الانسان
وعجزه عن مواجهه القوه الخارجيه "

ويضيف جوليات هكسلى الى هذا قوله :

" فالدين نتيجته لتعامل خاص بين الانسان وبيئته " (٢)

ويقول أيضا :

" ان هذه البيئه قد فات اوانها او كاد ، وقد كانت هى المسئوله عن هذا

التعامل فأما بعد فنائها وانتهاء التعامل معها فلا ذاعى للدين " .

ويضيف : " لقد انتهت العقيدة الالهيه الى اخر نقطه تفيدنا ، وهى

لا تستطيع ان تقبل الان ايه تطورت ، لقد اخترع الانسان قوه وراء الطبيعه لتحمل

عبء الدين . جاء بالسحر ، ثم بالصلوات الروحيه ، ثم بالعقيدة الالهيه حتى اخترع

فكره (الاله الواحد) . وقد وصل الدين بهذه التطورات الى اخر مراحل حياته .

ولاشك ان هذه المقائد كانت فى وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا بيد ان هذه

الاجزاء قد فقدت اليوم ضرورتها ، ومدى افادتها للمجتمع المحاضر المتطور " (٣)

Encyclopaedia of Sciences, 1957 Vol, 13, p. 233 (1)

Man in The Modern World, p. 130. (2)

(3) راجع كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٨ - ٣٩ .

سابقا : (علم الاقتصاد والشيوعيه) : Communisme

يقول (لينين) في خطاب له القاہ في المؤتمرات الثالث لمنظمه الشباب

الشيوعي في أكتوبر سنه ١٩٢٠ م .

" اننا لانؤمن بالله ، ونحن نعترف كل المصروفه ان ارباب الكنيسه والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله استفلالا ، ومحافظا على مصالحهم اننا ننكر بشده جميع هذه الاسس الاخلاقيه التي صدرت عن ذاقات وراء الطبقيه غير الانسان ، والتي لا تتفق مع افكارنا الطبقيه ، ونؤكد ان كل هذا مكر وخداع وهو ستر على عقول الفلاحين والعمال ، لصالح الاستثمار والاقطاع ، ونعلم ان نظامنا لا يتبع الاثمه النضال البروليتاري . . . " ونعلم ان نظامنا الاخلاقي ، هو الحفاظ على الجهود ، الطبقيه البروليتاريه " (٢) .

وهكذا ترى الفلسفه الشيوعيه ان الدين (خدعه تاريخيه) وهي تركيز الاسباب في عوامل اقتصاديه ، لانها تنظر الى التاريخ في ضوء الاقتصاد ، وهو تاريخ البحث عن الطعام . بل هي ترى ان العوامل التاريخيه التي خلقت الدين

Linin, Selected works Moscow

1947 Vol. 11 P. 667

(١) راجع كتاب :

راجع كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٤٠

وراجع ايضا كتاب الاسلام والشيوعيه ، وزاره الاوقاف الاداره العامه للدعوه

ص : ٢٢٠

(٢) البروليتاريه هي الطبقة الكادحه من العمال والفلاحين .

هي النظام البورجوازي الاستعماري القديم • وهذا النظام القديم يلقي اليوم صفته • فلندع الدين ايضا يذهب معه •

وفي عام ١٩٤٩م جاءت التعليمات الرسميه للحزب الشيوعي الى المصلين في جميع انحاء الاتحاد السوفييتي ما نصه :

" ان المعلم الذي يؤمن على تعليم النشء لا يمكنه ولا يجب ان يكون محايدا في موقفه من الدين •• ان عليه ان لا يتخلص من الايمان فحسب بل ان يقوم بدور ايجابي في الدعوه الى عدم الايمان بوجود الله وان يكون داعيا متحمسا الى الالحاد " (١)

يقول ستالين عام ١٩٢٧ : لا يستطيع الحزب ان يقف من الدين موقف الحياد •• ان الحزب يشن حملته دعايه ضد اي انحياز للدين ، لان الحزب يؤمن بالعلم بينما العلم يتعارض مع الانحياز للدين ، لان الدين كله شيء مناوي للعلم " (٢)

وفي عام ١٩٢٨ جاء في برنامج المؤتمر السادس الدولي ما نصه :

" الحزب ضد الدين - افهون الشعب - تشغل مكانا هاما بين عمال الثورة الثقافيه ، ويلزم ان تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقه منظمه •• وحكومه العمال تعترف بحريه الضمير ولكنها في نفس الوقت تستعمل كل الوسائل التي تملكها للقيام بدعايه ضد الدين ، وتنظم التريبه على اساس التصور المادي للدنيا " (٣) .

(١) مقال للدكتور احمد بدران الوارد في الاخبار بتاريخ ١٣/١/١٩٧٤م

(٢) حقيقه الشيوعيه لا مبن شاكر ، وسعيد الصريان • وعلى ادهم : عن كتاب

الاسلام والشيوعيه ص ٢٦

(٣) حقيقه الشيوعيه السابق ص ١٩١

ويقول لوناشاريكي وزير التعليم في حكومة السوفييت " وهو يهودى " :
 " نحن نكره المسيحيه والمسيحيين • وحتى احسن المسيحيين خلقا نعدده شر
 اعدائنا وهم يبشرون بحب الجيران ، والمطف والرحمه وهذا يخالف مبادئنا
 والحب المسيحي عقبه فى سبيل تقدم الثورة فلهسقط حيننا لجيراننا •
 فان ما نريده هو الكراهيه •
 والمداوه وحينئذ نستطيع (١)
 غزو العالم " •

ولاجل ذلك كله يقول البيان الشيوعى (La Manifestation-
 Communiste)

" ان الدين والاخلاق والدين كلها خدعه البورجوازيه وهى تستر وراءها
 من اجل مطامعها " (٢) •

يقول فيلسوف الشيوعيه انجلز :

" ان كل القيم الاخلاقيه هى فى تحليلها الاخير من خلق الظروف الاقتصاديه "

فالتاريخ الانسانى هو تاريخ حروب الطبقات التى امتص فيها البورجوازيين دماء

الفقراء • وقد كانت الغايه من وضع الدين والاسس الاخلاقيه حمايه حقوق

البورجوازيين • هذا هو ملخص آراء الشيوعيين •

(١) الاسلام والشيوعيه تاليف محمد عرفه ص ٦٧

(٢) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٢٩

هكذا رأينا الملاحده في مختلف علومهم الحديثه يحاربون الدين
باسم البحث العلمى والتحقيق ولكن العلم براء من هذا التمطيل الذى يشمل
العقيل ويفقد ها شجاعه الاعتقاد فاذا جازله ان ينكر فانما يجوز بحججه
واحده وهى انه يجمل وليس انه يحلم . ومن الجمل لا من العلم
ان نعمل الجمل مرجعا للوجود من اعلاه الى ادناه . فليقل " العالم "
انه يجمل / الأمر أكبر من ان يعرفه ويحيط بحدوده ولكن الأمر الذى لا يعرفه
ولا يحيط بحدوده موجود لا شك .

من هنا فقط - قلنا ان الاحاد الحديث أعنى الحاد عرفته البشريه
لأنه يدعى علم ما يجمل به . ومن راجع الكتب التاريخيه يدرك حقيقه ما نقول
من ان هذا الاحاد فريد فى نوعه واشكاله ومميزاته ومشخصاته . . فلنستمع
اذن / شهادته التاريخ .

” شهادة التاريخ ”

فيما مضى رأينا ان الملاحده صرحوا في مختلف علومهم ان التدوين طارىء على البشريه وان الالحاد هو الفطري في الكيان الانساني . ولذا ذهب بعض كتبه الثمين الثامن عشر الذين مهدوا الثوره الفرنسيه الى ان الديانات واللاهوتيين ما هي الا منظمات مستحدثه واعراض طارئه على البشريه حتى قال ”فولتير“ (١) :
 ” ان الانسانيه لا بد أن تكون قد عاشت قرونا متطاوله في عيساه ماديه خالصه . قوامها الحرث ، والنحت ، والبناء ، والحداد والتجاره ، قبل ان يفكر في مسائل الدينيات والروحانيات بل قال : ” ان فكره التدوين انما اخترعها دهاه ماكرون ، من الكهنه والقساوسه الذين لقوا من يصدقهم من

(١) ترجمه فولتير : (١٦٩٤ - ١٧٧٨ م) فيلسوف ومفكر فرنسي . نشأ في باريس وتعلم في كليه لويس الاكبر اليسوعيه . اتهم باهانسه الرصي فيايب ٢ دوق اورليان . فمرب بالسجن في الباستيل احد عشر شهرا وهناك اعاد الى كتابه مسرحيه ” اوديب ” فنال شهره عظيمه ثم سجن مره ثانيه في الباستيل لاثمائه باهانسه احسد النبلاء . . . وفي السياسه دعا فولتير الى الاصلاح . ولكنه كان يخاف الثوره وكان حر الفكر في الدين لذا رفض رجال الدين ان يدفنوه في باريس حسب الطقوس المسيحيه .
 راجع الموسوعه العربيه ص ١٢٢٧ .

الحق والسخفاء" (١).

وكذلك كان نظر (جان جاك روسو) (٢) الى فكره التدرين والقانون ،

حيث ظن انها ليس لها الا قيمه وضعيه تحكيمه • وفسر ذلك بقوله :

" ان الافراد الذين سبقوا الى وضع ايديهم على بعض مساحات من الارض

عدا بهم جسيمهم وحرصهم على المحافظه على ملكيتهم ، الى ان يأتروا فيما

بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ، ليخدعوا بها الجمهور • ويخلصوا

لها الفناء" (٣).

فالدين عند هؤلاء الماديين المصريين نقض للحلم كما صرح بذلك

ستالين في تصريحه السابق ••• فهما ضدان لا يجتمعان لماذا ؟

لانهم قصروا الكون على المحسوسات وانكروا ما وراء الطبيعه جمله وتفصيلا

فلا ربح ، ولا خلود

ولا الملائكه ولا الشيطان

ولا الغيب ولا الجنه ولا النار

بل ان هذا الوجود لا يحتاج الى خالق •••

وتصوروا الدين على الشكل الذى يرون عليه بعض المتدينين من الخلط والخيوط

وتابعه عن التصور الصحيح للدين •

(١) Voltaire, Essai Sur Les Moeurs P. 11

(٢) روسو جان جاك (١٧١٢-١٧٧٨) م فيلسوف فرنسي مشهور له عدة مؤلفات

منها موسومته • راجع الموسومه المصريه الميسره ص ٨٩٤ •

Rousseau, Discours Sur L'origine Et Le
Fondement De L'inegalite parmi Les Hommes (٣)

راجع كتاب الدين - د • محمد عبدالله دراز ص ٨١

ولماذا لم يحكموا بتضاد هذين العالمين : العلم والدين ويسمون
في ازاله الثاني من العالم ..

ولكنهم لو انصفوا كما انصف في هذا العصر اكابرهم ووقفوا على ما فتح
الله به على العالم المصرى من الحجج المبانیه فى اثبات عالم ما وراء الماده . (١)
ثم لو نظروا للدين فى اصله ونبوعه وعلاقته بالروح الانسانيه نظر الحكيم
المتبصر لعلموا انهم كانوا قسى احكامهم الاولى غلاه مفرطين ولاصبحوا
من أعز ابناء الدين كما اصبح اليوم كذلك اكابر علماء الماده .. الذين
صرخوا الى ضروره التدين لأن الانسان لا يستغنى عن الدين الفطرى مهما
تغيرت به الظروف المعيشيه .. واليك بعضا من تصريحاتهم فى فطريه التدين:

فطريه التدين

انه لم ينقض القرن الثامن عشر نفسه حتى ظهر خطأ هذه المزاعم حيث
كثرت الرحلات الى خارج اوربا واكتشفت العوائد والمقائد والاساطير المختلفه
وتبين من مقارنتها ان فكره التدين فكره مشاعه لم تخل عنها امه من الأمم فسى
القديم والحديث ، رغم تفاوتهم فى مداج الرقى ودركات البيهيه .. وهكذا
ظهر ان التدين اقدم فى المجتمعات من كل حضاره الحاديه . وكلا ظهيرا

(١) يراجع عرضا دائره معارف القرن العشرين ج ٤ ص ١٠٧ (ماده دين)

تأليف فريد وجدى .

أن الألفاظ لم يكن معروفا إلا عند عدد قليل جدا . ولم يحدثنا التاريخ
 في وقت دوله — في فترة من فترات التاريخ — قد اعتنت بالذات
 التي تسمى فقط الألفاظ في هذا العصر الحديث المنحرف المنطوق البياني
 نتائج (١) وذلك أن الإنسان إذا تولى موفظته فلا بد أن يتسائل عن
 الألفاظ التالية :

من يشير هذا العالم الضخم ؟

ما الإنسان ؟

ما هذه الحياه ؟

ما الموت ؟

ماذا بعد الموت ؟

إن هذه الاسئله ه فلا بد ان تأتي على انسان في اوقات السكون والهدوء . .
 يقول مصعب (لاروس) لاقرن العشرين " ان الفريزه الدينيه هشتوه بين
 الاجناس البشريه حتى اشدها هجيه واقربيا الى الحياه الحيوانيه . وان
 الاهتمام بالمعنى الالهي وبما فوق الطبيعه ه احدى النزعات العالميه الخافيه
 للانسانيه ."

ويضيف : ان هذه الفريزه الدينيه لا تختفي بل لا تضعف ولا تنبل
 الا في فترات الاسراف في الحضاره وعند عدد قليل من
 الألفاظ " (٢) .

(١) الدين — دكتور محمد عبدالله دراز ص ٨٤

(٢) La Resusse Du xixieme Siecle, Article Religion.

وأما الباحث هنرى برجسون يزيد على ذلك بقوله :

" لقد وجدت وتوجد جماعات انسانيه من غير علوم وفنون وفلسفات
واكنه لم توجد قط جماعه بخير ديانه " (١)

ويصح (بارتيلى سانت هيلير) بقوله :

" هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الانسان ؟
ما الحياه ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذى يجب ان يقود عقولنا فى اثناء
عبورنا فى هذه الحياه ؟ اى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياه ؟ هل
يوجد شىء بعد هذه الحياه المابره ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟
هذا العالم وهذا الانسان ؟ من اين جاء ؟ من صنعهما ؟ من
يديرهما ، ما هدفهما كيف بدءا ؟ ..

هذه الاسئله .. لا توجد أمه ، ولا شمس ولا مجتمع ، الا وضع
لها حلاولا جيده اورديئه مقبوله اوسخيفه ، ثابتة اومتحوله .. " (٢)
ويقول شاشاوان : " مهما يكن تقدمنا العجيب فى العصر الحاضر ..
علميا ، وصناعيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، مهما يكن اندفاعنا فى هذه
الحركه العظيمه للحياه العمليه ، وللجهاد والتنافس فى سبيل معيشتنا

Henri Bergson. Les Deux Sources (1)
De La Morle Et De La Religion p. 105
B.S.T. Hilaire, Mahomet et Le Coran (2)
P. XXXIV.

ومعيشه ذويها ، فان عقلنا في اوقات السكون والهدوء (عظاما كنا او متواضعين
 خيارا كنا ام اشرارا ، يحدود الى التأمل في هذه المسائل الأزليه : لم
 وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم ؟ والى التفكير في العلل الاولى او
 الثانيه وفي حقوقنا وواجباتنا " (١) .

يقول الدكتور (ماكس نوردوه) عن الشعور الديني : " هذا الاحساس
 أصيل يجده الانسان غير المتمدن ، كما يجده اعلی الناس تفكيرا ، واعظمهم
 حدسا . . . وستبقى الديانات ما بقيت الانسانيه ، وستتطور بتطورها وستجواب
 دائما مع درجه الثقافه العقلية التي تبلغها الجماعه " (٢) .

يقول سالمون اريناك : " ليس امام الديانات مستقبل غير محدود فحسب بل
 لنا أن نكون على يقين من انه سيبقى شيء منها ابدا ، ذلك لانه سيبقى
 في الكون دائما اسرار ومجاهيل ، ولأن العلم لن يحقق ابدا مهمته على
 وجه الكمال " (٣) .

و يقول ارناست رينان (Renan) في تاريخ الاديان :

" ان من الممكن ان يضمحل كل شيء نحيه وان تبطل حريه استعمال
 العقل واللم والمصنعه . . . ولكن يستحيل ان ينحى الدين . . . بل سيبقى

- Chachoin, Evolution Des Idees Religieuses p. 158 (١)

- Max Nordau, Reponse au Mercure^(٢)
 De France Paris 1908 .

- Salomon Reinach, Orpheus, p. 35-6^(٣)

وقال : ﴿ وان من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ (١)

وقال : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت ﴾ (٢)

هذه هي تقارير العلماء ، وهذه هي النصوص القرآنية تتفقان على أن الألحاد غير أصيل في الفطرة الانسانية فقد آن الاوان ان نسمح الى شهادته التاريخ ابتداء من الحضارة الاغريقية وانتهاء بالجاهلية العربية نسمح ذلك لنصل الى نتيجة واحدة ، وهي : ان الألحاد الحديث لا مثيل له في التاريخ الانساني العام

ان الألحاد فيما عبر من الزمان ، كان مزاجا شخصيا ولكن هؤلاء الملاحدة المعاصرين جعلوا العلم سندا للألحاد وأقاموا له دولته بل دولا تحميه بالحديد والنار ، وليست روسيا الشيوعية الا نموذجاً من هذه الدول الألحادية .

(١) سورة فاطر : آية : ٣٥

(٢) سورة النحل : آية : ١٦

ظروف عامة

١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

ساعدت على قيام دولة الاتحاد في الأرض

١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

اول ملخص يصفه التاريخ في العهد اليوناني

رأينا في الصفحات الماضية ان التدين هو لمصوم جميع الأمم . ولكن لا يعني ذلك عمومه لكل افرادها ، فانه لا يخلو أمم من وجود ذاهليين يحسبون الحياه لهوا ولعبا ويتخذون الدين وهما وخرافه ، لكن هؤلاء دائما كما قلنا - هم الأقلون في كل أمم . وحتى في عصور اليونان المتسمه با لحركات العلميه الواسعه والفلسفات المطلقه الحره التي في حريتها لم تعرف الحدود كان القول بانكار وجود الله تعالى ، لا يكاد يسمح لـه صوت بين الفلاسفه والمفكرين ورجال السياسه والحكم . (١)

(٢)

من هؤلاء الذاهليين يذكر لنا التاريخ الفيلسوف اليوناني "ديمقريطس"

(١) كيف نحارب الالحاد ، محمف باشمول ص ٦ الطبعه الاولى .

(٢) ترجمه (ديمقريطس) تقول الموسوعه العربيه الميسره ص ٨٣٧ ان
 يمقريطس ٣٦٠ - ٢٧٠ قبل الميلاد ، فيلسوف يوناني يرى العالم
 مؤلفا من ذرات متجانسه في طبيعتها ، لكنها مختلفه حجما وشكلا
 وثقلا ، ولا تدرك بالحواس ، ولا تنقسم ، ولا تفنى ، وتتحرك دائما ،
 فليلتصق بعضها بعضا وتتكون الاجسام . وقد تدرك الحواس اختلافات
 في الكيف بين الاشياء . لكن " كيف " الاشياء كلها متجانس ، واختلافها
 راجع الى فروق كميته ناشئه عن توزع الذرات التي تتألف منها . ولهذا
 فلا يركن الى الحواس في ادراك حقائق الاشياء . بل يركن الى العقل
 وغايه الحياه عنده هي السعاده ، متحققه بالسكينه النفسيه ."

المعروف بصاحب المذهب الذري ، وان كان قد سبقه في تأسيس النظرية الذرية
استاذة (لوسيبس) الا انها كثيرا ما تنسب اليه .

ان هذا الفيلسوف كان ممن تبني مذاهب الالحاد وانكر وجود الخالق
سبحانه ومن شيعته الفيلسوف اليوناني " فيلوخوس " (١) الا انه اقل شهرة
من (ديمقريطس) . واليك مجمل آرائه في انكار وجود الخالق :

يقول : " ان الكون يتألف من عدد لا يتناهي من الذرات (Atomes)
وهي متشابهة متجانسة ازليه ابدية ، متحركة بذاتها ، في فراغ ، ومن
حركاتها واختلافاتها تكونت الاشياء ، وتكون العالم بأسره .

اما اختلاف صفات الاشياء فناتج عن اختلاف تلاقى هذه الذرات وتألفها
واوضاعها في الجسم ، واختلاف الناظر اليها ، وبما جتسه على انها ازليه ابدية
متحركة ، هي ان الوجود لا ينشأ من اللوجود ، كما ان الوجود لا يصير الى
اللوجود ، ولولا وجودها في فراغ لا تمتعت عليها الحركة ، وقد انتهي
الى القول : ان في الكون حقائق اوليه ثلاثا وهي : الذرات والفراغ والحركة

(Les Atomes, Le vide, Le Mouvement) (٢) (٣)

" وقد زعم هذا الفيلسوف بكل وقاحة ، ان ما في هذا الكون من بدائع الصنع
وروائع التجهيز والتركيب في الانسان والحيوان والنبات ليس من صنع الله تعالى وانما
هو نتيجة الحركة الذاتية المطبوعه في المادة والتي لا اول لها " (٣)

(١) الملل والنحل شهريستان ج ١ ص ١٥٩ سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م

(٢) راجع كتاب قصة الايمان بين الفاسف والمقام والقرآن ، تأليف الجسرة في طرابلس ص ٣٥

(٣) راجع كيف نحارب الالحاد ، محمد محمد باشميل ص ٦

وقد يقول ارباب النظره المتسارعه ، ان المذهب الذرى ليس فيه الحاد ، وانما هو بيان لكيفية الخلق ، قد يكون هذا من الله كما يقول المؤمنون .
وقد يكون ايضا من الماده كما يزعم بذلك الملاحده .

فنحن نبادر هؤلاء فقول : ان موضع الاحاد فى قول هذا الملحد الاول الاغريقى ، لا يمكن فى تصريحه بان الكون مؤلف من ذرات متجانسه تتلاحم حسب هذا التجانس بل فى قوله : " ان الحركه المطبوعه فى الماده هى الخالقه الصائمه المدبره " ان هذا بلا شك - الحاد كما حققنا ذلك فى مبحث التصريف اللغوى لكلمه الاحاد .

هذا ما يؤكده الشيرستان بقوله : " وانما شنع عليه الحكماء من جبهه قوله : " ان اول مبدع هو العناصر ، وبعدها ابدعت البسائط الروحانيه فيهبويرتقى من الاسفل الى الاعلى ، ومن الاعلى كدرا الى الاصفى " (١) .

هكذا وصلنا الى النتائج التاليه :

(١) - ان هذا الفيلسوف هو الملحد الاول فى التاريخ اليونانى ، الذى استطاع ان يخرج الفكره الاحاديه من دائره الموج الفكرى حتى صار علما يدرس .

(٢) - فكان هذا هو النواه الاولى للفكر الاحادى الذى قام على انكار وجود الله تعالى .

فما أحسن ما قاله الاستاذ محمد أحمد باشميل في ذلك :

" وكان على رأس هؤلاء الملحدين الفيلسوف اليوناني (ديمقريطس) صاحب المذهب الذري . . . وهذا المذهب الذري (الديمقراطية) الموثق في القدم هو أساس المذهب الشيوعي وكل مذهب الحادي يقوم على انكار الخالق سبحانه وتعالى " (١)

(٢) ان الاحاد الاحمر الحديث لا مثيل له في التاريخ الانساني ، لأن المذهب الديمقراطي لم يكتب له البقاء حيث تصدى له فلاسفة يونانيون آخرون منهم (اناكساغورس) ففند رأي ديمقريطس في الضرورة الصماء وسفيتها وقال : ان هذا النظام المحكم لا يمكن ان يصدر الا عن عقل حكيم "

أول من فتح باب الفلسفة الروحية في اليونان

ولذا عدّ (اناكساغورس) أول من فتح باب الفلسفة الروحية ، وأتى برأي يحوم حول الحق ، وهذا ما جعل ارسطو يقول عنه انه أي (اناكساغورس) هو الوحيد الذي احتفظ برشده امام هذيان أسلافه . (٢)

(١) كيف نحارب الاحاد - محمد أحمد باشميل ص ٦

(٢) قصة الايمان بين الفلسفة والملم والقرآن - نديم الجبسر مفتي طرابلس

نقد المذهب الذري الديمقراطي

نود ، قبل ان تنتقل الى العهد الروماني ، ان نقف وقفه خفيه عند

قول الفيلسوف : " ان الطبيعه هي الخالقه المدبره " .

نقول هل يستطيع هذا الملحد ان يثبت بالمذهب الذري ان الله فير
وجوده ، الجواب لا ، اذن نقول ايضاً هل هذا الكون موجود ؟ فلا بد ان
يقول نعم !! لانه اثبت وجوده منذ ان كان ذرات متناثره حتى اصبح
كتاه متألفه .

نقول مره اخرى : اذا سلمنا بان هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده؟

فلا بد لهذا الفيلسوف واشياعه ان يثقوا امام اربعة احتمالات :

أولاً :-
_____ اما ان يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال ، وهذا يتعارض مع ما اثبتته

الفيلسوف نفسه لانه اثبت وجود ذرات متجانسه . .

اذن فالكون ليس وهماً بل هو موجود وجوداً حقيقياً . .

ثانياً :-
_____ اما ان يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم . .

ثالثاً :-
_____ اما ان يكون ابدياً ازلياً ليس لنشأته بدايه . .

ورابعاً :-
_____ اما ان يكون له خالق . .

اما الاحتمال الاول فلا يقيم امامنا ايه مشكله لان من يكذب وجود هذا العالم

يكذب ان يكون هو نفسه موجوداً . (١)

(١) راجع الوجود الحق ، الدكتور حسن هويدى ص ٨ ط : ١٣٩٨-١٩٧٨ بيروت

فقد فند هذا القول الفيلسوف الفرنسي الشهير (١) بقوله : (انا افكر
 اذن انا موجود) (Je pense, Donc, Je Suis)
 (72)
 ولا يحرف في التاريخ من يقول بهذا القول الا افرادا منهم السفطائيه في
 القديم وأما في العصر الحديث ، يقول (فرانك آلن) (٢) عالم الطبيعه
 البيولوجيه أن " سير جيمس جينز " (٣) العالم الطبيعي " يرى ان هذا
 الكون ليس له وجود فعلي ، وأنه مجرد صورته في اذهاننا " .
 ولا نرد على هذا الينديان اكثر من ان نقل : اننا نعيش في عالم
 من الاوهام .

فمثلا هذه القطارات التي نركبها وننسىها ليست الا خيالات . وبها
 ركاب وهميون . وتصير انهارا لا وجود لها وتسير فوق جسور غير ماديه .
 نقول ان هذا الرأي ، رأي وهو ايضا لا يحتاج الى مناقشه او جدال .

(١) وهو ديكارت ١٥٩٦ - ١٦٥٠ م واسمه رني ديكارت ، ولد بلاهي من
 اعمال مقاطعة " تورن " بفرنسا . المشهور بالفلسفه ثم غادرها فنال
 الاجازه في القانون .

راجع تاريخ الفلسفه الحديثه ، ليوستف كرم ص ٥٦
 (٢) فرانك آلن عالم الطبيعه البيولوجيه اخذ الماجستير والدكتوراه من جامعه
 (كورنل) استاذ الطبيعه الحيه بنجامعه (مانيتوا بكندا) من سنه
 ١٩٠٤ الى سنه ١٩٤٤ . الخ

راجع الله يتجلى في عصر العلم ص ٥
 (٣) سير جيمس جينز العالم الطبيعي هو انكليزي ١٨٢٧ - ١٩٤٦ .
 راجع الموسوعه العربيه الميسره ص ٦٨٣ .

وأما الرأي الثاني : فهو القائل : ان هذا العالم بما فيه من ماده وطاقه قد نشأ هكذا وحده من العدم ، فهو رأى من المضحكات المبكيات ، فلا يقل عن سابقه سخفا وحقاقه ، ولا يستحق هو ايضا ان يكون موضعاً للنظر في الأوساط العلمية . ومع ذلك سنوضح نقطه السخافه فيه حينما نتكلم عن الصدفة العمياء ..

وأما الرأي الثالث : هو الذى ينادى بوجود خالق لهذا الكون ، وقاله في عنصر واحد هو الأزلية ...

اذن نحن نسأل الفيلسوف اليونانى (ديمقريطس) : الى من تنسب صفه " الأزلية " ؟

الى عالم النيت ؟ او ننسبها الى اله حى يخلق ما يشاء ؟
ولكن لو أردنا ان نأخذ بالرأى الاول ، اى ان الذرات الصماء هى التى تستحق صفه الازليده اكثر من اله مدبر ، يقف امامنا العلم الحديث الذى يحبذونه وهو يقول :

(73)

" ان قوانين الديناميكا الحراريه تدل على ان مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا وانها سائره حتما الى يوم تصير فيه جميع الاجسام تحت درجه من الحراره بالغه الانخفاض هى الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقه وتستهيل الحياه ..

" ولا مخلص من حدوث هذه الحاله من انعدام الطاقات عندما تصل درجه حراره الاجسام الى الصفر المطلق

بعضى الوقت . . . " (١) أما الشمس المستمره والنجوم المتوهجه والأرض الخفيه بانواع الحياه ، فكلها دليل واضح على ان اصل الكون اواساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظه معينه ، فهو اذا حدث من الاحداث . ومعنى ذلك انه لا بد لاصل الكون من خالق ازلى ليس له بدايه علم محيط بكل شىء قوى ليس لقدرته حدود ولا بد ان يكون هذا الكون من صنع يديه . "

فعلى هذا التقرير العلمى الحديث ندرك ان الماده ليست ابدية ، ومعنى ذلك ايضا انها ليست ازليه .

كما ندرك ايضا ان ديمقريطس لا عيب فيه الا أن ايامه تقدمت على هذه العلوم الحديثه التى تنص بحفه قاطعه على ان بدايه الماده لم تكن بطيئه او تدريجيه - كما يدعيه المذهب الذرى الاديمقريطسى بل وجدت بصورة فجائيه .

فلندع " ايرفنج وليم " ليرد على سلفه فهو يقول :

" فعلم الفلك مثلا يشير الى ان لهذا الكون بدايه قديمه ، وان الكون يسير الى نهايه محتومه وليس مما يتفق مع العلم ان نعتقد بان هذا الكون ازلى ليس له بدايه ، او ابدى ليس له نهايه ، فهو قائم على أساس التفسير . . . " (٢)

(١) راجع كتاب الله يتجلى فى عصر العلم ، تأليف نخبه من العلماء الامريكيين بمناسبة السنه الدوليه لطبعمات الأرض ، اشراف (جون كلوفر مونما) ترجمه الدكتور الدمرداس عبد المجيد سرحان ص ٦ مؤسسه الحلبي وشركاه

للنشر والتوزيع ١٤ شارع جواد حسنى القايره .
(٢) المرجع السابق ص :

هذا كالم هولاء على كفرهم - ردوا على اسلافهم - اذ الايمان بالله
له مستلزمات لم يتم بها هولاء لشيء الا ان طمسهم بقوانين الكون اوصلهم الى
هذه الحقائق الخالده والثابته في كل فطره .

فهذا عالم طبيعي اخر وفيلسوف يرد على هذا المذهب الديمقريطسي
ايضا ان هذا العالم هو (ستانلى كونجيدن) (١) .

يقول : " والنظريات الماديه التي قدمها " ديمقريطس " وكذلك النظريات
المثاليه الصرف التي تفسر هذا الكون تفسيراً معنوياً خالصاً مما قدمه (اينتز)
و (بيركلي) و (هيغل) ، نقول : ان هذه النظريات الالحاديه جميعها
لا تمدوان تكون مجرد افتراضات تقوم على التخمين ولا تستند الى اي اساس من
البيحيه التجريبيه ولا بد لأى فلسفه تحاول ان تفسر الطبيعه
والكون من ان تختبر اولاً لمصرفه مدى قدرتها على تفسير سائر انواع الحقائق
والعوامل والعناصر التي يتألف منها هذا الكون او تظهر فيه " .

وأضاف (هولمهورتز) (Helmholtz) في احدى محاضراته
التي القاها عام ١٨٦٩ م والتي أسمت مشهوره :

" ان الهدف النهائي للعلم (الطبيحيه) تتمثل في اكتشاف الحركات -
(Motion) التي تكمن وراء كل تغيير والقوى الدافعه فيها " (٢) .
وقال ايضاً : " اذن فان النظرية الذريه (الديمقريطسيه) هي
اسطوره وليست بتجربه " (٣) .

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ١٨
(٢) تدهور الحضاره الغربيه تأليف اسوالد اشينفيلر ص ٣٠ ج ١
(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٧

ومن قبل قد ناقشهم القرآن الكريم مناقشه هادئه • ليس الملاحده اذا
 سمعه الا ان يسلم ويتوب الى الله تعالى •• ولكن الملاحده لهم قلوب لا يفقهون
 بها ولهم اذان لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها وهم أضل ممن
 حماراهم ••

يقول تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقتنا السموات
 والأرض ﴾

ان هذا الكلام ليس وراءه مفر للملاحده لانهم اثبتوا ان اصلهم ممن
 الذرات للسماء ••

نتقول لهم هل للذرات عقل ؟ فيقولون لا !

نتقول كيف يخلق غير العاقل شيئا يحقل ويفكر وينقل الا لاجيب ؟

اذا لم يكن لديهم جواب نتقل الى الخطوة الاخره وهي :

هل انتم المقلد الذين خلتكم هذا العالم فيقولون لا !

نتقول اذن من الذى خلتكم وما تعلمون ؟

اذا سكتوا نقول لهم : ذلكم الله ربكم ﴿ فالى الحب والنوى ﴾

وبيننا وذلك يفقد المذهب الذرى وزنه المستمار ويرجع (بقصد او بخير

قصد الى وزنه الطبيعي) •• انما بكل صراحه وصرامه ان المذهب الذرى الذى

انتم طينه الاوان من الملاحده ويعتمد عليه المتأخرون منهم : لا أساس

له من الصحة • لان الفطره السليمه (١) تكذبه والعلم الحديث يكذبه وقد
كذبه القرآن الكريم من قبل • وشيل الحمد لله رب العالمين •

(عود لبدء) وقبل هذه المناقشه كنا نتحدث عن الالحاد الحديث

من حيث كونه فريدا في اتجاهاته وقد رأينا في العهد اليوناني ان صيرت
الالحاد كما ان يكون مفقودا لولا هذا الفيلسوف (ديمقريطس) •

والان نود ان تنتقل الى العهد الروماني لنرى ايضا كيف كانت هناك

قيمه الالحاد والملحديين • اكانت لديهم دوله ام كانوا افرادا منحرفين ، هل كتب
لهم البقاء على الحادهم ، ام تصدى لهم فلاسفه آخرون فأهالوا التراب على
منذهبهم السخيف ؟

وفي الصفحات الاثني نحاول الاجابه عن هذه الاسئله ان شاء الله

تمالى ...

(١) كما كذبهم امثال سقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم : فيهؤلاء هم اشير
فلاسفه اليونان وان كانوا قد خلطوا اصول القول بقدم العالم وتخطى ال
الحدود في الحديث عن كنه الباري سبحانه غير انهم دائموا دلتا على
مجيدا عن ذكره وجود الباري سبحانه حتى قضوا على المذهب الذرى •

الصيهد الرومانى

وأما الصيهد الرومانى — كما تفهيدنا المعطيات التاريخية الموثوق بها (١) —

ان صوت الالحاد كان مختلفيا طيله عهد الفلسفه اليونانيه ولم يكتب لهذا المذهب
السخيف الظهور الا فى الصيهد الرومانى على يد الفيلسوف الرومانى (لوقريطس) (٧٤)

الذى حاول فى اوائل القرن الاخير قبل الميلاد ، احياء هذا المذهب الذرى

السخيف ، فكان يردد مزاعم ديموقريطس •

ومن مزاعمه التى سجل عليها التاريخ ما يلى :

• ان الروح والمقل وكل ما فى الكون انما هو نتاج مادى بحت • وعلى

هذا الاساس انكر ان يكون هناك خالق •

ثم ان هذا المذهب لم يكتب له البقاء بحيث تعرض لمقاومه عنيفه من قبل

الفلاسفه الذين كانوا يدينون بالفلسفه الافلاطونيه ، قاوموه حتى انقطع صوته

وانتصر الحق •

وهكذا راينا ان الالحاد لم يكن له سند فى الصيهد الرومانى يستند

عليه ، ولم يكن له انصار ينصرونه وما كان منتصرا •

(١) كيف نحارب الالحاد — محمد احمد باشمبيل ص ٨

الملل والنحل لشيرستان ج ٢ ص ١٦٠

المعهد الجاهلي

اختلف آراء الباحثين الاسلاميين في وجود ملحدين في المعهد الجاهلي
الى رأيين اساسيين : رأى ينفي ، ورأى مثبت .
أولا : الرأى النافى :

ان الباحث محمد احمد باشميل يرى في كتابه (كيف نحارب الالحاد)
ان الالحاد لم يكن له صوت في جميع عصور الجاهليه العربيه .
وهو كد قوله هذا بان الالحاد لم يوجد قط في جميع عصور الجاهليه الوثنيه
بين مختلف الأمم ابتداء من ايام نبي الله نوح عليه السلام الى ايام الجاهليه
العربيه . . (١)

هكذا ذكر بدون ان يستدل بآيه او حديث او غيرهما . .

ثانيا : الرأى المثبت :

ان القائلين بوجود ملحد وزنادقه في المعهد الجاهلي كثيرون نختار منهم
ثلاثه علماء لشهرتهم في الاوساط العلميه :
أ - الشيخ الشهرستان ^(٧٦) : انه من القائلين بوجود ملحدين في المعهد الجاهلي
فهو صحح بالكلمات التاليه :

* فصنف منهم (العرب) انكروا الخالق والبعث والاعاده وقالوا بالطبع
المحي والدهر المبنى وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد :
* وقالوا ما هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا *

(١) كيف نحارب الالحاد ، محمد احمد باشميل ص ٨

- اشاره الى الطباع المحسوسه في العالم السفلى ، وقصرا للحياه والموت على تركيبها وتحليلها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر : * وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون * (١)
- ان هذا التفهيم الواضح الذي لا يحتاج الى اى تعليق ، يشير الى ان العرب كان ملهم منكرون وجاحدون ..
- ب- أبو حامد الغزالي : انه كذلك يثبت وجود منكرين في الجاهليه العربيه فهو يقول في كتابه " المنقذ من الضلال " ما يلي :
- " .. منهم من جحد الصانع المدبر العالم القدير ، وزعموا : ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل للحيوان من النطفه ، والنطفه من الحيوان كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا .. وهو لا هم الزنادقه " (٢) .
- ج- الشيخ عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر المرحوم ، انه اثبت بشكل واضح ان هناك في الجاهليه العربيه من كان ينكر وجود الله سبحانه وتعالى كما وجد فيهم من تزندق .. هرى ان ذلك مستورد من الحيره الى قريش . نقل ذلك عن ابن قتيبه من كتاب المعارف .. ويضيف أيضا :
- " والحق ان جزيره العرب لم تكن - كما يظن عادة - بمنأى عن التفكير الدينى القوى انكارا ووجودا او اثباتا وتأهيدا " (٣) .

(١) الملل والنحل الشيرستان ج ٣ ص
 (٢) المنقذ من الضلال ، أبو حامد الغزالي ص ١٥ مكتبة الحرم المكي تحت الرقم ٩٨١
 (٣) التفكير الفلسفى فى الاسلام د . عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر ص ٦٤ .

وهكذا رأينا ان العهد الجاهلي قد وجد فيهم من ينكر الصانع
ولكنهم كانوا دائما قليلين .

والذي ينبغي ان يقال هو : ان الالحاد لم تكن له دولة في اليهود
الوثنية ولم يكن هناك " علماء " يدافعون عنه ويحفظون له سندا علميا
كما هو الحال في الالحاد الحديث ، ولكننا اذا نفينا ذلك بتاتا نتعارض
مع المصطلحات التاريخية الثمينة ...

اذن فالذي يصر اليه من الرايين هو الرأي المثبت لظهور أدلته
مؤيد . . . والله أعلم .

في عهد الكنيسة

وفي ظل سلطان الكنيسة في اوربا ظل صوت الالحاد منقطعا انقطاعا كاملا حيث كان البطش شديدا بالعلماء الذين لمسوا ملحدين ، وانما ظن الرهبان ان في اقوالهم ما ينزع الى الالحاد او يجر الى الكفر كالعالم الايطالي (غاليليو) واضرا به . . . الامر الذي جعل الجهر بالالحاد وانكار الخالق سبحانه وتمالي مستحيلا طيله عهد الكنيسة .

يقول برنتن :

" لم يكن يوسع الكثيرين من افراد المجتمع الغربي ان يحترضوا صراحه وجماعه بالالحاد او اللادريه او بمذهب الاتصال بالله او بآيه عقيدته اخرى غير المسيحيه الا خلال القرون القلائل الاخيره وقد كان الكفار الذين يجاهدون بكفرهم قلة نادره في الالف سنه التي استغرقتها القرون الوسطى . ولما كان الناس جميعا مسيحيين فلم يكن هناك مفر من ان تكون المسيحيه هي كل شيء لكل الناس ، فلقد كان القديس فرانسيس ورازمس ولويولا وميكا فيلي وباسكال ووزلي ونابليون وغلاستون وجون روكفلر جميعا مسيحيين " (١) .

والامر كما قال برنتن . ان شده البطش على العلماء من قبل الكنيسة لا يعني ذلك انه ليس هناك من يدين بالالحاد . فالذي لا جدال فيه هو ان هناك افرادا من الفلاسفه والمفكرين (في اوربا) كانوا يمتنقون الالحاد مذهبيا لهم فوضعوا له القواعد والاسس .

(١) يراجع كتاب افكار ورجال من تاليف برنتن ص ٢٠٧ .

بل ارادوا احياء المذهب الذرى الديمقراطى الذى اخفى بسيد

عميد داويل *

الا انهم كانوا يتكلمون (تكما شديدا على زعمائهم الالحاديه فصاروا
لا يتركون عن مذاهبيهم الالحاديه الا شيئا فشيئا وشمسيا مع تقلص سلطانه
الكنيسه الزميه فى اوربا *

وقد حفظ لنا التاريخ اسما هؤلاء الفلاسفه الملاحده الذين قالوا

ان الحادهم قائم على اصول علميه كأمثال :

(79) (80)

الفيلسوفين : (بخنر وهغل) فى المانيا

والفيلسوفين : (هيدسون تتل وتوماس هكسلى) فى انكلترا

والفيلسوفين : (لامارك ولينيه) فى فرنسا

الا ان اراء هؤلاء الفلاسفه الملاحده - كما قلنا - ظلت اراء فرديه

لم يشغل نفسه به الا المرضى الذين تعطلت فيهم اجهزه الاستقبال الفطرى *

وهكذا كانت الافكار الالحاديه (مجرد فكره) فى اذنيه هؤلاء

الافراد ولم تصل ابدا الى مستوى الشعب او مستوى الحكومه واستمرت الحال

كذلك حتى وقمت الطامه الكبرى ، القاصمه التى تم بها الفصل بين الدين

والدنيا .. بين السياسه والعقده او بين الكنيسه والمجتمع وانقطع - نهائيا -

ما بين التصور الاعتقادى والنظام الاجتماعى على يد كارل ماركس

اليهودى *

أوروبا المادية

فأصبح الناس في أوروبا بهذا الفصل الزكدي - يبدون المادة لا النصرانية
 كما يشهدنا المثال من فوق، النفسية الأوروبية واتصل : (أوربيون) كالمادة
 المادية • بل وعن كتب أيضا •

فأصبحت كائنات هذا " الدين الجديد " المصانع الضخمة
 ودور السينما والمختبرات الكيميائية ودور للرقص ومراكز إيد الكهراء • وأما كينتورا
 فيسبب رؤساء المصارف والمهندسون والمثلاث وكواكب السينما وأقطاب الشهرة
 والصناعة والطيران •

وصارت هذه الحضارة لا يوجد في نظامها الذي موضع الله • ولا تعرف له
 فأنه ولا تشعر بحاجة إليه •

وهذه هي شهادة أحد كبار المعلمين في " لندن " وكتاب الانكليزية
 البارزين • هو الاستاذ جود (Jod) رئيس قسم الفلسفة وطام النفس
 في جامعة لندن في كتابه *Guide to Modern Wickedness* (1)
 -1955

يقول : " سألت عشرين طالبا وتلميذه كلهم في أوائل العقد الثاني من
 أعمارهم كم منهم مسيحي بأي معنى من معاني كلمة فلم يجب بـ " نعم " إلا
 ثلاثة فقط •

قال سبحانه منهم : انهم لم يفكروا في هذا المسألة أبدا • أما المشركه
 إليانته فقد صرحوا انهم معادون للكنيسة •

(1) راجع كتاب ماذا خسرت العالميات " " سامويل وليم الحسبي الثاني •

وبهذا نصل الى النتائج التاليه :

- (١) رأينا العهد اليوناني والروماني والعهد الجليلي والكنسي
كان صوت الالحاد / ^{هناك} لا يكاد يسمع / ^{أبدا} ان دل هذا على شيء فانما يدل على
ان الالحاد الذي حصل في اوربا الحديثه الحاد فريد في نوعه .
- (٢) ان اوربا كانت يوما صاحبه الديانه لديها نفوذ وقوه ومنعه
نكيف تحول الناس من هذه الديانه الى اعتناق المذهب الالحادي ؟ وقامت
القيامه ضد هذه الديانه ؟ فارتفعت الصيحات هنا وهناك تقول :

" اشنقوا آخر ملك .. بامعاء آخر قسيس "

وتقول :

دعه يمر ! (Laissez passer)

دعه يفعل ! (Laissez Faire)

وهذا العجب الذي جعلني اخترت ان يكون موضوع الباب الاول كالتالي :

" لماذا أهد الناس في اوربا الحديثه ؟ "

والصفحات الاتيه تعتبر اجابه عن هذا السؤال ، والله الموفق ،

وبالاجابه جدير ، والصلاه على النبي الكريم .

هواشى و تعريفات

(١) الطبرى ابو جعفر محمد ابن جرير (٨٢٩ - ٩٢٣) مؤرخ ومفسر وفقه ولد في طبرستان ثم اقبل على الدرس وحفظ القرآن صغيرا . . وزار عددا من البلدان الاسلامية طلبا للعلم منها : سوريا ومصر وبغداد والبصرة والكوفة . . وكان على مذهب الشافعي وعارض الحنابلة . . وحاول ان يكون له مذهب خاص . . وهو (الجريرية) واشهر كتبه : تفسيره

(جامع البيان في تفسير القرآن) (وتاريخ الرسل والملوك)

(٢) عبدالله بن عمر (٦١٢ - ٦٩٢) اكبر ابناء عمر بن الخطاب . .

شقيق حفصة ولد في مكة قبل الهجرة بسنتين اسلم مع والده اشترك في معظم الغزوات الا بدرا لصفر سنة . . عاون الخلفاء الاربعة في السلم والحرب . . وله سعة المام باخبار النبي صلى الله عليه وسلم وعاش طويلا . . عرف بالصلاح والزهد والتقوى .

(٣) الشحيح : هو البخل مع الحرص لسان ج ٢ ص ٤٩٥

(٤) الازهرى خالد بن عبدالله (١٤٢٤ - ١٤٩٩) نحوى ولد

بجرجا بمصر ومات بجوار القاهرة التي نشأ بها . . درس بالازهر واشتغل بالتعليم ببعض المساجد شرح على الاجرومية وكتب كثيرة وتفسيرية

* فلا اقسام بمواقع النجوم *

(٥) عبدالله بن الزبير (٦٢٣ -) قائد عربي اشترك في

غزوة القسطنطينية التي جهزها معاوية ٦٧٠ . . ولما قتل الحسين ثار عبدالله في الحجاز . . ثم بويح له بالخلافة وولى الولاية . . ولما توفي يزيد ٨٤/٨٨٣ كانت له اكثر البلاد الاسلامية ما عدا الشام . . حاصره الحجاج بن يوسف الثقفي بمكة ستة اشهر ثم قتل وارسل الحجاج رأسه الى الخليفة (عبد الملك) .

(6) اللات احد اصنام العرب الكبرى ، يرمز للشمس له معبد بالطائف

وصنم في الكعبة أبيض الصنم والمعبد بعد فتح مكة

(7) مناة صنم اسود كبير بين مكة والمدينة يرمز لالهة الفضاء

او الهة الموت كانت الاوس والخزرج تعظمه وتحمله الذبائح ؛ عدفن الجاهلية مع اللات والعزى بنات الله . ابيد بعد فتح مكة .

(8) العزى : اعظم اصنام قريش كانت تزوره وتحمله الذبائح

في مكة والطائف ثم كلف النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بهدم معبده بعد فتح مكة ..

(9) صاحب المعجم الفلسفي .

(10) سبقت ترجمته في هامش صفحة ٢١

(11) نيوتن ، سيراسحاق (١٦٤٢-١٧٢٧) فيزيقي انجليزي

عين استاذ بجامعة كمبريدج (١٦٦٩-١٧٠١) من اعظم علماء القرن ١٨ في الفيزيكا والرياضة .. غلد ذكره باكتشاف ناموس الجاذبية العامة وبتحليل النور اختير لمنصب رئيس الجمعية الملكية بانجلترا تقديرا لاعماله ..

(12) لا بلاس (١٧٤٩-١٨٢٧) من مشاهير علماء الفلك الفرنسيين

صاحب الرأي السائد ان العالم تكون في بدئه كرة ضبابية انفجرت وصدرت منها الاجرام السماوية ومنها ارضنا .

(13) دارون تشارلس روبرت (١٨٠٩-١٨٨٢) عالم طبيعي انجليزي

درس الطب برغبة ابيه ولكنه كان يفقد الميل نحو هذه المهنة وبدأ يدرس العلوم في كيمبردج .. قام برحلة بحرية مدة خمس سنوات على الباخرة (بيحل) حيث وصل الى فكرة التطور العضوي من اصل واحد ، ان الانسان نهاية التطور الحيواني .

(14) باستور لوتقخ فريهوفون (١٨٥٤-١٩٢٨) مؤرخ المانسي

مؤلف الكتاب الضخم " تاريخ البابوات من ختام العصور الوسطى " ٣٤ مجلد :

١٨٩١-١٩٤٢ سمح له الفاتيكان الاطلاع على وثائق كانت مجهولة ..

(١٥) البيولوجيا ؛ (علم الاحياء) علم الكائنات الحية و يقسم الى علمي النبات والحيوان ويتضمن على كل من هذين القسمين علوم الخلية والانسجة والتشريح والمرفولوجيا (علم التركيب) والفسولوجيا (علم الوظائف) وعلم الاجنة وعلم البيئة وعلم الوراثة والتطور وعلم الاحافير وعلم التصنيف والميكرو-بيولوجيا : لفظ مستحدث يطلق على الدراسة العلمية للكائنات المجهرية التي تشمل البكتريا والطحالب وغير ذلك وتقدم ادراكه البيولوجي منذ الاغريق واجدوا بالذکر اوسطو حتى اخترع المجهر في القرن ١٦ فتقدم الى ابعد مدى .

(١٦) جود سيرل ادوين (١٨٩١ - ١٩٥٢) فيلسوف انجليزي عقلي المذهب حاضر وكتب باسلوب واضح فجعل الفلسفة في متناول فيسري ذي الاختصاص ..

(١٧) أوروبا : قارة (مساحتها مع الجزر المتاخمة ١٠٢٦٠٠٠٠ كم^٢ وتعدادها ٥٥٠٠٠٠٠٠ نسمة) يفصلها عن اسيا جبال اورال ونهر اورال وبحزوين والقوقاز والبحر الاسود والبوسفور والدردينيل .. وعسنى افريقيا البحر المتوسط ومضيق جبل طارق ويحدها شمالا المحيط المتجمد الشمالي .. وغربا المحيط الاطلنطي ..

(١٨) انجلترا : مساحتها ١٣٠٨٠٠ كم^٢ وسكانها ٤١٦٤٧٩٣٨ نسمة وكانت تسمى بريطانيا العظمى لكونها انذاك تتكون مع ويلز واسكتلندا وشمال ايرلندا .. وحكومتها برلمانية .. وعاصمتها (لندن) وديانتها المسيحية .. وكانت انكلترا في القرن ١٩ تقود العالم في صادرات السلع المصنوعة .. وفيها ١١ جامعة اعظمها واقدمها جامعة اكسفورد وكمبريدج ..

(١٩) جمهورية فرنسا : ٥٥٠٨٩٣ كم^٢ و ٤٥٨٤٠٠٠٠ نسمة وتشمل ٨٩ قسما اداريا وعاصمتها (باريس) ويغلب على فرنسا الثقافة اللاتينية والدين الكاثوليكي .. ويرجع الفصل بين الكنيسة والدولة الى الصراع الذي دار فآدى ذلك الى قيام الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩م ١٩٠٥-١٩٠٦م

(20) العدسة : قطعة مستدير من الزجاج ذات انحناء في احد
سطحيها او في كليهما تحدث انكسارا للاشعة الضوئية الساقطة على احد
وجهيها وتستخدم العدسات في الات التصوير الضوئي . .

(21) ابن سينا (٩٨٠ - ١١٣٧) ولد في اخشنة قرب بخارى
وتوفي في همدان حساب وطبيب ومن كبار فلاسفة العرب وائمة مفكرينهم
تضمن في درس فلسفة ارسطو وتأثيرا ايضا بالافلاطونية الجديدة قائلا بوجود
العقل الكلي الا ان اراءه في الخالق لا تخلوا من شس من الحلولية
الافلاطونية . من مؤلفاته المطبوعة : " القانون في الطب " و " الشفا " و
" الاشارات والتنبهات " و " كتاب النجاة " .

ولا يزال قسم من تاليفه مخطوطا في خزائن الكتب . وظلت كتبه الطبيعية
عماد الدراسة في كليات الطب في اوربا قرونا عديدة . . راجع شمس
العرب تسطح على الغرب ص ١٠٨

(22) الرازي ابوبكر (٨٦٤ - ٩٢٥) طبيب وعالم ولد في الري . .
اهتم بالموسيقى والغناء ثم نبع في الطب والكيمياء تولى رئاسة بيمارستان
بفخدان ومات في مسقط رأسه . . كان اول من فرق بين الحصبة والجدرى واكتشف
زيت الزاج (حامض الكبريت) واستخرج الكحول من مواد نشوية وسكرية وابتكر
الفتيلة في الجراحة الف اكثر من مائتي كتاب اهمها : " الحاوي " وهو
موسوعة في الطب استند فيها كثيرا على التجريب والاسرار والجدرى والحصبة
راجع المرجع السابق ص ٢٠٣ .

(23) جلادستون وليم ايوارث ١٨٠٩ - ١٨٩٨ سياسي بريطاني
كان الشخصية المسيطرة على حزب الاحرار ١٨٦٨-١٨٩٤ وخطيبا وحجة
في الشؤون المالية . . كان وكيل وزارة الحرب والمستعمرات ١٨٣٤-١٨٣٥ . .
عين رئيسا للوزراء اربع مرات . .

(24) بيكن روجر فيلسوف انجليزي وعالم تعلم في اكسفورد وباريس

وعلم في اكسفورد اتقن العميرية ليدرس الانجيل واليونانية ، ليدرس ارسطو
والعميرية لصلته بالعمرب ، ، نسب اليه اختراع البارود واول من فحص عن الخلايا
بمجهر . . وهو صاحب المذهب التجريبي راجع الموسوعة ص ٤٦٩

(25) هارون الرشيد ٧٨٦ - ٨٠٩ خامس الخلفاء العباسيين واولهم

شهرة ابن الخليفة المهدي ثالث خلفاء بني العباس امه الخيزران حبيبة
ثاني او تسع مرات وغزوات غلب نيقيفورس ملك الروم وحال شارل الكبير
ملك الفرنجة .

(26) شارلمان (شارلمان الكبير او شارلمان الاول) ٧٤٢ - ٨١٤

امبراطور الغرب ٨٠٠ - ٨١٤ ملك الفرنجة هو اكبر ابناء بني القصور وحفيد
شارل مارتل اقتسم مع اخيه كارلومان حكم المملكة بعد وفاة ابيه وعندما توفي
كارلومان ٧٧١ نودي بشارل بمفرده ملكا على الفرنجة . . راجع الموسوعة
ص ١٠٦٦ حالف هارون الرشيد على خلفاء الاندلس الامويين . .

(27) المجسطى : كتاب للبطليموس مؤلف من ثلاثة عشرة مقالة .

اول من عنى بتفسيره واخرجه الى العميرية يحيى بن خالد بن برمك ثم فسر
أبو حسان وسلم لبيت الحكمة والى غير ذلك راجع شمس العرب ص ١٨٠

(28) هو ابو محمد بن جابر بن سنان الرقي ، وكان اصله من حران

صابيا وابتدأ الرصد ، على ما ذكره جعفر بن المكثفي انه سأله فاخبره انه
ابتدأ في سنة اربع وستين ومائتين الى سنة ست وثلاثمائة واثبت الكواكب الثابتة
في رجب سنة تسع وتسعين ومائتين . . ثم جاء الى بغداد فلما رجع
مات في طريقه بقصر الجبي سنة ٣١٧ وله من الكتب كتاب الزيج وكتاب معرفة
مطلع البروج فيما بين ارباب الفلك راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب

(٢٩) عمر بن العاص ٥٧٥ - ٦٦٣ قائد عربي اذن له عمر بن الخطاب في فتح مصر . انتصر في معارك صدر الاسلام و فلسطين انتصر على الروم في العريش والفرما ٦٤٠ و بلبيس وأم دنين ثم هزمهم ببابلين ٦٤١ حاصر الاسكندرية وفتحها عنوة وترك بها حامية ، افتتح بركة وطرابلس ارسل نافع ابن عبد القيس الفهري لفتح النوبة لتأمين مصر من الجنوب . . اسس مدينة الفسطاط وبنى فيها جامعته المعروف فكان اقدم الجوامع في افريقيا وحفر خليج امير المؤمنين من النيل الى القلزم وشيّد مقياسا للنيل . عزله عثمان عن ولاية مصر ٦٤٦ فعاش مدة بفلسطين ولما ولي معاوية الخلافة اعاده ٦٥٩ الى ولاية مصر بعد ان غاب عنها ١٢ سنة وتوفي بها الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٣٨

(٣٠) اثينا : مدينة تاريخية في سهل اتيكاً زعيمة الحضارة والديمقراطية في العالم الاغريقي القديم وعاصمة اليونان اليون (عدد سكانها وهدها ٥٥٩٢٥٠ نسمة ومع مينائها بيرايوس وعدة ضواحي ١٤٢١٣٦٨١ مركزها الثقافي والديني فيها الكنيسة الارثوذكسية اليونانية . .

(٣١) بيمارستان : كانت البيمارستانات في العهد الاسلامي دورا للعلاج ، ومكانا لتدريس الطب . . انشأ الوليد بن عبد الملك اول بيمارستان بدمشق حوالي ٧٠٧ واجرى الارزاق للمرضى وامر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا . . وفي صدر الدولة العباسية بنى المنصور دورا للعجزة والايتم ، واخرى لمعالجة الجنون . وانشأ الرشيد بيمارستانين وفي نهاية القرن التاسع بنى الخليفة المعتضد بيمارستانا ببغداد وفي سنة ٨٧٢ بنى ابن طولون بيمارستانا بالفسطاط . . وشرطانه اذا جيء بالعليل فرش له . . والبس ثيابا ويغدى عليه ويراح بالادوية والاغذية والاطباء حتى يبرأ . وكانت فيه خزانة كتب تحوى ما يزيد على مائة الف مجلد في سائر العلوم وهكذا انشئت البيمارستانات كثيرة حتى انشئ اول مستشفى بالاندلس سنة ١٣٠٥ بمدينة غرناطة ثم في الشام .

وكان العرب اول من اخترع المستشفيات المتنقلة منها ما كان يحمله على اربعمون
جملاً راجع الموسوعة ص ٤٧٣

(٣٢) الفرغاني : فلكي ارسله الخليفة المتوكل الى الفسطاط (القاهرة)

لينظره بناية مقياس النيل ٨٦١ . له " جوامع علم النجوم والحركات السماوية "

نقل الى اللاتينية والعبرية وله ايضا كتاب " في الاسطرلاب " وهو آلة يقيس

بها الفلكيون ارتفاع الكواكب (راجع شمس العرب ص ١٩٥) .

(٣٣) الكندي : ابو يوسف يعقوب ولد في الكوفة لقب " بفلاسفة

العرب " تعلم في البصرة وبغداد واقام في بلاد انديا وترجم بالعربية

مؤلفات اليونان التي نقلت من ثم الى اللاتينية كان حجة في علم الفلك .

وكان من المعتزلة توفي ٨٢٣ ، المرجع السابق ص ٢٠٠

(٣٤) الخوارزمي : قال ابن النديم " اسمه محمد بن موسى ، بأصله

من خوارزم وكان منقطعا الى خزانة الحكمة للمأمون وهو من اصحاب علوم الهيئة

وكان الناس قبل الرصد ويعده يعولون على زيجه الاول والثاني ويعرفان

بالسند هند . وله من الكتب : كتاب الزيج نسختين ، كتاب الرخامة ، كتاب

العمل بالاسطرلاب ، كتاب عمل الاسطرلاب كتاب التاريخ "

(٣٥) عبدالرحمن الصوفي : ٩٠٣ - ٩٨٦ ولد في الري من كبار علماء

الفلك والتنجيم اتخذه عضد الدولة البويهبي الفلكي معلما لمعرفة مواضع وحركات

النجوم الثابتة . . من مؤلفاته " الذكرة ومطاح الشعاعات و " رسالة في

الاسطرلاب " المرجع السابق ص ٢٠٠

(٣٦) ليوناردو دافنشي ١٤٥٢-١٥١٩ فنان ايطالي امتاز بالبناء

والهندسة والموسيقى وخاصة بالتصوير صاحب صورة العشاء السرى الشهيرة .

(٣٧) ابن الهيثم : هو ابو الحسن ابن الهيثم ٩٦٥ - ١٠٣٩ ولد في

البصرة من علماء العرب في الرياضيات والطبيعيات وفلسفة ارسطو . من مؤلفاته :

" المناظرة " كان له اثر كبير في معارف الغربيين وكيفيات الاطلاق و " في

المرآيا المحترقة بالدوثر " وفي مساحة الجسم المكافئ " نقلها الافرنج الى

لغاتهم .

(38) البيروني ؛ ٩٧٣ - ١٠٤٨ هو محمد بن احمد البيروني ابو الريحان ، ولد بضاحية خوارزم مؤلف عربي من اصل فارسي درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهندية .. من مؤلفاته " كتاب الصيدلة في الطب كتاب الجماهير في معرفة الجواهر " كتاب الدستور تاريخ الهند . تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في المثال او مقبولة وغير ذلك المرجع ص ١٠٥

(39) البغدادي موفق عبد اللطيف ١١٦٢ - ١٢٣١ ولد في بغداد ودرس الطب والفلسفة واشتغل بتدريسها حينما بدأ مشق وادرسها في مصر والتقى بموسى بن ميمون ودرس العظام دراسة دقيقة واستطاع ان يكشف عن اخطاء لجالينوس وردت في وصفه للمهيجل العظمي .. ومن كتبه الافادة والاعتبار - توفي في بغداد - الموسوعة ص ٣٤

(40) القزويني زكريا : ١٢٠٣ - ١٢٨٣ رحالة من اصل عربي ولد باقليم قزوين في (سن ، فارس) ترك كتابين : (١) في الفلك والجغرافيا الطبيعية وعنوانه " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات " (٢) في الجغرافية التاريخية بعنوان عجائب البلدان .. توفي في بغداد .. والملاحظة هناك القزويني محمد بن عبد الرحمن ١٢٦٨ - ١٢٣٨ الفقيه المحدث ليس هو المراد هنا ..

(41) ابن مسكويه ، ابو علي الخازن الملقب بمسكويه : معناها (راحة المسك) وهي تركيب اعصى ت ١٠٢٠ فيلسوف واديب ومؤرخ وعالم بالكيمياء كان مجوسيا ثم اسلم . من مصنفاة : تجارب الاأم حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية وبين الشريعة الاسلامية .. وكانت فلسفته تدور في الاخلاق .. (42) الجاحظ عمر بن بحر ٧٧٠ - ٨٦٨ كاتب ادب مشهور له كتب منها (الحيوان) والبيان والتبيان) والبخلاء والمحاسن والاضداد يظن ان اصله من افريقيا راجع الموسوعة ص ٥٩١

(٤٣) خازن ابو جعفر توفي ٩٦٠ ولد بخراسان رياضى وفلكى عربى

كتب تعليقات على اعمال اقليدس وبخاصة الكتاب العاشر الموسوعة ص ٧٤٨

(٤٤) جابر بن حيان طبيب عربى اول من اشتغل بالكيمياء القديمة

عاش بالكوفة وبغداد في اخر القرن ٨ واول ٩ ترجمت كتبه الى اللاتينية

وهي تزيد على الثمانين ، وتعتبر اهم ما كتب في ذلك العصر . .

(٤٥) ابن النفيس على ابن الحزم القرشى ت ١٢٨٨م احد اطباء

دمشق المشهورين كان اماما في علم الطب . . صنف كتاب الشامل في الطب

اول من اكتشف الدورة الدموية الرئوية ووصفها وصفا علميا دقيقا فسبق بذلك

مايكل سرفتس الذى يعزو الاوربيون اليه هذا الاكتشاف . . ولا ريب ان

هذا اعظم اكتشاف في التشريح قام به العرب راجع الموسوعة ص ٢٩

(٤٦) ابن البيطار : ابو محمد عبدالله بن احمد الطلقى ت ١٢٤٨م

عالم نباتى ولد بملقه وسافر الى بلاد الاغريق واقصى بلاد الروم والمغرب

عابن منابت النبات وتحقيقها ومن كتبه : الجابى في مفردات الادوية

والاغذية " وصف فيه الفا واربعمائة نوع من العقاقير

(٤٧) داود بن عمر الانطاقي ت ١٦٠٠ ولد بانطاكية مكوف البصر

وتتلمذ على شيخ فارس قرأ المنطق ودرس الطبيعيات والرياضيات واللغة

اليونانية فاجادهما . . له كتاب تذكرة داود - في الطب ولا يزال بعض المرضى

يعالجون انفسهم بوصفاته . .

(٤٨) المقدسى ابو عبدالله محمد بن احمد القرن ١٠ ولد ببيت

المقدس من اشهر الجغرافيين العرب وادقهم ساح في معظم جهات العالم

الاسلامى ورسم للبلاد التى زارها خرائط ملونة له كتاب (احسن التقاسيم

في معرفة الاقاليم) .

(٤٩) الادريسى ابو عبدالله محمد بن محمد ١١٠٠ - ١١٦٦ ويلقب

بالشريف ولد في الاندلس وقيل سبتة بلد في المغرب من اسرة علوية وتعلم بقرطبة

وبرع في علم الهيئة والجغرافيا والطب والحكمة والشعر زار بلاد الروم واليونان ومصر

والمغرب وفرنسة وبريطانيا وله كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق " وكان مصنفه هذا

اهم الاعمال الجغرافية في عصره . .

(50) ابن ماجند شهاب الدين احمد ملاح عربي ولد بجزيرة
العرب الف ٣٠ كتابا في البحرية بين سنتي ١٤٦٢ - ١٤٩٠ أشهرها
(الفوائد في اصول علم البحر والقواعد)

(51) الديتوري ابو حنيفة احمد ت ٨٩٥ فقيه ولغوي ومؤرخ
عربي له كتاب " الاخبار الطوال " طبع بلندن ١٨٨٨ وله كتاب " النبات "
الذي حظى بتقدير العلماء

(52) ابن يونس ابو الحسن على ت ١٠٠٩ اكبر علماء الفلك
العرب ساعده اجهزة مرصد القاهرة في ايام الفاطميين . . ووضع جدول
فلكية جديدة من أدق ما عرف حتى ذلك التاريخ " الزيج الكبير الحاكي " .
(53) موسى بن شاكر واولاده الثلاثة محمد واحمد والحسن وهو
كانوا ممن تاهوا في طلب العلوم القديمة من الهندسة والحيل (ميكانيك)
والحركات والموسيقى والنجوم . . توفي محمد بن موسى سنة تسع وخمسين
ومائتين في شهر ربيع الاول

(54) ابن رشد هو الوليد بن احمد بن رشد ١١٢٦ - ١١٩٨
فيلسوف وطبيب اندلسي ولد في قرطبة وتوفي في مراكش ودفن في قرطبة
لخص كثيرا من الكتب الفلسفية الاغريقية . وله كتاب الكليات في الطب . وقد
رد على الغزالي " تهافت الفلاسفة " بكتاب (تهافت التهافت) ومن أشهر
كتبه " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " ترك اثرا بعيدا في التفكير
وعرف بالفيلسوف والشارح وكانت له مدرسة في الجامعات الاوربية . .
شمس العرب ص ٢٥٣

(55) عباس بن فرناس من اصحاب الفن والصناعات ادخل الموسيقى
الشرقية الى اسبانية قالوا انه استتبط صناعة الزجاج من الحجارة وحاول
الطيران برداء من ريش كسا نفسه به توفي عام ٨٨٨ م .

(56) الطأمون ٧٨٦ - ٨٣٢ من الخلفاء العباسيين ابن هارون

الرشيد احب الفرس ولم يكتسب ود العرب غلب البيزنطي بالقرب من طرطوس
الحازلي مذهب المعتزلة في عصره ازدهرت العلوم والفنون الاسلامية و نقلت
مؤلفات اليونان نقش خاتمه : (الموت حق) وأسس بيت الحكمة ٨٣٠ م
راجع شمس العرب ص ١٧٨

(57) صلاح الدين الايوبي ١١٣٨ - ١١٩١ ولد في تكريت وتوفي

في دمشق مؤسس الدولة الايوبية اكبر ملوك المسلمين ايام الصليبيين هزم
الافرنج في وقعة حطين ١١٨٧ م وفتح بيت المقدس واخذ عسود الصليب
اشتهر بكرمه وعزة نفسه وبسالته وبتقشفه وقناعته . .

(58) اخوان الصفا جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية شيعية او

اسماعيلية باطنية : هم (١) محمد بن مشير البستي الطقب بالنقديسي
(٢) ابو الحسن علي بن هارون الزنجاني ومحمد بن احمد النهرجوري . .
والعوضي وزيد بن رفاة . .

جماعة تآلفت و تصافت واجتمعت على القدس والطهارة . . فوضعوا مذهباً
يزعمون انه يؤدى الى رضوان الله تعالى : هو انتظام الفلسفة اليونانية بالشرعية
المحمدية . . ذلك ان الشريعة - كما يزعمون - قد دنست بالجهالات ولا
تظهر الا بهذا بادماجها في الفلسفة فوضعوا رسائلهم في اربعة اقسام :
قسم في الرياضيات وقسم في الجسمانيات (الطبيعيات) وقسم
في النفسانيات (العقليات) وقسم في الناموسيات (الالهيات) وقد
عاشوا بالبصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (الموسوعة ص ٦٦

(59) ابن خلدون ابوزيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون -

١٣٣٢ - ١٤٠٦ م مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي مسلم مشهور . . ينتسب
نسبه الى اوائل بن حجر من عرب اليمن . . اقامت أسرته في تونس حيث نشأ
وتعلم بها ثم حج سنة ١٣٨٧ وله عدة كتب منها : " العبرود يون المبتدأ
والخبر " و " مقدمة ابن خلدون " فهو يعتبر بحق واضع علم الاجتماع الذي
استمر فيه الغربيون كماثال فيكو واوجست كونت و هيربرت سبنسر . . راجع الموسوعة

(60) نيوتن سير اسحق قد ذكرناه تحت رقم (11)

(61) لا مارك (جان بابست) 1729-1744 عالم طبيعي فرنسي

اشتهر بتقديمه نظرية التطور . له كتاب : الزهور الفرنسية 1778 م

(62) الحروب الصليبية 1069-1291 وسميت بالحملات الصليبية

لأن المماريين النصارى كانوا يضمنون اشارة الصليب على ثيابهم وأسلحتهم

جاءوا من اوربا الغربية ليستردوا قبر المسيح والاراضي المقدسة . . وكان من

نتائجها التعارف بين الشعوب وتبادل العلاقات الثقافية والتجارية بين الشرق

والمغرب وازدهار فن البناء وترقى الصناعات في اوربا وهالك لائحمة

الحملات مع تاريخها :

الحملة الاولى : 1096-1097 الحملة الثانية : 1148-1149

الحملة الثالثة : 1189-1192 الحملة الرابعة 1202-1204

الحملة الخامسة : 1217-1221 الحملة السادسة 1228-1229

الحملة السابعة : 1248-1254 الحملة الثامنة : 1270

(63) لامرتين الفونس ماري لوى دى 1790-1869 شاعر

فرنسي اشتغل بالسياسة وشغل مناصب سياسية كثيرة . .

(64) لنين فلاديمير اليسن 1870-1924 القائد الفعلى والفكرى

للمثورة الروسية التي انتهت باقامة النظام الشيوعي 1917 م ومن اهم كتبه

" الاستعمار على مراحل الرأسمالية " و " الثورة والدولة "

(65) انجلز فردريك 1820-1895 اشتراكى الماني اسهم مع

كارل ماركس في وضع اساس النظرية الاشتراكية الكميثة وفي صياغة البيان الشيوعي

الشهير 1848 م . . اشترك في تدبير الحركات الثورية في اوربا واضطر الى

اقامة دائمة في انجلترا على اثر فشل ثورة 1848 م

ومن اهم كتبه (معالم الاشتراكية العلمية) 1878 م وكتاب (الدولة والملكية

الخاصة) و (اصل الاسرة 1884) وغير ذلك .

(66) الشيوعية ؛ مصطلح يصعب تحديد معناه . وهو في صحيحه نظام اجتماعي تكون فيه الملكية (وخاصة ملكية الاراضى ووسائل الانتاج) في يد المجتمع بأكمله . . . وبعبارة اخرى : هي محاولة لا لغناء الملكية الفردية الموسوعة ص ١١١٠

(67) الاشتراكية : مذهب اقتصادى وسياسى يعارض النظام الرأسمالي الذى يقوم على الملكية الفردية والشروعات الخاصة ويدين بالحرية الاقتصادية ويقر الفوارق الطبقيه . . . اى نظام يحاول تحديد الملكية الفردية - المرجع السابق ص ١٦٥

(68) النظام الاقتصادى الذى يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة . . . ويطلق المجال لحرية الافراد والشروعات الخاصة وبعبارة اخرى : هو نظام اقتصادى يتيح الملكية الفردية بدون قيد ولا شرط راجع المرجع السابق ص ٨٥٣

(69) بروليتاريا : في النظرية الاشتراكية . . . طبقة العمال الخاضعين للاستغلال . . . الذين يعيشون من اجورهم وفي روما القديمة : كان " البروليتارى " هو المواطن الذى لا يملك شيئاً . وعند (كارل ماركس) ان انهيار النظام الاقطاعي خلق طبقة جديدة معدمة من الفلاحين والاتباع اصبح افرادها مرغمين على بيع عملهم لقاء اجور فسي المراكز الصناعية الجديدة . . . يقول (لينين) ان (البروليتاريا) يجب ان ينتزع من الطبقة الرأسمالية . . .

(70) دكتاتور : اصلا حاكم رومانى معين لحكم ولاية في وقت الاُزمة ومعناه الان : الحاكم المطلق او الاوتوقراطي . . . ويعتبر هتلر مثالا لذلك . . . اما روسيا فقد نمت فيها في ظل الحكم الشيوعي دكتاتورية حزبية ذات عناصر كبيرة من الدكتاتورية الفردية . . . راجع الموسوعة ص ٧٩٩

(71) اناكسجوراس ٥٠٠-٤٢٨ ق.م هو فيلسوف يوناني نقل الفلسفة الى اثينا ويقال انه استاذ سقراط . . راي ان في الكون عقلا يسيره وينظمه وقال ان الشمس حجر ملتهب والقمر تراب ومخور ويعكس ضوء الشمس . فاتهم بالاحاد فهرب . . الموسوعة ص ٢٣١

(72) سوفسطائيون : جماعة من الفلاسفة قبل سقراط كانوا يعطون البلاغة والخطابة انكروا الوصول الى حقيقة موضوعية ثابتة . . فالمهم هو اقتناع خصمك لا بلوغ الحقيقة . .
ومن اشهرهم : جورجياس وبروتاجوراس : حارب سقراط تعليمهم ثم افلاطون .

(73) ديناميكا الحرارة . . الديناميكا : تبحث في تأثير القوة على الاجسام المتحركة . . والحرارة : احدى صور الطاقة التي تتحول الى حرارة . وتعرف بطاقة حركة الجزيء . الشمس اهم مصادر الحرارة . . وتتولد الحرارة من الاحتكاك والتفاعلات الكيميائية وضغط المواد ومرور تيار كهربائي في مقاومة عالية ص ١٩٤

(74) لوكريتيوس ٩٩ - ٥٥ ق.م شاعر روماني اسمه تيوس لوكريتيوس قادوس نظم قصيدة هامة في الأدب اللاتيني تعتبر اروع ما خلفه الرومان . . عنوانها " عن طبيعة الاشياء " وتتكون من ستة اجزاء استلهم موضوعها من فلسفة ديمقريطس وبيقور وحاول فيها ان يقنع الانسان بأنه سيد نفسه وبانه ليس في حاجة في مخافة الالهة ومن ثم لا مبرر لخوفه من الموت . اعتمد في فلسفته هذه على النظرية الذرية التي تقول : ان الجسم والروح معا نشأ من الذرة . . وانهما اذا انفصلا فنيا معا . . الموسوعة ١٥٧٩م

(75) الرومان الرومانيون : هم سكان روما القدامى ، وقد تأسست روما عام ٧٥٣ ق.م راجع شمس العرب ص ١٠٣

(76)

(77) فرنسيس الاسيزى القديس ١١٨٢ - ١٢٢٦ مؤسس رهبنة
الفرنسيسكان من اكبر قديسى المسيحية ايطالي الجلسية قضى فترة قصيرة
في الجيش ثم اتجه الى حياة التقوى والاعراض عن غرور الدنيا بدا الوعظ
سنة ١٩٠٩

(78) نابليون الاول ١٧٦٩ - ١٨٤١ امبراطور الفرنسيين ولد ١٥
اغسطس في اجاكسيو بجزيرة كورسيكا وهو ابن كارلو وليتشيا بوناپرت . . وهو
مشهور . .

(79) : بختر لودفيج ١٨٢٤ = ١٨٩٩ طبيب وفيلسوف الماني
ارغم بسبب اراءه الفلسفية على ترك منصبه بجامعة توبنجن فكريس حياته
للدلب والتاليف . : قاوم الميتافيزيقا المثالية . واتخذ من الحادية المتطرفة
مذهباً له . . ومن كتبه (القوة الحادية) ١٨٦٤ والطبيعة والمؤرخ
١٨٥٧ م

(80) هيجل ، جورج فلهلم فردريك ١٧٧٠ - ١٨٢١ فيلسوف
الماني ومحصل فكرته مذهب النقيض وهو ان فكرة ما تولد النقيض لها
ومن تفاعل النقيضين تنتج فكرة جديدة تؤلف بينهما ثم تأخذ الفكرة
الجديدة نفس المراحل الثلاث المذكورة وهكذا . . ففكرة الوجود تولد
فكرة العدم ومن تألفهما تنتج الصيرورة . .

(81) هكسلى توماس هنرى ١٨٢٥ - ١٨٩٥ بيولوجى ومرّب
انجليزى وقد كان داعية للداروينية وان كان قد اعتنقها بشىء من التحفظ .

الباب الأول

لماذا ألحد الناس في أوروبا الحديثة

- الفصل الأول : اسباب الالحاد العامة
- الفصل الثاني : اسلوب المفكرين في اسباب الالحاد الحديث
- الفصل الثالث : طغيان الكهيسة
- الفصل الرابع : قوانين المادة
- الفصل الخامس : مقارنة الأديان
- الفصل السادس : الثورة الفرنسية
- الفصل السابع : مذهب النشوء والارتقاء
- الفصل الثامن : دور المسيهود في افساد اوربا
- الفصل التاسع : رجوع اوربا الى ارثها القديم

الباب الأول

لماذا أهد الناس في أوروبا الحديثة

ان هذا السؤال الخطير ، قد اجيب عليه بأسلوبين :

- ١ - أسلوب الملاحظة ،
 - ٢ - أسلوب المفكرين من المسلمين والغربيين المنصفين . . .
- فانصط لكل واحد منهما شرحا موجزا :

الأول :- أسلوب الملاحظة :

إذا قلت لأني ملحد ، من هو "ال" المعاصرين ، ما هو سبب الالحادكم في أوروبا الحديثة ، سيقولون ، لأول وهلة - انما هو منارضة العلم للدين مطلقا . وذلك ان التطور الذي بلغ به الانسان - اليوم - هو اعلى مستوى من الانسانية وهو نفي للدين من تلقاء نفسه . . .

وبحسبارة اخرى : ان التفسير اللاهوتي للأحداث والوقائع لا يمكن اثباتها بالوسائل العلمية فهو باطل لا حقيقة له . . . هذا هو منطق ملاحظة العصر الحديث واليك شواهد من اقوالهم يثبت ما قلنا :

يقول عميد الالحاد في العصر الحديث وبالذات في القرن السابع عشر ، (برتراندرسل)^(١) كلمة تعتبر - بحق - تلخيصا للارادة الالحادية آنذاك :

" ان تقرير الحقائق يجب ان يبنى على اللاحظة لا على الرواية غير المؤيدة " (يعني بالرواية ، النصوص او الدين) .

(١) يراجع اثر العلم في المجتمع ، برتراندرسل ، ترجمة تامر حسان ، مصر .

يقول العلامة (ألفريد هوالث هو) (Alfred White Hed)

" ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين الا وكان الصواب بجانب الحق والخطأ بجانب الدين " (١)

(٢)

وأصح من كل ذلك قول ستالين في عام ١٩٢٧ م : ان يقول :

" لا يستطيع الحزب ان يقف من الدين موقف الحياد : ان الحزب يشن

جملة عاية ضد الدين أى انحياز للدين .. لأن الحزب يؤمن بالعلم

بينما العلم يتعارض مع الانحياز للدين .. لأن الدين كله مناوئ للعلم " (٢)

وفى عام (١٩٢٨) جاء فى برنامج المؤتمر السادس الدولى ما نصه :

" الحزب ضد الدين - أفيون الشعوب - تشغل مكانا هاما بين اعمال

الثورة الثقافية ويلزم ان يستمر هذا الحزب باصرار وبطريقة منتظمة ..

وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ولكنها فى نفس الوقت تستعمل كل الوسائل

التي تملكها للقيام بدعاية ضد الدين .. وتنظيم التريبة على أساس التصور المادى

للدنيا " (٣)

ويقول جوليان هكسلى صراحة فى كتابه الانسان فى العالم الحديث

" بان الجهل والمجز فقط هما اللذان يخضعان الانسان لله !

فاذا ازدادت معرفته وقوته ، فلا موجب - اذن لفكرة الله ، وما يرتبط بها

من عبادات ، وليكن الانسان (هو الله) (٤)

تقول دائرة المعارف البريطانية ما نصه :

" ان المعلومات الكونية واللاهوتية والعلمية التى وردت فى الكتب المقدسة

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والديت تأليف محمد على يوسف ص ١٢ نقلا عن

كتاب : Science And The Modern World

(٢) الاسلام فى وجه الزحف الأحمر محمد الغزالي ص ٢٧

(٣) جاهلية القرن العشرين محمد قطب ص ٦٨ - ٦٩

لا تخرج عن كونها مسائل جانبية لا تتعلق بالنظر أو الاعتبار إذا وضعت تحت
منظار العلم الحديث * (١)

هنا يكفى أن نعرف بأن الملحدين لا يرون سببا آخر للإلحاد إلا معارضته
لنظام المحدثين الذين لأنهم - على ما يقولون - في خطين متوازيين :
العلم مبنى على الحقائق ،
والدين مبنى على الخرافة والجهل .

هل الملاحدة كانوا يؤمنون بما يقولون ؟ الجواب لا . إنما تمسكوا
ببعض المذهب تمسبا للإلحاد وشوقا اليه بل فرارا من سيطرة الكنيسة ودليلا
على ذلك ان برتراند رسل نفسه ، صرح في بعض مقالاته أنه يؤمن بحقيقة
الدين لأن هذا النظام الكوني الذي يفوق حد الوصف يستلزم أن يكون هناك
منظم ... ولكنه من شدة تمسبه الى الإلحاد يرفض هذا الدليل المقبول
لمعارضته مذهب داروين . الذي لا يرى هدفا من وجود الانسان والكسوف
... فهو يقول :

" هناك دليل من هذه الأدلة ليس منطقيا محضا ... انه الاستدلال بـ
نظام تخطيط الكون ، مع أن داروين على كل حال أبطال هذا الدليل " (٢)
وهذا نرى أن أهم ما في هذا الاقتباس هو اعتراف (رسل) بجواز
الاستدلال المنطقي بـ " نظام الكون " ولكن بالرغم من اعترافه بهذا الدليل
- كميذا فإنه يذهب الى ان الداروينية قد أبطلت ذلك الدليل .
ان هذا يدل بكل وضوح أن الملاحدة لم يؤمنوا بالإلحاد لأجل كونه

(١) هزيمة الشيوعية ، أنور الجندي ، ص ٨٢

(٢) الدين / وحيد الدين خان ص ٣٦ نقله عن كتاب :

Why I am not a Christian 1959,

P. XI.

الاستدلال المنطقي الوحيد ولكنهم أمنا به المتعصب الأعمى .
والذي يؤمنه هذا الملحد يقول به أيضا جميع الملاحدة ، وهـ
واطس يقول :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختيار .
أو الاستدلال المنطقي ، ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور^(١) .
ويتقول د . هـ سكوت : " ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ولا يمكن أن
تتغلب عليها حتى ولو أصبحت عملا من أعمال الاعتقاد " (٢) .
يقول السير آرثر كيت (١٨٦٦ - ١٩٥٥) :

" الارتقاء غير ثابت ولا يمكن اثباته ، ونحن نؤمن من بيده النظرية
لأن البديل الوحيد هو الايمان ب (الخلق المباشر) وهو أمر لا يمكن حتى
التفكير فيه " (٣) .

وهكذا رأينا أن الملاحدة القائلين بأن الدين خرافة انما يقولون ذلك
بالسنتيم وتأيي قلوبهم . . .
وبيدنا القدر نكتفي للاثبات أن سبب الاحاد عند الملاحدة هو إقامة
الدين على تفسير زائف للحقائق التاريخية ، وإقامة " العلم الحديث " على
الحقائق الثابتة لا يمانه بالملاحظات فحسب . وسنرى ان شاء الله في الصفحات
القادمة مقدار صحة هذا الزعم .

(١) مذهب النشوء والارتقاء ، منيرة على الغيايات ، تقديم محمد البهي ،

مصر ١٩٦٥ م ص (٦) .

(٢) المصدر السابق ص (٧)

(٣) المصدر السابق ص (٦)

الفصل الأول

أسباب الالحاد العامة

وقبل أن نتكلم في اسباب الالحاد في أوروبا الحديثة ، نود أن نمطى للتارىء فكرة عن أسباب الالحاد عامة . ومن راجع الكتب التاريخية الثابتة ، يجد أن في الالحاد سمة مشتركة بين جميع الملحدين قديما وحديثا . وان اختلفت الصور الالحادية لأجل ملامح البيئة التي تعيش فيها . . . وملاحظ " الطور " الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الذى يحيط بهم ، تجد هم دائما يشتركون في خصائص أصيلة هي التي تمنحها سمة الالحاد على مدار التاريخ . . . وذلك ان الالحاد ليس شيئا لا يوجد الا في فترة من الزمن محدودة ففى ثنايا التاريخ . . . وليس هو الشىء الذى يمثل العلم والحضارة والمدنية والتقدم المادى كما يقولون ، وانما هو رفض الاهتداء بهدى الله (١) ، قد يكون ذلك ففى التصور الاعتقادى أوفى الشميرة أوفى الشريعة . . . فهذا لا علاقة له بالبيئة والداور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى .

اذا عرفنا ذلك ، فقد تهيأت أذهاننا ونفوسنا للحديث عن الملامح المشتركة بين جميع الملاحدة في التاريخ القديم والحديث . . .

فما هي - اذن - تلك الملامح والسمة المشتركة . . . ؟

في القرآن الكريم يجد الباحث هذه السمات المشتركة بين الملحدين ففى عدة صور وأشكال ولكن نستطيع أن نجملها في هذه العناصر الخمسة الآتية :

(١) أزمة العصر ، محمد ، محمد حسين ص (١٠)

راجع كتاب قذائف الحق ، محمد الخزالي ص ٨

تبرأت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل ص ٢٦

- (١) استنكار هدى الله
 - (٢) البحث عن الله عن طريق الحسن والمشاهدة
 - (٣) اتباع اليهودى
 - (٤) الانجراف في الشهوات
 - (٥) اتباع الطواغيت
- واليك شرحا قصيرا لكل مما ذكر :

أولا - استنكار هدى الله :

ان كل الأمم الملحدة - على مدار التاريخ - تشترك في رفض الاهتداء بما أنزل الله على رسوله، وتستجيب المحى على الهدى ، وتزعم أن ما هي فيه هو الخير المحض ، وأن ما تدعى اليه من الهدى هو الضرر والخسران (١) . ولقد ضرب لنا القرآن الكريم مئات الأمثلة على ذلك : واليك ما يوضح ذلك :

يقول الجاهليون : * ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا * (٢)

* واذنا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها * (٣)

* وسيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا * (٤) هذا بعض ما قاله الملحدة القدامى . . وسنرى أيضا أن الملحدة المعاصرين يقولون مثل هذا بدون أى اختلاف الا اختلاف الأساليب . . وأما الحقائق الجوهرية تنزل دائما دون ما تغيير في صورتها وفي أفاعيلها على مدار التاريخ .

(١) الاسلام والشيوعية ، وزارة الأوقاف ص ٣١
راجع أيضا المسلمون تحت الحكم الشيوعي / محمد ساني عاشور ص ٣٥ - ٥٢
بتصرف

الاسلام أو الشيوعية ص ١٢ تأليف محمد عرفة

(٢) الآية رقم ٥٧ من سورة القلم

(٣) الآية رقم ٢٨ من سورة الاحراف

(٤) الآية رقم ١٤٨ من سورة الانعام

(٤)

ويقول السير جيمس جينسر جيمس ستيفن السالف الذكر: " ان بعضهم يظن - أو يقول أنه يظن - أن الحياة كما يصورها العلم لا تستحق أن نحياها وهو عندي رأى باطل ، فنحن في هذه الحالة خلقاء أن نحيا على أصول غير التي تعودوا أن يعتقدوها ..

" وسيقى الحب والاخاء والداوح والمعرفة والأدب والفن وأمور السياسة والتجارة والصناعات والحرف وألوف غيرها - سارية في مسراها كما كانت من قبل دون حاجة الى اله"

" نعم ! وان الذين يقدررون - مخلصين - أن ينظروا الى الدنيا هذه النظرة لتسمو بهم عقيدتهم وترفعهم فوق صفائر الحياة ، ويحق لهم أن يسرعوا هذه العقيدة امام غيرهم حيث تسويغ العقيدة الى حاملها وجودها ولا يرجع الى صحتها ودلائل ثبوتها ..

" أما اذا وجب أن نطرح هذه العقيدة جانبا فلا أخال أن الحياة " تخسر قيمتها " .. " وأن الاخلاق " على الخصوص تنقطع وتزول .. "

وسوف تموت الديانة .. ولكننا - كما اسلفنا - قادرون على أن نصيش عيشة حسنة بغير الديانة .. وان أقنأناها على أصول غير هذه الأصول قلما تخالف في لبابها أصول الصيش التي يدين بها نفسه كل ذى أخلاق " (١) .

ان هذا الاستعراض السريع لا يدع مجالاً للشك من أن الملاحظة قديما وحديثا مشتركون في سمة الرفض لما أنزل الله على رسوله : وصدق الله سبحانه وتعالى اذ يقول * كوهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم * .

(١) عقائد المفكرين ، العقاد ص ٣٢

ثانيا - : البحث عن الله بطريق الحس وهو السمة الثانية :

ومن تأمل في صفحات التاريخ ، يجد أن أناسا في القديم والحديث أنكروا وجود الله لأنهم لم يدركوه بحواسهم متصورين أن هذا هو الطريق الوحيد إليه . ورموا المؤمنون بأنهم واهمون وضالون وخرافيون ومشوشون وغير علميين الى آخر السلسلة الطويلة من السب والهزء والسخرية والازدوار التي يوجهها الملاحدة بالله الى المؤمن منهم أنهم آمنوا بالله عن غير طريق الحس (١) (٢) (٣) ويحكي لنا القرآن أن ملاحدة في القديم جعلوا رؤىة الله أو تكليمه شرطا للايمان . . (١)

أما الرؤىة يقول فيها القرآن : * فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ،

فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم * . (٤)

وقال أيضا : * قال الذين لا يرجعون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة

أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا * (٥)

وأما التكليم يحكيه القرآن بهذا الأسلوب الفذ :

* وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أوتأتينا آية كذلك قال الذين

من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم

يوقنون * . (٦)

-
- (١) الاسلام والشيوعية وزارة الأوقاف الادارة العامة للدعوة (مصر) ص ٢٦
 - (٢) الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر . محمد البيه ج ٢ ص ٨٩ و ٩٢ بتصرف
 - (٣) راجع أيضا المسلمون تحت الحكم الشيوعي : محمد سامي عاشور ص ٣٥ - ٥٢ بتصرف
 - (٤) الآية رقم ١٥٢ في سورة النساء
 - (٥) الآية رقم ٢١-٢٢ في سورة الفرقان
 - (٦) الآية رقم ١١٨ في سورة البقرة

وهذه الآية الأخيرة تشير - بوضوح - الى أن هذه الخصيصة مشتركة بين جميع الملاحدة بدليل قوله تعالى * تشابهت قلوبهم * . وإذا رجعنا الى تاريخ الملاحدة المعاصرين تجدهذا التشابه الذي أشار اليه القرآن ينطبق فيهم تمام الانطباق . وهم أيضا يشترطون الاتصال الحسي للايمان بالله تعالى . واليك نموذج من أقوالهم :

يقول هيوم الملحد : " لقد رأينا الساعات وهي تصنع في المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع فكيف نسلم بأن له صانعا " (١) .

ويقول عالم كبير من علماء النفس :

" ليس الاله سوى انعكاس للشخصية الانسانية على شاشة الكون " (٢) .

ويقول أستاذ أمريكي في طب للأعضاء :

" لقد أثبت العلم أن الدين كان أقسى وأسوأ خدعة في التاريخ " (٣) .

ونختتم هذا الجزء ببقالة أخرى لهيوم تؤكّد أن الملاحدة انما رفضوا الايمان لعدم امكانية اتصالهم بالله حسيا يقول هيوم :

" لقد جلى التطور العلى للانسان كثيرا من سلسلة الأحداث التي لم يشاهدها من قبل فهو لم يكن على علم بأسباب شروق الشمس وغروبها ، حتى زعم أن هناك قوة فوق الطبيعة تجعلها تشرق وتغرب . وها قد عرفنا اليوم ان شروق الشمس وغروبها يحدث لدوران الأرض حول نفسها ، وبذلك انتهت ضرورة القول بهذه الطاقة تلقائيا بعدما عرفنا الأسباب المؤدية الى هذه الحركة الكونية : فاذا كان قوس قزح مظهرها لانكسار أشعة الشمس على المطر ، فماذا يدعونا الى القول بأنها آية الله في السماء " (٤) .

(١) الاسلام يتحدى / وحيد الدين خان ص ٣٥ - نقل عن : Religion

(٢) المرجع السابق ص ٣٦ without, Relation, N.Y. 1958 P. 52

(٣) المرجع السابق ص ٤٠ ونقل عن كتاب : Lenin, Selected works

(٤) المرجع السابق ص ٣٥ 1947, vol. II P. 667.

كما رأينا القداى أنهم رفضوا الايمان بالله لعدم امكانية رؤيته أو تكليمه ،
رأينا هنا أيضا الملاحدة المعاصرين يرفضون الايمان للسبب ذاته وذلك أشر
من تشابه قلوبهم . كما أخبرنا بذلك كتابنا المبين . ان هذا يكفى للاثبات
أن التصور الحسى للبحث عن الله سمة مشتركة عند جميع الملاحدة قديما
و حديثا ..

فكلما يبلغ الانسان الى هذه الدرجة تتعطل فيه أجهزة الاستقبال الفطرى .
فحينئذ يضطرب كيانه و يشمل هذا الاضطراب جميع تصرفاته ، فتنوع مشاعره
وأعماله ووجدانه وسلوكه ومبادئه فلا يعود تلك الفطرة الموحدة التى
كان يتمتع بها منذ ولادته .. والقرآن الكريم أشار الى هذه الحقيقة بقوله :
* الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون *

وعندئذ يوجد الالحاد ويوجد البحث عن الله بطريق الحس بل توجد
محاربة الله ودينه ورسوله بصورة علنية دون حياء ولا خلق .

انظر الى هذا الملحد الظالم لنفسه لما افتقد الله من بين ذرات المادة
(على حد زعمه) ولم يجده هناك بدأ يقول هذه السخافات الآتية :

" ان عقيدة القادر المطلق الظالم فى نهاية الأمر ، الذى لا يرضى
الا بالطاعة الكاملة والوفاء ، كانت أول ما انتجته نظام المجتمع السامى . لقد
خلق هذا النظام جيرونا غير عادى .. وكانت نتيجته أن شريعة موسى
خرجت بقوائم ضخمة مفصلة عن المحرمات فى كل مجال من الحياة الانسانية .
وقد آمن بهذه القوائم الطويلة الصوام الذين كانوا يتقبلون أحكام آبائهم الحمياء
ويطيعونها . وما التصوير الالهى (اليهودى) الا خيال مثالى لأب سامى .
مع شىء من المبالغة والتجريد فى الأوصاف والطاقت " (١)

(١) الاسلام يتحدى / وحيد الدين خان ص ٣٧

وراجع كتاب :
Tree of Culture, Ralph Linton

مرض من الأمراض القلبية

وينسبوا أن هذا الوهم الذي يثمسك به كثير من الملاحدة اثر عن أمراض في النفس والقلب . وليس اثرا عن فكر سوى أو عقل مستقيم أو انصاف فسي تحقيق . فقد حدثنا القرآن الكريم أن هذه الأمراض ذاتها ، هي التي ينتج عنها هذا التصور الفاسد والكلام الخاطيء ، ويحدد القرآن أسباب هذه الأمراض بأنها : الجهل ، والكبر ، والانحراف ، والظلم .

فلنمط شرحا موجزا لكل كلمة :

١ - الانحراف :

يحدثنا القرآن الكريم أن فرعوننا من فراعنة مصر ، لما استد انحرافه صدر قرارا الى وزيره يقال له " هامان " يأمره أن يبني له بناءً عاليا ليقيم بالبحث عن اله موسى الذي يدعيه ، من بين ذرات المادة الخرقاء ، ومن هنا زين لفرعون هذا التصور الخاطيء ، وضل عن طريق الوصول الى الله عز وجل . فلنستمع الى القرآن الكريم بصور لنا هذا المطلب السخيف :

* وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الأسباب + أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل * (١) .

اذ ان الانحراف عن منهج الله القويم مرض قلبي ينتج عنه الاحقاد والبحث عن الله تعالى عن طريق الحس .

٢ - الكبر :

يذكر لنا القرآن الكريم أن قوما أتاهم كبرهم الى أن طلبوا رؤيئة الله أو نزول الملائكة للايمان . وبلاشك ان هذا كبر فريد وعتو غريب

(١) الآية رقم ٢٦ في سورة غافر

* وما قدروا لله حق قدره * ان هذا يدل على جهلهم من أن قوانين هذا العالم المادية ليس فيها للحواس من عالم الغيب من نصيب . يقول تعالى عنهم : * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا . يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين * (١)

والاية تشير الى أن الذين يريدون أن يروا الله ، انهم الذين يتصورون أن الحياة الدنيا هي كل شيء ، وليس وراءها الا الصدم . ثم نوهت الاية الى أنه اذا كانت الملائكة في قوانين هذا العالم العادية لا ترى فأولى اذن أن تكون الذات الالهية كذلك . كما بينت الآية ان الكبر وحده هو الذى دفعهم الى مثل هذا المنطق . وليس الوضع السوى للانسان الذى يرغب بالحق ويسلك اليه طريقه الصحيح .

٣ - الظلم : وكما أخبرنا القرآن الكريم أن اليهود قد طلبوا هذا المطلب الاحادى ظلما . فليس العدل هو الذى دفعهم الى أن يطلبوا مثل هذا الطالب ، بل هو ظلم النفوس للحق ، اذ تصرفه وتتنكر له ، فلنقرا الايات التالية ::

* واذ قلتم يا موسى لن نؤمن بك حتى نرى الله جبهة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * (٢)

وفى موضع آخر يقول : * فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جبهة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم * (٣)

(١) الاية ٢١ - ٢٢ فى سورة الفرقان
(٢) الاية رقم ٥٥ فى سورة البقرة
(٣) الاية رقم ١٥٢ فى سورة النساء

هذه هي من عقائد اليهود القدامى حين نزل القرآن وقبله ، بل وحتى اليوم لأنهم يؤكدون في البروتوكولات أنهم يشمكون بهذه العقيدة الفاسدة حين يحتلون عرش الدنيا بأسره . فاقرا ذلك في البروتوكول الرابع عشر ان شئت :

" حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة العالم - لن نبيح قيام أى دين غير ديننا ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان " .
فالظلم - اذن - من الأمراض القلبية التي ينتج عنها الالحاد في الله ، ولولا هذا الظلم لما طالب اليهود رؤية الله جهرة فلنتحرر - اذن عن الظلم .

٤ - الجهيل : او الجهيل بحقيقة الألوهية يجعل الانسان في مصاف الملحدين . وقد ذكر لنا القرآن أن كل من أراد أن يتصل بالله حسيا قديما وحديثا نتيجة من الجهيل بحقيقة الاله ، لأنه لا يطلبه مؤمن جبار ولا كافر جاد وانما يطلب ذلك الجهيل من العلماء يقول تعالى :

﴿ وقال الذين لا يعلمون ، لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقمم يوقنون ﴾ . ويلاحظ في الآية أنها أشارت الى أن هذا القول ليس كلام عالمن بل كلام جهيل . ان هذا الكلام ليس جديدا بل هو منطوق الكافرين دائما قديما وحديثا وذلك أثر عن تشابه القلوب . وأخيرا تقرر أن الطريق الى الله هي آياته ، أى آثاره التي تدل عليه .

(١) ليلاحظ القارىء أن علماء اليهود يجدون كل ما في وسمهم لهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب (دوركايم) والشوعية والوجودية ومذهب التطور وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن متوسلين به الى نشر الالحاد ونسف الأديان من النفوس . وأن تلاميذهم من المسلمين والمسيحيين في كل الأقطار يرجون لآرائهم الهدامة بين الناس جهيلا وظلما .

(٢) البروتوكول الرابع عشر ص (١٦٩) (٣) الآية رقم ١١٨ في سورة البقرة .

واقصيم المادى يكذبهم

ان أمثال هؤلاء الذين يقولون : انهم لا يؤمنون الا بما ادركته حواسهم يكذبهم واقصيم المادى الذى يعيشونه ، فهم مثلا يؤمنون بالجازبية وقوانينها ولم يشاهدوها . بل رأوا آثارها فقط . (١)

ويؤمنون بالعقل ولم يروه بل رأوا آثاره . كما يؤمنون بالمغناطيسية فقد شاهدوا فقط انجذاب الحديد الى الحديد دون رؤية الجناذب . ويؤمنون بوجود الألكترون والنيوترون ولم يشاهدوا الكترونا أو نيوترونا . فواقع أمرهم يدل على أنهم آمنوا بأشياء لم تدركها حواسهم ، ولكن آثارها هى التى دلتهم عليها وهم فيها على يقين لا يخالطه شك ، وهذا يعنى بوضوح أن كثيرا من حقائق الوجود يؤمن بها هؤلاء لاحساسهم بآثارها دون احساسهم بها ذاتها .

والعلم الحديث الذى يتبححون به يقرّ تقريراً جازماً بأن الحواس تعطينا أحيانا صوراً كثيرة وهمية . فنضرب على ذلك أمثلة بسيطة :

- أولاً - فالحصا المنصور بالماء تبدو مكسورة .
 - ثانياً - والخطاوة المتوازية التى تفصل بينها خطوط تبدو غير متوازية
 - ثالثاً - والأرقام البيضاء تبدو أكبر من الأرقام السوداء .
 - رابعاً - ان شمورنا دائما أننا نسير وروؤوسنا الى أعلى سواء كنا فى القطب الشمالى أو الجنوبى أو على خط الاستواء والحقيقة خلاف ذلك .
- فمثل هذه الصور تبين لنا بوضوح أن الحواس - لولا العقل - لا أعطتنا أخطاءً بدلا من حقائق ، ولولا العقل لم تكن لنا أى معرفة . والملاحظة

(١) راجع كتاب الدين ، سعيد صوى ص (١٠)

يقرون بكل هذا ثم ينحرفون إلا لشيء إلا أن الالحاد يعنى القلب ، وهو كالحسد الذى يبتدىء بصاحبه قبل المحسود .

وبعد هذا يقف المسلم يتساءل وهو يهز رأسه السؤال التالى :

هل كان هؤلاء على صواب عندما حصروا المعرفة كلها بالحواس ؟
 وهل كانوا منقاديين مع أنفسهم عندما رفضوا الايمان بالله لأنه لم تدركه حواسهم ، مع أنهم بالآثار وحدها آمنوا بأغلب الحقائق العلمية الحديثة .
 ومع اعترافهم بأن الحواس أحيانا تكون قاصرا . كيف يعتمدون عليها كل هذا الاعتماد ؟

يا ليت شمري كيف آمنوا بالالكثرون الذى لا يرى بالعين ولم يكن فى وسعهم أن يؤمنوا برب العالمين الذى هو أعرف المعارف كلها . الذى خلق هذا العالم الضخم الفسيح .
 فهذه هى الأمراض التى توجد فى كل قلب ملحد كافر ونعوذ بالله من الالحاد والكفر .

الآن نتقل الى السبب الثالث الذى اشترك فيه جميع ملاحدة الدنيا منذ الماضى السحيق الى يومنا هذا .

ثالثا - اليهودى :

وإذا كان الملحد ينكر وجود الله ولا يتبع هداه - لامحالة - أن يتبع هواه وذلك هو السبب الثالث للالحاد قد اشترك فيه جميع الملاحدة على مدار التاريخ .

ولكن هذا السبب الثالث يُنتج عن الأصل الأول الذى هو انكار وجود البارى والابتعاد عن منهجه القويم . ثم ان اتباع اليهودى بدوره يجعل الانسان ماديا خالصا لا يركن الا الى الدنيا حيث يجعل حظه من حياته التمتع من

لذائذها الجسدية ، ولا يوجهه الى الحياة الروحية عزما ، ولا يهتدى بشي ،
 مما آتاه الله من آياته المقروءة أو المنظورة . والآيات القرآنية الآتية
 تشهد بذلك :

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان
 من الخاوين ولو شئنا لرفمناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثلته
 كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا
 بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا
 وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ (١)

والآية توضح أن أى انسان أوتى الهدى فانسلخ منه الى الضلال والالحاد
 ومال الى الدنيا فتلاعب به الشيطان كانت عاقبته البوار والخذلان وخاب
 فى الآخرة والأولى . هذا ما نشاهد فى تاريخ الملاحدة قديما وحديثا . .
 ثم أوضحت الآية الكريمة أن سنة الله قد اقتضت أن من يترك الهدى ويتبع
 هواه ويميل الى هذه الدنيا فلا شك أن يصبح فى أسوأ حال كحال الكلب
 الذى فى صفته هذه وهى أقبح حالاتها وأخسها . فهو فى هم دائم وشغل
 شاعلى فى جميع عرض الدنيا وزخرفها ، يعنى بخسيس أمورها وجليلها . وتراه
 كلما أصاب سعة وسطة فى الدنيا زاد طمعا فيها وتاريخ أوربا الحديثة
 شاهد على ذلك . ﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ .

ثم يأمر الله فى نهاية هذه القصة الخريسة ، نبيه أن يقصص للناس قصة
 ذلك الرجل لعلهم يتفكرون فى المخلص مما هم فيه ، والنظر فى الآيات بعين
 البصيرة لا بعين الهوى والعداوة فقال : ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾
 هذه هى الحقيقة الثالثة التى اشترك فيها جميع الملاحدة فى القديم والحديث
 والعيان بالله من الالحاد واتباع الهوى .

(١) الآية رقم ١٧٥ من سورة الاعراف

ثم ان الهوى كما يفسد العقائد يفسد أيضا في مجال البحث العلمي
 لأنه يزيتن ضعيف الدناريات ويحسنه لدى النفوس ويكبره ويجسم بالوهـم
 وبالتخييل الكاذب وما يزال ينفخ فيه حتى يسيطر على المشاعر ويستحوذ
 على أنه حقيقة • وأقرب مثال لهذا الوهم مذهب النشو والارتقاء الدارويني
 الذي لم يصل بعد مرتبة الحقائق العلمية ولكن الملاحظة وطلاب التلمود ،
 اتخذوه - بحكم الهوى والاضلال - حقيقة علمية يدرس في الجامعات المشهورة
 وهذا ما يفعله الهوى بأصحابه ••

رابعا - الانجراف في الشهوات :

ان السمة الرابعة المشتركة عند جميع الملحدين هي : (الانجراف في
 الشهوات) •

المعلوم ، ان الله قد أودع في الانسان دوافع الطعام والشراب والمسكن
 والطبىس والجنس وحب البروز والتملك لتربطه بالحياة وتدفعه الى
 الحياة كما قال تعالى : * زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
 والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحمر • ذلك
 متاع الحياة الدنيا •• § (١)

ولكن الشهوات حين تزيد عن قدرها المعقول ، وتصبح " شهوة " مسيطرة
 على كيان الانسان فعندئذ لا تؤدى مهمتها الفطرية التي أوجدها الله من أجلها
 وانما تصير مبددة لطاقات الانسان صارفة له عن مهمة الخلافة وهابطة به عن
 مستوى الانسان الكريم الذي كرمه الله وعلاّه الى مستوى البهائم ومستوى الشياطين •
 هناك الميل العظيم الذي أخبر به القرآن الكريم بقوله : * والله يريد أن يتوب
 عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن يستمبلوا ميلا عظيما ••

(١) الاية رقم ١٤ من سورة آل عمران

والتجربة البشرية خلال القرون تؤكّد هذه الحقيقة • وكثيرون يحسبون أن التقيد بمنهج الله وبخاصة في علاقات الجنسين - شاق مجهد - والانطلاق مع الذين يتبعون الشهوات ميسر مريح وهذا وهم كبير ••• فاطلاق الشهوات من كل قيد ، وتحري اللذة - واللذة وحدها - في كل تصرف ، وقصر الغاية من التقاء الجنسين في عالم الانسان على ما يطلب من مثل هذا الالتقاء في عالم البهائم ، والتجرد في علاقات الجنسين من كل قيد أخلاقي ، ومن كل التزام اجتماعي ••• ان هذه كلها تبدو يسرا وراحة وانطلاقا ولكنها في حقيقتها مشقة وجهد وثقلة ، وعقابيلها في حياة المجتمع بل في حياة كل فرد - عقابيل مؤذية مدمرة ماحقة •

لقد كانت الفوضى الجنسية هي (الممؤل) الأول الذي حطم جميع الحضارات القديمة والحديثة - وسنرى تفاصيل ذلك في الباب الذي سنعقده في آخر البحث تحت عنوان " من آثار الاتحاد المدمرة " ان شاء الله تعالى •

خامسا - وجود الطواغيت في الأرض :

ان وجود الطواغيت سمة ملازمة للبعد عن منهج الله فحين ينحرف الناس عن العبادة الحقّة يتوجهون الى عبادة كائنات أخرى - بفردتها ، أو بالاشتراك مع الله ، وعندئذ تصبح هذه المعبودات طواغيت • يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : " معنى الطواغوت ما تجاوز به العبد به حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع • ثم قال : " والطواغيت كثيرون ، وروؤ وسهم خمسة : ابليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الى عبادة نفسه ، ومن ادعى شيئا من علم الغيب ، ومن حكم بخير ما أنزل الله • " (١)

(١) راجع أبطال التذرية شرح كتاب التوحيد ، الشيخ محمد بن عبد الله بن عيسى ، ص ١٨ - صفحة ١٤٠٠ طبع عن نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز بن عبدالعزيز آل سعود

ثم استدل بقوله تعالى :

* لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم *
وبهذا التقرير الواضح نعلم أنه يستوى أن يكون الطاغوت فردا أو طائفة أو جماعة أو عرفا أو تقليدا أو أى قوة تستعبد الناس لها فلا يملكون الخروج عن أوامرها .

والطاغوت - سواء كان فردا أو طائفة أو جماعة . . . الخ - لا يجب للناس أن يؤمنوا بالله ويحيدوه حق عبادته ، فانه لا يستطيع أن يعيش ويتمكن حيث يكون الولاء لله ، ولا يعيش ويتمكن الا بصرف الناس عن عبادة الله ليتمكن هو من أن يفرض هواه . .

ومن ثم يقف الطاغوت دائما موقف العداء من العقيدة الحقة ، لأنها تجل الولاء الكامل لله وهو يريد لنفسه .

ومن ثم أيضا فان الاحاد - الانحراف عن منهج الله - تتلازم دائما مع وجود الطاغوت .

ان الطفيان من الأسباب المشتركة بين جميع الملاحدة . فقد حدثنا القرآن الكريم ان طاغوتا قد تجبر وازداد في غطرسته حتى نسي حجمه الطبيعي فأسند الى نفسه احياء واماتا . ورد ذلك في أثناء الحوار الذى جرى بينه وبين سيدنا ابراهيم عليه السلام حين قرر أن ربه هو الذى يحيى ويميت فانبرى هذا الطاغوت ليدعى أنه يحيى ويميت ، فلنستمع الى أسلوب القرآن في ذلك الواقع المضحك :

* ألم ترالى الذى حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ان قال ابراهيم ربي الذى يحيى ويميت قال : أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان

الله يأتي بالشمس من المشرق فأنت بها من المغرب فبهيت الذي كفر
والله لا يهدي القوم الظالمين .

آيات الكريمة توضح أن الذي أورث ذلك الطاغى ، الكفر
والبطار وحمله على الاسراف في الضرور والاعجاب بقدرته حتى حاج ابراهيم -
هو ايقاظ اياه اياه الملك - ومن تأمل في الآية يجد بكل وضوح ان هذا
الطاغى لم يفهم مراد ابراهيم في الاحياء والاماتة . فابراهيم هو يريد
بالحياة انشاء هاء في جميع العوالم الحية من نبات وحيوان وغيرهما
كما يريد بالاماتة ، ازالة الحياة بالموت . ولكن هذا البليد الطاغى
فهم من ذلك ، أن من حكم على شخص بالاعدام ثم عفا عنه فقد أعياه .
كما فهم من الاماتة بالأمر بقتله . وهذا غاية من الغباوة وقصور فهم .

فلذا لما رأى سيدنا ابراهيم عليه السلام أنه لم يفهم مراده ، وأوضح
جوابه كما حكى عنه سبحانه * قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من
المشرق فأنت بها من المغرب * أى ان ربي الذي يعطي الحياة
ويسلبها بقدرته وارادته ، هو الذي يطلع الشمس من المشرق ، فيمحو
الكون لهذه الكائنات على ذلك النظام البديع ، والمنين الحكيم التسي
نظامها .

فهذا ما كان في شأن الطاغوت في القديم ، والآن نود أن نسمع
من الطغاة المعاصرين لنعلم أن وجود الطواغيت في الأرض سبب من أسباب
الاحاد في جميع المصور .

بعض أقوال الطواغيت في العصر الحديث

وقد قلنا أن الطواغيت لا يريدون للناس أن يعبدوا الله وحده لأن هذا يزلزل عروشهم من تحتهم ••• واليك بعض تصريحات طواغيت في العصر الحديث مما يؤيد أن الطواغيت دائماً يرفضون الانقياد بهدى الله ثم لا يحبن أن يعبد من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله •

أصدرت الحكومة السوفيتية في ٣/١٢/١٩١٨ م قانوناً يتكف من ثلاثة عشر مادة • وكان اثنان الطا في الكبير من وضع هذا القانون •••

ونصت المادة الثانية عشرة منه :

- ١ - بالتحريم على جميع الزعماء الدينيين أن تكون افعالهم وكنائسهم ومساجدهم صفة الشخصية القانونية • وبعبارة أوضح أصدرت هذه الأمانة فاستبعدت من حيز النظام القانوني •
- ٢ - الكنيسة منفصلة عن الدولة •
- ٣ - محظور إصدار أي قوانين أو لوائح بحماية في أرض الجمهورية يكون من شأنها عرقلة أو تقييد حرية الضمير أو إيهاد أي امتيازات على أساس معتقدات المواطنين الدينية •••
- ٤ - لا تجرى أية مراسم أو احتفالات دينية في أي عمل من أعمال الدولة أو أي احتفال رسمي عام أو اجتماعي •
- ٥ - لا يستخدم أحد معتقداته الدينية كعذر للتفصل من واجباته المدنية •
- ٦ - يلغى عمل قسم أو عهد ديني في الأحوال الضرورية • يكفي فقط بالوعد الصادق •
- ٧ - تقوم السلطات المدنية وحدها بجميع أعمال التسجيل المدني عن طريق مكاتب الزواج والميلاد •••

- ٨ - التعليم الدينى محظور فى جميع المدارس الخاصة والعامه .
- ٩ - حرية القيام بالقوس الدينية مكفولة الى الحد الذى لا تؤدى فيه الى اضطراب النظام العام ، فاذا كانت غير مصحوبة بالتعدى على حقوق المواطنين فللسلطات المحلية الحق فى اتخاذ جميع التدابير اللازمة فى هذه الاغراض لضمان المحافظة على النظام العام والامن . (١)
- وظاهر هذه المادة الحرية لكل مواطن أن يعبد الله ان شاء أو يرفض الاعتراف به علنا . أما فى باطنها فقد أمدت الشيوعيين بسلاح مشروع بشن حملاتهم على الأديان فى ظل حماية القانون ورعايته .
- ومما يزيد الأمر خطورة ما نصت عليه المادة ٥٨ من قانون الجنائيات السوفيتى سنة ١٩٥٣ م فقد وضعت هذه المادة التى تتفرع منها ١٤ فقرة (٢) وضمت جميع المتعبددين تحت باب أعداء الثورة . .
- وورد فى المادة (١٤٢) من نفس القانون النص على تحريم تلقيح الأطفال والأحداث ، العقائد الدينية سواء فى مدارس الحكومة أو فى المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية الأخرى ، وجعلت كل مخالفة فى هذا الشأن جريمة تستوجب الحبس الاصلاحى مع الأشغال مدة لا تزيد على السنة . (٣)
- وقد جاء فى كتاب الرد على الماديين للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى :

(١) راجع عرضا كتاب المسلمون تحت الحكم الشيوعى / محمد سامى عاشور ص ٣٥-٤٥
 راجع أيضا : مجلة الاعتصام عدد مارس سنة ١٩٧٥ ص ٢٠

(٢) الاسلام والشيوعية ، وزارة الأوقاف ، الادارة العامة فى القاهرة ص ٣١

(٣) المسلمون تحت الحكم الشيوعى / محمد سامى عاشور ص ٣٥-٥٢ بتصرف
 المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، محمد شاکر ص ١٢

" في روسيا نجد أن المادية فيها بدأت بحملة قاسية على رجال الدين فقتل عدد كبير منهم وحرم عليهم الظهور في المجتمعات ، واطقت بيوت العبادة وصودرت أوقافها وحرموا تدريس الدين ، وألغوا القسم به ، وألغوا الجمعيات للدعاية اللادينية وأصدروا مجلة اسبوعية اسمها " بلاد دين " (١) .

رأينا في هذا العرض أن الطواغيت دائما لهم موقف المعطضة ضد ما أنزل الله ينكرون وجود اللخ ثم يقضون على كل ما يتعلق بالدين أو يمت للناحية الروحية بصلة . ان الطواغيت ثانيا ، يقومون بعملهم الاجرامى هذا لتعطيل أكبر مولد للطاعة الدافعة الى الخير في حياة البشرية ألا وهو الدين . . .

وعلى هذا يأمر الله تعالى بقتل الطواغيت اذا وقعوا عندنا في الأسر . . .

يقول تعالى :

﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّكُمْ يُتَّقُونَ﴾ (٢)

هذا بعض ما فعله الطواغيت في العصر الحديث . فوجود الطواغيت سبب من أسباب الاحاد .

(١) الرد على الماديين / محمد عبد المنعم خفاجي : نقلا عن الاسلام

والشيوعية ص ٣١

راجع أيضا مجلة روز اليوسف عدد ١٧ / ٢ / ١٩٧٥ م ص ٦ ، ٧ و ٨ .

(٢) في سورة التوبة الآية ١٢

الفصل الثانى

أسلوب المفكرين فى أسباب الالحاد فى أوربا الحديثة

ومن يتأمل فى كتب المفكرين الاسلاميين وغيرهم ممن بذلوا أقصى جهودهم للوقوف أمام الخطر الالحادى ، يجد أن هذه الاسباب الكثيرة ترجع الى أمرين أساسيين :

أحدهما : خفى والآخر : ظاهر .

فأما الأمر الخفى يتمثل فى شيئين هامين :

أولهما : هو ذلك الميراث النكد الوثنى من الجاهلية اليونانية القديمة ، والجاهلية الرومانية ، الذى كان كميناً فى الضمير الأوروبى .

لقد رجعت أوربا بعدما تحررت من عبودية الكنيسة الطاغية ، الى أرضها اليونانية - الرومانية مع كل اتجاهاته المادية التامة ، فيما يتعلق بالحياة الانسانية وقيمتها الذاتية .

وكان هذا الرجوع ، بالنسبة لأوربا ، بمثابة سد مانع عن النظر

فى أى دين آخر بعد هروبها من سلطان الكنيسة الظالم الممتدى .

وثانيهما : دور اليهود فى افساد أوربا ،

ان هذا السبب لا يقل أهمية عن أى سبب آخر من أسباب الالحاد ، ولكننا

مع ذلك - وجدنا بعض الباحثين لم يفتتوا اليه ، بحجة أن اليهود ممن شأنهم أن يستغلوا الأحداث ولا يصنعونها .

ان هذا حق ولكننا لا نأخذ به على علمه ، لأن اليهود أنفسهم صرحوا فى

بروتوكولاتهم أنهم كانوا وراء كل منظمة سرية ، وكل نظرية هدامة .

ولأن القرآن الكريم أخبرنا عنهم بقوله : * ويسعون فى الأرض فساداً * .

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام دى كارص

(٢) راجع جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص (٤٥)

(٣) راجع البروتوكول .

ولأجل ذلك كله قلنا ، ان أسباب الالحاد الخفية في شيئين :

١ - رجوع أوروبا الى ارضها الوثنية القديم

٢ - دور اليهود في افساد أوروبا

ويحسن بنا قبل أن ندخل في تفاصيل هذين السببين ، أن نتحدث أولاً عن

الأسباب الظاهرة ، فما هي تلك الأسباب الظاهرة إذن ؟ ؟

الأسباب الظاهرة

ان للالحاد في أوروبا الحديثة ، أسبابا كثيرة وأشكالا متعددة ، قد ذكرها

الباحثون في كتبهم النيرة ، ولكننا هنا متبعون أكبر الأسباب التي اقترنت

بمسألة العقيدة منذ القرن السادس عشر ، وكان لها شأن قوى في اضعاف

العقائد الموروثة على تقدير الباحثين بالاجماع . . .

وقد نرى من تتبعها كيف قويت على اضعاف العقائد التقليدية ، ثم نرى

كيف آل الأمر بها أخيرا حتى فقدت قوتها الأولى على زعزعة الايمان

واثارة الشكوك ، ونرى من أين طرأ الضعف حتى انتقل بعضها من ترجيح

الانكار والالحاد الى ترجيح الاعتقاد واعادة النظر في الموضوع . .

هذه الأسباب على الاجمال خمسة . . ليس في أسباب الالحاد ما هو

(١) ان هذه الأسباب أخذناها من عدة مصادر ، عربية كانت أو أجنبية :

ومن باب المثال نذكر الكتب الآتية : (قذائف الحق ، التعصب والتسامح بين

الاسلام والمسيحية " للشيخ محمد الفزالي " في ظلال القرآن ، خصائص التصور

الاسلامي ، معالم في الطريق ، الاسلام ومشكلة الحضارة ، الاسلام والسلام

العالمي " السيد قطب " جاهلية القرن العشرين ، التطور والثبات في

حياة البشرية ، هل نحن مسلمون ، معركة التقاليد والدروس الانسانية في

القرآن " محمد قطب " ماذا خسر العالم " أبو الحسن الندوي " العجائب

" المودودي " الظاهرة القرآنية " مالك بن نبي " الاسلام يتحدى " وحيد

الدين خان " احجار على رقعة الشطرنج " وليام ذى كار " الدين " عبد

الله الدراز " وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكرها . .)

أقوى منها وأعظم فعلا في عقول المفكرين الأوربيين ، وفي عقول غيرهم ممن
نظروا الى دلالتها مثل نظرتهم ، وحكموا بها على الأديان مثل حكمهم
وهم غير قليلين بين المفكرين في مختلف الأقطار . . .
وهذه الأسباب الخمسة هي :

- أولا - الدين وطغيان الكنيسة
- ثانيا - علم المقارنة بين الأديان والمبادات
- ثالثا - ظهور القوانين الطبيعية التي سميت بالقوانين المادية أو الآلية
منذ عهد لابلان فكوبرنيكس ثم نيوتن
- رابعا - الثورة الفرنسية
- خامسا - مذهب النشوء والارتقاء

أولا - الدين :

لقد قامت أوربا . . . الكثير - مما آل / أمر دينها . . . هذه حقيقة لا يختلف
فيها اثنان .

لقد تفتحت آذانها وعيونها . . . على دين محقد يصادم العقل ويردقه . . .
فمن قائل بأقانيم ثلاثة . . . (الأب والابن والروح والقدس)
ومن قائل " المسيح ابن الله " (١)
ومن قائل " ان الله هو المسيح بن مريم " (٢)
وهناك رهبانية تصادم فطرة الانسان . . .
وهناك خرافات بالنسبة للكون جعلوه . . . قائل مقدسة . . . (٣)
وكل ذلك تحريف لدين الله الذي جاء به عيسى عليه السلام ، وخرج عليه .

(١) التعمب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، محمد الفزالي ص (١٠٠)

(٢) سورة المائدة / ١٧

(٣) خصائص التطور الاسلامي ، سيد قطب : ص ٦٥

(٥)

وهذا ما أشار اليه المؤرخ الانجليزى (ويلز) إذ يقول :

" من الضرورى أن نستلفت نظر القارئ الى الفروق المميقة بين مسيحية

بنيقية التامة التطور وبين تعاليم يسوع الناصرى . "

ثم زاد قائلا :

" فمن الواضح تماما أن تعاليم يسوع الناصرى ، تعاليم نبوية من الطراز

الجديد الذى ابتدا بظهور الانبياء المبرانيين ، وهى لم تكن كهنوتية ،

ولم يكن لها معبد مقدس . . ولا هيكل ولم يكن لديها شعائر ولا طقوس ،

وكان قرانها قلبا خاشعا ، وكانت الهيئة الوحيدة فيها هيئة من الوعظ . .

وكان رأس مآلديها من عمل هو الموعدة . . بيد ان مسيحية القرن الرابع

الكاملة التكوين ، - وان احتفظت بتعاليم يسوع فى الأناجيل - كنواة لها -

كان فى صلبها ديانة كهنوتية من طراز مألوف للناس من قبل الاف السنين . .

وكان المذبح مركز طقوسها المنقطة ، والمصل الجوهري فيها هو القران

الذى يقربه قديس متكرس للقديس . . ولها هيئة تتطور بسرعة مكونة من

الشماسة والقساوسة والاساقفة . . " (١)

اعتراف مسيحي

والغريب أن بعض كبار المسيحيين يفتخر بوجود اضافات بشرية الى أصل

الكتاب ويعتبر ذلك شرفا للديانة المسيحية .

ان هذا القائل هو الدكتور وليام (تامبل) أسقف كنيسة (كنتربارى)

وحبر أخبار انجلترا فهو يقول :

(١) معالم تاريخ الانسانية تأليف (ويلز) ص ٧٢ و ٣ ، دكتور عبد العزيز

توفيق جاويز ، القاهرة ١٩٦٧ .

" ان من الخطأ الفاحش ان يظن ان الله وحده هو الذى يقدم الدليـلة
أو القسط الأكبر منها " . (١)

بهذا التصريح من هذا الحبر الكبير اتضح لنا أن أوربا لم تمتنع ديين
الحق الموحى من عند الله ، وإنما اعتنقت المزيج بالوثنيات التى صنعها
أجداد الدكتور (تامبل) من آباء الكنيسة منذ عهد (بولس) اليهودى الى
عهد القسطنطين الرومانى الذى قضى على البقية الباقية من هذا الدين .
يقول (برنتن) :

" ان المسيحية الظاهرة فى مجلس نيقية - العقيدة الرسمية - فى أعظم
إمبراطورية فى العالم مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين فى
الجليل . . لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ،
بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتا " . (٢)

ولأجل ذلك كله تفالى بعض المؤرخين - عندما وقفوا على هذه

الخرافات فى الكتب المقدسة (اعنى التوراة والانجيل الأربعة) فقالوا :

" ان المسيح كائن أسطورى) فأنكروا وجوده كليا . وأنكروا كل كـاء فى

هذه الكتابين الذين يعتمد عليهما المسيحيون فى عقيدتهم الدينية وعباداتهم . .

ولكننا - نحن المسلمين - نعتقد اعتقادا جازما برسالة المسيح وعبوديته

لخالقه . كما نعتقد أيضا ان المسيحيين نسوا حظا ما ذكروا به ، وحرفوا

وبدلوا وزادوا زيادات كثيرة . .

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، محمد على يوسف ص ١١

(٢) أفكار ورجال ص ٢٠٧ ، (قصة الفكر الغربى) جرين برنتن ،

(٣) محاضرات فى النصرانية ، أبوزهرة ، ص ٤٢ ، محمود ١٩٦٥

هذه هي الديانة التي وصلت الى أوروبا ، فكيف لاُبناءً عضو للنهضة
 (أن يسيفوا ذلك " الخلط والخبط ")
 وكيف بمن سمعوا شيئاً عن عقيدة الاسلام * لو كان فيهما آية الا الله
 لفسدنا * * ليس كمثل شئ * * قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد
 ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد *

كيف بمن سمع بهذه البساطة أن يسبخ ذلك التعميد ؟

ثم كيف مع ذلك التعميد ، بما انحدر اليه رجال الدين الكنسي —
 الانحطاط الخلق والوقوف أمام التطور الملحق .
 لم يكن بعد ذلك غريباً أن ترتفع الصيحة :
 " اشنقوا آخر ملك ، بامعاء آخر قسيس " .
 ثم بأن تكون " الردة " عن ذلك الدين ،
 الى تبني الالحاد ، وانكار كل الغيبيات .
 والى تبني الأفكار الهدامة ودين كارل ماركس .

هذا ، ولما كانت المسيحية تؤمن بالتوراة الكتاب مقدس وتتعترف به ،
 ولما كانت الانتقادات التي وجهها أهل التنوير الى المسيحية ، كانت موجهة
 أيضاً الى هذه التوراة ، رأينا من المستحسن أن نتحدث عن تحريف التوراة
 وعقيدتها بالنسبة الى الله والأنبياء ، لنبين للناس ومعهم الملاحدة ،
 أن المعلومات المضللة التي اشتملت عليها هذه التوراة ليست من عند الله ،
 المعلومات التي اتخذها الملاحدة سنداً لتبرير الحادهم ، وبها ينظرون
 الى جميع الأديان كشيء لا يستند الى أي أساس فهو لا يحد وأن يكون
 محض عقيدة لا دخل لها في تنظيم أمور الناس سياسياً واقتصادياً وغير
 ذلك . .

بينما جاء كل دين من عند الله ليرد البشر الى ربهم • ويرد نظام حياتهم الى منهجه المتفرد ••••• كما يقع التواء م والتناسق بين ضميرهم وواقعهم ••• لا ليقى مجرد شعور وجداني قابع في ضمائرهم ••• ولا مجرد تهذيب روحى في أخلاقهم ••• ولا مجرد شعائر تعبدية في محاربيهم ومساجدهم ، ولا مجرد أحوال شخصية في جانب واحد من حياتهم * وما أرسلنا من رسول الا ليطاع *^(١) وهكذا جاءت التوراة ، يوم أن جاءت تتضمن عقيدة وشريعة • وبعبارة أخرى وهى تشتمل على الأقسام العلمية والعملية قال تعالى :

(٢)
* وكتبنا في الألواح من كل شىء موعظة * إشارة الى تمام القسم الحلى ••• * وتفصيلا لكل شىء * إشارة الى تمام القسم الحلى • وكلف الله أهلها أن يتحاكموا اليها في كل شئون حياتهم ، لا أن يجعلوها مواعظ تهذيبية لا تتجاوز وجدانهم ، ولا شعائر تعبدية يقيمونها فى هياكلهم •••

* انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشون الناس واخشوني ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا - ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون * وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون *^(٣)

فنظم موسى عليه السلام ومن بعده من انبياء حياتهم الواقعية عدة قرون ولقد كانت عقيدة التوحيد التى أسسها جداهم ابراهيم - عليه السلام

(١) سورة الناز / ٦٤

(٢) الأعراف / ١٤٥

(٣) المائدة / ٤٤

عقيدة خالصة ناصحة شاملة متكاملة . . . واجه بها الوثنية مواجهة خاسمة
كما صورها القرآن الكريم * ووصى بها ابراهيم بنيه كما وصى بها يعقوب بنيه
قبل أن يموت * .

* ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا انه سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا
وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم . قال : اسلمت لله
رب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم
الدين ، فلا تموتن الا وانتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا : نعبد الهك واله آباءك ابراهيم
واسماعيل واسحاق الهيا واحدا ونحن له مسلمون *

ومن هذا التوحيد الخالص ، وهذه العقيدة الناصحة ، وهذا الاعتقاد
في الآخرة انتكس الأحفاد ، وظلوا في انتكاسهم حتى جاءهم موسى
عليه السلام بعقيدة التوحيد والتنزيه من جديد والقرآن يذكر أصول
هذه العقيدة التي جاء بها موسى - عليه السلام - بني اسرائيل ويذكر
تراجمهم عنها :

* وان أخذنا ميثاق بني اسرائيل : لا تعبدون الا الله والوالديين
احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة
 وآتوا الزكاة ثم توليتهم الا قليلا منكم وأنتم معرضون وان أخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . . . ثم
أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم . تظاهرون
عليهم بالاثم والمدوان . . . * (١)

(١)
بداية انحراف بني اسرائيل

ولقد بدأ انحرافهم وموسى عليه السلام بين أظهرهم .. من ذلك عبادتهم للعجل الذى صنعه لهم السامرى من الذهب الذى حملوه معهم من حلى نساء المصريين وقيل ذلك كانوا قد مروا عقب خروجهم من مصر على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا الى موسى عليه السلام ان يقيم لهم صنما يعبدونه . وكذلك حكى القرآن الكريم الكثير من انحرافهم وسوء تصرفهم لله سبحانه وتعالى ووثنتهم .. (١)

(١) يقال لهم اليهود كما يقال لهم بني اسرائيل ويطلق عليهم أيضا العبرانيون فهي ثلاثة أسماء أقدمها وأعمها (العبرانيون) وأحدثها وأخصها ، (اليهود) وأحبها لديهم (الاسرائيليون) ولا فرق لمؤداهن جميعا فى الأصل . وأما الآن فقد غلب عليهم اسم اليهود . وقد يراد بتسميتهم به التحقير كما يراد بتسميتهم ببني اسرائيل التوقيح .. ويطلق عليهم أخيرا الصهيونية العالمية . والمبريون ينحدرون من العرق السامى الذى ينتسب له الآشوريون والعرب . وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد الساميين ، وقد هاجر فريق منهم الى الشمال فى بلاد بابل حيث كان السلطان لحضارة (السومريين والأكاديين) فأما بما من الزمن ما أشبهوا فيه من تلك الحضارة ، ثم كثر عددهم فهاجروا من جديد فى أودار مختلفة . فتقدموا نحو الشمال أكثر مما تقدموا قبل ذلك ، وانحدر بعضهم نحو الجنوب ، والساميون الذين بقوا فى بلاد العرب هم أجداد الشعب العربى ، والساميون الذين مروا من موطن الحضارة فى الفرات الأدنى ثم انتشروا فى جميع آسيا وفلسطين هم الآشوريون والاسرائيليون .. راجع اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٢٤ - ٢٥ تأليف غوستاف لوبون .

وأما دائرة المعارف البانى ، تحدد تاريخ بني اسرائيل بأنه كان بهجرة ابراهيم نحو ٣٩٠٠ سنة من أور الكلدانيين فى شرق الفرات الى غربيه .. راجع دائرة المعارف البانى ج ١١ ص ٦٦٠ دار المعرفة بيروت لبنان .

كما حكي لنا أنهم ثاروا في وجه أنبيائهم ، ورفضوا الاستجابة لهم ،
 و طرحوا العقيدة التي جاء بها هؤلاء الأنبياء ، ثم هاجموا الأنبياء
 وقتلوهم أحيانا ، واستبد بهم الضلال والجحود ، فمبدوا غير الله وأنكروا
 البحث ونسبوا لأنبيائهم ما لا يمكن أن يصدر من أنبياء .

ويجدر بنا ونحن لا نزال مع القرآن أن نستعرضه لنقتبس منه بعض الآيات

التي تحدثت عن بني اسرائيل ووصفت أخلاقهم وصفاتهم ، قال تعالى :

* وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم

كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا
 يعتدون * (١)

* ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة * (٢)

* أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك

الاخرى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله
 بغافل عما تعملون * (٣)

* أنكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتهم

وفريقا تقتلون * (٤)

* وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ،

بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من

ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما

أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحسب

المفسدين * (٥)

(١) البقرة آية ٦١ (٢) البقرة آية ٧٤ (٣) البقرة آية ٨٥

(٤) البقرة آية ٨٧ (٥) البقرة آية ٦٤

* واتخذ قوم موسى من بعده من حلبيهم عجلا جسدا له خواره ألم
 يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين * (١)
 * ان الذين اتخذوا الجمل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة
 الدنيا وكذلك نجزي المفترين * (٢)
 * أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم * (٣)
 * وقالت اليهود عزير ابن الله *

ومن لوثة القومية حكى عنهم القرآن ما يلي :

* ومنهم من ان تأمنه بدینار لا يؤدیه اليك الا ما دمت عليه قائما
 ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل • ويقولون على الله الكذب
 وهم يعلمون *

هذا وليس من أهدافنا في هذا البحث التهجيم على التورات والانجيل
 وفضح تصرفات أصحابهما ، وليس كذلك تبرير الملحدين الذين أعلنوا
 تمردهم على خالقهم في أثناء ثورتهم على خرافات التوراة والانجيل وعلى
 طغيان الكنيسة وحمقات رجالها ، لكن هدفنا هو الحقيقة التي هي
 ضالة المؤمن ••

لا سيما وأن القصة قضية انسانية عامة ، تعدت نطاق أوروبا الى العالم
 كله حتى وصلت نيرانها ولهبها العالم الاسلاني فانبهر بهم كثير
 من " المثقفين " فبدوا يرددون مزاعمهم الالحادية •

وعلى هذا الأساس نستعرض موضوع انحراف بني اسرائيل عقيدة وشريعة
 وكذلك تحريف المسيحية أيضا عقيدة وشريعة معتمدين أساسا على كتبهم في
 أغلب الأحيان ••

(١) سورة الاعراف الاية ١٤٨ (٢) الاعراف آية ١٥٢

(٣) سورة يوسف الاية ٤٠

لأن هذه المعلومات أو الخرافات بمعنى أدق - هي التي اتخذها
الملاحدة سنداً في ابدال فكرة التدين . لقد رأينا فيما سبق من الصفحات
أنهم قالوا : (الله ليس أفسوساً لصوب)

ولذا نريد أن نوضح هنا أن الدين الذي جاء الى أوربا هو دين
محرف وعقيدة منحرفة . وأما ديننا الاسلامى المجيد لا يأتية الباطل من بين
يديه ولا من خلفه . يصرف ذلك كل دان وقاص . . .
ولما كان قصدنا في هذا الفصل - هو بيان الظروف التي بدأ فيها
الالحاد في أوربا الحديثة ، ولم يكن عرض التصورات اليهودية والنصرانية
نكتفى بالمناوين التالية :

١ - عقيدة اليهود في الله (يهوه) (١)

(١) يقول الاستاذ العقاد في كتابه الله ص ١١٣ ان اسم " يهوه " لا يصرف
اشتقاقه على التحقيق فيصح أنه من مادة الحياة ، ويصح أنه نداء لضمير
الغائب أى (يا هو) . لأن موسى علم بنى اسرائيل أن يتقوا
ذكره توقيراً له ، وأن يكتفوا بالاشارة اليه ، وهذا الاتجاه هو ما ذهب
اليه (Smith) ، ويضيف هذا احتمالاً لاتجاه آخر : هو أن
الكلمة العبرية المماثلة لكلمة (لورد Lord) هي يهوا .
وكانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠ م ثم دخلت
هذه الحروف ، فأصبحت كلمة يهوا : يا هوفا ()
وبذلك فكلمة (يهوا) أو (يا هوفا) معناها سيّد واله .
راجع كتاب /

نقلا عن كتاب اليهود تأليف احمد شلبي ص : (١٥٣)

- ٢ - عقيدتهم في النبائهم .
 ٣ - وعقيدتهم في الآخرة والبحث .
 ٤ - موقف العلم الحديث من التوراة .

أولا - عقيدة اليهود (في الله) :

لقد تضمنت كتبهم المحرفة أوصافا لا لهم (يهوه) لا ترتفع أوصاف
 الا غريق في وثنياتهم لا لهيتهم .

ومن ينظر صفات (يهوه) اله اليهود في كتبهم ، يعتقد جازما أن
 (يهوه) ليس خالقا لهم ، وانما هو مخلوق لهم . وهو لا يأمرهم بل يسير
 على هواهم وكثيرا يأتهم بأمرهم . . لا فرق بينه وبين البشر في جميع
 تصرفاته . . وستتضح لك هذه الصورة في الصفحات الآتية :

الأوصاف الحسية ليهوه

قالوا : انه كان يسير أمام جماعة بني اسرائيل في عمود سحب . . فقد جاء
 في سفر الخروج : " وارتحلوا من سكوت ونزلوا في ايثام في طرف البرية . .
 وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحب ليهدىهم في الطريق ، وليلا
 في عمود نار ليضيء لهم " (١) .

هل الفطرة السليمة تؤمن بهذا ولا غرابة اذن أن يثور أصحاب النهضة
 الجديدة في وجه هذا الكتاب الجامع جميع خزعبات الدنيا وترهاتها . .

واليك قصة أخرى تتجلى فيه بشرية هذا الاله اليهودي :

يقول محرروا التوراة وهم يصفون يهوه بصفات بشرية محضة :

" ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبحون من شيوخ اسرائيل ورأوا

الماسرائيل وتحت رجليه شبه صلعة من الحقيق الازرق الشفاف وكذات السماء
 فى النقاوة .. ولكنه لم يمد يده الى اشراف بنى اسرائيل " .. فيصنمون
 لى مقدسا لا سكن فى وسطهم " (١)

ويهموه هذا ليس معصوما ، وكثيرا ما يقع فى الخطأ ، ثم يندم على ما فعل .
 واليك بعضا من هذه النصوص :

" فندم الرب على الشرق ^{الذى} قال انه يفعله بشعبه " (٢)
 وفى نص آخر ، " وكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : " ندمت على انى
 قد جعلت شا ول ملكا لانه رجع من ورائى ولم يقم كلابى " (٣)
 لقد وصف اليهود الميهم بأنه لا يعلم الامور الا بعد وقوعها :
 جاء فى الاصحاح الثالث من سفر التكوين :

" وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ربح النهار ،
 فاختبيا : آدم وامراته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة .. فنادى
 الرب الاله آدم وقال له : اين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت
 لانى عريان .. فاختبأت .. فقال : من اعلمك أنت عريان ؟ هل اكلت من
 الشجرة التى اوصيتك الا تأكل منها ؟ "

هكذا يزعمون . واليك لونا آخر من تلك العقيدة المجيبة :
 وقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات
 والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه ، واضعا احدى رجليه على
 الأخرى . (٤)

ووصفوا الميهم بأنه له شعر قطط ، وفروة سوداء وأنه بكى على طوفان
 نوح حتى رمدت عيناه .. وأنه ضحك حتى بدت نواجذه . (٥)

(١) الخرج ٢٥ : ٨
 (٢) الخرج ٣٣ : ١٤
 (٣) صموئيل الأول ١٥ : ١٠
 (٤) الملل والنحل ، شهرستان ج ٢ ص ٢٢
 (٥) المرجع السابق ص ٢٢

واليك بعض شواهد من كتبهم المحرفة :

يقول كاتب التوراة :

* وفرخ الله في اليوم السادس من عمله فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدمه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا .*

ودعك من الركافة التى صيغت بها هذه العبارة ، فقد يكون المترجم هابط الأسلوب في التعبير عن معنى ما ، ولكنه لا تستطيع أن تفهم معنى آخر من هذا الكلام الا أن (الله استراح) من جميع أعماله في اليوم السابع هذه الاعمال التى أداها بوصفه خالقا .*

ما أبعد الشقة بين هذا التصوير ، وبين وصف الله لنفسه فقال :

* أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهم قادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير *

* ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من

لدوب *

وياليت محررى التوراة اكتفوا بذلك ، بل قالوا أيضا ان الله تعالى كان يخاف من تمرد آدم لما أكل الشجرة ، خاف ربما يزداد تموده حتى ينازع الله في ملكه أى كان ملكه مهدد بهذا التمرد الانسانى .*

جاء في العهد القديم :

* وقال الرب الاله : هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ، ويأكل ويحيا الى الأبد وأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليحمل الأرض التى أخذ منها ، وطرد الانسان وأقام شرقى جنة عدن الكروميم ولم يهب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة

(١) سفر التكوين : الاسحاح الثانى
(٢) سورة الأحقاف اية ٢٣
(٣) سورة ق آية ٣٨
(٤) سفر التكوين الاصحاح الثالث

هل الله يحزن ؟

وأغرب من كل ذلك انهم وصفوا الله بأنه حزن على خلق آدم وأبنائه
ولم يكن الله حين خلقه يعرف أنه سيكون شريرا الى هذا الحد بل لقد فوجئ
بما وقع . ومن أجل ذلك حزن الرب وتأسف في قلبه أن خلق آدم وأبنائه .
قال الصيّد القديم :

* فحزن الرب انه عمل الانسان و وأن كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير
كل يوم ، فحزن الرب انه عمل الانسان في الأرض وتأسف في قلبه ، فقال
الرب : أمحو عن وجه الأرض الانسان الذي خلقته ، . . . الانسان مع
بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنني حزنت اني عملتهم . . . * (١)
ويطلق الاستاذ محمود الغزالي على هذا الاصحاح بقوله :

* الحق أنني أدهش كل الدهشة للطفولة الغريبة التي تنضج من هذا
الحديث الخرافي عن الله جل جلاله * (٢) .

ان الاله - كما ترى - في هذه السياقات الصبائية كائن قاصر . . . مقلب
ضعيف . وما أشك في أن مؤلف هذه السطور كان سجين تصورات وثنية
عن حقيقة الألوهية وما ينبغى لها . ولا شك أن يكون هذا التبلد من الأسباب
التي جعلت عصر التنوير يرفضون أن يكون الكتاب المقدس وحيا من عند الله .

هل الله ينسى ؟

ان محرري التوراة أثبتوا في توراتهم أن الله تعالى ينسى فلذلك وضع
قوس قزح ليتذكر دائما الميثاق الذي أخذه على نفسه كي لا يغرق الأرض مرة
أخرى . . . أي كلما يرى هذه القوس يتذكر ، والا يتورط في طوفان آخر . . .
فلنقرأ النصوص الآتية :

(١) سفر التكوين الاصحاح : (٢) قذائف الحق ، محمد الغزالي ص ٢٢

" وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا : أقيم ميثاقى معكم فلا ينقض عرض كل ذى جسد أيضا بعباء الطوفان ، ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض .
وقال الله : هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبين كل ذوات الأَنْفُس الحية التى معكم الى أجيال الدهر . . . وضعت قوس فى السحاب فتتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض فيكون متى أشرف سحابا أبصرها لا أذكر ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض "

هل هذا يليق بجلال الله وعزته ودقة علمه ، الذى يعلم السر وأخفى ؟

فليس غريبا أن يكون هذا الشعب اليهودى شعبا ملعونا على لسان داود وعيسى بن مريم .

هل الله يصارع الانسان ؟

وبعد هذا نقف - الآن - بازاء قصة أخرى من أغرب وأفجر ما اختلق الروائيون !!

القصة الجديدة تحكى مصارعة بين " الله " وعبده " يعقوب " وهذه المصارعة المريبة الفذة ، دامت ليلا طويلا ، وكاد يعقوب يفوز فيها لولا أن الطرف الآخر فى هذه المصارعة ، وهو الله - بإلجاء الى حيلة غير رياضية هزم بعدها يعقوب .

ومع ذلك فان يعقوب تعلق بالله ورفض أن يخلق سراحه حتى يعطيه " لقب اسرائيل " .

وعند هذا المعجز الالهى منحه الله هذا " اللقب الفخرى " ثم تركه يعقوب

ليصعد الى العرش ويدبر أمر السماء والأرض ، بعد ذلك الصراح الرهيب
ياترى أى عقل يقبل هذه الخزعبلات ؟ ..

اذن لم يعد غريبا حينما يرفض المفكرون الكتاب المقدس ومثليه
في أوربا .. فلنستمع الى التوراة تصور لنا هذا الاختلاق :

" فبقى يعقوب وحده وصارعه اسنان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه
لا يقدر عليه ضرب حقه فخذته فانخلع حقه فخذ يعقوب فى مصارعته
معه ، وقال : أطلقنى ! .. فقال : لا أطلقك ان لم تباركنى ! فقال له :
ما اسمك ؟ فقال يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل
اسرائيل .. وسأل يعقوب ، فقال : أخبرنى باسمك فقال : لماذا تسأل
عن اسى وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان " فينيثيل " قائلا : لأننى
نظرت الله وجهها لوجه ونجيت نفسى .. لذلك لا يأكل بنو اسرائيل " عرق
النساء " الذى على حقه الفخذ الى هذا اليوم لأنه (الله) ضرب حقه
فخذ يعقوب على عرق النساء ! ! " ..

وكم يفخر اليهود اذا كان أبوهم بهذه المثابة العجيبة من القوة والبطش
اللذين يهجز عنهما الاله الذى فطر السموات والأرض وخلق النملات والنور
فلذلك حرموا على أنفسهم أكل الفخذ .

وبهذا القدر نكتفى لبيان أن تبلى الضمير الدينى كان من الحوامل
الأساسية التى أبعدت الناس - فى أوربا - عن التدين .

اليهود واللاهوتية عموماً

وهكذا رأينا أن المادية والتطلع الى أسلوب نفى في الحياة ، من أكبر ما يشغل اليهود ، بل ليست ديانتهم الا تعبيراً طبيعياً لشعب خاص لا تقبل الغرباء . (١)

والذى يقرأ الأُسفار لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بنى اسرائيل ما كانوا مأمورين بدعوة غيرهم الى ديانتهم .
وكل ما فى الأُسفار منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص .

هذه هى قصة الاله عند اليهود وهى واضحة الدلالة على أن اليهود لم يعرفوا الاله الحق فى أكثر تاريخهم ، وهم الآن يتخذون تراب فلسطين اليها لهم ، ان تراب فلسطين رمز المادة التى تحكمت فى الفكر اليهودى على مر التاريخ .

ولولا حبل من الله وحبل من الناس (٢) لما كان اليهود يستحقون البقاء فوق هذه البسيطة لفساد عقيدتهم وسوء أخلاقهم .

(١) ما يقال عن الاسلام ، العقاد : ص ٥١

محمد دروزة ، تاريخ اسرائيل فى أسفارهم ج ١ ص ٧٢
وتاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على ج ٦ ص ٢٤٦
راجع أيضاً اليهود ، أحمد الشلبى ص ١٦٣

(٢) هذا اقتباس من قوله تعالى : ﴿ فى سورة آل عمران : ﴿ ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءء وا بغضب من الله و ضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ .

وسنرى في الصفحات الآتية ألوانا أخرى من عقيدتهم الفاسدة تجاه
 انبيائهم الأبرار .. لقد صورهم اليهود في صور اللصوص والفساق والمنحرفين ..
 لم يسلم من ذلك أحد منهم ..

الأنبياء في التوراة

ان اليهود صوروا أنبيائهم ورسولهم أبشع صورة وأقذرها ليسبحوا
 لأنفسهم القذارة والسفالة وكل الأخلاق اللئيمة المقوتة ، وانا كان
 القدوة قدرا سائلا فلالم - اذن - على المقتدى أن يكون كذلك
 ان كل من يقرأ التوراة بالتأمل يجد أنه لم ينج واحد من الأنبياء الأول الأكابر
 من التلطيخ .

فنج يسكر حتى يفقد وعيه * ولوط يضاجع بناته وهو سكران .. ويمقوب
 يسرق البركة والنهبة والأغنام والمواشى .. ويهوذا يزني بامرأة ابنه
 وداود يشتري زوجة الضابط (أوريا) فيزني بها ويرسل زوجها للقتل
 ليتخلص منه .. أما بيت داود النبي العظيم كان بيت الفجور والاجرام
 ففيه يضاجع الابن زوجات أبيه في عين الشمس وأمام جميع اسرائيل
 اما سليمان فيختتم حياته المجيدة بعبادة الأصنام .. وهارون يصنع العجل
 الذهبي ويمعبده .. حتى موسى تقول التوراة انه خان ربه ولم يقده (١)
 ولهذا يحرمه الرب من دخول الأرض الموعودة ويموت في سيناء هو وهارون ويقول
 الرب لهما في التوراة :

" لأنكما خنتماي ولم تقدا ساني لن تدخلا الأرض التي تفيض لبنا وعسلا
 ويدخلها عبدي يشوع بن نون " (٢) .

(١) راجع عرضا كتاب التوراة ، مصطفى محمود ص ٦٢ بتصرف طفيف .

(٢) المرجع السابق ص ٦٢

حتى أيوب نقلوا عن لسانه أنه ينكر البحث والقيام من القبور • ولم
يسلم واحد من الأنبياء الأول العظام الذين بنوا صح الدولة اليهودية
من التلطيخ •

واليك نماذج من هذا التلطيخ من التوراة نفسها :

سيدنا ابراهيم والتوراة

فالتوراة تعرض صورة قذرة لابراهيم ، فهو - كما تزعم التوراة - يعرض
امراته الجميلة الفاتنة ، ويجعلها وسيلة كسب وثرأ •

تقول التوراة في " سفر التكوين " أول اسفارها الخمسة المقدسة المجمع
على قداستها من مختلف طوائف اليهود والنصارى ومن السامرة (١) ضد

" وحدث جوع في الأرض ، فانهدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك ، لأن
الجوع في الأرض كان شديدا ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي
امراته : اني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رآك المصريون
أنهم يقولون : هذه امراته ، فيقتلونني ويستبقونك ، قولي : انك اختي
ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك •

" فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة
جدا ورآها رؤساء فرعون ، فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام
خيلا بسببها " (٢) •

" وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال ، فغضب الرب فرعون
وبنيه ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام •••

(١) راجع اليهود والنصرانية ، أحمد عبد الغفار عطار ص ٤٣ ، دار الأندلس

(٢) راجع سفر التكوين في الاصحاح العشرين • بيروت

" فدعا فرعون أبرام وقال : ما هذا الذى صنعت بي ؟ لماذا لم تخبرني
أنيها امرأتك ؟ لماذا قلت : هي أختي ، حتى أخذتها لي لتكون زوجتي ؟
والآن ، هوذا امرأتك ، خذها واذهب ، وأوصي فرعون رجلاً فشيصوه
بأمراته وكل ما كان له " (١)

وهكذا يصور كاتب هذا الاصحاح سيدنا ابراهيم . . . وأما نحن —
المسلمين — نقول : اذا كان كتاب اليهود الذى يدين به النصارى أيضاً
تكذب على ابراهيم فتذكر عنه ذلك المسلك الشائن فان كتاب المسلمين ^{بلاشك} ذلك ،
وهذا أعظم دليل على ان كتاب المسلمين هو الحق .

يقول القرآن الكريم في ابراهيم :

- * واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً * (١)
- * ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * (٢)
- * وان من شيعته لا ابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم * (٣)
- * سلام على ابراهيم ، كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين * (٤)
- * ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين شاكراً لأنعمه
اجتباؤه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة
لمن الصالحين *

* ونجيناه ولوطاً الى الارض التى باركنا فيها للمالئين . ووهبنا له اسحاق
ويهمقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا
اليهم فعل الخيرات واقام الثلاثة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين *
* ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً *

(١) سفر التكوين في الاصحاح العشرين (١) مريم آية ٤١
(٢) الانبياء آية ٥١
(٣) الصافات آية ٨٤
(٤) الصافات آية ١٠٩ - ١١١

* ابن ابراهيم لاواه حلیم *

* ان ابراهيم لحلیم اواه منيب *

وغير ذلك من الآيات البينات التي تصف ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بما يليق به ، ويكفي أن الله جملة اماما للناس ، وكل هذه المحامد والصفات الكريمة تنفي فريضة سفر التكوين الذي نسجها كاتبه الساقط البديء .

وانا كان أبو الأنبياء بهذه السقوط الخلقى الذي يدعيه سفر التكوين فكيف يؤمن بهذا الكتاب رجال العالم الحديث الهاربون عن رب الكنيسة . وبهذه وتلك يظهر بكل وضوح كلام الشيخ محمد الفزالي حيث قال : ان الالحاد الحديث لم يحدث في أوروبا المعاصرة الا من تبلد الضمير الدينى عند أهل الكتاب والجمود الفكرى والتجارة بالدين .

الدفاع عن التوراة

" يقول المدافعون عن التوراة . . ان ما جاء في العهد القديم عن خطايا الأنبياء حقيقة لا تلطيخ فيه ولا مبالغة . . . وأن الله كانت له حكمة وراء ما حدث . فقد أراد أنبياءه أفراد عاديين يخطئون . . ليكونوا أمثلة لنعمة الله ورحمته ومغفرته " (١) .

هذا هو كلام المدافعين

وهو كلام مردود عليه

فكيف نقود قطيعا من الخراف الضالة بكيش ضال مثلهم . . أليس طبيعيا أن يكون القائد قدوة طيبة ونموذجا حسنا . . كيف يدعو الأنبياء الى الرصايا العشر وفي أولها لا تقتل لا تسرق لا تزني . . ويكونون هم أول من يقتل ويسرق ويزنى .

(١) راجع كتاب التوراة مصدق محمود ص ٦٤ .

أنا لم أقل ان الأنبياء يجب أن يكونوا آلهة •

وانما قلت ان من الطبيعي أن يكون النبي قدوة طيبة ونموذجا حسنا
بحكم كونه المختار من ملايين •• والا سقطت عنه وظيفته - وأصبح تشریف
الله في اختياره له دون الملايين غيره تشريفا بلا معنى •• وتحول من قدوة
حسنة الى مثل سيء وأصبح مضللا بدلا من أن يكون هاديا •

والواقع خلاف ذلك لأننا لم نر نبيا أبدا مضللا بل كانوا هداة ••
وكانوا خير قدوة •• ولكن حرص اليهود على تخريب كل شيء (وهم أبناء
الأفاعي وقتلة الأنبياء) جعلهم يقتلون حتى ذكرى هؤلاء الأنبياء
ويشوهون ويتابعون أعمالهم وأقوالهم بالتحريف •

ولنقف وقفة تأمل أمام تلك الحادثة الفريدة التي توربها التوراة عن

داود وامرأة قائد الجيش (أوريا) •

" وحبلت المرأة (من الزنا مع داود) فأرسلت وأخبرت داود وقالت

اني حبلي •• فأرسل داود في طلب أوريا (ليمنحه اجازة يقضيها مع امرأته
في محاولة لستر هذا الحمل " السفاح ") •

وقال داود لأوريا انزل الى بيتك واغسل رجلك •• فخرج أوريا

من بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل الى بيته بل نام على باب الملك
فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا الى بيته فقال داود لأوريا أما جئت

من السفر فلماذا لا تنزل الى بيتك فقال أوريا لداود ان تابوت العهد واسرائيل

ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوب (قائد الجيش) وعبيده نازلون على

وجه الصحراء •• وأنا آتى الى بيتي لاأكل وأشرب واضطجع مع امرأتي وحياتك

وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر " •

(١) راجع التوراة - مصطفي محمود ص ٦٩

(٢) راجع المصدر السابق •

ومن هو ذلك النبي داود * الذي صورته التوراة ؟
هل يمكن أن يرسل داود مثل هذا الرجل الى الموت ليأخذ امرأته
غنيمة الا أن يكون داود زنيا ؟
من أجل ماذا تلك الشناعة ؟
من أجل لحظة نزوة رآها ذات مساء على السطوح
والحقل يقول : ان هذا محال أن يقع لنبي *
تلك هي بعض تصورات اليهود تجاه السهم (ييهوه) وأنبيائهم
الذين صوروهم للناس في ثياب اللصوص الذين ليس لهم هم سوى
جمع حطام الدنيا واقتراف المنكرات * * وليس غريبا ان نجد
المفكرين قد ثاروا على هذه العقيدة التي لا تصدقه العقول السليمة
والفطرة السليمة *

وبعد هذا ننتقل الى موقف العلم الحديث من التوراة *

التوراة المحرفنة

قد رأينا في السطور الماضية عقيدة اليهود في رسم وفي أنبيائهم
الذين صوروهم في صور اللصوص وقطاع الطرق .

فكان ذلك مما يساعد الملاحدة على تكذيب جميع الأديان وجميع
الكتب السماوية . . . وهنا نريد أن نقدم للقارئ نماذج من تحريف التوراة ليطلع
الملاحدة أن المعلومات المناقضة للعلم الحديث في التوراة ، ليست من
عند الله وإنما كتبت التوراة هم الذين كتبوها بأيديهم فقالوا : هذا من
عند الله " .

وقبل الخوض في بيئنا هذا التحريف الخطير يحسن بنا أن نعطي
للقارئ فكرة موجزة عن التوراة نفسها . . .

فكرة موجزة عن التوراة

• التوراة : هو الاسم السامى

أما التعبير اليونانى الذى أعطى كلمة (pentateuque)

الفرنسية فيهى تعنى مؤلفا يتكون من خمسة أجزاء :

سفر التكوين ، و سفر الخروج ، و سفر اللاويين ، و سفر العدد ،
و سفر التثنية . وهى الأسفار التى كونت العناصر الأولى لكتاب العهد القديم
من تسعة وثلاثين مجلدا . . .

وتتناول هذه المجموعة من النصوص أصل الكون وحتى دخول الشعب
اليهودى أرض كنعان ، الأرض الموعودة بعد الخروج من مصر ، وبالتحديد
حتى موت موسى . وتستخدم حكاية هذه الأحداث كإطار لعرض التدابير
الخاصة بالحياة الدينية والحياة الاجتماعية للشعب الشيبودى . ومن هنا

جاء اسم التوراة يعنى الناموس^(١) ، هذه فكرة موجزة عن التوراة ، واذا
فهمنا هذا قد تهيأنا بعض التهيؤ لننتقل الى استعراض نماذج لتحريف
التوراة من التوراة نفسها . .

نماذج من تحريف التوراة

لقد ظلت اليهودية والمسيحية ، لقرون طويلة ، تعتبران أن موسى
نفسه هو كاتب التوراة .

وربما كان سبب هذا الظن اعتمادهم على بعض النصوص وردت فى
الإنجيل التى توهم أن موسى هو الذى كتبها ومن هذه النصوص
ما يلى :

جاء فى سفر الخروج أن الرب قال لموسى : " اكتب هذا تذكارا " (٢)
والمقصود من هذا هزيمة عماليق .

أو اعتمدا على الآية الثانية من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر
العدد : " وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب " (٣) .
أو أنهم اعتمدا على آية فى سفر التثنية " وكتب موسى هذه التوراة " (٤)

هذه هى بعض أدلة القائلين بأن موسى هو الذى كتب التوراة نفسه حتى
كان بعض المتحمسين - كأمثال (فلافيوس جوزيف) (Lavius Josephe)
وفليون الاسكندرى (philon)^(٥) ، يرون أن موسى هو الذى كتب
الأسفار الخمسة كلها . وكان هذا التحمس ابتداءً من القرن الأول قبل
الميلاد .

(١) يراجع فى هذا الى كتاب دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة
موريس بوكاى ص ٢٦

(٢) الخروج الاصحاح ٢٧ الاية ١٤ (٣) العدد الاية الثانية من الاصحاح ٣٣

(٤) التثنية الاية التاسعة من الاصحاح الحادى والثلاثين

(٥) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص ٢٧

وأما أدلتهم من الانجيل كالتالي :

أولا :- ⁽⁶⁾ ان بولس قد كتب في رسالته الى اهل رومية يقول :
 " لا ن موسى يكتب في اكبر (١) الذي يصدر من الناموس " (٢)

وأما يوحنا - ان كان هو الذي كتب الانجيل المنسوب اليه ، فهو يجمع
 المسيح يقول تلك العبارة التالية :

" لا نكم لو كنتم ترون موسى لكنكم تصدقونني لأنه هو كتب عنى .
 فان كنتم لستم تصدقون ما كتب فكيف تصدقون كلاي " (٣) وهذه
 بعض ما يعتمد عليه المسيحيون في نسبة كتابة التوراة الى موسى عليه السلام .

ولكن كل ذلك بهتان وزور ويتضح ذلك فيما يلي :

ذلك ان الله تعالى قد سخر بعض كبار المسيحيين لرد هذا الزعم . وهو
 الأب ديفو (R. P. De Vaux) الذي يعترف به جميع المسيحيين
 في تمسكه للديانة المسيحية ^(والذي) بالقدس حيث كان مديرا لمدرسة
 الكتاب ، وهو الذي قدم لترجمته لسفر التكوين عام ١٩٦٢ م بمقدمة
 عامة لأسفار موسى الخمسة . وهي مقدمة تحتوي على حجج قيمة تناقض
 الدعاوى الانجيلية الخاصة بأبوة المؤلف المعنى به .

يذكر الأب ديفو أن " التراث اليهودي الذي امتثل له عيسى والرسول "
 " كان مقبولا حتى نهاية القرون الوسطى . وكان الرافض الوحيد لهذه
 الدعوى " أبين اسرا " (Aben Esra) في القرن
 (٤)

(١) المقصود هنا المدل

(٢) الاصحاح العاشر الاية ٥ من رسالته لأهل رومية

(٣) انجيل يوحنا . الاصحاح الخامس ٤٦ - ٤٧

(٤) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي ص ٢٧

وقال أيضا :

" وفي القرن السادس عشر أشار كارلشتاد (Carlstadt) الى استحالة أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيفيات " (١)

ويذكر أيضا بعد ذلك نقاد آخرين يرفضون نسبة كتاب التوراة

الى موسى ويذكر على وجه الخصوص دراسة ريشار سيمول (-

Richard Simon) في كتابه " التاريخ النقدي للعهد

القديم " .

(Histoire Critique Du vieux Testament)

(١٦٨٨) . وفيه يؤكّد ر . سيمون على الصعوبات الخاصة بتسلسل

الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب في أسفار

موسى الخمسة .

وعندما صدر هذا الكتاب جن جنون الكنيسة ضده لأنه أشار ضجّة

وسخطا ولم يتابع أحد حجة ر . سيمون تقرّيبا . . خوفا من سلطان الكنيسة . . (٢)

وكما استطاع النقاد أن يثبتوا أن التوراة قد عيّنت أماكن بأسماء لم توضع

لها إلا بعد موسى بقرون عديدة (٣) يستطيع القارئ أن يتصور إلى أي حد

كان من الصعب تدحيض هذه الخرافة ، خرافة أن موسى هو كاتب التوراة .

ومع هذه الصعوبات كلها جاء رجل مسيحي آخر فقام بدراسة أخرى

يثبت فيها أن موسى لم يكتب التوراة التي بأيديهم . . وهذا الرجل هو :

جان استروك (١٧٥٣) .

(١) سفر التثنية الاصحاح ٣٤ الآيات من ٥ الى ١٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٨

(٣) انظر المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ص ١٢٢ تأليف كرسون ، ت عبد الحلیم حمود ط ٢ القاهرة .

ورسالة في اللاهوت والسياسة لسبينورا ترجمة حسن حنفي مصر ١٩٦٣م

ان هذا الرجل كنت لديه شجاعة أن ينشر على الملأ ملاحظة أساسية

هي وجود التناقض في نصوص التوراة • ونذكر من هذه التناقضات ما يلي :

أولا :-
وجود نصين جنبا الى جنب في سفر التكوين يحتوى كل منهما على

خاصية مختلفة في تسمية الرب :

اذ يسميه أحدهما " بيهوه " ويسميه الثاني بـ " ألوهيم " •

اذ نفسر التكوين يحتوى على نصين جنبا الى جنب •

ثم قام " ايخهون " (Eichhorn) ١٧٨٠ - ١٧٨٣

بنفس الاكتشافات بالنسبة للكتب الأربعة الأخرى •• ثم جاء (ايلجن)

(Ilgen /) ١٧٩٨ ولاحظ أن أحد النصين اللذين

مزيهما (ستروك) وهو النص الذى سمي فيه الرب بألوهيم ، ينقسم هو

أيضا الى قسمين :

وبهذا تفتت كتاب أسفار موسى الخمسة •

وإما بحاشية القرن التاسع عشر الميلادى فقد كرسوا جهودهم فى بحث

عن المصادر أكثر دقة ••

وفى سنة ١٨٥٤ م كانت هناك أربعة مصادر مقبولة وتسمى بالأسماء

التالية :

١ - الوثيقة اليهودية

٢ - الوثيقة الألوهيمية

٣ - وسفر التثنية

٤ - للنص الكهنوتى

ومن المدهش ان الباحثين قد أفلحوا فى اعطائها اعمارا فقالوا :

ان الوثيقة اليهودية تقع في القرن التاسع قبل الميلاد (وقد حررت في
مملكة الجنوب) .

وأما الوثيقة الألوهيمية فهي أقرب تاريخيا بقليل (وقد حررت بإسرائيل)
وأما سفر التثنية فينتسب الى القرن الثامن من قبل الميلاد في رأي آدموند
جاكوب .

وأما النص الكهنوتي فينتسب الى عصر النفي أو ما بعد النفي ، أي القرن
السادس قبل الميلاد .

بهذا يتضح لنا أن الأسفار الخمسة لم يكتبها موسى عليه السلام . لأننا
ثبت أنها كتبت بعد موته بقرون عديدة . (١) وبالتحديد على ثلاثة قرون
بأقل تقدير . (٢) وليس في استطاعة اليهود ولا المسيحيين الذين يؤمنون
بقدسية الأسفار الخمسة ، أن يردوا هذا البحث العميق الموضوعي .

وكما يتضح أيضا تكون كتاب أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثية مختلفة
جسمتها - بشكل يقل أو يزيد حذفًا - محررون ، وضموا تارة ما جمعوها
جنبًا الى جنب . وطورا غيروا من شكل هذه الروايات بهدف وحدة مركبة
تاركين للمين أمورًا غير معقولة وأخرى متناقضة . . . كما من شأنها أن قادت
المحدثين الى البحث الموضوعي عن المصادر .

أخبار لا توافق الواقع التاريخي

قد وجدت في التوراة أخبار لم توافق الوقائع التاريخية ، وكل ذلك ساعد
الملاحدة على رفض الأديان . وسنكتفي بذكر شيء واحد من هذه التناقضات
وفيه الكفاية :

(١) يراجع في هذه الأخبار التاريخية الى دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف
الحديثة موريس بوكاي (٢٨ - ٢٩) . ومن راجع هذا الكتاب يجد هناك أشياء
كثيرة تثبت عدم نسبة التوراة الى موسى عليه السلام ولكننا اختصرنا الكلام فيه
نظرا الى أن المقام لا يتسع لذلك .
(٢) المرجع السابق (٤٠)

لقد ورد في سفر التكوين أن الله تعالى قد حدد - قبل الطوفان

بقليل - عمر الانسان بمائة وعشرين سنة . تقول التوراة :

” وتكون أيامه مائة وعشرين سنة ” (١)

ومع ذلك يلاحظ فيما بعد في نفس سفر التكوين الاصحاح (١١) الآيات من

١٠ الى ٣٦ أن حياة أنسال نوح العشرة قد دامت من ١٤٨ الى ٦٠٠

سنة .

ان التناقض بين هاتين العبارتين واضح ويدل دلالة واضحة أن التوراة

ليس من عند الله لأنه لم يمكن بحال من الأحوال أن يوجد في كلامه اختلاف
لأنه ^{هو الذي} يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . ولا تخفى عليه خافية . .

اذن ان هذا يثبت أن التوراة محرقة . . ولكن كيف حرفت ؟ فيجب

على ذلك بعض الباحثين الغربيين المعاصرين يقولون :

” ان تحليل ذلك بسيط : فالعبارة الأولى التي وردت في (سفر

التكوين) نصّ (يهوى) يعود تاريخه - كما مر بنا - الى القرن العاشر

قبل الميلاد .

أما العبارة الثانية في سفر التكوين الاصحاح ١١ - الآيات من ١١ - ٣٦

فهي نص وجد (في القرن السادس قبل الميلاد) في التراث الكهنوتي الذي هو

أصل هذه الأنساب التي تمتنى في احصاء أعمار كل من أتى بعد آدم الى

عهد المسيح . . . (٢) .

ويسدولنا جليا أن التوراة محرقة . وان دل هذا البحث الذي قام

به هؤلاء المسيحيون ، على شيء ، فانما يدل على صحة القرآن العظيم السدى

قد سبق العلم الحديث في الاشارة الى هذه النقطة وقال :

(١) سفر التكوين الاصحاح ٦ آية ٣

(٢) المصدر السابق (٤٠)

* يحرقون الكلم عن مواضعه * (١) وقال :

* ونسوا حظا مما ذكروا به * (٢)

وليس غريبا ان ترتفع هذه الضجة الكبرى ضد رجال الكنيسة

و ضد كتبهم وفي مقدمتها التوراة المحرفة .

ولم يكف محرروا التوراة بهذه التناقضات وانما زعموا أيضا ان الله

تعالى بعد ان خلق السموات والأرض - تعب فأخذ راحته بعد ستة أيام . .

وقد تكلمنا عن هذه النقطة عند الحديث عن عقيدة اليهود في الله ولكننا

أعدنا الكلام عليه لأجل أن نبين مصدر هذه الأسطورة . .

وقد رأى الباحثون أن لهذه الأسطورة تعليلا وهو :

ينبى أن نتذكر دائما أن رواية الخلق هنا تأتي من النص الذى سقى

بالكنهوتى ، كنه الكهنة وهم الوريشون الروحىون لحزقيل نبى النفسى

ببابل فى القرن السادس قبل الميلاد .

ومعروف أن هؤلاء الكهنة قد أعادوا روايتى الخلق اليهودية والألوهيمية

وأعادوا صياغتها على مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة^(٣) على حين لا يشير

النص اليهودى ، الذى يسبق النص الكهنوتى بمدة قرون الى راحة الله

الذى تعب من عمله طيلة الأسبوع .

اذن ان مصدر هذه الأسطورة هو الرواية الكهنوتية وذلك بعد نفسى

اليهود من بابل . ودليل ذلك خلو النص اليهودى من هذه الرواية . . فالتوراة

بهذه المثابة - كتاب محرف كذب على الله . ففضحها الله أمام رجال

الحلم الحديث . . وأما الله - كما يقول القرآن لا يمسه من نخوب يقول الله :

(١) سورة المائدة الآية رقم ١٧

(٢) = = = = = (٢)

(٣) سفر التكوين الاصحاح السادس اية ٣

ذلك اختصار شديد لبيان التحريف في التوراة ، التحريف الذي كان ثغرة
 أخذ منها الملاحدة لتفنيدهم جميع ما يتعلق بالدين المسطلق ،
 وتكميلاً لبيان تحريف التوراة ، نود أن نستمع إلى رأى العلم الحديث
 في شأن التوراة .

وغرضنا في هذا الجزء - كما قلنا - نريد أن نقول للملاحدة الذين
 الذي ثارت عليه أوروبا دين يستحق أن يثار عليه لا شتماله على الخرافات
 والأباطيل . . . وأما ديننا الاسلامي بخلاف ذلك ، لأنه كما ينمى
 على الالحاد الذي يعيشه الملاحدة ، ينمى أيضا على الخرافات والتدين
 المنحرف الذي كان يتمتع بها رجال الكنيسة الأوربية . . .

موقف العلم الحديث من التوراة

ومن يتأمل في هذه التوراة المحرفة ، يجد فيها حشدا من المتناقضات وروايات
 مختلفة عن موضوع واحد ، وأخطاء تاريخية وأمورا غير معقولة أو يستحيل أن يتفق
 مع المعطيات العلمية الثابتة . . .

ومع ذلك نجد المجمع المسكوني الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥) يريد أن يجد
 مبررا لهذه المتناقضات ، وذلك بإدخال تحفظ على " أسفار العهد القديم"
 التي تحتوى على الشواهب وشيء من البطلان" (١) .

ترى هل يبقى هذا التحفظ مجرد تعبير عن نية طيبة ؟ الجواب لا !
 بل قام أناس في عصر أدرك فيه المفكرون استحالة اتفاق بين بعض فقرات التوراة مع
 المعارف الحديثة ، - للمقارنة بين ما ورد في التوراة مما يتعلق بالتاريخ
 والكون وبين المعطيات العلمية ، فوجدوا أن أغلب المعلومات التي وردت في

(١) المرجع السابق ص (٤٠)

التوراة باطلة لا تمت الى العلم بصلة . . فلندكر من ذلك ثلاث نقاط فقط :

- ١ - خلق العالم
- ٢ - تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الانسان على الأرض
- ٣ - رواية الطوفان

واليك تفاصيل ذلك :

أولا - خلق العالم :

ان العلم الحديث لم يوافق ما ورد في التوراة من خلق العالم ، ويرى أن رواية التوراة في هذا الباب أسطورة محضة . واليك القصة بالنص .
تقول التوراة :

" في البدء خلق الله السماء والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية والظلمات تغطي اللجة وروح الله على المياه " (١) .

يرى العلم الحديث أن الحديث عن الماء في هذه الفترة ، أسطورة من أساطير كتاب التوراة . . وأما الذي يعتقده العلم الحديث هو : وجود كتلة غازية في المرحلة الأولى لتكون الكون ولكن القول بوجود الماء في تلك المرحلة غلط . .

ومن هنا نعلن نحن المسلمين - للعالم بأسره أن كتابنا خال من الخرافات التي امتازت بها هذه التوراة ، لأن رأى العلم الحديث في الكتلة الغازية التي كونت العملية الأساسية لتشكيل الكون ، يشبه بما جاء في القرآن العظيم . .
فالقرآن يقول :

* أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون *

وفي هذه الآية يدعو الله تعالى الى التأمل في خلق الأرض ثم يأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول : ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان
فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها فقالتا أتينا طائعين ﴾ .
فيجب الالتفات الى ما يلي :

أ - الإشارة الى وجود كتلة غازية في هذه الفترة . يؤخذ ذلك
من كلمة " دخان " اذ يتكون الدخان عموما من قوام غازي .
ب - الإشارة الى عملية الفتق للكتلة الفريدة الأولى التي كانت عناصرها
في البداية ملتحمة : لأن الفتق هو فعل القطع أو فك . اللحم أو الفصل
وأن (الرتق) فعل اللحم ووصل العناصر . . هذا ما يفهم من هذه
الآيات . اذن العلم الحديث لم يأت بجديد على المسلمين وانما نقول ان الذي
جاء به العلم الحديث بهذا الصدد فيه شبه بهذه الآية الا أننا في الوقت
نفسه لا نوافق العلم الحديث الذي حاول أن يحدد عمر الدنيا بأنه يبلغ ٥ر٤
مليارات من السنين تقريبا (١) لأن هذا التحديد مبني على الخيال والتخمين
وليس على الحقائق العلمية لقوله تعالى :

﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم وما كنت
متخذاً المضلين عضدا ﴾ .

بعد هذه الآية الكريمة لا يتردد مؤمن أن يقول ان كل محاولة لتحديد
نشأة الكون محاولة اضلالية . لأن ذلك لا يتم الا بالمشاهدة والمعاونة .
هل هؤلاء وهؤلاء شاهدوا ذلك ؟ أو عاونوا الله عند الخلق ؟ الجواب لا
فتحدد هم اذن في مثل هذا الموطن لا يصح به . لا من قبل الخرافات
التوراتية ولا من قبل الفروض الكثيرة التي يعتمد عليها أرباب العلم الحديث .

فكل فكرة تدعى تفسير الكون ينبغي عليها أن تتخذ طريقة ليست فيها الصدفة والافسوس مرفوضة عند المسلم من أساسها . لأن من أسس بنيانه على الرمال فسوف تذريره الرياح ..

إذا كانت التوراة غلطت في تحديد نشأة الكون وعمره ، ففلط العلم الحديث أشنع لأنه يدعم فكرته هذه على نفي وجود الله أولاً ثم اثبات شيء خيالي أخيراً ..

الخلاصة :

ان التوراة المليئة بالكاذيب حاولت أن تحدد عمر الدنيا ففشلت ، فاذا بالعلم الحديث أراد أن يكشف هذا الخلط فوقع فيما هو أشد اضلالاً وهو: نفي تدخل اللفظ الكون . والكلام الوسط ما أشار اليه القرآن الكريم وهو أن أصل الكون كان كتلة دخانية ثم فتقها الله بقدر خاص وحكمة بالغة وغاية مرسومة مقدره بدون أى تحديد زمنى يقول تعالى :

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ (١) . وبعد هذا نتقدم الى خطوة

ثالثة .

الطوفان

نود في هذا البحث التاريخي الخطير أن نستعرض الآراء بدون أى تعليق ليفكر فيه القارئ برأيه الخاص . وذلك أن التاريخ غيب لا يمكن لأى أحد أن يصل الى معلومات يقينية الا عن طريق السمع أو اشارة من علم . ورغم كل ذلك سنجد العلم الحديث يجد ثغرات كثيرة في روايات التوراة بل يجد

(١) سورة الانبياء الاية رقم ٢٠

فيها تناقضات لا يستسيغها أي عقل انساني • واليك تفاصيل ذلك :

أولا - رأى التوراة في قصة الطوفان :

والرواية كلها في شمولها هي ما يلي من سفر التكوين ثرويهها بالمعنى

لقصد الاختصار ••

لما عم فساد البشر قرر الله تدميرهم مع كل المخلوقات الحية الأخرى •

فحذر نوحا وأمره ببناء السفينة التي سيدخل بها زوجته وأولاده الثلاثة

بزوجاتهم الثلاث وكائنات حية أخرى ••

ويختلف المصدران بالنسبة للكائنات الحية : فهناك مقطع من الرواية (وهو

كهنوتي الأصل) يشير الى أن نوحا قد أخذ زوجا من كل نوع ، ثم يحدد

المقطع التالي وهو من الأصل اليهودي أن الله قد أمر بأخذ سبعة من كل نوع

ذكر وأنثى من الحيوانات المسماة بالطاهرة ، وزوجا واحدا من الحيوانات المسماة

بغير الطاهرة • ولكن بعد ذلك يتحدد أن نوحا لن يدخل الى السفينة فعلا

الا زوجا من كل نوع من الحيوانات •

ويؤكده المتخصصون ، مثل الأب (ديفو) ، أن المعنى هنا هو مقطع

معدل من الرواية اليهودية •

وهناك فقرة (وهي من الأصل اليهودي) يشير الى أن عامل الطوفان

هو ماء المطر ولكن هناك فقرة أخرى (وهي كهنوتية الأصل) تقدم سبب الطوفان

على أنه مزدوج أي ماء المطر والينابيع الأرضية •

تغطت الأرض حتى قم الجبال وأعلى منها بالماء ، وتدمرت فيها كل الحياة

(٣)

وبعد سنة خرج نوح من السفينة التي رست على جبل (أرارات) بعد الانحسار •

(١) سفر التكوين الاصحاحات ٦ ، ٧ و ٨

(٢) راجع كتاب الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٥٢ ولكن بالتصرف

(٣) راجع سفر التكوين من التوراة عرضا

ثم لوراجعت التوراة تجد أن للطوفان روايتين مختلفتين : اذ تقول
الرواية اليهودية أربعون يوما فيضانا ، على حين يقول النص الكهنوتي
انها مائة وخمسون يوما . . .

ثم الغريب ان الروايات اليهودية ، لا تحدد تاريخ وقوع هذا الحدث من
حياة نوح ولكن الرواية الكهنوتية تحده بحين كان عمر نوح ٦٠٠ سنة .
وتعطى نفس هذه الرواية اشارات عن موقعه الزمنى بالنسبة لآدم وبالنسبة
لا ابراهيم . . .

وبيان ذلك : ان قوائم الانساب فى التوراة تقرر ان نوحا قد ولد بعد
١٠٥٦ عاما من آدم (أنظر جدول أسلاف ابراهيم فى سفر التكوين) فيكون
الفترة الزمنية بين آدم والطوفان كالتالى :

$$(١٦٥٦) = (١٠٥٦ + ٦٠٠) \text{ سنة}$$

وبالنسبة الى ابراهيم فيحدد سفر التكوين أن ميلاده كان بعد الطوفان
بـ (٢٩٢) سنة ٠٠٠ أى ثلاثة قرون تقريبا .

ولما كانت التوراة نفسها تثبت ان بين ابراهيم وعيسى ١٨ قرنا فنصل الى
النتيجة التالية :

ان الطوفان وقع قبل المسيح فى القرن (٢١) فاذا جمعنا ٣ قرون
التي وقعت قبل ميلاد ابراهيم مع ١٨ قرنا التي تعتبر الفترة الزمنية بين ابراهيم
وعيسى عليهما السلام .

وبهذا استطاع محرروا التوراة أن يصلوا الى تاريخ محدد لمعرفة زمن
الطوفان .

ثم ان سفر التكوين ، يخص كل الجنس البشرى بهذا الطوفان وأن البشرية
قد أعادت تكوين نفسها ابتداءً من أولاد نوح وزوجاتهم . . .

والهك نصوصا من التوراة تدل على طوفان نوح كان عالميا ..

أ - " فقال الله لنوح : ها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك

كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء ، كل ما في الأرض يموت " (١)

ب - " وتعاظمت المياه وتكاثرت جدا على الأرض فتغطت جميعا

الجبال الشامخة تحت كل سماء ، خمس عشرة ذراعا في الارتفاع تعاظمت المياه

فتغطت الجبال " (٢)

ج - وضعت قوس في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض .

فيكون متى أنشر سحابا على الأرض ، وتظهر القوس في السحاب ، أني أذكر

ميثاق الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد ، فلا تكون أيضا

المياه طوفانا لتهلك كل ذي جسد " (٣)

هذه من أدلة التوراة لاثبات عالمية طوفان نوح عليه السلام (٤) . والآن

نود أن نرى موقف العلم الحديث من هذه الروايات :

(١) سفر التكوين ٦ : ١٧

(٢) سفر التكوين ١٩ : ٢٠

(٣) سفر التكوين ٩ : ١٣ - ١٥

(٤) الآن يريد بعض المسيحيين أن يشبوا عالمية الطوفان بالاكشافات العلمية

الحديثة . فذكروا أشياء مختلفة منها : أنه وجدت عظام حوت في شمال

بحيرة (أنتاريو) على ارتفاع (٤٤٠) قدم فوق مستوى سطح البحر . هذه

تعتبر علامات على أن الماء كان يوما يغمر الأرض في أماكن كثيرة ..

ومعنى ذلك أن الطوفان كان عالميا .. هكذا يزعمون .. والعلم عند

الله الله .

(راجع كتاب : الانسان هل هو متطور أو مخلوق بقلم نورس أندرسون

ص ٣٣) .

موقف العلم الحديث من رواية الطوفان

ان العلم الحديث لم يكذب التوراة في وقوع الطوفان ، ولكنه كذبها في

النقاط التالية :

ليس في التوراة رواية واحدة فقط عن الطوفان بل هناك روايتان ولكنهما

حررتا في عصور مختلفة :

- الرواية اليهودية ترجع الى القرن التاسع قبل الميلاد .

- الرواية الكهنوتية التي ترجع الى القرن السادس قبل الميلاد .

والتي أخذت هذا الاسم لأنها مؤلف لكهنة ذلك العصر .

ولا تأتي هاتان الروايتان كل الى جانب الأخرى وإنما تتشابهان وتتداخل عناصر احدهما في عناصر الأخرى وتتعاقب فقرات كل مصدر بالتبادل مع فقرات المصدرين الاخرين ، فهذا يدل على خبث محرري التوراة وسوء نياتهم حيث خلطوا

الروايات بعضها ببعض لتوعير الطريق أمام الباحث .

يقول الأب (ديفسو) : انهما حكايان للطوفان تختلف فيهما العوامل

التي أدت الى الطوفان كما يختلف زمن وقوعه ويختلف عدد الحيوانات التي شحنها نوح بالسفينة (١) .

ويقول موريس بوكاي تعليقا على كلام الأب ديفسو :

" ان رواية الطوفان في العهد القديم غير مقبولة في اطارها العام وذلك

لسببين يتضحان على ضوء المعارف الحديثة :

أ - يعطى التوراة للطوفان طابعا عالميا

ب - وعلى حين لا تعطى فقرات المصدر اليهودي للطوفان تاريخا ،

تحدد الرواية الكهنوتية زمن الطوفان عصر لم يكن من الممكن أن تقع به كارثة

(١) المصدر السابق ص ٢٤٤

من هذا النوع والحجج التي يستند اليها هذا الحكم هي ما يلي :

* تحدد الرواية الكهنوتية أن الطوفان قد حدث عندما كان عمر نوح ٦٠٠ عام غير أنه من المعروف ، بحسب الأنساب المذكورة في الاصحاح الخامس من سفر التكوين أن نوحا قد ولد بعد آدم بـ ١٠٥٦ عاما .

وينتج عن ذلك أن الطوفان قد وقع بعد ١٦٥٦ عاما من خلق آدم .

وكما تؤكّد التوراة أن ابراهيم قد ولد بعد الطوفان بـ (٢٩٢) عاما .

ولما كنا نعرف أن ابراهيم كان يعيش في حوالي ٢١ أو ٢٢ قرنا قبل الميلاد اذن ان الطوفان قد وقع في القرن ٢١ أو ٢٢ قبل المسيح ، هذا ما لا يتفق

مع المحطيات الحديثة : كيف يمكن اليوم تصور أن كارثة عالمية قد دمرت الحياة

على كل سطح الأرض (باستثناء ركاب السفينة) في القرن ٢١ أو ٢٢ ق م ؟

ففي ذلك العصر كانت هناك على نقاط عدة من الأرض حضارات قد ازدهرت

وانتقلت أطلالها الى الأجيال التالية :

وبالنسبة (لمصر) على سبيل المثال ، كان ذلك في الفترة الوسطى التي

تلت نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى . والنظر الى ما نعرف عن

تاريخ هذا العصر فانه يكون مضحكا القول بأن الطوفان قد دمر في ذلك

العصر كل الحضارات .

وفي بابل أسرة أور الثالثة . ومن المعروف جيدا أنه لم يحدث انقطاع

في هذه الحضارات وبالتالي لم يحدث اعدام يخص البشرية برمتها تقوّل

التوراة :

* وبالتالي فلا يمكن اعتبار أن روايات التوراة الثلاث تصف للانسان أمورا

تتفق مع الحقيقة . هل أنزل الله شيئا غير الحقيقة . ؟ *

هذا ما يقوله الحلم الحديث ضد هذه للرواية وطبعي أن ذلك
يثير افتراض وجود تحريف بواسطة البشر - أما في الأقوال المتوارثة التي
الثقلت شفيها من جيل لآخر أولى النصوص بعد تحديد هذه الأقوال
المتوارثة .

وعندما نصرف أن مؤلفا مثل سفر التكوين قد عدل على الأقسام
مرتين وهذا على مدى ثلاثة قرون ، فكيف ندهش حين نجد فيه هذه
الأمور المتناقضة أو روايات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء .

فليس غريبا أن تكون هذه الديانة في موضع السخرية والازدراء
لدى الملحدين الذين وقفوا على هذه المضحكات المبكيات في هذه التوراة
المحرّفة .

وليس غريبا أن يقول الملحدة :

" ان الدين أسوأ خدعة في التاريخ "

أو يقولون :

" ان الدين أفيون الشعوب "

ولنكتف بهذا القدر مخافة التطويل ، ولكن قبل أن ننتقل إلى
طفيان الكنيسة الذي يعتبر بحق الناقد المعلن لمجى الثورات ضد
الدين ، يحسن بنا أن نمطي فكرة موجزة عن موقف القرآن الكريم
من رواية التوراة للطوفان . . .

موقف القرآن من رواية التوراة للطوفان

على حين تتحدث التوراة عن طوفان عالى لحق كل البشرية الكافرة ،
يشير القرآن على المكس ، الى عتوبات عديدة نزلت على جماعات محددة جدا
تشير الى ذلك الآيات التالية :

* ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه خارون وزيرا • فقلنا
اذهبا الى قوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا *
* وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية
واعتدنا للظالمين عذابا ألينا *
* وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا
له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا * (١)

وعلى هذا فالقرآن يقدم كارثة الطوفان باعتبارها عقابا نزل بشكل خاص
على شعب نوح وهذا يشكل الفرق الأساسى بين الروایتين •••
أما الفرق الجوهرى الثانى فهو أن القرآن، على عكس التوراة : لا يحدد
زمن الطوفان ولا يحطى أية اشارة عن مدة الكارثة نفسها •

وأما أسباب السيل فقد وافق فيها القرآن رواية التوراة التى تقول :
" فى ذلك اليوم انبثقت عيون الماء من الهوة بالسحيفة وانفتحت هواويس
السماء • (٢)

وأما القرآن الكريم فيقول :
* ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر
قد قدر * (٣)

(١) سورة الفرقان ، الآيات ٣٥ الى ٣٩
(٢) سفر التكوين ١١ ، ٢
(٣) سورة القمر ، الآية ٥٤

وكما أن القرعان يخالف التوراة في تحديد محتوى سفينة نوح حيث يقول :
 ... أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن.
 وما آمن معه إلا القليل * (١)

وأما رواية التوراة لا تشير إلى هؤلاء من بين ركاب السفينة * * ومع ذلك
 إن التوراة قدمت لنا ثلاث روايات عن محتوى السفينة كلها متناقضة *

— على حسب الرواية الكينوتية : نوح وأسرته دون أى استثناء وزوج من كل
 نوع *

— على حسب الرواية اليهودية ، هناك تمييز من ناحية بين الحيوانات الطاهرة
 والطيور وبين الحيوانات النجسة من ناحية أخرى (والسفينة تحتوى
 على سبعة أزواج من الفئة الأولى * ذكر وأنثى وعلى زوج واحد فقط
 من الفئة الثانية) *

في نهاية المطاف نستطيع أن نقول — مطمئنين — أن الاختلافات بين رواية
 القرآن وروايات التوراة موجودة * * وهى هامة

وكما أصبح واضحاً تمام الوضوح عدم إمكانية اتفاق رواية التوراة في تقديمها
 للطوفان بزمنه ومدته — مع مكتسبات المعرفة الحديثة وعلى العكس من ذلك
 فإن رواية القرآن تتضح خالية من أى عنصر مشير للنقد الموضوعى *

والسؤال الآن موجه إلى الملاحدة الذين يقولون بوجود تناقض بين
 العلم الحديث وبين الأديان كلها ، نقول لهم :

فمن عصر رواية التوراة إلى عصر تنزيل القرآن هل حصل الناس على معلومات
 من شأنها أن تلقى نورا على حدث مثل هذا ؟

بالتأكيد لا ! فمن العهد القديم الى القرآن كانت الوثيقة الوحيدة

التي في حوزة الناس عن هذه الحكاية القديمة هي التوراة بالتحديد .

وإذا لم يكن عند الانسانية كلها علم آخر يبين خطأ التوراة في هذا

الحدث الا القرآن فقط ، أفلا يتسع في أخلاذ الملاحدة أن يصدقوا

هذا الكتاب المعجز ؟ وأن يعرفوا أن العلم الحديث لا يناقض الدين

الصحيح ، وإنما يناقض الأديان المحرفة المبنية على الخرافة والجهل والقصور . . .

ثم نقول لهم :

لولم يكن القرآن من عند الله أنبي لمحمد رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن يأتي بأسى فكرة عن الاله والكون والانسان ، صححت فكرة الفلسفة

النظرية كما صححت فكرة العقائد الدينية .

فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين ، في جانب النقص منهما - ان هذا

لهو أعظم المعجزات التي أثبتت له في حكم العقل المنصف والبدية الصادقة

أنه وحي من عند الله . . .

وصدق الله تعالى : ﴿ ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾

﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾

ماذا قال المفسرون عن عالمية الطوفان وعدم عالميته؟

ان المدارس لكتب التفاسير المعتبرة ، يجد أن المفسرين ليسوا على اتفاق تام في مسألة الطوفان ..

منهم من يرى أن الطوفان كان خاصا لقم نوح ..

والبعض الآخر يرى أنه كان شاملا لجميع سكان الأرض ..

واليك أدلة كل من الفريقين :

وقد رأينا - تلخيصا جيدا للآراء - في تفسير روح المعاني للعلامة

الألوسي البغدادي ، نود أن ننقله اليك بنصه :

يقول الألوسي وهو يشرح قوله تعالى :

* ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم

وجملنا ذريته هم الباقيين *

" وقد روى أنه مات كل من في السفينة ، ولم يعقبوا عقبيا باقيا غير أبنائه

الثلاث اسام وحام ويافت وأزواجهم فانهم بقوا متناسلين الى يوم القيامة ..

ثم ساق الحديث الذي يدل على عالمية الطوفان فقال :

" أخرج الترمذى وحسنه ، وابن سعد ، وأحمد ، وأبو علي ، وابن

المنذر وابن أبي حاتم والطبري والحاكم وصححه عن سمرة أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال : " سام أبو الصرب وحام أبو الحبش ويافت أبو الروم .. " (١)

ثم علق عليه بقوله : " ولا أعرف حال الخبير " (٢)

(١) تفسير الطبري ج ٢٣ - ٢٥ ص ٦٧ . راجع أيضا تفسير الكشاف ج ٣ ص ٣٤٣

راجع أيضا الدرر المنثور للسيوطي ج ٤ ص ٣٣٩

راجع أيضا القرطبي ج ١٥ ص ٨٦

(٢) تفسير روح المعاني ، الألوسي ج ٢٣ - ٢٤ المجلد الثاني عشر ص ٩٨

ثم ساق أيضا قول الفريق الثاني للذين يرون أن الفرق لم يكن —
عاما لجميع السكان فقال : :

" وقالت فرقة : أبقى الله تعالى ذرية نوح عليه السلام ومد في
نسله وليس الناس منحصرين في نسله بل من الأمم من لا يرجع اليه ..
ثم قال :

" وكان هذه الفرقة لا تقول بعموم الفرق ، ونوح عليه السلام ، إنما
دعا على الكفار وهولم يرسل الى أهل الأرض كافة فان عمم البعثة ابتداء من
خواص خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم : ووصول خبر دعوته وهو في جزيرة
الحرب الى جميع الأقطار كقطر الصين وغيره غير معلوم .
ثم أضاف قائلا :

" والحصص في الآية بالنسبة الى من في السفينة ممن عدا أولاده
وأزواجهم فكانه قيل : وجعلنا ذريته هم الباقين لا ذرية من معه في السفينة
وهولا يستلزم عدم بقاء ذرية من لم يكن معه ... وكان في بعض الأقطار
الشاسعة التي لم تصل اليها الدعوة ولم يستوجب أهلها الفرق كأهل الصين
كما يزعمون ..

وهكذا رأيت أنه أجاز الوجهين : العام والخاص ولم يجزم بتقديم
أحدهما على الآخر . والذي يبدو من خلال كلامه أنه يؤيد القول
بخصوص فهم نوح بالفرق بدليل قوله " ولا أعرف حال الخبر " .. أي أنه
لا يستطيع أن يأخذ هذا الحديث سندا لا ثبات عموم الفرق لأنه (الحديث)
مجهول لدي ..

وإذا لم يصرح برأيه الخاص فقد صرح غيره من المفسرين بأن الفرق
لم يكن عاما لجميع سكان الأرض بل كان خاصا بقوم نوح فقط .. ومن هؤلاء
المفسرين الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره = تفسير المراغي ان يقول

وهو يشرح قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ . أي أهلكنا
 من كفر بنا استجابة لدعوته : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾
 ولم يعقب أحد ممن كان في السفينة عقبا سوى أبناء الثلاثة :
 (سام وحام ويافت) فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان
 من المشرق والمغرب ، ويافت أبو الترك .

ثم قال : " وهذا هو المشهور على السنة المؤرخين ، وليس في القرآن
 ولا في السنة نص قاطح على شيء من ذلك كما أنه ليس في القرآن ما يشير إلى
 عموم دعوته لأهل الأرض قاطبة ولا أن الشرق عم الأرض جميعا ، وأن
 ما تفيد الآية من جعل ذريته هم الباقيين إنما هو بالنسبة لذرية
 من معه في السفينة ، وذلك لا يستلزم عدم بقاء ذرية من لم يكن معه وقد
 كان في بعض الأقطار للشاسعة من لم تبلغهم الدعوة فلم يستوجبوا الفرق
 كأهل الصين وغيرهم من البلاد النائية " (١) .

هذا ما صرح به الاستاذ أحمد مصطفى المراغي من أن الطوفان لم يكن
 عاما لجميع سكان الأرض . . وهذا ما أبدته مستدلا بقوله . . ﴿ وَنوحٍ
 لما كذبوا الرسل أغرقناهم ﴾ .

وهذا ما أبدته أيضا كثير من الباحثين . نذكر منهم اثنين : واحدا من
 العالم الاسلامي وواحدا من أوروبا :

وأما الأول هو : الشيخ محمد الخزالي في كتابه القيم : (قذائف الحق)
 وهو يقول : " ورأي أن الطوفان القديم كان عقوبة لقوم نوح وحدهم ، وأنه
 ليس غرقا استوعب سكان القارات الخمس . . فما ذنب هؤلاء المساكين ونوح
 ورسالته محلية لا عالمية . اللهم الا اذا كان المعمور يومئذ من هذا الكوكب
 ديار نوح وحسب " . (٢) .

(١) تفسير المراغي ج ٢٢ - ٤٤ - أحمد مصطفى المراغي ص ٦٧

(٢) قذائف الحق ، محمد الخزالي ص ٢٢

موريس بوكاي يتكلم

وللباحث الآخر الغربي هو : الأستاذ (موريس بوكاي) • يرى هذا
الأستاذ أن للطوفان لم يكن عاما بل كان خاصا بقوم نوح فقط فلنقرأ
له هذه الكلمات التالية :

" ولكن ، كما يقول سفر التكوين ، يخص الطوفان كل الجنس البشرى •
وكل الكائنات الحية التي خلقها الله قد أهدمت على الأرض حسب هذه
الرواية • ان البشرية ، والأمر هكذا تكون قد أعادت تكوين نفسها
ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم •• بحيث انه عندما يولد ابراهيم بعد ذلك
بثلاثة قرون تقريبا • فانه يجد الانسانية قد أعادت تكوين نفسها في مجتمعات ••
كيف يمكن لاعادة البناء هذه أن تتم في زمن قليل الى هذا الحد ••
ثم قال :

" ان هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن النص أية معقولية • أكثر من
ذلك فالمعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعارف
الحديثة •• (١) (٢)

بهذا نكتفي للاثبات أن محرري التوراة هم الذين جعلوا الطوفان كارثة
عالمية وتبعهم في ذلك رجال الكنيسة • ثم انتقلت هذه المعلومات الى
عقول سائر الناس •• والحمد لله الذي وفقنا لا زالة هذه الخرافة عن عقول
الناس ••

-
- (١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة • موريس بوكاي ص ٥٣
(٢) ان المعارف الحديثة التي يريدونها هنا ، قد تكلمنا عنها سابقا عند كلامنا
على موقف العلم الحديث من التوراة •• فليراجع هناك ••

الفصل الثاني

طغيان الكنيسة

قد مر بنا في السطور الماضية ، تبدل الضمير الديني عند اليهود ، ورأينا كيف انحرفوا عن العقيدة السليمة التي رسمها لهم الرسولان العظيمان : ابراهيم وموسى عليهما السلام . وكما رأينا ان التوراة المحرفة ، لا تستطيع أن تقوم على قدميها أمام المعارف الحديثه لاشتمالها على الخرافات والترهات والأباطيل في أغلب الأحيان . . .

وفي هذه الصفحات ، نود أن نتكلم عن طغيان الكنيسة وتبدل الضمير الديني عند رجالها المحتكرين ، لنرى كيف أصبحت هذه الديانة عوناً لقيام الإلحاد الحديث ، وكيف صارت غملاً بشما تطارد الناس في يقتلتهم ومناميم . . .

ومن يلقي على هذه الديانة نظرة فاحصة ، يجد أن الحال لم يكن معها خيراً مما كانت عليه اليهودية ، بل كان الأمر أدهى وأمر . . . لأنهم (١) و(٢) و(٣) بعد ما أن طمس بولس معالمها ، انتقلت إلى الدولة الرومانية

(١) هو بولس " القديس " من أعظم رجال المسيحية ، ولد في طرسوس بآسيا الصغرى اسمه الأصلي (شاول) روماني الجنسية . درس في القدس ونشأ نشأة يهودية متحمساً لأبيه ووطنه ، وكان يضطهد المسيحيين . . . كلف من قبل رئيس الكنيسة بالذهاب إلى دمشق لمقاومة المسيحية سنة (٣٥) وفي طريقه يقول : أنه رأى بختة نورا ساطعاً وسمع صوتاً يقول : " شاول شاول لسم تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا رب ، فأجابه الصوت : " انه يسوع الذي تضطهده " . فأجاب شاول وذهب إلى دمشق حيث نزل عند المسيحيين وانخرط في مسلكهم . . . راجع الموسوعه العربية الميسرة ص ٤٤٢ .

(٢) راجع معالم تاريخ الانسانية هـ . و ويلز ج ٣ ص ٩٠٢ ت : عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ١٩٦٧ هـ ولكن بتصرف طفيف .
(٣) راجع أيضاً مقارنة الأديان المسيحية ، أحمد شلبي ص ٧٥ - المرجع أيضاً تاريخ الدعوة الاسلامية آدم عبدالله الألويزي ص ٣٢ .

الوثنية التي قد بلغت من الوثنية عظيماً ، ومن الانحلال الخلقى والفساد الاجتماعي متبهماً (١) وفي هذا الجو الوثني ، بدأت هذه الديانة تنتشر في هذه الدولة حتى دخلت فيها الامبراطورية الرومانية بقيادة قسطنطين (الامبراطور) في سنة ٣٠٠ م . وكان دخوله فيها خيراً للنصرانية لأنها ربحت ملكاً عظيماً ، ولكنها في الوقت نفسه خسرت ديناً جليلاً . لأن الوثنية الرومانية مسخت دين المسيح ومسخت أهله . وكان قسطنطين اكثر الناس افساداً له ، بسبب ولاءه لوثنيته الأولى . . .

انه دخل في النصرانية لا لتخضع الوثنية للنصرانية ولكن لتخضع النصرانية للوثنية الرومانية . . .

وفي هذا يقول الكاتب الأمريكي داربر في كتابه (الدين والعلم) :

(١) لقد ذكر المؤرخون الكثير من أخلاق الروم المنحطة : منها ما ذكره (سنيكا)

الفيلسوف الروماني الشهير (٤ ق م) يندب كثرة الطلاق ويشكو تفاقم خطبه بين بني جلدته فيقول :

" انه لم يعد الطلاق - اليوم - شيئاً يندم عليه أو يستحي منه في بلاد الرومان ، وقد بلغ من كثرة وذيوع أمره ان جعلت النساء يعددن أعمارهن بأعداد أزواجهن .

وأغرب من ذلك ما ذكره القديس جيروم (٣٤٠ - ٤٣٠) عن امرأة تزوجت في المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها . . . وكانت هي ايضاً الزوجة الحادية والعشرين لبعليها . . . راجع التطور والثبات في حياة البشرية تأليف محمد قطب ص ٦٨ .

وكانت عندهم لعبة وحشية حيث يتجمعون اليها وينفقون في سبيلها بسخاء يتصارعون فيها بالسيوف والخنجر ، يشق بعضهم بطون بعض ويقطعون أوصال بعضهم . . . وسادات الرومان يشهدون ذلك بلذة وشفف . راجع جاهلية القرن العشرين محمد قطب ص ٣١ .

" دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين ، الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومانية ، لتظاهرهم بالنصرانية . ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين ولم يخلصوا له يوما من الأيام . وكذلك كان قسطنطين^(١) ، فقد قضى عمره في الظلم والفجور ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية الا قليلا في آخر عمره سنة ٣٣٧ ميلادية .

" ان الجماعة النصرانية ، وان كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية ، وتقتلع جرثومتها . وكان نتيجة كفاحها ان اختلطت مبادئها ، ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية ، والوثنية سواء بسواء - هنالك يختلف الاسلام عن النصرانية ، اذ قضى الاسلام على منافسه (الوثنية) قضاء تاما ونشر عقائده خالصة بخير غش ."

" وان هذا الأباطور الذي كان عبدا للدنيا والذي لم تكن عقائده الدينية تساوى شيئا رأى لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبين المتنافسين - النصراني والوثني - أن يوحدهما ويؤلف بينهما ، حتى ان النصراني السراسخين أيضا لم ينكروا عليه هذه الخطة ولعلمهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة سيزدهر اذا طمست ولقحت بالمقائد الوثنية القديمة . وسيخلص الدين النصراني عاقبة الأمر من ألدناس الوثنية وأرجاسها " (٢) .

(١) قسطنطين : أباطرة رومان وبيزنطيون : قسطنطين الأول (الكبير)

(٢٨٨ - ٣٣٧) ابن قسطنطين الأول والقديس . راجع الموسوعة

العربية الميسرة ص ١٣٨١ .

(٢) راجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي -

ص ١٦٦ - ١٦٧ .

القرآن يذكر بعض انحرافاتهم

وقد ورد في القرآن الكريم بعض الاشارات الى هذه الانحرافات الخطيرة في الديانة النصرانية التي أفقدها الثقة على أن يعطى التفسير الالهي للوجود وحقيقة صلته بخالقه ، وحقيقة هذا الخالق وصفاته وحقيقة الوجود الانساني وغايته وطريقه . فلنقرأ الآيات التالية لتوضح لنا مدى انحراف هذه الديانة الخريسة .

* لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، وماواه النار وما للظالمين من أنصار *

* لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . وما من اله الا اله واحد . وان ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب اليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ؟ ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أني يؤفكون . قل: أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ؟ والله هو المسيح المليم . قل : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل * (١) .

* وقالت اليهود عزير ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أني يؤفكون ؟ * (٢)

(١) سورة المائدة الآية : ٧٢ - ٧٧

(٢) سورة التوبة الآية : ٣٠

* وان قال الله يا عيسى ابن مريم ، أنت قلت للناس انا اتخذونك نبي
 وأمي الهمين من دون الله ؟ قال : سبحانك ! ما يكون لي ان أقول ما ليس
 لي بحق . ان كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم
 ما في نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتني به : ان
 اعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتني
 كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . ان تعذبهم فانهم
 عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم * (١)

وهكذا نرى مدى الانحراف الذي دخل على النصرانية ، من جراء
 تلك الملابسات التاريخية ، حتى انتهت الى تلك التصورات الأسطورية
 التي دارت عليها الخلافات والمذاهب عدة قرون (٢) .

(١) سورة المائدة الآية : ١١٦

(٢) قال ابن القيم في كتابه القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ،
 مبينا أسباب هذا الانحراف فقال : ” وما زال أصحاب المسيح بعده على
 ذلك - على منهجه - قريبا من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم منى
 التخيير والتبديل والتقرب الى الناس بما يهون ومكيدة اليهود ومناقضتهم
 بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة . ثم قال : ” وفي عهد
 قسطنطين الرومى ابن هيلانة الحرانيه الفندقية ، وفي زمنه
 بدل دين المسيح . وهو الذى أشاد دين النصارى المبتدع وقام به
 وقعد . وكان عدتهم زهاء ألفى رجل فقرروا تقريرا ولم يرتضوه ثم اجتمع
 ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا منهم . والنصارى يسمونهم الآباء فقرروا ألوهية
 المسيح ” وهذا ما يسى في التاريخ مجمع نيقية في سنة ٣٢٥ ميلاديه .
 راجع الكتاب المذكور ص : ١٥١ .

وهذه هي العقيدة الوثنية التي ثارت عليها أوروبا ، العقيدة التي
شوهت معالمها منذ أول خطوة لها . . . وهؤلاء هم رجال الدين الكنسي
الذين قدموا هذه الجناية على أنفسهم وعلى الدين وعلى البشرية ، والذين
أتاحوا الفرص للملاحدة أن يكذبوا بجميع الأديان والعبادى والقيم
الأخلاقية بل بوجود البارى - سبحانه - أيضا . غير أن الأمر
لم يقف عند تبدل الضمير الدينى ، وفساد التصور الاعتقادى بل أضافت
الكنيسة الى ذلك بما يحزن منه القلب وتدمع منه العين . وهو بيع غفران
الله بالصكوك . واليك تفاصيل ذلك :

صكوك الغفران

لقد قررت الكنيسة أن تمنع نفسها الحق فى اعطاء صكوك الغفران ، فى
احدى المجامع الكنسية الكثيرة التى كانت تجتمع بين الحين والحين وتفسر
وتبدل وتحرف وتنشىء وتضيف ما تشاء الأهواء " القدسة " الى
العقيدة النصرانية . . .

ان مما أثار المعارضة الشديدة بين رجال الدين الكنسي وبين المفكرين
فى أوروبا هو التوسع فى بيع صكوك الغفران . وابتدأ هذه الصكوك - كما
أفاد بذلك د . عبد الحميد البطريق - يرجع الى عام ١٢٠٠م عندما ابتكر
البابا بونيفاس السابع (٧١١) (مرسوما بابويا مقدسا

(١) راجع كتاب التاريخ الأوروبى الحديث من عصر النهضة الى مؤتمرينا ، تأليف
الأستاذ الدكتور عبد الحميد البطريق والدكتور عبد العزيز نوارى ٩٢ -
دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ب ٧٤٩ .

يعرف بالففران (Indulgence) (١) ويقضى بأنه اذا اعترف شخص اعترافا كاملا بذنوبه وتبرا وندم ندما حقيقيا على خطاياہ فانه يتخلص من عقاب الآخرة . ولكي يحصل على هذه المغفرة عليه أن يدفع لقاء ذلك هبة مالية . . . وعلى هذا أفرط رجال الدين في اعطاء حق بيع الففران افراطا شديدا . وأنشأوا له صكوكا تباع وتشترى . فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا ، ومتمعة من متعها . وبذل العصاة في سبيلها المال الكثير . وفي هذا يقول العلامة ابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ : (٢)

" وليس عندهم على من زنى أو لاط / حد في الدنيا أبدا ولا عذاب فى الآخرة لأن القس والراهب يفرله . فكلما أذنب امرؤ ذنبا أهدى للقس هدية أو أعطاه درهما لوغيره يفرله . واذا زنت امرأة أحدهم بيثها عند القس ليطييبها له ، فاذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها ، قبل ذلك منها وتبرك " (٣) .

-
- (١) الأصل فى نشأ هذه الصكوك ، هى فكرة الاعتراف أمام القسيس لقبول توبة الممتترف الذى لا يدخل الجنة فى الحال بعد موته . بل يعطى فترة من الزمن فيما يسمى بالمطهر الذى يقضى فيه المذنبون حكم الله بالمذاب الى أن يتطهروا من ذنوبهم ولتخفيف عذاب المطهر ، ابتكرت الكنيسة صكوك الففران التى كانت موردا ماليا درعليهم أموالا كبيرة جعلها تتفالى فى اباحة بيعها حتى لمن يريد عقران خطاياہ القادمة فى مستقبل أيامه . راجع التاريخ الأوربي الحديث ، د . عبد الحميد البطريق ص ٩٤ .
- (٢) راجع كتاب هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ص ١٤٢
- (٣) الدارس لكتاب حرية الفكر ، يجد فيه أن الكنيسة أباحت لنفسها حقوقا كثيرة منها حق التحلة فهو حق خاص يبيع للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين وتتخلى عن الالتزام بها متى اقتضت المصلحة . راجع كتاب حرية الفكر تأليف سلامة موسى ص ٥٦ .

وهذا نص صك الغفران ، الذى كان يباع ببيع السلمة !

* ربنا يسوع يرحمك (يا فلان) ويحك باستحقاقات الآم الكلية
 القداسة . وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى ، أحلك من جميع القصاصات ،
 والأحكام والطائعات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الافراط والخطايا
 والذنوب التى ارتكبتها - مهما كانت عظيمة وفضيمة - ومن كل علة - وان
 كانت محفوظة لا بينا الاقدس البابا والكرسى الرسولى - وأحو جميع أقدار
 الذنوب ، وكل علامات الملامة ، التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه
 الفرصة . وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وأدرك حديثا
 الى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأترنك فى شركة القديسين . أرك ثانيا
 الى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند محموديتك ، حتى أنه فى ساعة الموت
 يفتح أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة الى محل العذاب والعقاب ، ويفتح
 الباب الذى يؤدى الى فردوس الفرح . وان لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة
 تسبق غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة . باسم الأب والابن والروح
 القدس . *

هذه صورة صك الغفران تذكر أنها تمحو الآثام ، وتغفر ذنوب الماضى
 ما تقدم منها وما تأخر ، تغسله من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهرا ، ثم
 لا يصير قابلا لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا ومهما ينغمس
 فى المعاصى ، كأن ذلك الصك جوازا للمرور الى النعيم القيم لا يمسوق
 حامله عاق ، ولا يردده عن الوصول خازن أوحارس .

(١) راجع كتاب محاضرات فى النصرانية . للاستاذ الشيخ أبوزهرة ص ٢٠٦ -

الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م : دار الفكر العربى .

ان هذه المسألة - كما قلنا - كان لها أثر في الفكر المسيحي ، وبسببها
 وغيرها تقدم المصلحون في جراءة ، داعين إلى اصلاح الكنيسة بالحسنى أو بخير
 الحسنى . ترتب على ذلك ظهور المذهب "البرتستانتي" على يد المصلح الكبير
 "مارتن لوثر" وأمثاله . فأرادت الكنيسة أن تقضى على هذه الحركة اللوثرية ،
 بأن أصدر البابا (لويس العاشر) قرار الحرمان من الكنيسة ضد لوثر (ديسمبر
 ١٥٢٠) وكان رد (مارتن لوثر) أن أحرق قرار البابا علانية أمام الناس .
 لذا اعتبر (مارتن لوثر) خارجا على القانون وحكم عليه باهدار دمه . ورغم
 ذلك استمرت الحركة في طريقها حتى جاء رجلا عظيمي وهما :
 أوليبرخ زونجلي (١٢٨٤ - ١٥٢١) و جون كلدن (١٥٠٩ - ١٥٦٤)
 وكان لهما أثرهما الفعال في توجيه حركة الاصلاح . (١)

مسألة الاستحالة

ان الكنيسة لم تكف بهذه المييزة ، مييزة صكوك الغفران ، بل أضافت
 إليها شيئا آخر مستحدا ما جاء به الكتاب المقدس عندهم وما تعرض لــــه
 النصارى الأطلون ولا المجامع المقدسة الأولى ، وهو مسألة الاستحالة . وهي
 مسألة تتفرز منها النفوس^(٢) ولذا كانت هي أيضا إحدى الحالات التي ثار عليها
 مارتن لوثر وكالفن وزنجلي فيما يسمى بالاصلاح الديني^(٣) قصتها كما يلي :

-
- (١) راجع عرضا كتاب التاريخ الأوربي الحديث . الدكتور عبد الحميد البطريق
 والدكتور عبد العزيز نوار ص ١١٠
 (٢) أنظر التمصّب والتسامح ، محمد الفزالي ص : ٩٠
 (٣) راجع الكتاب المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب : ص ٤٨

" أن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزا ويشربون خمرا ويسمون ذلك الحشاء الرباني ، ولقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبر يستحيل إلى جسد المسيح ، وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح المسفوك . فمن أكلهما وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه " (٣) و(٤)

فلا غرابة إذن أن يثور الثائرون على هذه العقيدة الغريبة التي لا يستطيع العقل البشري أن يستسيغها بيسر وسهولة بل لا يستطيع أن يستسيغها قط . . .
وإذن الكنيسة فرضت على الناس قبولها ومنعتهم من مناقشتها ولا عرضها للطرد والحرمان .

هذه هي القاصمة

ثم لم تكف حماقة الكنيسة بهاتين المسألتين الغريبتين على العقل البشري بل اتبعتهما بأمثالهما في الكون والحياة ، فادعت آراء ونظريات جغرافية وتاريخية وطبيعية مما كان سائدا في عصرها مليئة بالأخطاء والخرافات عن الكون وما يحويه ، وعن الحياة والإنسان . . . وجعلتها مقدسة لا تجوز مناقشتها ولا تصحيحها ولا تجربتها ولا القول بسواها لأنه قد سادت في أفكار الناس - آنذاك - النظرية القائمه بأن الباطل الله في الأرض . . .

وكانت هذه هي القاصمة لأنها الباطل الذي يسير على التجربة بيان بطلانه وكشف زيفه ولأنها المنطقة التي أطلق فيها العقل الإنساني ليرتادها ولم يفرض عليه منها نظرية معينة . . .

(١) راجع أيضا كتاب محاضرات في الفهرانية ، للشيخ ابن زهرة ص ٢٠٤ .

(٢) راجع كتاب المسيحية للدكتور محمود الشلبي ص : ٦٦ الطبعة الثانية (١٩٦٥)

واليك نموذجاً بسيطاً من هذه النظرية المسيحية آنذاك !

وبرجوع سريع الى كتاب معالم تاريخ الانسانية ، نجد فيه أن الفلسفة المسيحية كالتفصيل على معلومات تفصيلية عن الكون تقول : " ان الله خلق العالم ابتداءً سنة ٤٠٠٤ ق م وتبع ذلك بخلق الانسان في جنة عدن على مسيرة يومين من البصرة بالضبط " . والمعجب أن هذه النظرية المسيحية ظلت مستمرة حتى مطلع القرن التاسع عشر فقد طبع كتاب الأسقف (آثر) الذي يحمل هذه النظرية سنة ١٧٧٩ م .
(١)

ومن الطرائف أن مجلساً كنسياً كان قد أعلن في بداية القرن العاشر للميلاد أن القرن الأخير من حياة العالم قد استهل لأن الله قد جعل المدة بين انزال ابنه ونهاية العالم الفسنة فقط " (٢) .

المسيحية والطوفان

ان المسيحيين لم يكتفوا بهذه الروايات المتضاربة بل أيدوها أيضاً بمعلومات بشرية تؤكد أن الطوفان كان عالمياً . . . واليك شيئاً من ذلك :

يقول (نورس أندرسون) وهو يؤول يد عالمية الطوفان :

" وبما أنه حدثت طوفانات محلية كثيرة منذ أيام نوح . . . فان علامة العهد التي وضعتها الله تكون فلا معنى اذا لم يكن طوفان نوح عالمياً في مداه " (٣) .

(١) انظر معالم تاريخ الانسانية هـ ج ويلز ج ١ ص ١٦

(٢) انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ت : محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٧ م

(٣) الانسان هل هو متطور او مخلوق ، نورس أندرسون ص ٣٩ .

ثم قال : " (نحن نعتقد) أن الطوفان كان عالميا في مداه . . . وذلك
استنادا على اكتشافات ومشاهدات علمية مختلفة ، نقدم منها العينة القليلة
الآتية :

أ - تحتوى بعض طبقات الصخور ذات اللون البنى الموجودة فى ألمانيا
على نباتات دفنت فى الأرض على الفور . ولكنها جاءت من خطوط
المرض . . . وحفريات حيوانية مختلفة لقرود وتماسيح وحيوانات جرابيه وخطايات
من آسيا ، وطيور استرالى ونسر امريكى . وأيسط تفسير لهذه المجموعه
غير العاديه هو أن الطوفان اكتسح هذه النباتات المختلفه الى مكان واحد
حيث ضغطت نتيجة للتحركات العظيمه للقشرة الأرضيه .

ب - ان الطرق الاشعاعية لتحديد التاريخ قد أثبت أن عمر النفط فى خليج
المكسيك لا يتعدى الاف السنين ، وليس ملا بين السنين كما كان الاعتقاد
سابقا . فان كان عمر النفط الاف فقط ، فلا بد ان يكون قد تكون بختة
(ربما بفعل الطوفان) بدلا من تكوينه ببطء فى عصور طويله من الزمن
كما يمتقد أغلب الجيولوجيين . . . (١)

هذه كانت بعض أدلة المسيحيين فى كون الطوفان عالميا وأنه
وقع فى المدة التى حددتها التوراة . . .

ولكن هذه الاكتشافات لا يمكن بحال من الأحوال أن تتخذ دليلا
على صحة مقررات الدين ، لأن علوم الانسان فى تطور دائم لا تثبت على
حالة مستمرة . . . فمن بنى دينه على هذه المعلومات فكأنما بنى بيته على
الرمال . . . ومع ذلك جعلت الكنيسة المحتدية أمثال هذه المعلومات

معلومات مقدسة لا يجوز الخروج عنها .. فأنشئوا محاكم التفتيش التي
تعاقب كل من يهرج عن تعاليمها ..

فكان ذلك إحدى الحالات التي ثار الملاحدة ضدها ثم ضد
فكرة التدين نفسها ..

فاجتهدت الكنيسة في هذا العمل الاجرامى البغيض أن لا تدع فى
العالم النصرانى عرقا نابضا ضد الكنيسة ، وأحصت على الناس الأنفاس
وناقشت عليهم الخواطر حتى يقول عالم نصرانى :

" لا يمكن لرجل أن يكون مسيحيا و يموت حتف أنه " (١)

ثورة رجال النهضة

هناك عيل صبر المتنورين .. لأن ذلك وقع فى عصر انفجرت فيه
بركان العقلية فى أوروبا ، فزيف العلماء هذه الخرافات وانتقدوا الكذب المقدسة
فى صراحة وصرامة واعتذروا عن عدم اعتقادها والايان بها .. وأعلنوا اكتشافاتهم
واختباراتهم . فقامت قيامة الكنيسة كما قلنا . واستحل رجالها دماء العلماء
وأموالهم فى سبيل الدين المسيحى وأنشأوا محاكم التفتيش التي تعاقب - كما
يقول البابا :

" أولئك الملحدون والزنادقة الذين هم منتشرون فى المدن
والبيوت والأسراب والغابات والمفارات " (٢) .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص ١٧٦

(٢) المرجع السابق ص ١٧٥ .

الكنيسة تضطهد المسلماء

ويقدر - كما ورد ذلك في كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - عدد من عاقبت هذه المحاكم بثلاثمائة ألف . أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء . كان منهم العالم الطبيعي المعروف " برونو " نقت منه الكنيسة آراء - أشدها قوله بتعدد العوالم ، وحكمت عليه بالقتل ، واقترحت بأن لا تراق قطرة من دمه . وكان ذلك يعنى أن يحرق حيا ! وكذلك كان ! وكذلك عوقب العالم الطبيعي الشهير " جاليليو " بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس (١) .

وما يذكر في هذا أن أحد العلماء واسمه " بيلاد " كان له رأى فى تكفير خطيئة آدم خالف به رأى الكنيسة فقال : ليست حياة المسيح وصلبه وما لاقى فى ذلك من تعذيب سبيلا لا رضا الله وانزال عفوه عن خطيئة الانسان فعفو الله أيسر من ذلك وأقرب ، وانما لاقى المسيح ما لاقى اعلانا لما يكنه قلبه من حب الله وعسى أن يثير فى الناس عاطفة الشكر وعرفان الجميل فيعيدهم الى طاعة الله . ولكنه ما ان قال ذلك القول حتى انعقد مجلس محاكمته ، فكان نصيب كتابه التحريق . ونصيبه السجن الدائم حتى وافته منيته . (٢) .

(١) راجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ابو الحسن الندوى ص

(٢) محاضرات فى النصرانية ، أبوزهرة ص ٢٠٠

راجع ايضا الاسلام والنصرانية لمحمد عبده ص ٢٧

راجع ايضا تاريخ الدعوة الاسلامية آدم عبدالله الأتورى ص ٤٠

الاتاوات المالية

لقد فرضت الكنيسة لنفسها سلطانا على الجماهير ، استغلته أبشع استغلال في فرض الاتاوات المالية الباهظة التي تجبى اليها مباشرة مما جعل الناس يئنون تحت هذا الارهاق . والآن الكلمة للراهب جريم (Jarum) ليصور لنا ما كانت عليه البابوية من ترف وأكل أموال الناس بالباطل وانحطاط خملقى :

* ان عيش القسوس ونعيمهم كان يزرى بترف الأبرار والأغنياء المترفين وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطا عظيما واستحوذ عليهم الجشع وحسب المال ، وعدوا طورهم ، حتى كانوا يبيصون المناصب والوظائف كالسلع ، وقد باع بالمزاد العلني ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران ، ويأذنون بنقض القانون ويمنحون شهادات النجاة واجازات من المحرمات والمحظورات كاوراق النقد وطوايح البريد ، ويرتشون ويرابون . . . وقد بذروا المال تبذيرا حتى اضطر البابا (انوسنت) الثامن ، أن يرهن تاج البابوية ، ويدعى البابا (ليوالعاشر) أنه انفق ما ترك البابا السابق من ثروة وأموال . وأنفق نصيبه ودخله وأخذ ايراد خليفته المرتقب سلفا وأنفقه او يروى أن مجموع دخل ملكة فرنسا لم يكن يكفى البابوات لنفقاتهم وارضاء نفوسهم .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ص ١٢٣

نقله عن كتاب : Conflict of Religion, And Science

(٢) المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب ص ٤٣

فرض سلطانها على الملوك

بالفت الكنيسة - كما رأيت - في شدتها ولم ينج حتى الملوك من طغيانها . لقد صار البابوات غير خاضعين بأى نوع من أنواع الخضوع لأى ملك من الملوك وعلى النقيض من ذلك ان البابا له سلطان على كل ملك ، لأنه مسيحي وله السلطان الكامل على كل المسيحيين . ولأن البابا خليفة لبطرس الرسول ، وبطرس الرسول أقامه المسيح رئيسا على الحواريين من بعده ، فالبابا على هذا الاساس خليفة للمسيح ينطق باسمه ويتكلم بخلافته وينفذ بسلطانه ومن خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح وحارب دينه لأنه - كما قلنا - ظل الله في الأرض †

ونذكر للقارى على سبيل المثال الأثلة التالية تبين مدى طغيان الكنيسة

وحماقتها :

١ - قرارات الحرمان تنال الملوك :

فقد جاء في كتاب سوسنة سليمان : المجمع الثالث عشر انعقد في ليون من أعمال فرنسا سنة ٢٤٥ بأمر البابا " اينوسنت " لأجل عزل فريديريك ملك فرنسا وحرمانه " (١) .

٢ - اشتداد النزاع والمنافسة بين البابوية والأمبراطورية :

وكان ذلك في القرن الحادى عشر حيث انتصرت فيها البابوية أولا حتى أن هنرى الرابع ممثل الأمبراطورية اضطر سنة ١٠٧٧ م أن يتقدم بخضوع نحو البلاط البابوى فى قلعة كانوسا ولم يسمح له البابا بالدخول الا بعد أن شفع له الرجال بالمشول بين يديه فدخل الأمبراطور صاغرا حافيا لا بسا الصوف وتاب على يديه

(١) فنفر له للبابا زلتا

٣ - الخضوع المذل لرجال الدين :

بلغ الخضوع المذل لرجال الدين ، الى حد السجود في الأرض الموحلة بالطين عند مرور أحد رجال الكهنوت ، وفوق ذلك ، راحت الكنيسة تفرض على الناس ضرائب مالية كما قلنا - وتحصيله - ^(٢) فالمشور والاتاوات والعمل المجاني في أراضى الكنيسة الاقطاعية ، والتجنيد في جيوشها التي تحارب فيها الملوك والمصاة وتؤدبهم . . . ذلك لون من طفيان الكنيسة وسلطانها المفروض على العباد . . . لم ينج اذن الملوك من قرارات الحرمان والطرده .

٤ - وقوف رجال الدين في صفوف الظلمة ضد الشعب الكادح : الذين فرضت

عليهم حقوق غير مفهومة . مثل حق الصيد للنبلاء وبيع الوظائف والامتيازات الفئريائية والاقطاعية وغير ذلك من الحقوق التي كانت للطبقة الارستقراطية (النبلاء ورجال الدين) .

وتلك " بعض " انحرافات الكنيسة التي قامت بها في العصور الوسطى في أوروبا زد على ذلك أن الكنيسة الأوربية كانت قيمة على الجهل وحرصة عليه ، فلما ثار عليها ثائرون فما كان من الكنيسة الا أن تحافظ على جهلها ليضمن لها استئامة الجماهير لسلطانها الطاغى . فبدأت تحارب العام - كما رأينا - وكان أمرا طبيعيا أن تقوم " الحركة " في أوروبا على غير أساس الدين كان أمرا طبيعيا من جميع الوجوه .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ص ١٧٣ .

(٢) راجع كتاب جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص ٣٤

راجع كتاب معركة التقاليد للمؤلف ص ١٤

راجع كتاب التطور والثبات للمؤلف ص ١٦ - ١٧

راجع كتاب تاريخ أوروبا العصور الوسطى : ١ / ١٧١ أعده فشرهت / مصطفى زيادة مصر ١٩٦٦ م

فالدِّين كما تصوِّره الكنيسة الأوربية وصورتها للناس كأن يمثل الثبات المطلق في جميع الأمور . وقد تحولت هذه الديانة من معنى الرحمة كما رأيناها مع الملوك والطبقة الكادحة والعلماء الباحثين ، قد تحولت إلى سلطان دنيوى قاهر مذل (١) و(٢) .

من طفيان الكنيسة هذه الرهبانية الماتية

لقد ابتدعت الكنيسة رهبانية ضد الترف الرومانى ولكن رجال الدين الكنسى ما رعوها حتى رعايتها . . . لعلها كانت شرا على الانسانية والمدنية من بهيمة رومة الوثنية . . .

وقد تخطت هذه الرهبانية المبتدعة حدود القياس . . . وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة الاجتماعية وأصبحت المدنية بحكمهم ورهبانيتهم في صميمها ، فلم يتضاعف عدد سكان انكلترة في (خمسة سنة) ولم يتضاعف عدد سكان القارة الأوربية في (الف سنة) (٣) . وعمت القسوة على الأقارب . . . فكان المرهبان الذين تفيض قلوبهم حنانا ورحمة وغيونهم من الدمع ، تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والأمهات والأولاد فيخلفون الأمهات تكالى والأزواج أبامى والأولاد يتامى عائلة يتكفون الناس ، ويتوجهون قاصدين الصحراء . . . همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم في الآخرة لا يباليون ماتوا أو عاشوا . . . وحكى ليكى في كتابه تاريخ أخلاق

(١) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ت/ محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٧ م ٣٥٢ / ١٤

(٢) أما البابا الطاغية (جريجورى السابع) فقد أعلن أن الكنيسة بوصفها نظاما الهييا خليفة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية . . . راجع المصدر السابق

ج ٣٩٤ / ١٤ + وفشر ١٤٧ / ٢

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص ١٧٤

أوريا ما يحزن القلب ، يقول فيه مايلي :

" زاد عدد الرهبان زيادة عظيمة ، وعظم شأنهم واستفحل أمرهم واسترعوا الأنظار وشغلوا الناس ، ولا يمكن الآن احصاؤهم بالدقة ، ولكن مما يلقي الضوء على كثرتهم وانتشار الحركة الرهبانية ما روى المؤرخون أنه كان يجتمع أيام عيد الفصح (خمسون ألفا من الرهبان) .

وفي القرن الرابع المسيحي كان راهب واحد يشرف على (خمسة الاف راهب) ..
وكان الراهب (سرايين) يرأس (عشرة الاف) ..
وقد بلغ عددهم في نهاية القرن الرابع عدد أهل مصر .. " (١) .

جناية الرهبان على أنفسهم

لقد أصبح تعذيب الجسم تقربا الى الله في هذه الديانة المجيبة .
روى المؤرخون من ذلك ما تمجه الأسماع و تستنكره الطبيعة الانسانية ..

قالوا : ان الراهب ماكاريسوس (Makarius) أنه

نام ستة أشهر في مستنقع ليقصر جسمه العارى ذباب سام ..

وكان يحمل دائما قنطار من حديد ..

(١) اقرا تاريخ أخلاق أوريا " ليكي "

(Lecky: History of European Morals)
Chapter 1 N

نقلا عن كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي

وكان صاحبه المراهب يوسيبس () يحمل
 نحو قنطارين من حديد .. وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نزرح ، وقد
 عبد الراهب يوحنا () ثلاث سنين قائما على رجل
 واحدة ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة . فاذا تعب جدا أسند ظهره الى
 صخرة .

و كان بعض الرهبان لا يكتسبون دائما ، وإنما يتسترون بشعرهم
 الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام ..
 وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والأبواب النارحة والمقابر ،
 ويأكل كثير من الكلاب والحشيش .
 وكان أزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأغلبهم
 في النجاسات والدنس .

يقول الراهب (اتيهينس) : ان الراهب (أنتوني) لم يقترف اثم غسل
 الرجلين طول عمره .. (١)

وكانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قريهن والاجتماع بهن ، وكانوا
 يعتقدون أن مصادفتين في الطريق والتحدث اليهن ولو كن أمهات
 وأزواجا أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية * (٢) . وروى
 المؤرخون الشيء الكثير من ذلك .

ان هذه الرهبانية كما رأينا فلا شك أن تكون سببا من أسباب الالحاد
 في أوروبا الحديثة .. لأنها شيء فوق مقدور الانسان ..

(١) المرجع السابق ص ١٦٨

(٢) المرجع السابق ص ١٦٩

من طفيا ن الكنيسة غياب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

عن الأناجيل الأربعة

لقد قال القرآن الكريم بشكل قاطع أن المسيح ، قبل أن يصعد الى السماء أخبر حواريه بأن الله تعالى سيرسل اليهم وسيطلا آخرًا ينوب عنه في ابلاغ رسالة الله وهو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

(١) فقال تعالى : ﴿ ٠٠٠ ﴾ ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه احمد ﴿ ٠٠ ﴾

هل حافظت الأناجيل على هذه الوصية الهامة التي تعتبر بحق خلاصة

دعوة المسيح عليه السلام ؟ أم حذفوها أو حذفوها ؟

فلا - بد - ان - من رجوع الى دراسة الأناجيل الأربعة :

ان الدارس للأناجيل الأربعة للبحث عن هذه الوصية يخرج منها

بالنتائج التالية :

١ - ان الأناجيل الثلاثة (انجيل لوقا وانجيل مرقس وانجيل متى)

لا يوجد فيها أثر لهذه الخطبة التي عليها مدار مسائل أساسية في المسيحية .

٢ - ان الذى ذكرها هو انجيل يوحنا وحده . . . واليك نصها

من انجيله بالترجمة المسكونية :

" اذا كنتم تحبوننى فستعلمون على اتباع أوامرى ، وسأصلى للآب الذى

سيمطىكم " *paraklet* " (٢) (براكليت) .

" رحيلى فائدة لكم ، لأننى اذا لم أرحل فالـ "

لن يأتى اليكم ، وعلى المكس فاذا رحلت فسأبعث به اليكم ، وهو بمجيئه

سيذهل العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم . . . " (٣) .

" عندما سيأتى روح الحقيقة ، فسيجعلكم ترقون الى الحقيقة بكاملها لأنه لن

يتكلم بارادته وانما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتى وسيجدنى " (٤) .

(١) سورة الصف آية : ٦

(٢) انجيل يوحنا بالترجمة المسكونية (١٤ ، ١٥ - ١٦)

(٣) = = = = (١٦ ، ٧ - ٨)

(٤) = = = = (١٦ ، ١٣ - ٤)

نقلا عن كتاب دراسة الكتب المقدسة ، موريس بوكاي ص ١٢٥ - ١٢٦ .

فما معنى هذه الكلمة (paraclet) (براكليت) ؟

لقد اختلف المسيحيون في تحديد معناها • فكل فريق منهم فسرها حسب ما يتناسب مع رغباته •

ان الذين يعتقدون أن المسيح هو آخر من يرسل من عند الله ، فسروا الكلمة بمعنى " الروح القدس " •

فقالوا ان الروح القدس هو الذي سينزل بعد رفع عيسى الى السموات ، ويذكرهم كل ما نسوا من تعاليم المسيح • وحملوا على الروح القدس كل الصفات الواردة في هذه الوصية •••• من الكلام والسمع وتكوين المجتمع المثالي لبني البشر على ظهر هذه البسيطة ••

واليك ما يقولون في معنى الكلمة ••

كاتب انجيل يوحنا جعل المسيح يقول :

"ال (paraclet) هو الروح القدس الذي سيرسله الاب

باسمى سيبخلكم كل شيء ، وسيجعلكم تتذكرون كل ما قلت لكم " • (١)
" هو نفسه يشهد " • (٢) •

ويعطينا " المعجم الصغير للعهد الجديد " للأب تريكو (Tricot)

معنيين لهذه الكلمة ، الا أنه يؤيد معنى (الروح القدس) •••••

يقول : " هذا الاسم أو هذه الصفة المنقول من اليونانية الى الفرنسية غير

مستخدم في العهد الجديد الا في انجيل يوحنا ، فهو يذكر الكلمة

أربع مرات عند سرده لخطاب المسيح بعد المساء الأخير •• (٣)

ثم بيّن مراده من الكلمة فقال : " ان الكلمة تنطبق على (الروح القدس) (٤) •

(١) انجيل يوحنا بالترجمة المسكونية (١٤ ، ٢٦) X

(٢) = = = = (١٥ ، ٢٦)

(٣) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي ص ١٢٦

(٤) الواقع أن المسيح ، في قول يوحنا ز يلقى خطابه الطويل في أثناء وفيه

يتحدث عن ال (paraclet) وهو خطاب لم يسرده المبشرون

الآخرون ••

ثم أضف قائلا :

" لقد كانت كلمة (paraclet) سائدة لدى اليهود الهيلنستيين في القرن الأول بمعنى " الوسيط أو المدافع " ^{يقول} اذن لهذه الكلمة معنيان : أولهما : (الوسيط) • وثانيهما : (الروح القدس) وبعد ذلك يعلق بقوله :

" فالمسيح يعلن ان الروح سيرسل بالأب والابن في دوره الانقاذي الذي يؤديه في أثناء حياته الفانية على الأرض وذلك لصالح تلاميذه وان الروح القدس يتدخل ويعمل كبديل للمسيح باعتباره (paraclet) أو وسيط قادر على كل شيء .. " (١).

يفهم من هذا التعليل ان الروح القدس هو الذي سيأتي بعد ما يرفع عيسى الى السماء مرشدا أسى للبشرية جمعاء ••• ويتدخل في الشؤون الاجتماعية ويقدم حلولاً لجميع المشكلات الانسانية • ياترى فهل هذا الشرح يتفق مع نص يوحنا ؟

نقول بدون تأخير بأن نسبة الصفات الواردة في انجيل يوحنا ، الى الروح القدس نسبة غير معقولة ••• بل لا تنطبق على الروح القدس لما يأتي :

ان الـ (paraclet) الذي رأيناه في نص يوحنا لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون الا كائنا بشريا مثل المسيح ، يتمتع بحاستي السمع والكلام •• وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع •• فيكون تفسير الخطبة على النحو التالي :

" ان المسيح يصرح بان الله سيرسل — فيما بعد — كائنا بشريا على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي عرفه " يوحنا " أي وسيطا بين الله وبيئته — خلقه •• انه دور نبي من بني آدم • وليس هو دور الروح القدس الذي

(١) المرجع السابق ص ١٢٧ •

لا يتصل بالناس الا عن طريق الالهام ان صح هذا التفسير ؟

النبي هو الذى يتكلم ويسمع ويذكر الناس ويكرر رسالة عيسى على مسامح

الناس ويكون المجتمع المثالى المبني على العدل ...

يا ترى ، هل بعد ما رفع المسيح فعل الروح القدس المزعوم شيئا من

ذلك ؟ هل كَوْن مجتمعا يربى أفراده ؟ وأتى بكتاب يصدق الانجيل ؟

لا والله ! ان الروح القدس لم - ولن - يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك

لان الأرواح المجردة من المادة لا تتصل بالناس اتصالا ماديا ...

ونحن نتحدثهم فى ذلك ... هل فى استطاعة احد من المسيحيين أن يثبت

ثبوتا قطبيا أن " الروح القدس " المزعوم كَوْن مجتمعا انسانيا بعدما رفع

المسيح ؟ هل كان تلاميذ المسيح يلتفون حوله لاستماع رسالات الله كما

كانوا يفعلون ذلك فى أيام عيسى عليه السلام ؟؟

هل جاء هذا الروح القدس المصطنع بكتاب آخر غير الانجيل يذكر

الناس فيه تعاليم المسيح التى نسبت • ويمجد المسيح وينفى عنه جميع

الشبهات التى أثيرت حوله ؟

والجواب لا ! اذن ان (paraclet) (براكليت) الذى

تحدث عنه انجيل يوحنا (١٦ ، ١٤٦) بقوله : " سأصلى لله وسيرسل لكم

(paraclet) آخر " ، وهو شئ آخر غير الروح القدس المزعوم ...

لان الصفات التى حددتها هذه الوصية ، صفات انسان مثل المسيح ، سيكون

وسيطا بين الله وبين خلقه ، سيرسله فى صالح البشر فى اثناء هياتته

على الأرض ...

فلنسأل التاريخ الانسانى العام بالسؤال التالى :

هل جاء بعد المسيح ، وسيط بين الله وبين خلقه استطاع أن يكون مجتمعا

مثاليا غير محمد صلى الله عليه وسلم ؟

هل جاء احد بعد ه يكرر رسالات السماء السابقة على مسامح البشر غير
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ الجواب عند المسيحيين •• فانهم يأتوا
بجواب حاسم : نقول لهم :

ان التفسير المنطقي للنص يوحنا هو ان الله سيرسل رسولا من البشر مثل
عيسى يقوم بالدور الذي قام به عيسى من تربية الناس و ردهم الى تعذيب الله
مؤ وجعل •• ولان لكون من المباليغين ه ان قلنا ان المسيحيين حرفوا معنى
هذه الكلمة لحاجة في نفوسهم ا وهي اعتقادهم ان عيسى هو الله
رسل الله وانبيائه •• لانهم يعرفون جيدا ان الكلمة ان بقيت على أصل معناها
وهي (الروح سيط) لفهم الناس مجي رسول آخر بعد عيسى يؤدى نفس الدور
الذي كان يؤدىه •• فلذا حرفوا معنى الكلمة فقالوا انه هو " الروح
القدس " الذي لا يرى ولا يخاطب ••

ويجوز هذه المناقشة المبررة مع كاتب انجيل يوحنا الذي أثبت هذه
الخطبة في انجيله مع تحريف المعنى الصحيح ؟ نود الآن أن نوجه
أسئلة الى المسيحيين جميعا والى كتاب الأناجيل الثلاثة (انجيل متى وانجيل
لوقا وانجيل مرقس) بصفة خاصة •• فنقول لهم :

كيف يمكن أن نشج الغياب التام (في انجيل متى و مرقس ولوقا) لرواية
الوداع المؤثر الذي يحتوى على وصية المسيح الروحية ؟

هل كان النص موجودا اولا عند المبشرين الثلاثة الأولين ؟

أم يحذف من أناجيلهم فيما بعد ؟

ولماذا ؟

وانقل فورا انه لا يمكن الاتيان بأية اجابة ••

انما ثغرة في رواية المبشرين الثلاثة •••

انها ثغرة كبيرة حيث خلت أناجيلهم من آخر حديث للمسيح وهو يتحدث

عن مستقبل البشرية بروحها ••• معطيا ارشاداته وأوامره ومعددا بشكل نهائى

المرشد الذي على الانسانية أن تتبمه بعد اختفائه ..
انه لشريب جدا وبميد عن الاحتمال أن تفيب هذه الوصية عن مرقس
ومتى ولو قافرا

فاذا قالوا ان هذا النص كان موجودا عندنا ثم نسيناه .. نقول لهم
كما قال تعالى : * ونسوا حظا مما ذكروا به *

فأناجيلهم اذن ناقصة .. لا تصلح أن تكون كتاب دين صحيح .. واذا
قالوا ما نسيناه ولكن حذفناه من أناجيلنا !

نقول لهم لماذا ؟ .. ليس هناك الا جواب واحد .. وهو ان النص
لا يتناسب مع عقيدتنا فلذلك حذفناه من أناجيلنا !

فنتلو عليهم قول الله تعالى : * يحرفون الكلم عن مواضعه *
فأناجيلكم - اذن كتاب محرف . والكتاب المحرف باتفاق جميع العقلاء
لا يحتج به أبدا ، لا في المقائد ولا في الأحكام ولا في العبادات .. وبهذا
وجدنا أن المسيحيين قد حكموا على كتابهم أنه كتاب نسي فيه عن كثير
من تعاليم المسيح أو حرف فيه كثيرا من تعاليمه ..
وليس غريبا اذن أن تقوم هذه الثورة الماتية ضد هؤلاء المنحرفين -
المحرفين .. ان مثل هذه الأمور غير المحقولة هي التي قادت المحدثين
الى البحث الموضوعي عن قيمة هذا الكتاب .

ان يتوبوا فهو خير لهم ، فيعملوا للناس رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم . فممنذئذ يكونون في تعداد * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .. ويضع عنهم اصرهم
والأفلال التي كانت عليهم .. فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور
الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون * (١)

ان هذه الوصية التي اخفيتوها فقد بينها القرآن العظيم - رغم انكمم -
 على لسان نبيه العظيم محمد صلى الله عليه وسلم وكشف عن نواياكم الخبيثة
 ان يقول : * واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله
 اليكم صدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه
 أحمد .. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين .. (١)
 وهكذا رأينا أن الطغيان أدى بهؤلاء الى هذه الخياة العلمية الكبرى ..

حقائق وأباطيل

وقد رأينا في الصفحات الماضية أن بعض الباحثين قد تغلوا في تكذيب
 جميع المعلومات المسيحية ، حتى قالوا ان سيدنا عيسى (كائن اسطوري) ..
 نود هنا أن نسوق آيات قرآنية لهؤلاء المنكرين الذين أنكروا عيسى ورسالته
 متعللين بأن خلقه لم يكن وفق السنن الطبيعية .. نقول لهم : ان هذا لا غرابة
 فيه . فان كان عيسى قد خلق من غير أب فان آدم عليه السلام قد خلق من
 غير أب . (٢)
 * ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن
 فيكون *

هذه هي الحقيقة .. وأما انكار وجوده باطل من أباطيل ..

*

كما ردنا على هؤلاء المنكرين ، نرد أيضا على هؤلاء الذين أطروا عيسى
 ابن مريم الذين قالوا انه ابن الله أو انه هو الله . (٣)

(١) سورة الصف آية : ٦
 (٢) راجع قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٧٢
 (٣) تفسير الطبري ص ٤٦٨ .

نثبت لهم أولا : بشرية عيسى
 ثانيا : أن عقيدة التثليث عقيدة وثنية ، معتمد على أساسا على
 القرآن الكريم والأناجيل . . . واليك نموذجاً لكل من ذلك :
أولا - بشرية عيسى عليه السلام :

يقول تعالى : ﴿ انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاهنا
 الى مريم وروح منه ﴾ (١)
 ومن تأمل في هذه الآية يعلم أن عيسى بشر لا غلو فيه ولا أبا طيبل
 ولا نسوت ولا لاهوت ولا أقانيم ثلاثة هو بشر مخلوق لا اله خالق ، ذلك هو ابن
 مريم لا ابن الله (٢) وليس هو كائننا أسطوريا كما يدعى الملاحدة .
 وبعد أن اثبت القرآن بنوة عيسى الى مريم أثبت له بعد ذلك بعض صفات
 تثبت بشريته وهي ثلاث كلمات :

١ - رسول الله

٢ - كلمته

٣ - روح منه

واليك أدلة على كل من هذه الصفات الثلاثة :

(١) - الرسالة ، تتحدث آيات كثيرة عنها في القرآن منها ما يلي :

﴿ ورسولا الى بنى اسرائيل ﴾ (٣)

﴿ ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ (٤)

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض و منهم من كلم الله ورفع بعضهم

درجات وآتيناهم عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ (٥)

(١) الآية في سورة

(٢) الأمثال في القرآن ، محمود بن الشريف ص ٣٦ طبعة دار المعارف .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٤٩

(٤) سورة المائدة الآية : ٧٥

(٥) سورة البقرة الآية : ٢٥٤ .

أى رسولا الى بنى اسرائيل لما حُرّفوا شريعة موسى وحُرّفوا التوراة وعهدوا
 يهوذا وعزير ، أرسله اليهم بالتوحيد وعبادة الاله الواحد .

(٢) - كلمة الله :

فمعنى وصف عيسى بالكلمة - أنه المكوّن بالكلمة من غير أب .. أى انه
 تكون بكلمته وأمره الذى هو " كن " من غير واسطة أب ولا نطفه ..
 قال الله لعيسى : كن فكان .. أى كان عيسى بكن وليس عيسى هو
 (الكن) يقول قتادة : " ليس الكلمة صار عيسى ولكن بالكلمة
 صار عيسى " . (١)

ان هذا دليل قاطع على بشرية عيسى خلافا لما يمتقده المسيحيون
 المحرّفون المنحرفون ..

(٣) - وروح منه :

ان تفسير هذه الكلمة كالتالى : (وروح منه) أى ذو روح منه .. أضيف
 اليه تعالى تشريفا كما يقال (بيت الله) و (ناقة الله) .. (٢)
 ثم ان لفظ الروح ليس خصيصة قرآنية اختص بها عيسى بل وردت لفظية
 (الروح) فى القرآن لمعاني عدة ..
 اطلقت على آدم ، وعلى القرآن ، وعلى الوحي بمعناه العام وعلى من
 نزل الوحي ، وعلى النصر ، وعلى نوع ممتاز من المخلوقات أعظم من
 الملائكة .

(١) تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥١ حاشية الجمل .
 وراجع ايضا كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية ص ٢٧ .

(٢) راجع تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥١

على آدم .. * فاذا سويته وتفتحت فيه من روجي فقموا له ساجدين * (١)
 وعلى القرآن .. * كذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب * (٢)
 * والايمان *

وعلى مطلق الوحي .. * ينزل الملائكة والروح من أمرنا على من يشاء من عباده * (٣)

وعلى جبريل .. * فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * (٤)

وعلى النصر .. * أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروج منه * (٥)

وعلى النوع الممتاز المختار من الملائكة .. * يوم يقوم الروح والملائكة صفا * (٦)

وبهذه الآيات يتضح لنا أن كلمة الروح تطلق على عيسى كما تطلق على غيره وليست خاصة به ..

وقبل أن نختم هذه الفقرة يحسن بنا أن نزيل شبهة كانت ولم تـزل تشوش بعض العقول ..

فما هي هذه الشبهة ؟؟

انها شبهة قد وقع فيها كثير ممن لا يتدبرون الآيات القرآنية ^{روح} القول بأن

عيسى جزء من الله تعالى و روح منه ؟

فلنقرأ الكلمات التالية : " أن طيبيسا نصرانيا جاء للرشيد فناظر عليا بن

الحسن الوافدى ذات يوم فقال له :

(١) سورة الحجر آية : ٢٩

(٢) سورة الشورى آية : ٥٢

(٣) سورة النحل آية :

(٤) سورة مريم آية : ١٧٣

(٥) المجادلة : ٢٢

(٦) النبأ : ٢٨

ان في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا قوله تعالى : * وكلتمه
ألقاها الى مريم وروح منه * *

فقرأ الوافدى * وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه *
وقال : اذن يلزم أن تكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه فانقطع النصارى
وأسلم . . . (١) و(٢)

وعلى هذا الأساس المتين نقول للملاحدة : ان كانت المسيحية مفردة
فى شأن عيسى ، وأنتم فى نفس الوقت مفردون فيه حيث نفيتم وجوده
اطلاقا ولم يكن لديكم من الصبر على الدراسة والتفكير ومن العقل والاجتهاد
ما تميزون به بين الدين ورجال المنحرفين وتفرقون بين ما يرجع الى الدين
من مسئولية ، وما يرجع الى اضافات رجال الكنيسة وسوء تمثيلهم . . . فلا
تنبذوا عيسى نبذ النواة . . . وكان فى استطاعتكم أن تراجعوا القرآن
الكريم الذى يدين به أم معاصرة لكم . . . القرآن الذى يقول :

* لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح * ولكن الاستحجال لم يسمح
لكم بالنظر فى ذلك الأمر حتى وقحتم فى هذا التفريط المذل . . .

ثانيا - التثليث :

لقد جلى القرآن الكريم هذه القضية وعرض زيفها وزعمها . . . ودعا
أهلها دعوة منطقيه بأن لا يفلو فى دينهم ولا يشتطوا فى عقيدتهم
وأن يلتزموا جادة الايمان الحق بأن يحكموا عقولهم ويحكموا بما أنزل
الله اليهم فى انجيلهم وأن يلتزموا بمضامينه وما فيه من دعوة الهيبة صريحة
لعبادة الله الواحد الأحد ، والايمان برسوله عيسى وبمحمد الذى يجدد اسمه
وصفته مكتوبين فى انجيلهم . . .

(١) حاشية الجمل على تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥٢
(٢) وأما حقيقة الروح لا يعلمها الا الله * ويسألونك عن الروح . قل الروح من أمر
ربى . وما أوتيتم من العلم الا قليلا * سورة الاسراء اية : ١٨٥

وعقيدة التثليث تزخر بمزاعم وأضاليل وأباطيل ، فهي تزعم أن الله
 ثالث ثلاثة .. وأنه ثلاثة أصول (أقانيم) متساوية .. الله الأب .. الله
 الابن .. والله الروح القدس .. ثم ترجع فتقول : ان الاقانين الثلاثة
 واحدة .. اي أن $1 + 1 + 1 = 1$ (١) .

فمعتدهم ان المسيح اله ، وهو ابن الله وفي الوقت نفسه هو بشر واله هو
 لاهوت وناسوت .. هو الله وابن الله .. وأصل من الاصول الثلاثة المكوّن
 لله .. سبحانه وتعالى عما يشركون ..

ويصدر القرآّن حكمه في هذه القضية العقيدية ويحكم بكفر من اعتنقها
 أو اعتقد فيها :

✽ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله
 شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا .. ✽ (١)
 ان ^{هذه} الآية ستظل مسجلة على أهل التثليث غلوهم و ^{انحرافهم} ، ولعلمهم
 ان كانوا أتباع المسيح حقا أن يثوبوا الى عقيدته الحقّة وكما ينبه القرآن الى أن
 المسيح وأمه كانا يأكلان الطعام .. ومن البين أن الذي يأكل الطعام
 فيتحول في جسمه دما ولحما وعظاما وينضح عرقا ، ويخرج فضله لوبقيت
 في الجسم لا ضرته ..

من الواضح أن كائنا من هذا النمط لا يمكن أن يكون الا بشرا ، خاضعا
 لكل قوانين البشرية التي لا تؤدى الى نقص في مرتبته (٢) كرَسُول ..

(١) سورة المائدة الآية : ٧

(٢) كتاب التفكير الفلسفي في الاسلام للدكتور عبد الحلیم محمود ص ٧٤ .

التثليث عقيدة وثنية

ثم اذا دققنا النظر في التاريخ نجد أن التثليث عقيدة وثنية ، فهو ليس بطارىء على العقيدة المسيحية ، ولكنه يمتد بجذوره عميقة في أرض العقيدة الوثنية العالمية القديمة .. ويتصل بها بأقوى الوشائج والصلات .. فالعقيدة المسيحية زعمت ان الله ثلاثة أقانيم (أب وابن والروح القدس) وهي نفس الثلاث الجاهلي " اللات والعزى ومناة الثالثة " .
وهي نفس الثلاث البرهمي في الديانة الهندية " (براهما وسيفا وفشنو)"
وهي نفس الثلاث الالهى لقبائل البانتو الافريقية " مزيمو وبيسو ومولنجو (١)
ليس هذا أرل علم أن عقيدة الثلاث وثنية ..

*

وبعد هذا نود أن نقوم بجولة تفتيشية في الأناجيل الأربعة ، لنذكرهم أن كتبهم — وان كانت جل معلوماتها محرقة — لم يزل فيها قبس من —
النور الالهى الذى يدل على وحدانية الله — وعلى عبودية عيسى وأنه ابن
الانسان لا ابن الله . وانما هو رسول من الله / الى بنى اسرائيل ..

(١) راجع كتاب الأديان في القرآن محمود الشريف ص ٢٠٢

راجع أيضا الأُسفار المقدسة ، دكتور وانسى ص ١٠٧

شواهد من كتب النصارى على عبودية عيسى عليه السلام

(٦)

ورد في انجيل يوحنا ما يلي :

" قال المسيح في خطاب مريم المجدلية " لا تلمسيني لاني لم اصعد
بعد الى ابي ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني اصعد الى ابي
وأبيكم والهي والهيكم " (١) .

فحكم ببشريته وانسانيته عندما قال " الى ابي وأبيكم والهي والهيكم "
ان هذه الاية رد على مزاعم رجال الكنيسة القائلين بأن عيسى ابن الله ..
وتوافق أيضا ما ورد في القرآن ..

* ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم * (٢)
* وقال اني عبد الله * (٣)

عن رسالته :

ورد في انجيل يوحنا ما يدل على ذلك وهو قوله :

" الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني " (٤)

في ذلك اعتراف برسالته وبأن دعوته وحى من عند الله .

(٦)

وفي انجيل متى ما يلي :

" لا تدعولكم ابا على الارض لان اباكم واحد الذي في السموات " (٥)

فهذا اعتراف صريح بوجدانيته لله تعالى .

(١) انجيل يوحنا الاية ١٧ من الاصحاح ٢٠

(٢) سورة المائدة اية : ١١٦

(٣) سورة مريم الاية : ٣٠

(٤) انجيل يوحنا اية ٢٤ باب ١٤

(٥) انجيل متى باب ٢٣ آية ٩

انسانيته في الانجيل

في انجيل متى :

" قال يسوع : أقول الحق الآن تبصرون ابن الانسان " (١) في نفس

الانجيل يقول :

" أما ابن الانسان فليس له أن يسند رأسه " .

وكذلك وردت لفظة ابن الانسان في الاصحاح التاسع آية ٦ من هذا الانجيل

السابق . .

وعلاوة على ذلك ان متى نفسه قال أول كلمة في انجيله في الاصحاح الأول :

" كتاب ميسلاذ يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم . . فذكر نسبه

المسيح ولم يقل انه ابن الله ولا انه اله من اله . (٢)

وفي انجيل يوحنا يقول :

" الحق الحق أقول لكم ، من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة السماء

يصعدون وينزلون على ابن الانسان " (٣) .

هذه مقتطفات من الانجيل قد ثبتت بشكل واضح أن فكرة التثليث أو القول

بأن عيسى ابن الله أو هو الله فكرة مستحدثة من هؤلاء البغاة المسيحيين

وصدق الله تعالى :

* وما اختلف الذين أتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم .

وهذه هي المسيحية الباغية وهؤلاء هم رجالها المعتدون المنتظمون

المطربون . . وتلك هي خرافاتهم في عيسى وفي الكون التي كانت سببا

(١) انجيل متى اصحاح ٢٦ آية ٦٤

(٢) الأديان في القرآن ، محمود شريف ص ١٩٤ .

للكفاح المشئوم بين الدين والعلم والعقل الذى انهزم فيه الدين .. ذلك
 الدين المختلط بعلم البشر الذى فيه الحق والباطل والخالص والزائف -
 هزيمة منكورة .. وسقط رجال الدين سقوطا لم ينهضوا بعده ، وشـر
 من ذلك كله وأشأم أن أوروبا أصبحت لا دينية .

*

ولا يشك أحد أن تبدل الضمير الدينى عند رجال الدين الكنسى
 كان من أكبر العوامل لقيام الالحاد فى أوروبا الحديثة .. وهذا
 لا ينفى أن تكون هناك أسباب أخرى وان كانت أقل درجة من طفغان الكنيسة
 ولكن بعضها ساندت بعضها حتى وقع هذا الفصل النكد بين الدين
 والدنيا وبين الخالق وخلقهم ...

فى الصفحات التالية محاولات لبيان شىء من هذه الأسباب .

الفصل الثالث

(٨) قوانين المادة

لقد اتخذ الملاحدة قوانين المادة سندا للالحاد فاعتبروا هذه القوانين المادية التي نسميها " السنن الربانية " بدلا عن اله مدير حكيم . . والذي يجب أن نفهمه هنا هو : ان المذاهب المادية نشأت قبل العلوم التجريبية فالمذاهب المادية تنكر وجود الله ، وأما العلوم التجريبية تدعو الى الايمان به كما صرح بذلك . ا . كريسى موريسون بقوله :

" وقد يقودنا هذا الضوء الى الاعتراف بوجود عقل عام أسمى ، أى الى وجود الخالق " (١) .

وكانت فضيلة المذاهب المادية عند الماديين ، أنها تقوم على الوقائع والحقائق ولا تقوم على الظنون والأوهام . وكانت المادة عندهم حقيقة الحقائق الثابتة التي لا يعترى بها الشك ولا يلم بها الباطل ، لأنها محسوسة ملموسة محصورة في مكان محدود .

يخبط أحدهم على المادة بيده ، أو يضرب على الأرض بقدمه ، ويقول لمن يجادله : " هذه هي الحقيقة التي أمسها بيدي وقدمي أو أراها بصينتي وأسمعها بأذني ، وليست ما تخبطون فيه من الظنون والأوهام " (٢) .

وكان العهد بدعاة الحاد أن يحتجوا لدعوتهم المادية بأدلة يحسبونها علمية ، حتى لقد ظن البعض أن العلم والايمان نقيضان لا يجتمعان بل ألف أحد العلماء الغربيين - وهو جوليان هكسلي - كتابا في ذلك المذهب المادى سماه : " الانسان يقوم وحده " (Man Stands ALONE) زعم فيه أن العلم ينكر وجود الله . (٣)

(١) العلم يدعو للايمان . ا . كريسى موريسون ص ٤٧ ترجمة صالح محمود صالح الفلكي .
 (٢) عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٥٥
 (٣) العلم يدعو للايمان السابق ص ١٧ - ١٨

فرد عليه ٠١ كريسي موريسون السالف الذكر في كتاب سماه :
 "الانسان لا يقوم وحده" (١) (Man Does Not stand Alone)
 أثبت فيه بمختلف العلوم أن الله باري الكون وهو خالق كل شىء

*

ثم شاعت العلوم التجريبية في القرون الأخيرة ، وشاعت معها قوانين الحركة
 والحرارة والضوء وسائر القوانين من الجاذبية وغيرها التي سميت بالقوانين
 الطبيعية عند الماديين .

فقالوا : هذه هي قوانين الكون التي تسيطر على حركاته وسكناته وتفسر
 كل ظاهره من الظواهر ، على الافلاك العلوية كما تسرى على المماديين
 الأرضية ، ولا يشذ عنها حكم واحد من الأحكام التي تشمل المادة في جميع
 صورها وأشكالها ، ومنها مادة الأجسام الحية أو مادة الحياة . . .
 وبهذه التصورات المادية الاحادية أصبحت قوانين المادة تستعمل
 ضد فكرة وجود اله لهذا الوجود . . . وأصبحت فترا ماديا بقسميه الميكانيكى
 والديالكتيكي . (٢)

(١) المرجع السابق ص ١٨

(٢) الفكر المادى العلمى ينقسم الى اتجاهين :

— الاتجاه الميكانيكى (Mechanistic Materialisme)
 وهو اتجاه مادى لا يرى وجودا للروح والعقل فضلا أن ينسب اليهما تدبير
 الجسم .

— الاتجاه المادى الديالكتيكي (Dialectic Materialisme)
 ويرى أن وجود الروح والعقل تابع لوجود المادة ، والاتجاهان بذلك
 ينكران الغيب أو يستبعدانه .

راجع كتاب : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، د .
 الببوى ص ٨٦ .

كما أن النظريات الجديدة عن الكون في هذا القرن ، قرن السابع عشر
قد غمرت الأفكار الفلسفية واستأثرت بالاهتمام البالغ من قبل الأوساط الدينية
والعلمية على السواء وأعظم هذه النظريات " نظرية الجاذبية " لاسحاق
نيوتن .

ان هذه النظريه الضئيله تشير الى امكانيه تفسير ظواهر الطبيعه
بربط بعضها ببعض دون حاجه الى تدخل قوه خارجيه عنها .
(١)

وبهذا كان هذا الاكتشاف الضئيل بمثابة النواة للمذهب " الطبيعي "
والنظريه الميكانيكيه اللذين كان لهما صدى واسع في قادمات الأيام . .
وكان موقف الكنيسه تجاه هذه النظريه ، الرفض التام بل شنعت
على ممتقبيها قائله : ان الأشياء لا تحمل بذاتها ولكن عناية الله
هي التي تسيرها .

ولم تكن الكنيسه من سمعة الصدر على جانب يسمح لها بتفهم عدم
المنافاة بين نسبة الأفعال الى الله تعالى باعتباره الفاعل الحقيقي ، وببـ
نسبتها الى الأسباب باعتبارها وسائط مباشرة ، بل كان حنقها على كـ
جديد صارفا لها عن ذلك .

كما أن أصحاب النظريه اندفعوا اندفاع الفراه الى النار — فأنكروا عمل
العنايه الالهيه وربطوا الأسباب بالمسببات معتقدين أن كل ما عرفت علته
المباشره فلا داعي لا افتراض تدخل الله فيه — حسب تصريحاتهم . . .
واليك بعضها منها . يقولون مثلا " لقد اثبت (نيوتن) أنه لا وجود
لاله يحكم النجوم وأكد (لابلاس) بفكرته أن النظام الفلكي لا يحتاج الى
أي أسطوره لا هوتيه . "

(١) (Religion, And The Scientific Outlook,)
م. 20
نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان ص ٢٤ - ٢٥

وقام بهذا الدور المالمان " داروين " و " باستور " في ميدان البيولوجيا
وقد ذهب كل من علم النفس المتطور والمعلومات التاريخية الثمينه التي حصلناها
في هذا القرن بمكان الاله الذي كان مفروضا أنه هو مدير شؤون الحياة الانسانية
والتاريخ " (١)

هذا ما يقوله الملاحدة بعد اكتشاف قوانين المادة . . .

ما آلت اليه الماديه

وشاء الله بحكمته البالغه أن حدثت في السنوات الخمس الأخيريه
من القرن التاسع عشر حوادث " علميه " غيرت كل صورة من صور المسالمة
عرفها الأقدمون . . .
نقد عرف الكيمائيون قبل ذلك أن عناصر المادة تكتر من أربعة ، وأنهم
ليست محصوره في النار والتراب والهواء والماء .
وعرفوا أن ذرة " الهيدروجين " أخف العناصر ليست هي أصغر
جسم من أجسام المادة ينتهي اليه التقدير . . .
عرفوا الكهرب الذي تحسب ذرة الهيدروجين جبلا ضخما بالقياس
اليه ، ثم تقدموا في معرفة الكهرباء والذرة حتى أفلتت المادة كلها
من بين أيديهم ولم يسبق منها غير حسيبة رياضيه . . . حسيبة رياضيه كانوا
يحسبوننها ، مثلا في الدقة ، والضبط والعظمة من الخلل ، فإذا هي فسي
النهايه حسيبه لا يضبطها الحساب الأعلى وجه التقريب .
أفلتت من المادة كل شيء ثابت أو كانوا يحسبون مضر المثل فسي
الثبوت و " الحقيقه " .

فاللون من الشماع ، والشماع هزات في الأثير ...
 والوزن جاذبية ، والجاذبية فرض من الفروض ...
 والجسم نفسه متوقف على الشحنة الكهربائية وعلى سرعة الجسم في الحركة
 ونصيبه من الحرارة ..
 والحرارة ما هي ؟ حركة ..
 والحركة في أى شىء ؟ في الأثير ...
 والأثير ما هو ؟ فضاء أو كالفضاء ... (١)
 وصدق القائل : " ان العلم الحديث بدأ بالاحتمال وانتهى الى الاحتمال " (٢)
 وهكذا رأينا أن الدعاوى الملحدة ليس لها سند من العلم التجريبي
 ومع ذلك تستحق النظر فيها وسوف نناقشها عند مناقشة الآراء ان شاء
 الله تعالى .

(١) راجع عقائد المفكرين عباس محمود العقاد بتصرف طفيف ص ٥٦-٥٧
 (٢) راجع الله يتجلى في عصر العلم : مقال لـ (وولتر أومر) رندج ص: ٣٢

الفصل الرابع

مقارنة الأديان

توطئة :

من نظر الى شيوع التدين في جميع الأجناس يعلم يقينا أن التدين فطري في الانسان ، لا تكاد تجد أمة من الأمم الماضية أو الحاضرة في قلب الحضارة المادية الا وتجد فيهم من يميل الى التدين وأحيانا يدافع عنها

ان هذه الظاهرة ، ظاهرة التدين تدل على أمرين هاميين :

هما : قانونا (السببية والغائية) .

ولوتدبر الملاحظة في هذين القانونين لا دياهم الى أسى العقائد

الدينية :

" عقيدتي التوحيد والخلود " وأن عقيدة الشرك والوثنية والفناء

انما هي وليدة ضرب من القفله أو الكسل العقلي الذي يمنهم من البحث

الصحيح . .

وبيان ذلك : ان قانون السببية يقرر أن شيئا من " الممكنات " (١)

(١) التعبير المشهور هو أن شيئا لا يحدث من لا شيء ، وقد أضفنا عبارة :

" من الممكنات " تحديدا للمجال الحقيقي الذي يطبق فيه هذا المبدأ . ودفعنا

للخطأ الذي ينجم من أخذه على إطلاقه . ذلك أن الأمور " الضرورية الوجود "

لكون الكل أكبر من جزئه ، وكون الشيء عين نفسه ، الى غير ذلك - تحمل

في طبيعة مفهومها سبب وجودها ، فهي موجودة بنفسها لا بسبب خارجي

والأمور " المستحيلة لكون الجزء أكبر من كله وغير ذلك من أحكام التناقض -

تحمل في نفسها سبب عدمها ، فلا تقبل الوجود بنفسها ولا بغيرها . أما الممكنات

التي تقبل الوجود والعدم ولا تقتضي طبيعتها واحدا منها ، فان وجودها انما يرد

اليها من سبب خارج عنها حتما اذ لو وجدت بنفسها لكانت واجبة الوجود وهو

خلاف المفروض راجع : (الدين) د . عبدالله دراز ص : ١٠٤

لا يحدث بنفسه من غير شيء " لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافى لوجوده " ولا يستقل باحداث شيء " لأنه لا يستطيع أن يمنع غيره شيئاً لا يملكه هو .

كما أن الصفر لا يمكن أن يتولد عنه عدد ايجابى . فلا بد له فى وجوده وفى تأثيره من سبب خارجى . وهذا السبب الخارجى ان لم يكن موجودا بنفسه احتاج الى غيره . فلا نفر من الانتهاء الى سبب ضرورى الوجود يكون هو سبب الأسباب . .

وإذا قال الطحد : ولماذا لا يمكن لنا معرفة كنه هذا السبب الأول ؟ فنبادره بالقول : انه غيب عنا . فالانسان لم يعط الوسائل بعد لمعرفة الضيب . . نوء من به لا آثاره كما آمننا بوجود الالكترن والبروتون بآثارهما ولم نشاهد الكترن ولا بروتونا . .

وقد آمننا بالمغناطيس ولم نشاهده بأعيننا وانما شاهدنا فقط انجذاب حديد الى حديد دون رؤية الجاذب وهكذا دواليك . . .
وأما قانون الفائية فمن وجبه أن كل نظام مركب متناسق مستقر لا يمكن أن يحدث عن غير قصد ، وأن كل قصد لا بد أن يهدف الى غاية ، اذا لم نجد عند الماديين مصنعا للسيارات يصدرها بدون غاية ؟ فلا بد - أن يكون من وراء هذا العالم غاية . . .

نعم ان طاقة البشر ، وطبيعة المخلوق ، أعجز من أى تحصى مراحل الأسباب والغايات مرحلة مرحلة ، وتتابع سلسلتها حلقة حلقة ، حتى تشهد بداية العالم ونهايته . . ولذلك يئس الماديون الذين قاموا بمقارنه الأديان من معرفة أصول الأشياء وغاياتها الأخيرة ، وأعلنوا عدولهم عن هذه المحاولة فقالوا : ان الديانات ما هى الا منظمات مستحدثة ، وأعرض طائفة على البشرية حتى قال (فولتير) : ان الانسانية لا بد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة فى حياة مادية خالصة قوامها الحرث ، والنحت ،

(١)
والبناء ، والحداده والنجاره قبل أن تفكر في مسائل الدينيات والروحانيات
بل قال :

ان فكرة التالبيه انما اخترعها دهاة ماكرون ، من الكهنه والقساوسة
الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء . (٢)

هذه هي مقاصد علماء الأديان المقارنة . فهم يستهدفون الى تحديد
الأصل للمقيدة ، والمظهر الذي ظهرت به في أول الأزمنه باطلاقي .
فقالوا : ان الأمم البدائية هم أحسن أرضية لهذا البحث . وتجاهلوا
عن موكب الرسل من لدن آدم الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعتبروا
القول في اثبات رسالتهم عن الله ، خرافه ووثنيه . .

وهم انما يفعلون ذلك ، لأن المنهج كله انما قام ابتداء على أساس
العداء والرفض للمنهج الديني ، بسبب ما ثار بين الكنيسه الأوربييه
والبحث العلمي في كل صوره في فترة من فترات التاريخ . . فبدأ المنهج
وفي عزم أصحابه أن يصلوا الى ما يكذب مزاعم الكنيسه من أساسها للوصول الى
تحطيم الكنيسه ذاتها . .

ومن أجل هذا جاء منهجا منحرفا منذ البدء لأنه يعتمد الوصول سلفا
الى نتائج معينه ، قبل البدء في البحث . . .

وحتى حين هدأت حدة العداء للكنيسه بعد تحطم سيطرتها العلميه
والسياسيه والاقتصاديه الفاشمه ، فان المنهج استمر في طريقه . . لأنه لم
يستطع أن يتخلص من أساسه الذي قام عليه . . والتقاليد التي تراكت على
هذا الأساس ، حتى صارت من أحوال المنهج . .

أما خطأ النتائج فهو ضرورة حتمية لخطأ المنهج من أساسه ، وهذا الخطأ
الذي طبع نتائج المنهج كلها بهذا الطابع . . وإذا كان المنهج والحالة هذه ؟
فما موقف المسلم من تعلم هذا العلم كحقيقه علميه ؟

موقف الاسلام من تعلم مقارنة الأديان

وللاجابة على هذا السؤال لا نتوانى أن نقول : انه لا يجوز لمسلم بحال من الأحوال ، أن يأخذ بهذه النتائج ، لأن تقريراته مخالفة مخالفته أساسيه للتقريرات الالهيه كما يوضحها القرآن الكريم ..

وإذا جاز للملاحده أن يأخذ بنتائج تخالف مخالفه صريحه قول الله سبحانه في مسأله من المسائل ، فانه لا يجوز لباحث يقدم بحثه للناس على أنه " مسلم " أن يأخذ بتلك النتائج ، ذلك أن التقريرات القرآنيه في مسأله الاسلام والاحاد ، وسبق الاسلام الاحاد المادى في التاريخ البشرى ، وسبق التوحيد للتعهد والتثنيه .. قاطعة ، وغير قابله للتأويل ..

ففي مما يقال عنه : انه معلوم من الدين بالضرور .. (١)

وعلى من يأخذ بنتائج علم الأديان المقارنه في هذا الأمر ، أن يختار بين قول الله سبحانه وقول علماء الأديان .. أو بتعبير آخر :

أن يختار بين الاسلام وغير الاسلام لأن قول الله في هذه القضية منطوق وصريح ، وليس ضمناً ولا مفهوماً .. كقوله تعالى :

* ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت * (٢)

وعلى أية حال فان هذا البيان عن موقف الاسلام في هذا المنهج ليس هو المقصود بالذات هنا ، إنما نستهدف هنا الى اثبات أن ظهور هذا العلم ، علم مقارنة الأديان كان سبباً من أسباب الاحاد في أوربا الحديثه . وكان ضربه قاصمه على أصحاب الكنيسة ولكن بمرور الزمن أصبح سندا لأصحاب الأديان أيضا يحتجون به على فطرية التدين وفطرية التوحيد .. ولا بد من ايضاح هذه المفارقات العجيبة .

(١) ان هذه التقريرات مستفاده من كتاب (فقه الدعوه) ، جمعة احمد حسن من ظلال القرآن ص ١٦٠

(٢) في سورة الخل الأية : ٣٦

قصة مقارنة الأديان في أوروبا

يذكر لنا التاريخ أنه لما اكتشفت أمريكا الوسطى ، ووجد الإسبان فيها أقواما يتعبدون على أديان لا يعرفونها - توافد القساوسة والمبشرون الى البلاد المكشوفة ليجتثوا في أديانها ويحولوا أقوامها الى العقيدة المسيحية فأدهشهم بمد قليل أن يروا لهم شعائر الأديان المعهودة في الدنيا القديمة وأنهم سمعوا منهم كلاما عن التفكير والخلص ومقاسك الأديان على شىء من الشبه بنظائره في الديانة المسيحية ، وثاروا في تعليل تلك المشابهة . . فخطر للقساوسة والمبشرون الذين توافدوا الى هذه الدنيا الجديدة ، أن هذه العبادات التي يتعبد بها هؤلاء القوم المنكرون ، بقية من بشاره قديمه نسيت واندثرت ونتجت عنها هذه العبادات المسموخة

وكان هذا التفسير الذي اكتفى به الناس لفهم أسرار المشابهة بين الأديان في الدنيا القديمة والأديان في الدنيا الحديثه التي رجح عندهم أنها كشفت لأول مرة ، وظل هذا التفسير كافيا من اوائل القرن السادس عشر الى أواخر القرن الثامن عشر ، ثم اتسعت كشوف الرحالين وتبذمت أخبار القبائل والسلالات التي تتشابه بينها شعائر الأديان والعبادات ، وتقدم علم الأجناس ومعه على المقارنه على أيدي هؤلاء الباحثين الذين يريدون ازاله الكنيسه بكل ما تمد اليه أيديهم : فاحتاج الأمر الى تفسير غير ذلك التفسير عند المتدينين والمعتقدين فقالوا ان الأديان كلها من وضع البشر فاتخذوا من هذه المشابهات دليلا على صحته ما قرروه . (١)

وكانت صدمة قويه لأنصار الدين ، لأن القرن الثامن عشر على الخصوص قبيض لديهم مشاكل كثيره لم يفرغوا منها أثرت في نفوس الأجيال الجديده شكوكا تعالجها الكنائس واحده بعد واحده ، ولا تنتهي من علاجها .

(١) عقائد المفكرين في القرن العشرين ، عباس محمود العقاد ص ٧٤ - ٧٥

فلما أسفرت المقابلة بين الأديان والعبادات عن تلك المشابهة المتكررة
كانت ضربه قويه محرجه بعد ضربات مثلها في القوه والاحراج ، كادت
أن تخذل عوامل الايمان والاعتقاد أمام عوامل الشك والاحاد . . .

هذا ان الملاحظه بعد ما اتفقوا في أن الدين خرافه ، اختلفوا في
العوامل الأولى لا يقاظه في النفوس الى مذاهب شتى . . . اهمها كالتالى :

أولا - مذهب التطور التقدي

ان هذا المذهب يرى أن الدين بدأ في صورته الخرافه وأن الانسان قد
ترقى في دينه وتطور ، على مدى الأجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد
كما تدرج نحو الكمال في العلوم الطبيعيه والصناعيه . . . (١) وقد أشرنا
سابقا الى أشهر رجاله . . .

ثانيا - المذاهب الكونية أو الطبيعيه :

ترى هذه المذاهب أن العامل الأول في اثاره الفكرة الدينيه كان هو
النظر في مشاهد الطبيعه ولا سيما الأفلاك والعناصر . . . (٢)

أشهر مقررى هذه النظرية هو العالم الألماني ماكس ميلر (Max Muller)
في كتابه عن الأساطير المقارنه (Comparative Mythologie)
وليس هنا مناقشة هذه الخزعبلات وانما قصدنا عرض هذه التصورات الخاطئة
التي يريد بها أصحابها أساسا محاربه الكنيسه لا للبحث العلمى والوصول
الى الحق .

ثالثا - المذاهب الروحيه المشهوره باسم الحيويه : (Animisme)

ان هذه المذاهب ترى أيضا ان الأديان ليست من عند الله ولم يرسل

(١) الدين ، عبدالله دراز ص ١٠٧ مع تضييرات طفيفة .
(٢) المرجع السابق ص ١١٤

أحدًا من الرسل وإنما نشأت الأديان في الإنسان من (أجل عبادة أرواح الموتى) .
 وهذه النظرية الروحية قررها تيلور (Tylor) في كتاب
 "المدنية البدائية" (La Civilisation primitive)
 وتابعه عليها مع تعديل يسير الفيلسوف الإنجليزي هربرت سبنسر -
 (Herbert Spencer) في كتاب مبادئ علم
 الاجتماع (principles De Sociologie) (١) .
رابعاً - المذاهب النفسانية :

هذه فصيلة أخرى من النظريات تتلخص فكرتها العامة في أنه لأجل
 الوصول إلى العقيدة الإلهية لم يكن بالناس حاجة إلى التأمل في الطبيعة
 وجمالها ولا في التقلبات الكونية وأحوالها . ولا إلى التجارب المجيئة
 في عالم الأرواح وأسرارها ، بل إن تجارب الإنسان النفسية في حياته العادية
 المألوفة له في كل يوم ، كانت كافية لتوجيه نظره بقوة إلى تلك الحقيقة
 الملها . . . (٢) .

ومن أشهر رجالها أوجست ساباتيه (Auguste Sabatier)
 في الفصل الأول من بحثه عن (فلسفة الدين) .
 (Esquisse D'une philosophie De Religion)
 و (هنري برجسون) (H. Bergson) في كتابه عن "يتابع
 الخلق والدين" :

(Les Deux Sources De La Morale Et De
 La Religion.

(١) الدين ، عبد اللهدراز ص ١٢٢

(٢) المرجع السابق ص (١٣٥)

خامسا - المذهب الاجتماعي :

يخالف الملا مه (دوركايم) (Durkheim)

جميع المذاهب المتقدمة في دعواها أن التدين حاله نفسه تنبع من فطرة الفرد كلما فكر في الآفاق أو في نفسه ويرى هو أن التدين ليس فطريا فسي الكيان الانساني وانما هو وليد أسباب اجتماعيه فسي هذا المذهب " بالعقل الجمعي " (١) هذا النظام هو نظام التوتيم (Totem) (٢) فزعم أن هذا العقل الجمعي هو الذي يوجد في الانسان عناصر التفكير وأساس المعرفة العقلية .

هذه أهم المذاهب التي حاولت أن تحلل نشأة التدين في الانسان بعدما اتفقوا جميعا على أن الدين لم يكن يوما من الأيام في الفطرة الانسانية . ان هذه المذاهب كلها لا تستحق الوقوف عندها للمناقشه لأنها ليست في نياتها الخير للانسانيه وانما أرادت أن تصل الى نتيجة معينه - كما قلنا سابقا - وهي اباداة الكنيسه عن طريق قتل العقيدة الدينيه فسي الانسان ... قبل البحث عن حقائق الأديان ...

ولكن لما كان المذهب الأخير ، الذي هو المذهب الاجتماعي أكثر انتشارا في الأوساط العلميه ، سوف نقاشه قليلا لآزالة اللبس عن الذين يعتبرونه حقيقة علميه ثابتة ...

(١) (Reinach, ouv. cite, p. 23; Durkheim)
ouv, cite p. 144

(٢) هذا الاسم مأخوذ من لغة الهنود الحمر في أمريكا الشمالية : وهم اسم لم يتفق بعد على ضبطه قيل () وغير ذلك تستعمل تارة في موطن المشيره أو العلامه والشمار .

هذا ما كان من شأن علم المقارنه بين الأديان ، حتى انجلي النزاع
الذي أثاره هذا المنهج بين الكنيسه ورجال علم المقارنه ، عن هذا
الموقف في أوائل القرن العشرين ...

فلما أفاق الكنيسه من سكراتها بعد هذه المعركه المنيفه ، أدركت أن
هذا المنهج وان كان أساسا يحارب الأديان ، ولكنه يصلح أن يستخدم
في فطريه التدين وضرورة التدين وأنا بديهيه مركبه في طبيعته
البشره ، ولولا ذلك لما أجمعوا على التدين متفرقين في أرجاء الأرض مع
اختلاف الأزمان وتفاوت الحضارات وتباعد الثقافات وطبقات التفكير .. ولكن
هيئات وقد انتشر هذا المذهب في جميع العلوم بل اعتبروها أساسا لجميع
العلوم الانسانيه ...

الا أننا نقول : يصدق على مقارنة الأديان ما يصدق على القوانين الطبيعية
في مسألة العقيدة ، وقد رأينا أنها شككت العقول زمنا في أصول الاعتقاد
ثم أصبحت في القرن العشرين سندا لمن يؤثرون الاعتقاد ويشككون في
الاحاد ... بهذا انسدل الستار على هذا المذهب السخيف ...

الفصل الخامس

الثورة الفرنسية

ومن يتأمل في صفحات التاريخ الموثوق بها يخرج بالتأمع التاليه :

— ان الثورة الفرنسية^{لها} صفتان مختلفتان :

— صفحه مشرقه نيره : وهى ضد ظلم القوانين وسوء توزيع الثروه العامه .

— صفحه سوداء مظلمه : وهى ضد الدين والمبادئ الاخلاقيه بل ضد فكرة وجود الي مدهر لهذا الكون .

واليك توضيحا لكل من الصفحتين :

الصفحة الاولى :

كانت هذه الصفحه ضد الظلم والقوانين وسوء توزيع الثروه العامه (١)

وبيان ذلك : كان الفرنسيون الى القرن الثامن عشر يعيشون تحت ظل نظاماتهم

المتيقه التى بلغت الى الفساد السياسى ، والتدهور الاقتصادى غايتهما . . .

حتى أن (كالون) وزير الخزانة الملكيه اعترف بذلك سنة ١٧٨٧ م ، وأرادت

الحكومته سدّ عجز الميزانيه بارهاق الشعب بضرائب جديده فادحه ، فازدادت

أحوال الطبقات المسحوقه سوءا وعمفت فى البلاد موجه من الجوع ونقص

المؤن . . .

فى الوقت الذى بلغ فيه صبر الشعب الى نهايته وانتهكت المجاعه والبؤس

كان هناك طبقتان تنفسان فى مختلف الملذات هما :

(١) الدين ، د . عبدالله دراز ص ٨١

— طبقة رجال الدين ، وطبقه الأشراف بالإضافة إلى الأسرة المالكية التي كانت عبئا ثقيلا على المجتمع الفرنسي . . . كانت هناك إرادة الملك لا راد لها ولا معقب لها وكان الفلاحون يبايعون مع أرضهم كالبهائم ، وكان رجال الدين يستغلون جهل العامة استغلالا لا حد له ويتحكمون في رقابهم بالاتحاد مع رجال الحكومة . . . من هنا وقف الشعب بكل فئاته : الفلاحين ، والمهنيين ، والقساوسة الصغار ، جبهة واحدة ضد الجبهة الأخرى التي تتألف من الطبقتين المحكرتين : رجال الدين والأشراف . . .

وفي ٥ أكتوبر دفع الجوع بنساء باريس الجائعات إلى القيام بزحف كبير صوب (فرساي) فذهبن ومعهن أعداد غفيرة من العاطلين والحرس الوطني بقيادة (لافاييت) للمحافظة على المسيرة . . .

هذه من ناحيته ، ومن ناحيته أخرى ، هناك حكم جائر تقوم به هاتان الطبقتان المجرمتان ضد الشعب الفرنسي ، ولقد ذكر لنا التاريخ الكثير من هذه المبكيات المضحكات . ومن أشهر تلك المساساة الإنسانية ، هذا السجل الظالم الذي سموه بـ (الباستيل) . . . لقد لقي هذا السجن ما لا يوصف فنكتفي بالحادثه الأخيره وهي التي انتهت بهدمه وذلك في عهد الثورة الفرنسيه سنة ١٧٨٩ م (٤) .

ولكننا قبل الدخول في هذا الموضوع ، نصف بعض ما كان يلقاه المسجونين فيه :

-
- (١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ١١١
 - (٢) أوروبا العصور الوسطى ، دكتور عبد الفتاح عاشور ج ٢ ص ٢٥٨
 - (٣) دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ج ٢ ص ١٤٥
 - (٤) التاريخ الأوربي الحديث ، دكتور عبد الحميد البطريق ودكتور عبد العزيز نوارص ٣٧٣

ما لقيه المسجونون في الباستيل

يذكر التاريخ أن أمكنة السجن من هذا الممقل كانت موجودة داخل البرج التي كانت مقسمة إلى خمسة أدوار ، في كل دور ملها غرفته ذات ثمانية أضلاع ليس فيها إلا نافذة صغيرة في حائط عرضه ستة أقدام ، فـ كما كان ينفذ إلى هذه الغرف من أشعة الشمس إلا نور ضئيل . . .

وكان يوجد غير ذلك غرف تحت الأرض على بعد ٦٦ ر٦ أمتار من سطحها ، تقتل من فيها برطوبتها وظلمتها وهي مع ذلك لم تكن بأسوأ حالا من حجرات موجوده في قم تلك البروج معرضه لحرارة الصيف وضمير الشتاء ، كان المسجونون المراد تعذيبهم يوضعون فيها بقصد تعريضهم لأفاعيل الطبيعة المتناقضة مع عدم السماح لهم باتقائها بوقايه . هذا وصف مختصر لهذا السجن الظالم . .

وكان المتهم يعتبر مجرما حتى تثبت براءته . فلذلك كان يقاد المتهم لهذا السجن وقد لا يعلم الأمر الذي اتهم به ، فينزل إلى ظلماته مسوقا بأيدي حديدية ويقف أمام رجال أشبه بالجلاميد قسوة وفظاظة فيسأل عما نسب إليه ، ويناقش فيه ويتمق معه في الأخذ والرد رجاء أن يكون منكرا أو معه شركاء . . هذا كله لا يعلم أهله أين ذهب ولا يسمح لهم بشيء من خبره ولا له بشيء من خبرهم ، فبيتي هنالك منقطعا عن أهله وذويه والعالم كله تحت رحمة سجانين لم يتمتعهم الله بعاطفة حنان ولم يخلقهم بخلق صالح . .

في هذا السجن ذاق رجال العلم والفضل في فرنسا أشد أنواع العذاب في عهد الاستبداد . فكم هلك فيه فيلسوف عظيم ؟ وتلاشى دون جدران المظلمة مصلح كبير ؟ وكم من سياسي جنت عليه مباحثه لخبر البلاد فيهوى منه في مستقر سحيق ما خرج منه إلا حرضا لا يفيد ولا يستفيد ؟

فلا جرم أن كره الفرنسيون الباستيل ، معهد المسف ومهبط القسوة
والفسومة فلم يكادوا يثورون ضد حكوماتهم حتى كان أول غرضهم الباستيل
فهدموه هدمًا واقتلحوا أصوله اقتلاعًا وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوة
عقودًا تحلين بها في أمكنة اللآلئ ، أشاره إلى غلبة الأمه على الظلم
وانتقامها من الظالمين وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية . . .

هذا جزء ضئيل مما كان يمارسه هؤلاء الطغاة ضد الشعب الفرنسي ،
وقضت سنة الله أن ينتصر الشعب على جلاديه وأن تحصد معظم
الروءوس المترفة الطاغية .

وفي يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩ م كان يوما مشهودا في باريس إذ تغلب الشعب
الفرنسي على الضاغطين عليه فخلص من أسرهم وحصل على حريته
بجده وجلاده (١) .

هذه هي الصفحة البيضاء لهذه الثورة الخافرة على الظلم والقسوة . . .
أما الصفحة المظلمة لهذه الثورة التي جعلتها سببا من أسباب الاتحاد
تتضح في الصفحات الآتية ان شاء الله .

(١) دائرة معارف القرن العشرين ، فريد وجدي ج ٢ ص ٣٥ .

الصفحة المظلمة للثورة الفرنسية

ان هذه الثورة التي قامت أساسا ضد الظلم والظفيان ، قد تمخضت عن نتائج بالغة الأهمية ، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوربا المسيحية دولة جمهورية لا دينية تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب وليس " باسم الله " وعلى حرية التدين بدلا من الكتلحة . . . وعلى الحرية الشخصية بدلا من التقيد بالأخلاق الدينية وعلى دستور وضمي بدلا من قرارات الكنيسة .

ان هذه النتائج والتطورات التي تمخضت عن ثورة قامت ضد الظفيان فحسب ثم تحولت الى ثورة ضد الدين والأخلاق ، شىء يستحق أن يقف عنده الانسان باحثا عن أسبابها ودوافعها .

شىء عجيب كهذا لا بد أن تتوفر فيه عدة عوامل وأسباب تفوق حسد الوصف ، ولكننا نود أن نذكر هنا أهم تلك الأسباب . . .
أولا - وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير :

ولولا وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير الجائعين الذين يبحثون عن الخبز ، لولا ذلك لم تمتنع الجماهير المسيحية أفكار الكتاب الملحدين ، ولم تتخل عن عقيدتها الراسخة .

وكيف لا تمتنع الجماعير من الفلاحين وغيرهم أفكار الملحدين وهم يسمعون من (توماس جيفرسون) نفسه يقول :

" ان القسيس في كل بلد وفي كل عصر من أعداء الحرية وهو دائما حليف الحاكم المستبد يعينه على سيئاته في نظير حمايته لسيئاته هو الآخر " . (١)

(١) أفكار ورجال تاليف - جريرين برتنن ص ١١ ترجمة محمود محمود مصر ١٣٧٧هـ
يراجع أيضا المفسدون في الأرض ص ١٩٧٣ م ص ١٤٦ فجابحدها .

ان كان هذا هو من تصريحات رجال الدين الكنسى فى أوربا الجاهله
فلا غرابة - اذن أن نرى الجماهير ترتفع فيهم الصرخات التالىة حلف
(ميرابو) :

" أشنقوا آخر ملك باممء آخر قسيس "

وبهذه الرؤى الواضحة ندرك جيدا أن وقوف الكنيسة المجرمه فى
صفوف الظلمه سبب من أسباب تنفير الجماهير عن فكرة التدين والمبادئ
الاخلاقية ..

وكما ندرك أن الثورة أقيمت فى أول أمرها - ضد نواحي الضعف
من رجال الكنيسة والأشراف . ولكن وقوف هؤلاء الرجال الحمقى فى صفوف
الظلمه قد زاد الطين بلة فتحولت الثورة عن ثوره ضد المظالم الى ثوره
ضد الأديان كلها .. هذا ما أيسده الكاتب الانجليزى ، (ويلز) حيث
يقول :

" كانت ثورة الشعب على الكنيسة دينيه .. فلم يكن اعتراضهم على قوة
الكنيسة بل على مساوئها ونواحي الضعف فيها ، وكانت حركات تمردهم على الكنيسة
حركات لا يقصد بها الفكك من الرقابه الدينيه بل طلب رقابه دينيه أتم
وأوفى ..

وقد اعترضوا على البابا لا لأنه الرأس الدينى للعالم المسيحى بل لأنه
لم يكن كذلك أى لأنه كان اميرا ثريا دنيويا بينما كان يجب أن يكون
قائدهم الروحى .. (١)

ولأجل ذلك قلمت الثورة بأعمال غريبه فقد سرحت الرهبان والراهبات
وصادرت أموال الكنيسة وألغت كل امتيازاتها ، وحررت العقائد الدينيه ، هذه
المره ، علنا وبشدة وأصبح رجل الدين موظفا لدى الحكومه .

(١) فيما يتعلق بأسباب ونتائج الثورة الفرنسيه ، يراجع كتاب أوربا فى العصر
الحديث فى الفصل الأول ..

هذا شيء يسير مما جنته الكنيسة على نفسها وعلى جميع الأديان
السماوية وقد ذكرنا بعضها سابقا في باب طفيان الكنيسة . وهناك
رأينا لونا آخر أيضا من هذا الطفيان ، رأينا أن الكنيسة هي المسئولة
في الدرجة الأولى عن هذا الاتحاد الأحمر . . .

ثانيا - الخلايا الخفية في الجسم الأوربي :

وقد يكون أن تغضب الجماهير على الكنيسة لأجل موقفها الخبيث ضد
الحقوق الشرعية للشعب ، ولكنها تبقى دائما في دائرة الدين والايمان
بالله والتمسك بالأخلاق الفاضلة ، لولا أنه وجدت هذه الخلايا
الخفية التي كانت تعيش في الجسم الأوربي وتمتص دماؤه بحيث لا يشمر . . .
وهذه الخلايا القوى الشيطانية الخفية اليهودية أعداء الله وأعداء
البشرية جمعا . . .

وقد أخبرنا الله تعالى : انهم * يسمون في الأرض فسادا *

وستحدث عن هذه القوى الشيطانية في باب مستقل ان شاء الله . . .
ونكتفي هنا بالإشارة الى أن هذه الخلايا الخفية لها دور حاسم في
تغيير أهداف الثورة الفرنسية التي هي البحث عن الخبز والخبز فقط . . .
وبين عشية وضحاها لقت هذه القوى الشيطانية الخفية ، الجماهير
الثائرة هتافات أخرى يذهب بها كل فكر ديني وكل فكر أخلاقي وهي :

” شعار الحرية والمساواة والاخاء ” .

ثم تلى هذا الشعار ، شعارا آخر : ” لتسقط الرجعية ” وهي كلمة

تعني أول ما تعني الدين والأخلاق .

وقد أقر اليهود أنفسهم هذه الحقيقة في كتابهم الخطير : ” بروتوكولات

حكماء علماء الصهيون ” . فهم يقولون فيه :

" تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (الكبرى) أن أسرار تنظيمها
 التمهيدي معروفه لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا " . ويقولون :
 " كذلك كنا قديما أول من صاح في الناس " الحرية والمساواة والأخاء " .
 كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين بينخاوات جاهله متحضره من كل مكان
 حول هذه الشعائر " (١) .

ثالثا : الفكر اللاديني الذي طبع عصر التنوير :

هناك سبب ثالث له أخطاره الكثيره ، ومع ذلك لم يذكره كثير من
 الباحثين في ضمن أسباب الثورة الفرنسية . . .
 فما هو هذا السبب الخطير ؟ ؟
 انه الفكر اللاديني الذي طبع عصر التنوير الذي تحدثنا عنه في
 الباب الذي عقدناه تحت عنوان " صورته عن أوروبا الحديثه " .
 ان هذا الفكر اللاديني كان يسرى في عقول المفكرين آنذاك ، سريان
 الدم في العروق ، وكانت له مدارس كثيرة ، قد سلكت كل مدرسه منحى
 خاصا لتحقيق هدف واحد ، وهو : تقويض الدين واجتثاث مبادئه من
 النفوس .
 واليك فكره موجزه عن كل من هذه المدارس :

(١) البروتوكولات ص ١٠٣ ، ١١١

أولا :- مدرسة ذات طابع اجتماعي وسياسي ، كان رأس هذه المدرسة الكاتب (روسو) (١) صاحب (المقعد الاجتماعي) الذي أطلق عليه " انجيل الثورة الفرنسية " و (مونتسكيو) (٢) صاحب (روح القوانين) .. ومن كتابات هؤلاء استلهم زعماء الثورة مبادئهم واقتباساتهم .. والفرض الوحيد لهذه المدرسة هو احلال (عبادة المجتمع) في محل عبادة الله وذلك ما نادى به الثورة الفرنسية أخيرا ...

ثانيا :- مدرسة ذات طابع فلسفي هدام ، انها تنادى الى الدين الطبيعي أو " القانون الطبيعي " وربما كان الفيلسوف اليهودي (سبينوزا) رائد هذه الفكرة الشنيعة . ذكر ذلك في كتابه " رساله في اللاهوت والسيدسه " . ثم اكتملت لدى (فولتير) فكرة الدين الطبيعي التي ورثها عن (سبينوزا) و (لا بيتر) واستق منها فكرة " القانون الطبيعي " حيث نجده يقول :

(١) ترجمة روسو : هو روسو هجان جاك : ١٧١٢ - ١٧٧٨ م فيلسوف فرنسي ، ولد بجنيف وقد رافق دافيد هيم الملحد في رحله الى انجلترا .. وله أثر في مختلف مجالات الفكر ، سياسيه وأدبيه وتربويه وكان مجمل مذهبه السياسي : ان الانسان الطبيعي ، لا هو بالخير ولا بالشرير ، وأن مساواة الناس قد زالت بظهور الزراعة والصناعه والملكيه .. وأن القوانين شرعت لتثبيت الظالم على المظلوم فالسياده يجب ان تكون للمجتمع .. فلاتشريع القوانين بخير رضا الجماعه كلها .. الموسوعه الحربيه ص ٨٩٤ .

(٢) مونتسكيو ، شاول لوى دى سلوندا : ١٦٨١ - ١٧٥٥ م كاتب فرنسي قد نادى بالديمقراطيه النيابيه . وقد كان لآراء مونتسكيو ، وبخاصة نظريته في الفصل بين السلطات أثر كبير على رجال الثورتين ، الفرنسيه والامريكيه : المرجع السابق ص ١٧٩٠ .

" ان دين أهل الفكر دين رافع خال من الخرافات والأساطير المتناقضه
وخال من العقائد المهيمنه للعقل والطبيعه .. لقد منع الدين الطبيعى
الآف المرات المواطنين من ارتكاب الجرائم ... أما الدين المصطنع فإنه
يشجع على مظاهر القسوه .. كما يشجع على المؤامرات والفتن وعلى أعمال
القرضه وقطع الطريق ... ويسير كل فرد نحو الجريمه مسرورا تحت حماية
قدسيه ... " (١)

واستمرت هذه الفكره بعد موت روسو وفولتير الى أيام الفيلسوف الألمانى
" كانت " الذى أدرك أيام الثورة الفرنسيه ، وقد اشتهر ^{هذا} /الفيلسوف
فى تأييدها وهو الذى طور فكرة العقد الاجتماعى فى كتابه " الدين فى
حدود العقل وحده " . (٢)

وهكذا بتأثير الفكر اللاديني جسدت الثورة الفرنسيه الفكره الفلسفيه
القديمه باقامة مجتمع يرفض القيم والأخلاق الدينيه ويجعل العلاقات النفعيه
المحضه هى الرباط القدس الوحيد ..

وهكذا أيضا استخلت اليهوديه العالميه هذه الثورة الفرنسيه وهذه
الأفكار اللادينييه لمحاولة السيطرة على العالم بأسره .

هذه هى الثورة الفرنسيه التى بدأت ثوره على الظلم ثم مشت شوطا فصارت
ثوره على الأديان والعقائد والقيم والمادى والأخلاق وجميع التقاليد الموروثة
على الاطلاق .

وبعد هذه الفرجه الثوريه العظمى حدث شىء جديد يجعل الحلیم حيران،
شىء لا مثيل له فى التاريخ مع أن فى التاريخ مثلا بل أمثله لكل حادث غريب .
وما هو هذا الشىء ؟ ؟ هو مذهب النشوء والارتقاء الذى نحاول التحدث عنه فى
الجزء الثالث .

(١) مختطفات من القاموس الفلسفى لفولتير : سلسلة تراث الانسانيه ج ٨ ص ٢٠٧

(٢) أنظر رجال وأفكار ص ٤٨٩ .

توطئة :

ان هذا المذهب - باجماع المفكرين - يعتبر من أخطر المذاهب الهدامة التي وفت ضد الدين لأنه قد أعطى احياء بين متضادين :

الايحاء بالتطور الدائم الذي يلقى فكرة الثبات ، والايحاء بحيوانية الانسان وماديته بارجاعه الى الاصل الحيواني من ناحية ، وحصر القوى التي توثر فيه من ناحية أخرى بالقوى المادية في " البيئة " أو على الأقل في " الطبيعة " واغفال الجانب الروحي اغفالا تاما ، واغفال تدخل الله في عملية الخلق أو عملية التطور سواء .

قال داروين : " ان تفسير النشو والارتقاء بتدخل الله ، هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت " (١)

ويهذين الايحاء بين صار هذا المذهب من أخطر المذاهب على الأديان بل هو بمثابة الناقوس المعلن لمجى الأحداث على الكنيسة .

يقول جوليان هكسلي في كتابه " الانسان في العالم الحديث " (Man In The Modern World) (٢) وهو من علماء الداروينية

الحديث :

"وبعد نظرية داروين لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا " هذا ما يوحى به هذا المذهب الالحادى . ولكننا قبل أن نتحدث عن الآراء التي قيلت حول هذا المذهب من قبول ورد يحسن بنا أن نعطي القارئ فكرة قصيرة عن هذا المذهب الذي زلزلت به أقدام رجال الكنيسة وأزيلت به فكرة الثبات المطلق التي كان يعتقدده رجال الدين الكنسى .

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ، ص ٣٥

(٢) ترجمة حسن خطاب ومراجعة عبد الحلیم منتصر .

نقلا عن المرجع السابق ص ٣٥

فكرة عن مذهب النشو والارتقاء

قبل أن يأتي هذا المذهب ، كان الايمان المسيحي والاخلاق المسيحية قد تعرضا لضربات قاسية وهزات عنيفة :

وقد رأينا كيف كانت الضربات التي نزلت على المسيحية منذ أن ظهرت نظرية نيوتن بالنظرية الجاذبية الميكانيكية الآلية للكون . . وكيف كانت هزيمتها المبررة امام نظرية " كوبرنيكس " في مركز الأرض . كما رأينا انتقادات فولتير وأمثاله تمهيدا للثورة الفرنسية ، وما أصاب الكنيسة على يدى هذه الثورة من نكبات . .

وكما رأينا الدين الطبيعي الذي نادى به الفلاسفة العقليون ، ونظرية التطور الفكري كما تخيلها " كانت " وأمثال ذلك التي مرت بنا في هذا الفصل قد رأينا أن كل ذلك لا يلهي الا ويترك أثرا بليفا في جسم المسيحية ، أو ينهش منه نهشة أويزيل من بنيان الكنيسة لبنة أو عدة لبنات . . لكن كل ذلك لم يزل الايمان من قلوب الجماهير ، ولم يكن ليسمح لأى مفترض بأن يتنبأ بانهيار كامل للمسيحية أو يقول انه لا توجد في الانسان قيم ثابتة ولا أخلاق ثابتة ولا تقاليد ثابتة . .

ولقد صدق الناس الكثير من أقوال المفكرين وانتقاداتهم ضد الكنيسة ولكنهم مع ذلك كله كانوا مؤمنين بوجود اله يدبر هذا الكون ، وبأن آدم هو أبو البشر بكيانه المنفرد . . حتى جاء داروين بتأليفه المعجيب الذي غير مجرى التاريخ الانساني . .

لقد ألف داروين أصل الأنواع سنة ١٨٥٩ فأحدث ضجة عنيفة لم يحدثها أى مؤلف آخر في التاريخ الأوربي جميعا وكان له من الأثر في المجالات الفكرية والعملية ما لم يكن في الأذهان .

بعد هذا يحسن بنا أن نشير ولو طفيفا الى ملخص تاريخي لهذا المذهب ، لنصرف كيف طرأ على العالم . . .

(١) راجع التطور والانسان الدكتور حسن رينوص ٤٢ وعقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٦٨ .

ملخص تاريخي لتدرج المقول في فكرة " أصل الأنواع "

والمواقع ان الجديد الذي جاء به داروين ليس فكرة التطور العام أو المصوى ولكنه (داروين) زاد على الفكرة القانون الذي تسيير عليه عملية التطور بغض النظر عن قيمته العلمية . .

أما فكرة التطور العام قد عرفه بعض الباحثين ونخص بالذكر (بافون) الذي يعتبر حق أول من كتب فيه بأسلوب علمي في العصر الحديث . الا أنه لم يبحث في أسباب استحالة الأنواع ووسائلها . . حتى جاء عالم آخر تقدم الى خطوة أبعد منه : وهو (لامارك) +

وكان (لامارك) أول من نهت نتائج بحوثه الأعمار لهذا الموضوع . . ففي سنة ١٨٠١ م نشر هذا العالم الطبيعي آراءه في الناس ، وفي سنة ١٨٠٩ زاد اليها كثيرا في كتابه " فلسفة الحيوان " ثم عقب عليها في مقدمة كتابه " تاريخ اللاقاريات الطبيعية " الذي نشر في سنة ١٨١٥ فأبيد فيه الكتب التي تقول ان الأنواع ومنها الانسان ناشئة من أنواع أخرى . .

(١) بافون : جورج لويس بكلا ر ، كونت دي - Compté(2)

عالم فرنسي ولد سنة ١٧٠٧ وتوفي بباريس في سنة ١٧٨٨ ، له كتاب في التاريخ الطبيعي ظهر في مجلدات من سنة ١٧٤٩ الى سنة ١٧٨٨ اي سنة وفاته عالج فيه كثيرا من مشكلات علم الحيوان . . راجع أصل الأنواع : تشارلز داروين ص ١٠٣ .

(٢) لامارك : جان باتيست ببير أنطوان () عالم فرنسي ولد سنة ١٧٤٤م

وتوفي سنة ١٨٢٩ م درس الطواهر الجوية والنبات . وله كتاب في نباتات فرنسا في ثلاث مجلدات . وظهر كتابه " فلسفة الحيوان في باريس سنة ١٩٠٨ في ثمانية مجلدات ، فوضع فيه من المبادئ والنظريات ما كان له اكبر الأثر فيمن عقب عليه من العلماء في بابيه . . المرجع السابق ص ١٠٣ .

وأول ما قام به ، هو تنبيه الأذهان للمنى ان للتطور من سنن للوجود
ولا أثر لمجززة فى شىء من ذلك .

ثم بعد ذلك تتابع المؤلفون فى هذا الباب كأمثال " جفرى ساتيلير"
(١٧٩٥) ودكتور (ولز) سنة ١٨١٣ . والاستاذ جرانت سنة ١٨٢٦ والاستاذ
هكسلى وغيرهم . . . ولا س، وراى وباركنسون ولينو (١) وجاء تشارلز
داروين الذى نسب اليه المذهب التطورى أخيرا . .

وقد يتساءل بعض الناس ويقول : اذا كان بعض الأوربيين قد سبقوا داروين
فى هذا المجال ، لماذا أهملت نتائج بحوثهم ولم تؤثر فى العقيدة الدينية
مثل ما أتى به داروين ؟

فنقول : ان الذى يسبىءو فى عدم انتشار مذهبهم مثل مذهب داروين ،
راجع الى التفسيرات التى قدموها للتطور . . فقد قال هؤلاء : ان التطور خطة
مرسومة وفيها رحمة للمالين .

ولذلك وصفت نظريتهم بأنها " لا هوتية " . . ان هذا كان كافيا
أن يجعل نتائج بحوثهم للتطور فى زاوية النسيان . .

وكان الناس فى ظروف مريرة وصراع شديد مع الكنيسة ، يريدون أن يتغلبوا
عليها بأية وسيلة ولو كانت أوهى من نسج المنكبوت . . ولما كانت هذه
النتائج تشتم فيها رائحة اله الكنيسة السفاح الحقود ، رفضوها . . .

وكانت الظروف تتطلب أن توجد فكرة أيضا عن الانسان والحيوان على الطريقة
الميكانيكية لطريقة نيوتن فى الفلك .

ولما جاء داروين تفوق على الجميع لا استطاعته المثور على هذه القوانين
الطبيعية الأربعة كما يزعم .

وفى الصفحات التالية نود أن نتحدث عن تلك القوانين الأربعة . .

(١) انظر الطريق الطويل الى الانسان ص ١٩٧ فصاعدا
(٢) سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الأساتذة البيهئة العامة مصر ص ٣٢٩ .

الفرض الأساسي لهذه النظرية

والفرض الذي يدور حوله الكتاب هو كالتالي :

- أولا : (قانون الانتخاب الطبيعي) ثانيا : (قانون تنازع البقاء)
 ثالثا : (قانون بقاء الأصلح) وقيل له ناموس المطابقة .
 رابعا : (قانون الوراثة)

١ - قانون الانتخاب الطبيعي :

يعني به أن الطبيعة تنتخب من الموجودات ما يصلح للبقاء .. فالحيوانات مثلا تنسل عددا لا يحصى ، ولا يبقى منه الا القليل ، ولم يبق ما يبقى من قبل نفسه ، ولكن لأنه هو الذي قام الحوادث المختلفة وفواعل الطبيعة ، فصلح للبقاء ، بدون أي تدخل خارجي .. فالقوى يبقى والضعيف يفنى ، فالطبيعة هي المصدر الوحيد في ذلك واليهما تصير الأمور ..
 فما تفعله الطبيعة على حد زعمه - من انتخاب أصلح الموجودات لتمنحه ميزة البقاء سمي " الانتخاب الطبيعي " ..
 وبتعبير آخر : ان الطبيعة هي التي تمنح الحياة والبقاء لمن تشاء ، وتزيلها عن تشاء بيدها التصرف الكامل في الكون ، انه لا يقف أمامها أي معارض أو منافس .

٢ - قانون تنازع البقاء :

يأتي تفسيره كالاتي : يرى داروين أن المخلوقات في نزاع شديد ، فبين الأنواع حرب ضروس ترى أسدا يفترس ذئبا .. وذئبا يفترس خروفا ، وانسانا يفترس كثيرا من الحيوانات البرية والبحرية .. أضف الى ذلك ، أن النوع الواحد قد يتنازع بعض أفراده مع بعض عند الازدحام على شيء لا يكفي لسد رغباتها جميعا كما ترى من تنازع القطط على قطعة اللحم .
 وكما ترى من تنازع الانسان مع الانسان .. وهذا التنازع الذي يجرى بين

الأنواع والأفراد هو الذى سعى (تنازع البقاء) .. يعنى التنازع لأجل البقاء .. (١)

وهكذا فسرداروين الهدف الأساسى لهذه الحياة الدنيا .. يعنى أن الحياة مبنية - بطبيعتها - على التنازع والصراع المرير بين جميع المخلوقات . الا ان اكبر دليل على كشف هذه الخرافة الداروينية ، ظهور الأمة الاسلاميه فى العالم .. وقد يعلم العدو قبل الصديق أن العالم الاسلامى لم يأت نتيجة من هذا الصراع المزعوم وانما ظهر للوجود لتحقيق الغايات الثلاث الآتية :

✽ كنتم خير أمة اخرجت للناس : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. ✽

أين الصراع فى قول النبي صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فان قالوها عصم منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام " (٢) .

أين هذا الصراع البغيض فى قول أول خليفة للمسلمين وهو سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول فى أول خطبة الى الأمة الإسلامية الفتية : " أما بعد أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم .. فان أحسنت فسأعينونى وان أسأت فقومونى .. الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله .. والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله .. "

(١) يراجع فى هذا التفسير الى دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجمدى ج ٤ ص ٣٠

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٠١ - مطبعة السعادة - مصر

بها خصاصة . . . ولا تريد عطلوا في الأرض ولا فسادا . ان من يكذب هذا الصراح المفترض قول هذا الصحابي الجليل (ربيعى) بن عامر حين دخل على (رستم) وهو يتوكأ على رمحہ فوق النمارق فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟

فقال : " الله ابتمثنا لتخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام " . ثم قال :

" فأرسلنا بد بنه الى خلقه لتدعوهم اليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفى الى موعود الله . . . قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى . . . " (١)

ومن يقرأ هذه القصة يعلم يقينا أن داروين كان كذابا في ادعاءه . . . كما يعلم أيضا أن الاسلام المجيد خرج للناس بمفاهيم وقيم انسانية كريمة بعيدة عن النزاع الدارويني المزعوم . انه رفعهم من شريعة الخاب وشريعة المخلب والناج وشريعة المنجل والفأس وشريعة رأس المال الظالم والشيوعية الماكرة الى مستوى قيم الانسان ، وأخلاق الانسان وكرامته في سبيل خالق الانسان . . . وليس في سبيل البقاء على الأرض .

الذنوب سبب هلاك الأمم وليس الانتخاب الطبيعي

ثم ان داروين يدعى ان سبب هلاك الأمم هو الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح . . . هل عند داروين دليل واحد ملموس على ذلك ؟ الجواب لا انما هو ظن فحسب . . .

ثم قال رضى الله عنه : " لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونسى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله " .

ولم تكن مبنية على الوثام والتوافق ولا التعاون .. فلا شك ان هذه النظرية تصادم الميكان وتخالف الفطرة البشرية .. بل تخالف مخالفة أساسية القرآن الكريم القائل :

* انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم * .

ان الآية تقر بأن خلق الانسان كان لأجل التعارف والتوافق لا لأجل القتال والصراع على البقاء .. كما أشارت الآية أيضا ان الذى يجب أن يتسابق فيه الناس هو شئ واحد .. وهو التقوى وتطبيق أوامر الله عز وجل .. نعم ! يوجد هناك بعض النفوس الشريرة التى تعطلت فيها اجهزة الاستقبال الفطرى ، تتصارع على البقاء فى هذه الدنيا وتتقاتل ، كما حصل ذلك فى الحربين العالميتين الماضيتين ، ولكنها تبقى دائما نفوسا خارجة عن الفطرة الانسانية هذا ما نوهت اليه الآية الكريمة الآتية :

* ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها * ..

اذ ان النفوس المتصارعة على البقاء هى النفوس التى دسها أهلها فى ظلمات الاحاد .. ومن هنا فقط نلتقى مع داروين فى أن بعض النفوس تتصارع لأجل البقاء .. ولكننا - فى الوقت نفسه - نخالفه فى تميم هذا الحكم .

نخالفه لأننا نرى دائما نفوسا طاهرة تتمر ولا تخرب ، تجمع ولا تفرق ، ترحم وتتصدق ولا تختصم ، بل تؤثر غيرها على نفسها ولو كانت

وأما القرآن الكريم يقرر لجميع الناس في كل زمان ومكان • أن الذنوب هي سبب هلاك الأمم فقط وليس هو الانتخاب الطبيعي المزعوم •

* أفلم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم ببعض ذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون •• * (١)

* ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل * (٢)

انه مقياس رباني للأمر ليس مقياس الصالح الذي يعتمد على الكثرة وليس مقياس المال ولا القوة ••

وانما الايمان والعمل الصالح وهما طريقا بقاء الأمم في الدنيا والخلود في الآخرة •• قال تعالى :

* فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد الا قليلا من أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين *

ولولا هذا المقياس الرباني ، كيف يتغلب الأصحاب على أهل الكفر والالحاد في غزوة بدر ••• ولم يكن تعداد المسلمين كتعداد الكفار •• وليست عدتهم كمعدة هؤلاء الكفرة •• ومع ذلك كانت الغلبة للأصحاب • انها آية من آيات الله وليس للانتخاب الطبيعي أن يتدخل في هذا الأمر انصح هذا التعبير • اسمع ما يقول القرآن في هذه القصة المجيبة :

* قد كان لكم آية في فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة •• يرونهم مثليهم رأى المين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لمبرة لأولى الأبصار *

وهكذا اتضح لنا ان الانتخاب الطبيعي أوبقاء الأصلح افتراء على تاريخ الانسان وتضليل لهؤلاء الدهماء السذج الذين لا يعرفون شيئا من هذا النور

(١) الآية في سورة الاعراف : ١٠٠

(٢) الآية في سورة هود : ٧٤

(٣) الآية في سورة هود : ١١٦

وأخيرا : لا يجوز لمسلم أن يؤمن بهذه الخرافة المخلقة ، وكما لا يجوز له أن يتردد في بطلانه ولا يظن أبدا أنها ستكون صحيحة يوم ما . وبهذا نعلم يقينا أن الصراع الذي زعم الدارويين أنه حتى من حتميات التاريخ تطاول على التاريخ ، وقد فنده التاريخ الاسلامي ..

فلا شك أن دارويين قد استلهم هذه الفكرة من الشاردين الهاربين عن الدين . لأن الصراع فكره استعماريه نشأت في عصر النهضة الاستعماريه التي كانت تعتمد على القوة وسيلة لغلبة القوى على الضعيف ..

فهي شريمة الناب التي سارت في الحروب الاستعمارية وانطبعت بها العقلية الغربية .. والصراع بغلبة القوى على الضعيف فكرة استعماريه لا أخلاقية ، تهدف الى الاستيلاء على موارد وممتلكات الخير والثورة والحنف ، وقد ظهرت نتائج هذه المقلية في العقائد الأوربية التي سادت في القرنين الماضيين وأدت كما قلنا الى حربين عالميتين والى الثورة الفرنسية والثورة الروسية والى ظهور الفاشية والنازية والشيوعية .

الصراع على البقاء في هذه النظرية ، لا من أجل مقل ومبدأ انساني أخلاقي . ولكن من أجل المادة وسيلة الناب والمخلب .

ان هذا فيه الكفايه للبيان أن الصراع لم يكن من حتميات التاريخ الانساني وانما وجد ذلك في فترة من فترات التاريخ الأوربي ... فعم دارويين هذا الأمر الخاص .. لحاجة في نفسه ..

أما ناموس الوراثة :

هو ان الصفات المرضية التي تحدث في الآباء بواسطة اختلاف الأحوال والأوساط المميشية تنتقل الى الأبناء ، فتنشأ تلك الأبناء مختلفة فيما بينها ..

ومثلا ان النسل المتولد من الأقوياء قوى ، ومن الضعفاء ضعيف ومن تولد من ضحاف الصدر كان عرضة لمرض الصدر ، وهكذا دواليك ..

ولا يزال هذا الاختلاف بين الأُولاد - على زعم داروين - يقوى على
 مرّ الأجيال والقرون ، حتى يستحيل ذلك الاختلاف المرضي الى اختلاف
 جوهرى توهم الرائي لها انها اختلافات نوعيه من أصل الخلقة ، وهى
 فى الحقيقة اختلافات بسيطة فى مبدئها ، توالى عليها الحقب حتى ازدادت
 تأسلا فى الكائن الحى ونمت فيه فأدتها الى مبانة الأُصل الذى نشأ
 منه تمام المبانة . . حتى ان الرائي لهما يظنهما من نوعين مستقلين
 وهما من نوع واحد كما نرى ذلك ^{فيما} بين الحمار والحمان فانهما (على
 مقتضى مذهب داروين) من نوع واحد وانما اختلف الحمار عن الحمان هذا
 الاختلاف تبعا لمقتضيات الوسط الذى عاش فيه الحمار والجهاد المعيشى
 الشديد الذى بلي به .
 (١)

هذه هى القواعد الأربعة التى بنى عليها داروين مذهب التطور والنشوء
 والارتقاء .

فما أحسن هذا الكلام من تفكير ؟ ولكن هل عند داروين دليل من
 العلم الحديث ؟

وقد أجاب عن هذا السؤال العالم الطبيعى " الكبير " كرسى
 موريسون بقوله :

(١) دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ج ٤ ص ٣٠ - ٣١
 وكتاب الآيات البينات للسلطان صالح بن غالب القمبلى ص ٦٩ ط
 راجع كتاب الاسلام ومذهب داروين ، محمد باشمبيل -
 ص : ٤٥

(٢) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص
 راجع أيضا الأخلاق ، موسوعة أحمد أمين الأدبية ص (١٠٩)

H.V

" ان القائلين بنظرية التطور (النشو والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة (الجينات) ، وقد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور حقا ، أعني عند الخلية ذلك الكيان الذي يحتوي الجينات ويحطها " .

اذن ان العلم الحديث يتنافى مع هذا المذهب السخيف لأنه ظنون وتخمينات ... المعلم ان طريق العلم هو البحث والتحقيق والاثبات والبرهان ، وطريق الفلسفة هو الظن والخرص واليهوى ..

ان مسألة التطور يجب ان تتم دراستها في البحث عن بقايا وهياكل الأحياء المنقرضة في التاريخ الجيولوجي الفابر .. فهي الطريقة العلمية الوحيدة التي يمكنها ان تثبت ان شكلا ما تغير وتطور من عصر أقدم الى عصر أحدث .

أما التخيلات والأوهام التي يقول بها بعض من يدرسون الحيوانات والنباتات الحالية ويقارنون أعضاءها ببعضها ليقولوا انها نشأت من بعضها البعض ان ذلك يخالف قواعد العلم والبحث والتحقيق ..

وفي متهات هذه الظنون المتناقضة يتفلسف داروين وأعوانه ليقولوا ان أصل الانسان من قرد وهذا من جربوع وذلك من ضعفه أو سمكه الخ .. وبالاختصار ، فكل من يدعي ان شكلا من الأحياء نشأ من شكل آخر ينفي أن يثبت ذلك بالأدلة المستحاثية طبقه وطبقه وشكلا فشكلا أو في بعض الأحيان النادرة كما في مثال الذباب بطريقة علم الوراثة باجـراء تجارب موضوعية يقينية .. ولكن حشا داروين أن يفعل شيئا من ذلك ... ومن ثم يرفض العلم كل تخصصات الملحددين الذين تدور مقالاتهم كلها حول أصل الانسان من أحياء منحطة صغيرة وهدفهم من ذلك نفى وجود آدم عليه السلام ومن ثم انكار الديانات السماوية وانكار الخالق عز وجل .

فالمسألة التي يدور حولها الحوار والنزاع هي في النهاية وفي البدايه أيضا
مسألة العقيدة والايان بالله ، يخالق الكون والأحياء فيه ولهذا لاقت قضية
التطور ونشوء الأناسان مجالا رحبا واسعا تخبطى آفاق اليقين التجريبي
الى متاهات الشكوك والترهات والخرافات التي تزعمها الملحدون ...
ان مبدأ التحكيم الى العلم الحديث هو الفاصل بيننا وبين الملاحدة ..
لا لأنه ينقل الأناسان الذي اكرمه الله تعالى من الظن والهوى والخرافة
والسخافة الى العلم والنظر واليقين فحسب .. بل لأنه يجرد كذلك الملحدين
وأعوانهم من السلاح الذي يمللون به ضد المؤمن .. فيكون العلم هو
السلاح الذي يقترن بالايان في معركة الأناسان المؤمن من ضد ابليس
اللمين .

انه لسلاح عجيب يجمع يقين الايمان بيقين العلم ودليل الحق بدليل
البرهان . وقد أشار القرآن الكريم في اكثر من آية الى هذا السلاح القوي
فقال :

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة
الآخرة ﴾ (١)

وبهذا تبقى هذه النظرية بدون برهان فيضاف الى مصاف الخرافات القديمه
التي عرفت في التاريخ الانساني .
انى أعلم أن هذا التصريح سيثير غضبة كل من يريد أن ينتسب
الى القروء والديدان ... ولكن الحقيقة يجب ان تقال .
وبعد هذا ننتقل الى استماع رأى الكنيسة في الموضوع .

موقف الكنيسة من مذهب التطور

ولما ظهر هذا المذهب التطوري نشبت معركة من أعظم المعارك الفكرية في التاريخ الأوربي واشتط أصحاب النظرية في موقفهم وتطرفوا الى حد انكار وجود الله وانكار الأديان جملة وعلان الحادهم الصريح . كما تطرفت الكنيسة وأشباعها فأعلنت كفر وهرطقة كل من لم يكن في جانبها . . .

وانتهت المعركة الى نتيجة مفرعة : فقد تزلزلت المقائد الدينية جملة ، وانتشر الالحاد وشاع بطريقة غريبة شاذة

ويكفيك أن تعلم من حملة رجال الدين على هذا المذهب التي استمرت في ضراوتها الى نهاية القرن التاسع عشر ، مثلا : ان أسقف أوكسفورد ، وهو من اكبر العلماء ، أعلن ، في خطبة ألقاها أمام مجمع تقدم العلوم البريطاني " أن داروين ارتكب أشنع جريمة حينما حاول أن يحدد مجد الله في فعل الخلق " (١) وأن الكاردينال (ماننخ) قال " ان مذهب داروين هو فلسفة وحشية تؤدى عقلا الى انكار الاله " (٢)

وأن الدكتور (به رى) كبير أساقفة مطبورن وضع كتابا حمل فيه على داروين واتهمه بأنه يزرع في نفوس الناس بذرة الكفر وانكار الكتب السماوية " (٣)

وأن المونسنيور (سه غور) في فرنسا قال عن مذهب داروين (انه من المذاهب المردولة التي لا يؤيدها الا أحمق النزعات وأسفل المشاعر ، فابوها الكفر واسمها القذارة . . . " (٤) .

وفي ألمانيا أعلن بعض العلماء أن مذهب داروين يناقض كل فكرة موجودة في الكتب المقدسة .

(١-٢-٣-٤) نقلنا هذه النصوص عن كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم

والقرآن ص ١٩٣ للشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس .

وأعلن (لوناردت) استاذ اللاهوت في لا ييزيغ (ان فكرة النشو
والارتقاء تناقض الحكمة الالهيه مناقضة تامه ، وان فكرة الخلق ملك الدين
لا للعلم الطبيعي وأن كل الهيكل الأعلى للدين ، انما يقوم على مذهب الخلق .
ودعا احد علماء اللاهوت في سويسرا الى القيام بحرب صليبيه ضد هذا
المذهب الخاطيء المفسد . . . وقالت مجلة جامعة دبلن (ان داروين يبحث
كيف يخلق الله عن عرشه) .

ووصف العلامة الدكتور قسطنطين (جمس) في كتابه (الدار وينزم
أو الانسان القردى) الذى نشر في باريس سنة ١٨٧٧ مذهب داروين بأنه
(أسطورة اضحوكة) .

وقال الدكتور موفيلد من الجامعة نفسها : (ان التوفيق بين مذهب
النشوء وبين التنزيل غير ممكن ، وأن من يؤمن به ، ولو ثبت علميا ، يكون كافرا
بالله .

وقال الدكتور (لي) (أنه لا يمكن بأى اسلوب من اساليب التفسير ان
نؤول لفة الكتاب المقدس بتوسع يحتمل القول بهذا المذهب ، ونعمت
داروين واتباعه مبشروا البلايع القدرة .

وفي الكلية الأميركية في بيروت طرد الاساتذة الذين ظهروا أنهم
يقولون بمذهب داروين (١) .

وهكذا رأينا موقف الكنيسة من هذه النظرية ، وهى تقول انها ترفض
حتى فى حالة ثبوتها علميا يقينيا . . .

وللواقع أن طبيعة الفلسفة المسيحية تجعلها اكثر الأديان تعرضا للانهياب
فى حالة ثبوت النظرية ، صحيح أن الأديان كلها تؤمن بمقيدة الخلق المستقل
لكن المسيحية تزيد على ذلك بأنها تجعل هذه المقيدة قطب الوحي للايمان
المسيحي برمته .

فالمسيحية البولسية والقسطنطينية^(١١١) تعتقد أن الله خلق آدم وحواء
ونهاهما عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر فأغرتهما الحية فأكلا
من الشجرة فارتكبا بذلك خطيئة لا تفتقر إلا أن يرسل الله ابنه الفرد-
* كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا * - الذي يعتبر بحق -
عندهم - الأتوم الثاني من الثالث المزعوم ، فقتله الروم في عهد
(بيلاطس) بايعاز من اليهود ، على الصليب ليخلص البشرية من
الخطيئة الموروثة عن أبيهم آدم عليه السلام . . . وهذه العقيدة هي محور
التعاليم الكنسية ولا يمكن بحال أن يعد المرء مؤمنا بالمسيحية ما لم
يصدقها . . .

وبهذه الرؤى الصادقة عن عقيدة المسيحية لم يعد غريبا أن نجد
النظريه تقضى مضاجع رجال الدين الذين يرون أن التصديق بأن الانسان
خلق بالطريقة التطورية من الخلية الواحدة (الأُميبيات) الى القرد ف
فالانسان معناه بكل وضوح نفي وجود آدم وحواء بل نفي الخطيئة الا ولى
التي أسس عليها التعليم المسيحي . . .

والخلاصة أن الكنيسة ترى أن تعاليمها تناقض مذهب النشو والارتقاء
مناقضة صريحة حتى في حالة ثبوت النظرية . . . وقد رأينا تصريحات
علمائهم كلها تدور حول هذه الفكرة وحدها .
وقد أحسن ويلز في مقاله في هذا الصدد :

" الحق أنه لم يخل عصر من المصور من متشككة في المسيحية . . .
على أن هؤلاء كانوا أناسا غير عاديين أما الآن (أى بعد نظرية
داروين) فقد أصبحت كل المسيحية بوجه الاجمال متشككة إذ
مست الخصومة كل انسان قرأ كتابا أو محاوراة بين

وبعد هذا الموقف المربك من الكتيبة تجاه النظرية للداروينية ، نود
أن نسمع أيضا شيئا ولو يسيرا من الطرف الثاني في المعركة وهو طرف الملاحده
الذين اتخذوا النظرية سنداً علمياً للإلحاد الذي اخترعوه ..

موقف الملاحده من النظرية

ان الملاحده - بصرف النظر عن عدم ثبوت النظرية علمياً - قد اتخذوها
قاعدة من القواعد الثابتة التي لا يزيج عنها الا هالك ... واليك شيئا من
تصريحاتهم :

يقول ماندير : " لقد ثبت صدق هذه النظرية ، حتى اننا نستطيع
أن نعتبرها أثرب شيء الى الحقيقه " (٢)
ويقول (سبيس) في هذا الصدد :

" ان نظرية النشو والارتقاء حقيقه ثابتة اخيرا وكلها ، وليست بقياس ،
أو (فرض بديل) صيغ للبحث العلمى " (٣)

ويعتقد محرر دائرة المعارف البريطانى ١٩٥٨ : أن نظرية الارتقاء في
الحيوانات " حقيقة وأن هذه النظرية قد حظيت بموافقة عامة بين
العلماء والمثقفين بعد داروين " (٤)

(١) معالم تاريخ الانسانيه تاليف ويلز ج ٤ ص ١١٣ ومابعدها

(٢) Clearer Thinking p.56 IBLA. p. 113

(٣)

(٤) Meaning Of Evolution p. 127

نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٦٥ .

هذان موقفان متضادان أو متناقضان بأدق الأسلوب :

الكنيسة تقول : أنا لا أؤمن بالمذهب التطوري ولو أصبح حقيقة

علمة يوماً ما ..

الانسان القردي؛ لماذا هذا أيتها الكنيسة المسكينة ؟

الكنيسة : لأن هذا المذهب يخالف عقيدتي بالخطيئة الأولى التي تعتبر

قطب الرحى للمقيدة المسيحية الحاليه ؟

الانسان القردي : أنا لا أترك هذا المذهب أبداً ولو يدى لي بطلانها

الكنيسة : لماذا هذا أيها الانسان القردي المسكين ؟

ان المذهب جاء ليبقى لأنه يخالف الخلق المباشر الذي تمتدده المسيحية ..

ان هذا الحوار البسيط بين الكنيسة والانسان القردي الملحد يبين

أن كل واحد منهما خالف قواعد مذهبه .

فالكنيسة خالفت قواعد الأديان الصحيحة ، ومنها :

أن العلم الصحيح لا يتعارض مع دين صحيح لأن الدين بدون علم أعسى

والعلم بدون دين أعرج ..

الذي ينبغي لصاحب الدين أن يطالب أصحاب النظريات أن تأتي بالبرهان

كما قال تعالى : * فأتوا برهانكم ان كنتم صادقين * (١)

* فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين * (٢)

وأما ان يتعصب صاحب الدين لمقيدة معينه بعد وضوح الدليل العلى الذى

يخالفها ، فهذا خروج عن قواعد الدين نفسها ..

هذا ما فعلته الكنيسة .. انها لم تفرض النشو والارتقاء لكونها باطله

فحسب ولكن لكونها لا تتمشى مع عقيدتها التي تبنتها ..

فالدين الاسلامى لا يؤيدها على ذلك يقول : " الحكمة ضالة المؤمن من يأخذها

حيث وجدها " .. ولكن الكنيسة رفضتها قبل البحث عن حقيقتها ..

(١) سورة البقرة آية : ١١١

(٢) سورة آل عمران الآية : ٩٣

والانسان القردى الملحد كذلك خالف قواعد العلم الحديث التي تقول :

ان العلم الحقيقي ما يدخل تحت التجارب الحسية والملاحظات .. هل هذا

المذهب الدارويني ما ينطبق عليه هذا الشرط ؟ الجواب : لا

اذن ان هذين الموقفين متطرفان * فكل واحد منهما يحارب الطرف

الآخر في عمالة وجهالة بغير علم ..

فالكنيسة مخطية في رفضها كل فكرة صحيحة ما دام تخالف معتقداتها ..

والانسان القردى ^{الملحد} مخطيء في تبنيه هذه الفكرة بدون دليل علمي ..

هذا ما صرح به بعض المنصفين من الغربيين * يقول (ستيوارت تشيس) :

" أيد علماء الأحياء جزئيا قصة آدم وحواء كما ترويها الأديان ... واذنا

تواريخ سفر التكوين في التوراة خاطئة وحوى كثيرا من الحذف والتزييف والبيان

الشاعري فان السفكرة صحيحة في مجملها " (١)

وليت شعري ماذا لاسيقول هذا الرجل لو قرأ القصة كما وردت في

القرآن في آيات كثيرة منها :

* واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا اتجعل فيها

من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح لك ونقدس لك قال اني اعلم

ما لا تعلمون .. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني

بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك

قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما

انبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون

وما كنتم تكتمون * (٢)

أو قوله تعالى : * الذي أحسن كل شئ خلقه *

(١) الانسان والملائكة البشرية تاليف ستيوارت تشيس ، ت / احمد حمودة ،

مصر ١٩٥٥ م

(٢) سورة البقرة الآيات :

أى خلق الله تعالى كل مخلوق على أتم وجه وسخر له كل الأعضاء
 والوسائل التى تمكنه من العيش فى الوسط المقدر له . . . اذا تغير الوسط
 الذى يحف بالكائن كأن صار بحرا بدل البرقما ! ان ينجو بنفسه عن طريق
 السباحة أو يموت ويندثر . . . ولكن هذا التغيير أبعد ما يكون بأن يجمع
 الحيوان البرى مائيا كأن يجهزه بغلاصم⁽¹²⁾ تتنفس كالسمك كما يدعيه داروين . . .
 ان هذا الكذب واضح . . . ولنضرب مثلا بداروين نفسه : ولو جعلناه فى الماء
 هل يستطيع أن يعيش فيها كالسمك ويتعبر آخر هل يستطيع الانتخاب
 الطبيعى أن يعطيه أجهزة السمك . . . لا ! بل يموت فورا ان لم يحسن
 السباحة . . .

اذن ليس هناك شيء يسمى الانتخاب الطبيعى بل هناك الانسجام والاحسان
 كما أشارت الآية الكريمة .

ان الذى يقرأ هذه الآية كيف يؤمن بعدها بخرافات داروين وولا سحيث
 يقول ان طول رقبة النعامه او الزرافة سببه طول الاشجار وذلك ان
 تأثير الوسط الذى يعيش فيه المخلوق هو الذى يغير شكله . . .
 نقول ان هذا كذب وبهتان . . . بل المحقول هو أن طول أعناقهما تابع
 الى ارتفاع قوائمهما ، اذ لو كانتا أقصر مما عليه ما كانت تتمكن من شرب
 الماء على ظهر الأرض وأكل النباتات القصيرة التى لا ساق لها .
 وبهذا يبدو جليا ان هذه النظرة لا أساس لها من الصحة وانما اعتنقها
 الملاحدة فرارا من الخلق المباشر الذى تبنته الكنيسة .
 وقال ر . س ل :

" ظلت نظرية الارتقاء تحصل على تأييد متزايد ، يوما بعد يوم بعد
 داروين ، حتى أنه لم يبق لدى المفكرين والعلماء شك فى أن هذه
 هى الوسيلة المنطقية الوحيدة التى تستطيع أن تفسر

عملية الخلق وتشرحها " (١) .

وبعد هذه التصريحات من الملاحدة على مختلف تخصصاتهم ، لا يبقى

خافيا عنا أن المعركة كانت معركة عنيفة بين الفريقين .

فكل منهما يدعى أن صاحبه ليس على شيء . . . تقول الكنيسة أنها

ترفض رفضا باتا هذا المذهب . . . لأنه يريد (أن يخلق الله عن عرشه)

والملاحدة يقولون : ان المذهب هو التفسير الوحيد لعملية الخلق . . .

ان هذا الموقف المتأزم يقتضينا أن نرجع سريعا الى موقف العلم

الحديث لنرى موقفه في هذه التصريحات . . . ثم ننظر في موقف بعض

المفكرين الاسلاميين من المذهب . ثم نبدي رأينا الخاص في الموضوع .

أولا - موقف العلم الحديث من نظرية داروين :

ان هذه النظرية التي اجمع العلماء الملاحدة على صحتها ، هل لاحظها

أحدهم أو جربها في معمله ؟ . . . والجواب : لا ! هذا الذي دفع

" السير آرثر كيث " الذي يعتبر محاميا متحمسا لنظرية الارتقاء - أن يسلم

بأن هذه النظرية ليست بملاحظة أو تجربة . وإنما هي مجرد عقيدة .

ومن كلماته :

" ان نظرية الارتقاء عقيدة أساسية في المذهب العقلي " (٢)

وعرف أحد المعاجم العلمية نظرية داروين بأنها : " نظرية قائمة

على تفسير بلا برهان " (٣) .

Organic Evolution, P. 15 (١)

Revolt Against Reason, P. 112 (٢)

Ibid, P. 111 (٣)

وقد سئل الاستاذ (ديتار سبارليسن) (النمساوى) المختص فى علم الموروثات : " هل صحيح أننا لا نعلم الى الآن كل الحلقات الوسيطة فى تطور الانسان انطلاقا من الحيوان ؟ "

فأجاب الاستاذ : " طبعاً ، فهو قريب الاحتمال أننا لم نعرفها أبداً " .
ويقول الأستاذ (بياربيبارسون) الفرنسى فى كتاب " أصل الانسان " :
" ويعتمدون - بدون حجة علمية على احتمال وجود انسان فى العهد الثالث وعلى الحلقات المفقودة فى السلسلة الرابطة بين الفرد والانسان " .
يقول الدكتور الكسيس كاريل :

" لقد أصبح جلباً أن تقدم كل العلوم المتعلقة بالانسان لا يكفى لا شباب احتياجاتنا عنه ؟ وما يجاز شديد ، ان علمنا عن ذاتنا لا يزال فى حال بدائية " (٢) .

يقول عباس محمود المقاد : " واذا رجعنا الى مكان مذهب التطور من العلم لم نجد من يحسبه علماً قاطعاً مفروفاً من اصوله وفروعه . وأكبر انصاره لا يدعى له أكثر من أنه صحيح فى بعض ملاحظاته ومقارنته " .
ومن أشهر التطوريين المحدثين " ليكونت دى نوى " وهوى الحقيقة صاحب نظرية تطورية مستقلة ، ومع ذلك فهو يقول :

(١) لله الملم ، بشير التركى ص ٦٥

(٢) الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه :

راجع الدين ، وحيد الدين خان ص ٨٧

راجع الاسلام ومشكلة الحضارة ، سيد قطب ص :

(٣) عباس محمود المقاد ، عقائد المفكرين ص ٧٢

" أما تطور الكائنات الحية بجملتها فإنه يناقض علم المادة الجامدة تناقضا تاما وهو يتنافى مع المبدأ الثاني من مبادئ علم القوة الحرارية وهو حجر الزاوية في علمنا المرتكز على قوانين المصادفة فلا سبب التطور ولا حقيقته يدخلان في نطاق علمنا الحاضر وليس من عالم يستطيع انكار ذلك " (١)

ان كان هذا موقفا من مواقف أنصار الداروينية ، فكيف يكون موقف الممارضون من العلماء الغربيين أيضا :

يقول كريسي موريسون " ان القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة (الجينات) وقد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور حقا أعني عند الخلية " (٢) .

أما (انتوني ستاندين) في كتابه " العلم بقرة مقدسة " ينفي فيه أن تكون حلقة واحدة مفقودة بل هناك حلقات كثيرة مفقودة ان كانت هناك حلقة فقدت . يقول : " انه لا أقرب من الحقيقة أن نقول ان جزءا كبيرا من السلسلة المفقودة وليس حلقة واحدة بل اننا نشك في وجود السلسلة ذاتها " (٣)

وهذا أوستن كلارك ينفي قطعا المذهب التطوري فيقول :

" لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أيا من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره ، أن كل مرحلة لها وجودها المتميز

(١) انظر العلم أسراره وخفاياه مقدمة ج ٣ هارولد نابلي وزميلاه ، ت/الفندي وزميله ، مصر ١٩٧١ م

وراجع كتاب تاريخ العالم ، ج ١ فصل نظرية التطور

وراجع أيضا مصير الانسان ص ٣٢٣

(٢) موريسون كريسي : العلم يدعول لإيمان ص ١٤٧

(٣) مذهب النشوء والارتقاء ، ص ٦٢ ، منيرة على الغاياتي تقديم محمد

البيهي ، مصر ١٣٩٥ هـ

الناتج من عملية خلق خاصة متميزة ، لقد ظهر الانسان على الارض فجأة
وفي نفس الشكل الذي نراه عليه الآن " (١)

وهكذا رأينا أن انصار الداروينية ومحايديه اتفقوا على أن المذهب
لا يؤيد به العلم الحديث وإنما مجرد افتراض وتخمين ، مما يبدو جلياً
أن الملاحدة لم يحتقوا هذا المذهب لأجل كونه من الحقائق العلمية
وإنما اعتنقوه للتعصب ضد الكنيسة ولشهوة الالحاد والحرية المطلقة
والتخلص من نير الكنيسة .. هذا ما أشار اليه بعض أنصار الالحاد ..

ولقد كفانا السير آرثر كيت في اثبات هذه الحقيقة حيث يقول :

" ان نظرية النشو لا زالت حتى الآن بدون براهين وستظل
كذلك والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن
ليها هو الايمان بالخلق المباشر وهذا أمر غير وارد على الاطلاق " (٢)
وأيد في ذلك واطس فيقول :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشو لا كنتيجة للملاحظة
أو الاختبار والاستدلال المنطقي ولكن لأن فكرة الخلق المباشر
بعيدة عن التصور " (٣)

ويقول د . هـ سكوت : " ان نظرية النشو جاءت لتبقى ولا يمكن
أن تتخلى عنها حتى لو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد " (٤)
وبعد هذا نود أن نتقل الى آراء بعض الاسلاميين في هذا
الموضوع .

مواقف مفكرين اسلاميين من الداروينية

ان الباحثين الاسلاميين في نظرية داروين لم يتفقوا على رأى واحد بل لديهم آراء مختلفة .. ومن أهمها رأيان أساسيان :

أولهما : رأى يرفض هذه النظرية ، بدليل وجود تعارض بينهما وبين النصوص القرآنية المتعلقة بخلق آدم عليه السلام ..

وأما الرأى الثانى : لا يرى أى تعارض بينهما بدليل أن النصوص التى وردت في القرآن والتى تتعلق بخلق آدم ، نصوص غير صريحة يفهم منها الخلق المباشر والخلق المتمهل على حد سواء ..

فاليك نموذجاً من أدلة كل من الفريقين :

أولاً :- الرأى المعارض :

أصحاب هذا الرأى وهم - الجمهور - يرون التناقض بين هذه النظرية وبين تعاليم الاسلام .

فلندع الكلام للشيخ محمود شلتوت ليتكلم :

يقول : " ان نظرية التطور ، لم يدل عليها برهان ، ولم يشهد بصحتها حش أو تجربة ، وقد قرر الدين ، رفض كل الفروض التى من هذا القبيل فلا غرو اذن أن يرفض نظرية التطور ... " (١) ثم قال فضيلته :

ان نظرية التطور تخالف صريح القرآن لقوله تعالى :

﴿ لقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ (٢)

هذا بالنسبة لجوهر النظرية ، وأما القوانين الأربعة التى أشار اليها داروين ، فيرى الأستاذ الدكتور المهندس (حسن زينو) الذى أخذ الدكتوراة فى الجيولوجيا والتنقيب ، أن هذه القوانين باطلة لمعارضتها للنص القرآنى

(١) أنظر كتاب " الفتاوى " لفضيلة الشيخ محمود شلتوت صفحة ٣٦٩ وما بعدها

طبعة الادارة العامة للثقافة الاسلامية بالأزهر (جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ -

ديسمبر ١٩٥٩ م) .

(٢) سورة الحجر الآية : ٢٦

وبيان ذلك أن خلاصة القوانين الأربعة هي أن الطبيعة وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومو هلات حفظ النوع ، باضافة أعضاء أو صفات جديدة تستطيع بواسطتها أن تتواءم مع الظروف الطارئة بدون أى تدخل خارجى .
 ان هذا - لا شك - ينفى (أولا) تدخل الله في عملية التطور المزعوم . كما يدل على أن الكون يتخبط خبط عشواء بدون حكمة ولا غاية (ثانيا) وكما يلغى جميع التكاليف الربانية عن الانسان (ثالثا) لأنه جاء في هذه الدنيا عن طريق هذا التطور الأعمى ، ولم يخلقه خالق فكيف يعبد اليها ؟ . ولما كانت القوانين والحالة هذه قال الدكتور (حسن زينو) :
 ان ذلك يتنافى مع قوله تعالى :

* الذى أحسن كل شىء خلقه * (١)

* قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى * (٢)

لأن الآيتين تدلان على ان الله تعالى خلق كل شىء على أتم وجه وسخر له كل الأعضاء والوسائل التى نمكته من العيش في الوسط المقدور له . . . وليس البيئة التى تكيف الكائنات الحية كما يدعى داروين ذلك . . . (٣)

هذا ما أشار اليه الاستاذ ، فاذا جاز للملحد أن ينكر القرآن فلا يجوز

لمسلم قرأ هاتين الآيتين ثم يشك في بطلان هذه القوانين المصطنعة . . .
 فالأية صريحة في أن الله تعالى قد أعطى كل مخلوق ما يحتاج اليه من أعضاء وهو في بطن أمه . . .

(١٤)

فهو الذى جعل (الخلد) مثلا ، يسكن تحت الأرض لكونه خلق دون عيني . . .
 ولكن داروين يقول : لا ! . . . ان سكناه تحت الأرض كان سببا لمحوها ومحو أثرها . . . لأنه لا يحتاج الى عيني . . .

ان هذا المثال البسيط يبين الفرق الأساسى بين الفكر الإلحادى

(١) سورة السجدة آية : ٧

(٢) سورة طه آية : ٥٠

(٣) التطور والانسان د . (حسن زينو) ص

وبين الايمان بالله تعالى .. ثم ضرب الاستاذ مثلا آخر وناقشه فقال :
 * من حكمته البالغة أن جعل الأفاعى تسلك في المسالك الضيقة لأنها
 خلقت دون أطراف فهيأ الله لها هذه الأماكن لمناسبة حالها .. وأما
 داروين وأعوانه يقولون : لا ! ان المسالك الضيقة هي التي صيرتها
 دون أعضاء ..

فأضاف قائلا : ان كان جسد الأفاعى صار أمسا من ضيق المسالك فأى
 ضيق في الماء جعل ديدان الماء ملساء ؟
 ولم لم تنبت للسمك أيدى وأرجل طوال ؟
 ولماذا لم يكن جسد من يسكن الأرض كالخرباء والفأر والنمل والقنفذ
 وما أشبهه كجسد الأفاعى أمس ؟

هذا ما قاله الدكتور من أن هذه القوانين التي اخترعها داروين ، قوانين
 باطلية لا يؤيده الواقع الملموس ولا يؤيده النقل الصحيح بل لا يؤيده
 العلم الحديث فلذلك قال :

* قد تبين من دراسة علم الوراثة أن الهيكل الأساسى للكائن الحى
 ليس سببه العوامل الخارجية وإنما من أصل ذاتى حسب اقتران الصهفيات⁽¹⁵⁾
 والناسلات لكل نوع وحده " (١)

من العلماء الذين عارضوا مذهب داروين الشيخ (سميد صوى) فى
 كتابه " القيم والله جل جلاله " قال :

" وقد ذكرنا هذه المقدمات ، لأن دارس ظاهرة الحياة لا بد أن يطالبنا
 بتوضيح الرأى الصحيح فى نظرية التطور ، كمنظرة تحلل تنوعات
 الأحياء ، وظهور الانسان ، واليك ما نقول فى هذا الموضوع :

(١) يراجع كتاب التطور والانسان د . حسن زينو ص :

(١) - ان القول بأن انساننا الحالي الذى أتى من أب واحد ، وأم واحدة

كان متحدرا من قرد خطأ ، لا شك فيه ولا ريب ، نقول هذا بلغة العلم
ولغة القرآن ، ولا يتناقضان : (١)

أما بلغة القرآن فلأن الله تعالى يقول : * ان مثل عيسى عند الله كمثل
آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * (٢)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ان الله عز وجل ، خلق آدم من
قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم :
الأحمر والأسود وبين ذلك ، والسهم والحزن ، والطيب والخبيث " قال
الترمذى : حديث حسن صحيح .

وقال عليه السلام : " لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، عطس ، فقال :
الحمد لله ، فحمد الله بأذنه ، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ، اذهب
الى اولئك الملائكة - الى ملائمتهم جلوس - فقل : السلام عليكم
فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع الى ربه فقال : ان هذه
تحيتك وتحية بنيك بينهم " .

وأما بلغة العلم :

ان التاريخ كله ، كل سفر فيه ، وكل حجر من أحجاره ، وكل رواية يتناقلها
الآبناء عن الآباء تذكر أن أبا البشر آدم .

(٢) - الفوارق الكبيرة بين الانسان والقرد أو أى حيوان آخر ، تثبت

أنه لا صلة توالدية بين الانسان الحالي وأى حيوان ، هذه الفوارق التى تبدأ من
الناحية الجسمية وتنتهى عند الأخلاق وبين ذلك الفكر والعلم والارادة
... الخ

(١) الله جل جلاله ، سعيد صوى ص ٤٩ - ٥٠

(٢) سورة آل عمران آية : ٥٩

ثم قال :

" وهذه القضية هي التي جعلت حتى بعض أنصار داروين "كوالدس" يقول : (ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الانسان ولا بدا من القول بخلقه رأساً) ."

وقال " فرخو " : (انه يشبه لنا من الواقع أن بين الانسان والقرود فرقا بعيدا ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان من سلالة قرود أو غيره من البهائم ، ولا يحسن أن نتفوه بذلك) .

(٣) - ان اكتشاف الكرسومات (الصبغيات) وهي العامل في انتقال الصفات الوراثية ، جعلت العلماء يتخرجون بادعاء ، أن الانسان منحدر من قرود ، وذلك أن هذه الصرى الملونة ، لها عدد ثابت في كل نوع من انسان أو حيوان حيث بها يختلف النوع ويتميز الجنس (١) .

وبعد هذا التقرير الواضح يقول :

" واذا كان العلم والقرآن يقولان بما أسلفنا ، فلا كلام لغيرهما بل ولو شك العلم وقال القرآن ، لما كان عاقل الا مع القرآن ، وذلك لأن الله الذي خلق الانسان ، أعلم به كيف خلق ."

* ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم * (٢)

* * *

وأما الاستاذ (محمد قطب) يرى أن النظرية تتعارض مع الاسلام من ناحية الايحاءات . . فانها توحى الى عدة أشياء لا تتفق مع ديننا الحنيف .

(١) المرجع السابق ص ٥٠

(٢) سورة الكهف آية : ٥١

منها الايحاء الى مادية الانسان وحيوانيته : (١)

وقد أجمع الداروينيون على الانسان انه حيوان مادي لا فرق بينه وبين
أى حيوان آخر .. مثل البراغيث والفيران والضفادع فهذا جوليان هكسلى
يقول :

" من المسلم به أن الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد
تحل محله القطعة أو الفأر " (٢)

ومن هنا الايحاء الى نفي تدخل الله في الخلق .. وقد رأينا سابقا أن داروين
قال :

" ان تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله ، هو بمثابة ادخال عنصر خارق
للطبيعة في وضع ميكانيكى بحت " (٣)

منها الايحاء الى نفي الغاية والقصد .

توطئة :

ان من الحقائق التي اتفقت عليها الأديان السماوية وآمنت بها العقول
السليمة وتدركه الفطر السليمة ، أن للوجود الانساني على الأرض غاية مقصودة
أرادها خالقها .

فكل ذرة من ذرات هذا الكون المادي تشهد بذلك . بل ان كل الكرون
أوبروتون شاهدة على ذلك ..

فلذا نجد رسالات الله ، لم تأت لا ثبات هذه الحقيقة بل للتذكير بها
وايضاح ما قد يخفى منها على العقول ..

يقول تعالى : ﴿ أفحسبتم أننا خلقناكم عبثا ، وأنكم اليئس لا ترجعون ﴾ (٤)

فلذلك كان الفلاسفة القدامى ركزوا جهودهم على الخوض في الملل الخائفة
للأشياء ليجنوا عليها نظرياتهم الفلسفية عن الكون والحياة ..

* * *

(١) التطور والثبات في حياة البشرية محمد قطب ص ٤٩

(٢) معركة تقاليد ، محمد قطب ، ص ٥٢

(٣) التطور والثبات ، محمد قطب ص ٤٩

(٤) سورة المؤمنون آية : ١١٥

فلما ظهرت نظرية التطور العضو الدرويني ، وادت بأن الانسان
وليد سلسلة طويلة من التطورات المتعاقبة ، بدأت من جرثومة في مستنقع
أسن وانتهت في خط سيرها المتخبط الي صورته الراهنة (١) ، لم يصد
هناك ما يدعو الي التفكير في الغاية من خلق الانسان ..

فلذا قال داروين : " ان الطبيعة تخبط خبط عشواء " ..

أى ليس هناك قصد ولا غاية ولا حكمة للوجود الانساني ومن العبث

أن نبحث عن غاية مرسومة وهدف مقصود لعملية الخلق " ..

ويشهد الفيلسوف الملحد (برتراند رسل) بالأثر الدارويني في هذه

الحقيقة ، اذ يقول :

" بالرغم من أنه لا يزال في اماكن الفيلسوف أو عالم اللاهوت أن يقول ان لكل

شيء غرضاً ظهر أن الفرض ليس فكرة نافعة حين نبحث في القوانين العلمية ،

وقد قيل في الأناجيل ان القمر قد خلق لتنير بالليل ولكن العلماء مهما كانوا

متدينين لا يعتبرون ذلك ايضاحاً علمياً لأصل القمر ولقد كان عمل داروين

فاصلاً بهذه المناسبة .. فالذى فعله جاليلو ونيوتن من أجل علم الحياة " ..

" ان الذى جعل من الممكن تفسير التكيف دون الكلام عن الفرض لم يكن

حقيقة التطور بل كان الميكانيكية الداروينية كما تتضح من تنازع البقاء وبقاء

الأصلح فالاختلاف الاعتباري واختيار الطبيعة لا يستخدمان الا الملل

الصورية " (٢)

هكذا رأينا الداروينيين قد اتفقوا على نفي الغاية والقصد لخلق الانسان ..

ان هذا بدون أى شك مما يتعارض مع تعاليم الاسلام المبنية على نفي العبث

عن الخلق والخالق ..

نحن لا نناقشهم أكثر مما نقول ..

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد على البار ص ١٠

(٢) أثر العلم في المجتمع ، برتراند رسل ، ص ١٢ / تمام حسان ، مصر ص ١٢ ١٣٦

إذا لم نر مصانع تصدر الدائرات بدون قصد وغاية فكيف نسلم بأن هذا الخلق ليس لها قصد ولا غاية :

* فأنها لا تسمى الأبخار ولكن تسمى القلب التي في الصدر * (١)

ان هذا الأحياء (يعني نفي القصد والغاية عن الخلق) أصبح منتشرا في جميع العلوم الغربية .. لذا أهملت فكرة (الفائية) ، بعد ظهور الداروينية ، في البحوث العلمية الحديثة ، من علم الطب والفلك والجيولوجيا والاحياء وسائر العلوم .

ومنها الأحياء الى (الصدفة العمياء) :

فقد أوجت هذه الفكرة الى اعتناق فكرة الحادية هزيلة لا قيمة لها ولا وزن في حساب العلم .. تلك هي فكرة المصادفة العمياء .. ولولم يكن هناك احياء آخر غير هذا الأحياء لكان كافيا للمسلم أن يرد هذه النظرية الملحدة ..

لأن كل تفسير للتاريخ الانساني وللتطور الاجتماعي ، يفسل ارادة الله وقدره وتدخله المباشر في حياة البشرية ، هو تفسير قاصر ، لا يفسر حقائق الوجود ، بل هو تخمينات وظنون ، لا سند لها من علم ولا برهان . قال تعالى :

* ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغني من الحق شيئا * (٢)

ومنها الأحياء الى ترك عبادة الله تعالى :

ولقد صارت هذه النظرية سببا مباشرا لصد الناس عن الاستماع لوحى الله عز وجل ، لأنها توحى بأن الله لم يخلقهم وإنما جاءوا على الأرض نتيجة من التطور الحيواني الأصم .. وبهذا أنكر الملاحدة الرسالات والرسول أصلا بل

(١) سورة الحج آية : ٤٦

(٢) سورة النجم آية : ٢٨

لجوا في غيبيها الى انكار وجود الله وعرضوا عن جميع الآيات الدالّة
على الاله .

* وان يروا سبيل النقي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين * (١)

آثار الداروينية في الحياة الأوربية

ولقد كانت النتيجة المنطقية لانتصار الداروينية على المسيحية ، أن عمت
فوضى في عقائد الناس في المجتمعات الأوربية وانتقلت منها الى بقاع الأرض
الأخرى وصارت أفكارهم خاضعة للمادية والحيوانية ، وتخلت جموع عقبيسة
عن ايمانها بالله تخليا كاملا أو شبه كامل وطفست على الحياة الأوربية
الأفكار الالحادية الفريسة ..

ولئن بقي في الضرب أثارة من دين وسط التيار المادي العام .. فلننمينا
" غلالة " رقيقة لا نحسب أنها تصمد طويلا .. ودليل ذلك احصائيات
كثيرة .. ودليله كذلك لجوء رجال الدين في الولايات المتحدة من
أجل ترويح بضاعتهم الى وسائل لا تتفق أبدا مع الدين .. وهو ما يحدث
من دعوتهم الشباب من الجنسين عقب الصلوات الى حفلات راقصة .. تخفف فيها
الأنوار وتتلاصق الأجساد ، وتنطلق الأنغام خافتة حالمة .. توظف الرغبة ،
وتشعل الشهوة .. (٢)

هذا هو مصير المسيحية بعد ظهور هذه النظرية .. وتلك هي آثارها
الدمرة .. حتى أصبح الشيطان هو المعبود في أوروبا أولا وفي الأرض ثانيا ..
ان دعاة المادية الملحدة قد أوهموا الناس أن الانسان حين يلقى عنه عبادة الله

(١) سورة الاعراف آية : ١٤٦

(٢) أساليب الغزو الفكري ، د علي محمد جريشة ، ومحمد شريف زيبق ص ٨

سيصبح سيد نفسه ، ويصبح هو (الله) ! يقول أحد كتّابهم الملحدين -
وهو جوليان هكسلي - في كتاب " الانسان في العالم الحديث " :
" لقد تعلم الانسان وأصبح مسيطرا على البيئة ولم يعد جاهلا بالكون
ولا عاجزا عن السيطرة على طاقته كما كان من قبل ومن ثم فقد أن للانسان أن
يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقبه من قبل في عصر الجاهل والمعجز - على
عاتق الله ، ويصبح هو " الله " (١) ! وهذا مصداق قوله تعالى !
* كلا ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى * (٢)

* * *

انطلاقا من هذا التفكير الشارد صار الناس في أوروبا عبدا للطفافة بصورة
لم يشهدها التاريخ سواء طفافة الرأسمالية في الغرب أو طفافة الشيوعية في
الشرق ..

عبدت أوروبا الشيطان بطرق متعددة :

عبدته عن طريق عبادة الطبيعة ...

يقول داروين ، نبي هذه العبادة :

" ان الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق " .

وعبدته أيضا عن طريق عبادة الانسان .. وقد رأينا الفيلسوف اليهودي

نيشة قائلا : ان الاله قدماء وأن الانسان الأعلى (سوبرمان) ينبغي أن

يحل محله ..

وعبدته عن طريق عبادة المادة .. وكان نبيها يهوديا أيضا وهو كارل ماركس

الديانة التي تدین بها اليوم الملايين من البشر .. في الاتحاد السوفيتي وما

حولها ..

(١) مقرر علم التوحيد ، وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية للصف الثالث
الثانوي ص ٥٣

(٢) سورة الملوك آية : ٦ - ٧

كما عبادته أيضا عن طريق عبادة " الجنس " .. وكان لليهودى فرويد
هو بطل هذه المباد ..

وعبدته مرة أخرى عن طريق عبادة المجتمع التى دعى اليها الملحــد
دور كايم ..

وهكذا نجد أن نظرية التطور أسهمت اسهاما عظيما فى هدم العقيدة الدينية
وابعادها عن الحياة الاجتماعية كلها ..

وعبدته عن طريق عبادة الآلة .. هى التى تحركهم وتسيرهم وتكيف أفكارهم
ومشاعرهم . وصار الناس عبيدا للشهوات تملكهم ولا يملكونها .. وتدمر حياتهم
ولا يستطيعون استنقاذ أنفسهم منها .. سواء شهوة الجنس أو الخمر أو المال
أو السلطان ..

وبعبارة موجزة أصبح الانسان - فى ظل هذه النظرية - عبدا للشيطان ..
ولأجل هذا كله قال علمائنا - كما سبق - أن هذه النظرية كما تصادم
النصوص القرآنية ، تصادم ابعاءاتها الفطرية الانسانية أيضا . والدليل على ذلك
انفماس أوروبا فى هذه الشهوات المدمرة التى ذهبت بكرامة الانسان وعزته
ورفحته وحرية ..

بل يكفى دليلا على ذلك فساد أخلاق الناس فى أوروبا ، والممثلة الفردية
والانانية التى يعيشون بها ، وغلبة المنافع المادية عليهم - أفرادا وشعوبا ،
أودولا أو تكتلات - ولو خالفوا فى سبيل ذلك للوصول اليها كل القيم
والمبادئ والأخلاق . وخذ مثلا - قضايا الاستعمار والتمييز العنصرى نماذج
للأخلاق المعاصرة المنبثقة عن التطور الحيوانى .

وخذ كذلك قضية فلسطين التى أصبحت بين المستعمرين تارة نسمع هناك
مبادرة أمريكية ، وطورل نسمع مبادرة أوربية ومرة أخرى نسمع دورا سوفيتيا .
وهكذا دواليك .

فمرجع كل هذه الأخلاق الشعبوية ، حيوانية الانسانية وماديتها ...
اللذان توحى اليهما هذه النظرية .

وأما أحوال الانسان الأوربي فيبقى شاهدا عليها الاضطرابات النفسية
والمصبية والجنون والقلق والانتحار ، ومحاولة الهروب من الواقع بالادمان على
المسكرات والمخدرات .

ويبقى شاهدا عليها معدل انتشار الجريمة وهو معدل يتزايد باستمرار .
وسوف نتحدث عنه في الباب الذي سنمقده تحت عنوان آثار الاحاد في
أوروبا الحديثة . .

ويبقى شاهدا عليها النظم السياسي والاقتصادي والاجتماعي الواقع على
جميرة أهل الأرض تحت أسماء براقية من الديمقراطية والاشتراكية والمعدالة
والحرية والاخاء والمساواة . . .

تلك هي بعض نتائج المذهب التطوري الذي أبعد الناس عن عبادة الله
وهذه هي جناية النظرية المادية التي رجح بها الانسان الى الحضيض لافرق
بينه وبين أي بعوض أو أي حشرات . بل سيصبح حسب هذه النظرية
جرادا منتشرا وتصبح الجراد أصحاب القوانين الدولية وملاك البنوك وأصحاب
البرلمانات والندوات . .

وأخيرا يقول الملحد جوليان هكسلي الكلمة الختامية لنظرية داروين ،
تصور لنا مدى الانحطاط الذي بلغ اليه الانسان بعد هذه النظرية وهو يقول :
" بعد نظرية داروين لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا . . ."
و داروين لم يكتف بأن جعل بين الانسان وبين القرد أخوة ، بل زعم أن
الجدُّ الأصيل لآدم هو (أميبا) جرثومة صغيرة كانت - بعد ما سقطت من بعض
الكواكب - تعيش في طين المستنقعات التي تتصاعد منها الغازات الكبريتية
الرائحة ، وذلك قبل ملايين السنين . . . على حد زعمهم . . .

* * *

ان الأمانة العلمية تقتضينا أن نقول ان داروين لم يصدر أحكامها مستقلة على الانسان ، ولكن ابحاث النظرية - كما قلنا توحى الى هذه النتائج المدمرة .

ثم الذين جاؤا من بعده زادوا الطين بلة ..

ذلك أنهم تلقوا النظرية أصلا بدوافع مفرضة ووجهوها لتخدم أهدافا خفية .. كانوا - ولا يزالون ينفثون أفكارهم الهدامة التي تنتظر للانسان على أنه حيوان وتحدد مطالبه بمطالب الحيوان وتدرسه كما تدرس الحيوان .. فالانسان في نظر الداروينية - لم يتطور مختارا بل كان تطوره مظهرا لخضوعه المطلق للبيئة الطبيعية أى لعوامل خارجية حتمية .. ومن تأمل في مقالاتهم يجد أن الحيوانية والمادية ليستا هما الأثر الدارويني الذي أحط كرامة الانسان ولكن الداروينية تقول ان (آدم) الانسان الأول - بعد ما أن تطور من الجرثومة الصغيرة ، فالنبات فالحيوانية ثم القرود ، قد كان (لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم)^(١)

وتقول أيضا أن العوامل الطبيعية وحدها صانعة التطور ، والانسان ما هو الا مرآة تنعكس عليها تقلبات الطبيعة المفاجئة وتخبطاتها غير المنهجية .. وعليه نستطيع أن نقول : ان فكرة التطور في ذاتها أوحى بحيوانية الانسان بينما أوحى تفسير العملية التي سار عليها التطور بماديته .. وقد ظهرت آثار هذه الأبحاث جليا في الدراسات الاجتماعية والنفسيية التي تناولت موضوع الانسان .

ومن أبرز الأمثلة على الأفكار التي استمدت من الداروينية : النظرية الشيوعية والنظرية الاجتماعية والنظرية النفسية ... اليك شرحا موجزا لكل واحد منها ..

(١) الاسلام ونظرية داروين ، أحمد باشميل ص ١٢٠

ان اليهودى (كارل ماركس) - قبحه الله - استمد من هذه النظرية فكرة حيوانية الانسان وماديته ، فبنى على ذلك المذهب الشيوعى الملمون وحسد في البيان الشيوعى المطالب الرئيسية للانسان الشيوعى بالذئب والسكن والجنس ...

ثم لم يكتف بذلك بل جعل المادة أصلا لكل شىء ، وفسر التاريخ الانسانى تفسيراً مادياً . . . فيرى ان القوة المادية أو القوى الاقتصادية هي التي تكيف الحياة البشرية وتعطيها طابعها وتنشئ أفكارها ومفاهيمها وعقائدها حسب درجتها من التطور . . . فاذا انتقلت البشرية من طور الى طور بحكم قوة التطور الدائمة المفروضة على الانسان من خارج نفسه والتي لا علاقة لها بارادته الذاتية . . . فان صورة الحياة تتغير ومشاعر الناس تتغير وأفكارهم ومفاهيمهم وعقائدهم تتغير وتغير كل شىء في المجتمع من أخلاق وعادات وتقاليد تغيراً حتمياً " (١)

وكتب ماركس في هذا الموضوع ما يلي :

" ليس الادراك هو الذى يحدد معيشتهم بل على العكس من ذلك ان معيشتهم الاجتماعية هي التي تحدد ادراكهم " . (٢)

واما ستالين يصرح بالتصريحات التالية :

" يجب البحث عن منشأ حياة المجتمع العقلية ، وعن أصل الأفكار والنظريات الاجتماعية ، والآراء السياسية والأوضاع السياسية . . . لا في الأفكار والنظريات ، ولا في الآراء والأوضاع السياسية نفسها ، بل في شروط الحياة المادية للمجتمع في الوجود الاجتماعى الذى تكون هذه الأفكار والنظريات والآراء وما إليها انعكاساً له . . . " (٣)

(١) معركة التقاليد محمد قطب ص ١٨

(٢) كارل ماركس ، مساهمة في نقد الاقتصاد السياسى - المقدمة - عن ستالين المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ص ٣٧

(٣) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، ستالين ص ٣٧

ولذلك فقد تطورت المحبة الاجتماعية وتدرجت من طور الى طور وذلك وفقاً لتغير وتطور أدوات الانتاج ، حيث مر المجتمع البشرى - كما قلنا - فى خمسة ادوار وهى على التوالى :

المشاعية البدائية (الشيوعية الاولى) ونظام الرق ، والاقطاعية والرأسمالية
فالشيعية (١) .

هذا بعض ما جنته هذه الفكرة الداروينية الملحدة . وهذا ما قام به هذا
البيهودى لتوسيع الهوة بين الدين وفكرة التطور . فأسسوا اول دولة
الحادية محضة تحارب الدين عنلنا - وتمادى كل متدين وموؤ من . . وحذفوا
اسماء الأنبياء والرسل من قواميس التاريخ الانسانى - فقالوا . . ان تاريخ
الانسان كله تاريخ البحث عن الطعام . (٢)

هذا ما أكده أنجلس فيلسوف الشيوعية بقوله :

" وهكذا برهنت العلوم الطبيعية ^{أن} تعمل فى النتيجة بصورة دياكتيكية ،
لا بصورة ميتافيزيقية ، وأنها تتحرك فى دائرة تبقى هى ذاتها دائما وتكرر
الى الأبد ، بل ان لها تاريخا واقعيا . . وبهذه المناسبة ينبغى أن نذكر
بالدرجة الاولى (داروين) الذى وجه ضربة قاسية الى الفهم الميتافيزيقى
للطبيعة باثباته أن العالم المضموى بأسره ، كما هو موجود اليوم ، أى أن
النباتات والحيوانات ، وبالتالي الانسان أيضا هو كله نتاج بجرى منسذ
ملايين السنين . (٣) "

وبهذه التصريحات من قمة الشيوعية ، ندرك مدى خطورة هذه النظرية

الداروينية . .

(١) راجع ل . سينفال . لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ - المكتبة الاشتراكية

دار دمشق ص ١٢

(٢) أصول الفلسفة الماركسية ، جورج بوليتزر ، مى بيبسى موريس كافين

ج ٢ ص ٥٨

(٣) ضد دوهرنغ - دياكتيك الطبيعة ، كارل ماركس وفرديريك أنجلس ص ٢٥ ،
موسكو الطبعة الألمانية ١٩٣٥ م

اليهودى دوركايم ونظرية داروين

أما اليهودى (دوركايم) صاحب المذهب الاجتماعى ، خرج للناس بفكرة فريدة ، يرى هذا الملحد ان الانسان حيوان خاضع لجبرية اجتماعية أوقهر اجتماعى يفرض عليه العقل الجماعى وسوى هذه الخرافة (بالمقل الجمعى) " (١)
 هذا ما فعلته نظرية داروين بهذا اليهودى حتى/التدين/فطريا فسى
 قال ان لم يكن
 الانسان وانما ينتج من العقل الجمعى الذى هو في خارج نطاق الفرد ..

اليهودى فرويد ونظرية داروين

أما فرويد فلم يأخذ من الداروينية الجانب التطورى ، وانما أخذ عندها حيوانية الانسان في تفسير السلوك الانسانى .
 فهو يرى أن الدافع الجنىسى هو دافعه الوحيد ، فالمولود يرضع ثدى أمه بدافع جنسى ويتبرز بدافع جنسى ويظل يقعامل مع الآخرين بناء على هذا الدافع وحده " (٢)
 والدين والأخلاق والمثل العليا كلها تابعة من هذا الدافع الجنىسى أيضا ..
 وهكذا صار الانسان عند فرويد ليس حيوانا فحسب بل هو حيوان جنسى ..
 وراء كل حركة منه شهوة جنسية ظاهرة أو خفية : ويقول ان الكبت وعقدة أوديب هما مصدر الدين ، وليس فطريا فى الكيان الانسانى " (٣)

- (١) قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، تأليف اميل دوركايم ترجمة الدكتور محمود قاسم ومراجعة الدكتور السيد محمد بدوى مقدمة الطبعة الثانية ص ٤٢ و ٢٢٢
 (٢) انظر الموجز فى التحليل النفسى لفرويد : ٢٢ - ٣٤
 راجع أيضا الانسان بين المادية والاسلام ص ٥١ محمد قطب
 راجع أيضا كتاب (Totem And Taboo) ص ١٤٥ لفرويد
 نقلا عن كتاب التطور والثبات فى حياة البشرية ، محمد قطب ص ٤٩
 (٣) دراسات فى النفس الانسانية ، محمد قطب ص ٢٢٥

تلك هي بعض ابحاث هذه النظرية .. التي جردت الانسان من كل
مثل أخلاقية وجملته تابعا ذليلا لشهواته فقط .. فلاشك أن هذه الابحاث
التي تحط من كرامة الانسان تتعارض مع قوله تعالى :

* ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا *

اننا لا نناقشهم/ ^{هنا} انما نريد فقط أن نثبت أن ابحاث التطور قد شملت
جميع الأفكار الأوربية : في الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس . بل وجميع
علومهم ..

ولم يكتفوا بهذه المجالات بالتطور العضوي بل يرون أن كل شيء في
الدنيا يتطور مثل العقائد والقيم والمبادئ والأخلاق وما لا يقبل التطور
بذاته يجب أن يتطور بالقوة ..

وهذه بعض أدلة هؤلاء العلماء الفضلاء في رفض هذه النظرية
وهناك أدلة كثيرة كلها تؤكد أن هذه النظرية تتعارض مع ديننا الحنيف ..
ولكن ما ذكرناه هنا فيه الكفاية لاثبات وجهة نظرهم في هذه النظرية ..
وبعد هذا يحسن بنا أن نقدم صورة ولو مصغرة عن وجهة نظر الفريق
الثاني : وهم الذين يرون أن هذا المذهب التطوري لا يتعارض مع الاسلام ..

ثانياً - الرأى المؤيد :

وقد أشرنا في مطلع هذا الفصل الى أن هناك رأيين للباحثين الاسلاميين حول نظرية داروين ، وقلنا هناك ان الرأى الأول ، يعارض هذه النظرية ويقول بعدم موافقتها مع القرآن ، وقد تحدثنا عنه طويلاً . . .
والآن نريد أن نتحدث عن الرأى الثانى القائل بوجود ملائمة بينهما وبين الاسلام : واليك بعض آرائهم فيها :

يقول الشيخ محمد رضا آل العلامة التقى الاصفهاني فيما نقله عنه الأستاذ محمود العقاد وهذا نصه :

" ان فلسفة النشوء والارتقاء ليست ما ينافى الدين ، اذ الذى يجب علينا اعتقاده ، هو أن جميع الموجودات بأراضيها وسماواتها وما فيها من صنوف المخلوقات صنع اله واحد قادر حكيم وسع كل شىء علماً ، واتقنه صنماً ، خلق جميع الأنواع عن قصد واختيار . وهذا أمر متفق عليه فى جميع الأديان . . . وأما كيفية الخلق ، وأن هذه الأنواع كلها خلقت خلقاً مستقلاً ووجدت من كتم المدم ابتداءً ، وأنها لم تتغير عما وجدت عليه فى أوائل الخلق . . . ففي هذا لم يرد فيه نص من الكتاب ولا متواتر من السنة . (١)

هذا ما صح به هذا الشيخ . فلننتقل الى شيخ آخر من الشيخ الذين يريدون التوفيق بين مذهب داروين وبين القرآن العظيم . . .
وأما الأستاذ محمد فريد وجدى يؤيد ما قاله الاصفهاني ويزيد على ما قال بقوله :

" ان هؤلاء الناس الذين يعادون توانين مذهب داروين كله لا جل نتيجته ، لا يدرون أنه قد أقام أقوى البراهين الحجة على حقائق قرآنية ، كان الشريبيون لولاه يتوهمون أنها جهاتنا الضعيفة التى يبرهنون بها على عدم حقيقة ديننا " (٢)

(١) أنظر الانسان فى القرآن الكريم ، عباس محمود العقاد ، طبعة دار الهلال ص ١٠٦
(٢) الدين والعلم الحديث . ابراهيم عبد الباقى ص ٢٥-٢٦

وأما الشيخ نديم الجسر ، كانت نتائج بحوثه في هذه النظرية ، أن ترك في قلب السذج وضماف القلوب شكوكا فاقت حدّ الوصف . يرى أن موقف المسلم من هذه النظرية التوقف وعدم الجزم بالخلق المباشر الذي ورد في القرآن ولا بالخلق المتميل التطوري . فلندعه يعبر عما في قلبه :

” ... نعم ليس في تلك النصوص صراحة بأن الله خلق الانسان الأول من تراب (دفعة واحدة) أو يتكون (متميل) على انفراده .. فسبيل هذا عندنا التوقف وعدم الجزم بأحد الأمرين .. وان كان قد يظهر من بعض النصوص الاحادية أن تكون الانسان الأول وهو (آدم) كان يتميل ومرت عليه مدة من الزمان ، ولكن ظواهر النصوص التي عليها مدار الاعتقاد تدل على الخلق المستقل . ولا يجوز تأويل هذه النصوص ، وصرفيها عن معناها الظاهر ، الا اذا قام الدليل العقلي القاطع على مذهب النشو ، وعندما تقوم الدلائل العقلية القاطعة على وجود الانسان بطريق النشو يمكن تأويل هذه النصوص ، والتوفيق بينهما وبين ما قام عليه الدليل القاطع ولا ينافي في ذلك اعتقاد المسلمين في شيء ، ما دام الأصل عندهم ان الله تعالى هو خالق الانسان فـ في كل حال .. ” (١)

ونجد الأستاذ محمود المقاد يقول ما يلي :

” عاش (داروين) بقية حياته مؤمنا بأن مذهبه لا يقتضى من العقل أن ينفي وجود الله ، ولا أن يمس عقائد المؤمنين بوجوده وأن الايمان بأى ديانة من الديانات لا يتوقف على الفصل في قضية التطور الى الرفض أو الى القبول .. ”

وهو صريح في أن داروين عاش مؤمنا بالله تعالى ، كما أن مذهبه لا يتعارض مع الديانات .. ولكن سوف نوضح أن داروين مات وهو ملحد كافر ..

وهذه هي أهم ما يقوله المؤمنون في نظرية داروين ، والآن نسود
 أن نقف على أهم فقرات هذه التقارير لنبدى فيها رأينا ...

* * *

ان المتأمل في هذه الأقوال يصل الى النتائج التالية :

أولا :- قولهم ان النصوص التي تتعلق بخلق آدم في القرآن غير صريحة

في الخلق المباشر ..

ثانيا :- قولهم ان النظرية أثبتت حقائق قرآنية ، لولاها لا نكرها الملاحدة ..

ثالثا :- قولهم ان داروين عاش مؤمنا بالله تعالى ..

الحقيقة ان هؤلاء العلماء الأجلاء ، لا يوجد أحد اطلع على آثارهم
 الملمية ، ثم ^{لا يعترفون} في سمو التفكير ودقة التعبير والدفاع عن بيضة
 الدين الاسلامي ، من الذي لا يعترف بجهود الأستاذ (محمود المقاد) ؟
 والشيخ (نديم الجسر) مفتي طرابلس ؟ وكذلك الاصفهاني ؟ وأما
 الأستاذ محمد فريد وجدي غنى عن التعريف ويكفيه شهرة كتابه المشهور
 (دائرة معارف القرن العشرين) .

الا أن الحكمة هي ضالة المؤمن .. فمن هذه الحيثية نود أن نقف

قليلًا على هذه النتائج الثلاثة التي توحى اليها تصرحاتهم ..

النتيجة الأولى : قولهم بأن النصوص التي وردت في القرآن أو السنة

غير صريحة لا نوافقهم على ذلك ولا نؤيدهم أبداً . وذلك بأدلة من
 القرآن والسنة .

أولا - أدلة من القرآن :

نحن نتحدى أي قائل يقول بأن النصوص القرآنية لا تدل على الخلق المباشر،

ونقول لهم ان هناك مئات الآيات الدالة على الخلق المباشر ولكننا نختار

لكم الآيات الثلاثة

يقول تعالى : ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فلخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من البعير قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان (مشتبها وغير متشابه) أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ، ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان (متشابهها وغير متشابه) كلوا من ثمره اذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين ﴾ (٢)

هاتان الآيتان هما الممين الذي لا ينضب ، الذي منه تستقى كل العسل

وترتوى ^{١١} (١٦) ^{١٢} (١٧) ثمرتا الشمس والدراق ، أليستا متشابهتين ؟ ولنقل نصفهما عادة في

فصيلة واحدة ، وليست كلتاها من أصل واحد وهو ماء السماء ؟

انهما تشبهان أن تكونا شيئا واحدا في الشكل أو الأصل . كذلك النحلة

والدبور . . أليس يشبهان في الفصيلة والشكل والأعضاء وشيء من نظام

الحياة الخ . . . ولكنهما كذلك غير متشابهين في الكثير الكثير . .

وهناك وقع داروين وأعوانه في هذا الخطأ الفاحش . . انهم لما

رأوا هذا التشابه بين بعض المخلوقات قالوا : ان أصل الأنواع واحد

لاجل تشابه بعضها ببعض ولكن الله الحكيم الذي يعلم ما بين أيديهم

وما خلفهم ترك لنا - معشر المؤمنين - هذه الآيات الناطقات عن أصل

الكون وهو الماء . لكي نرد مزاعم الملاحدة في كل زمان ومكان القائلين أن

هذا الكائن الحي تطور من ذاك الكائن . .

ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ وجعلنا كل شيء حي من الماء أولا

يؤ منون ﴾ (٣)

(١) سورة الأنعام آية : ١١٦

(٢) = = = ١٤١ :

(٣)

لقد ألمقت هذه الآيات بالضوء الكاشف على حقائق العلم وأثبتت
أن المخلوقات كل منها خلقها الله وحدها ولم تنشأ من مخلوقات أخرى
 غيرها ..

ان أصل الكائنات وهو (الماء) واحد ، مهما تعددت وتنوعت وأفرطت في
 الاستنباه ، لكنها تبقى دائما غير متشابهة ..

ما أهظم هذه الصيغة (متشابهة وغير متشابهة) .. لو تأملها علماءنا
 للذين يريدون أن يجعلوا القرآن ملفقا للنظرية الداروينية ؟ ؟
أسيما القاعدة الحقة في معرفة أصل الأنواع ، وليست هذه الفروض
 والتخمينات الداروينية ..

صنوان وغير صنوان

ينص القرآن المجيد أن المخلوقات ، لم ينشأ بعضها عن بعض وإنما خلقها
 الله تعالى لنفسها خلقا مستقلا لا تطور فيه لافي الماضي السحيق ولا في
 المستقبل البعيد ..

في هذا يقول تعالى :

﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان
 وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في
 ذلك لآيات لقم يحقلون ﴾ (١)

يا ليت علمائنا القائلين بالتطور المضي ، تأملوا في قوله تعالى :

﴿ صنوان وغير صنوان ﴾ .. وقوله تعالى ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ وقوله

تعالى : ﴿ ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾

لو تأملوا فيها : لعرفوا أن الآية صريحة في الخلق المباشر ولرجعوا عن

قولهم ذلك .

فالأية تشير بوضوح الى أن الصنوان الذي معناه ، الأصل المجتمعة
 في مثبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك .. وأن غير الصنوان
 الذي معناه : ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار ، لم ينشأ بعضها عن
 بعض وإنما أصلهما الماء فقط رغم تعدد أنواعهما وتنوع ألوانهما .
 وكما تشير الى أن هذا التفضيل بين الأنواع أثر من آثار الحكمة الالهية
 وليس من ناموس الوراثة الذي اخترعه داروين من بنات أفكاره المنحرفة ..
 بدليل قوله تعالى :

* ونفضل بعضها على بعض في الأكل *

ثم أشارت الآية بهذا التمييز الخفيف اذ قالت :

* ان في ذلك لآية لقوم يعقلون *

ومعنى ذلك ان الذين لا يؤمنون بضمون هذه الآية ليسوا من العقلاء !
 الذين لا يؤمنون بأن هذا التشابه تشابه ظاهري فقط وإنما في الحقيقة
 غير متشابه ليسوا من العقلاء !

والذين لا يؤمنون بأن صنوان و غيرصنوان خلقا خلقا مستقلا من أصل
 مائي رغم التفاضل الذي بينهما ، ليسوا من تعداد العقلاء وإنما هم من
 الجهلاء الدهماء الذين ينظرون الى ظواهر الأمور دون تعمق فيها ..
 لأن الذي يتعمق في التأمل في هذه المخلوقات ، يعلم يقينا أن هذا التشابه
 الظاهري حكمة ربانية . وأن هذا التنوع تدل على عظمة خالقه ..

ومن نفس هذه الحكمة أن خلق الله مخلوقا أو مخلوقات تشبه الانسان في

الشكل نوعا لذكر الانسان بنعمة النبوة والكتاب والعقل والهمم والبيان ..

ان هذه النعمة الكبرى ، نعمة وجود التشابه مع نفي التشابه الحقيقي

قد جعلها داروين وأعوانه نعمة كبرى بأن جعلوا بين الانسان وبين القرود نسا ..

خلق آدم

وبعد ما تأكدنا من خلال هذه الآيات النيّرة ، من أن الكائنات لم يتطور بعضها عن بعض نود أن نتقدم خطوة أخرى لترى أن أبانا آدم لم يمرّ قط بهذه المراحل التي يصورها دارو ين وأعوانه .. ولنثبت لعلمائنا الأفاضل الذين أنكروا وجود النصوص الصريحة الدالة على خلق آدم خلقاً مستقلاً ، بأن هناك نصوصاً قاطعة في الخلق المباشر .. ثم ننتقل بهم إلى السنة المطهرة ليرى العالم كله أن القول بعدم وجود نص قاطع في الخلق المباشر قول لا يساعده القرآن ولا السنة ..

النصوص التي وردت في القرآن :

يقول تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ﴾ (١)

ورد في تفسير ابن كثير : من سلاله من طين وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون .

وقال قتادة : استل آدم من الطين .. فان آدم عليه السلام خلق من طين لا زب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ﴾ (٢)

الآية توضح بشكل واضح أن خلق آدم كان قبل أن ينفخ فيه الروح من الطين على هيئته السوية دون أن يمر بمراحل ودون أن يتطور من مخلوقات أخرى لتتضح معجزة الخلق الأول : ﴿ كن فيكون ﴾ .

هذا ما أشارت إليه الآية التالية :

﴿ واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقموا له ساجدين ﴾ .

(١) سورة المؤمنون الآية : ١٢

(٢) سورة الروم الآية : ٢٠

والآية تدل على الحقائق التالية :

١ - أن خلق آدم كان من الصلصال والذي كان من حمأ مسنون ..
والحمأ المسنون هو الطين الأسود المتين . والمسنون : الذي أسن وتغير
وهو صفة للحمأ ..

اذن ان بشرية آدم جاءت مباشرة من الصلصال لا من القروء .. هذا
ما فهمناه من كتاب ربنا .. والذي فهم / هذا فعلبه أن يأتي ^{غير}
بدليل آخر من القرآن نفسه ..

٢ - أن خلق آدم كان أولاً بدون الروح : والداروينيون لا يقولون
بهذا وإنما قالوا ان نشأة الحياة كانت من طين المستنقعات التي تتصاعد منه
الغازات الكبريتية الرائحة .. وهي غاز الميثان ()
وغاز كبريتوز المهدروجين () وغاز النشادر (الامونيا)
(١) .

فقالوا ان هذه الحياة هي التي تطورت حتى تفرعت عنها الانواع كلها ..
والغريب أن نجد بعض المفكرين الاسلاميين يصدقون هذه الخرافة كأشغال
الدكتور محمد البار في كتابه : (خلق الانسان بين الطب والقرآن) يقول فيه :
" وترى صورة ضخمة في قاعة المتحف الطبيعي (بلندن) تصور كيف
تجمعت هذه الغازات المنتنة من الحمأ المسنون لتكون الأحماض الأمينية
ثم كيف تطورت هذه لتكون البروتينات وأهمها الحامض النووي الذي
به سر الحياة " (٢) .

ثم استدل بقوله تعالى :

* وإذ قال ربك للملائكة ، اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ،
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين *

(١) راجع كتاب خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد البار ص ١٠

(٢) المرجع السابق ص ١٠

فقال : الحمأ : الطين الأسود المظن • والمسنون : الذى أسن وتغير
ويرى أن هذه الآية تدل على ما قاله العلم الحديث من أن الحياة نشأت من
الطين الآسن •

فنحن نقول : ان هذا الاستدلال في غير محله وذلك للأمور الآتية :
ان الآية تشير بوضوح الى أن الروح أو الحياة ، ليست من الطين الآسن ،
وانما هى شىء زائد على الطين قد نفخه الله في آدم بعد ما أتم خلقه
من الطين •• بينما العلم الحديث — كما قال الدكتور — تشير الى أن الحبة
جاءت مباشرة من الطين وكانت جرثومة صغيرة ثم تفرغت منها جميع الكائنات الحية ••
فشتان بين هذه الصورة ، وتلك الصورة ••

لأن الصورة الأولى تقول : ان الله هو الذى نفخ الروح في آدم بعد أن
جاوز المراحل الطينية كلها (أى التراب — ثم الطين المسنون — ثم
الصلصال كالفخار) ولكن الصورة الثانية ، تصرح بأن الحياة بدأت بصدفة
على وجه الأرض ثم تطورت من (أميبا) الى النبات ثم الى الحبـوان
وكان آدم (الانسان الأول الذى لا يتكلم وليس له ادراك) في نهايتها
هذا التطور •••

هل هذه هى الصورة الطاهرة تشبه تلك الصورة القذرة ؟

ثم لم تكف الآية بذلك ، ولكن قالت ان خلق آدم تم في السماء على
مشهد من الملائكة وفي حفل حافل ••

ولكن التطور بين يقولون : ان خلقه بدأ في الأرض وتم فيها بدون أية
حكمة ولا ارادة ولا أى تدخل خارجى وانما كانت الجرثومة تتخبط خبط عشواء ••
فاذا البرغوث يصبح جملا واذ الجمل يصبح بموضة واذ (الضوريلا) يقطع
ذنبه ليصبح انسانا ذا عقل وروية وتفكير هل هذه الصورة كذلك ؟ الجواب
لا !

فكان من حق الدكتور أن يكفر كل قائل بنفى تدخل الله في الكون
أوفى عملية التطور ومن حقه أيضا أن يكفر (١) كل من يقول : ان أبانا آدم
كان غير مكمل العقل وكان لا يتكلم ولا يدرك شيئا ، لأنه تكذيب للقرآن
الكريم ، ولأنه بنفى قصة آدم وحواء (الوارد ذكرها صراحة في القرآن)
نفيا تاما ..

يضاف الى هذا أن قصة وجود انسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم
(كما هي قواعد نظرية داروين) هي قصة صينية (باعتراف قطبها داروين)
على الفرض والتخمين والظن . ومن السفه أن ينفي الانسان (وخاصة المسلم)
قصة آدم وحواء المذكورة في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه . ليصدق قصة ليس لها أى ظل من الحقيقة ، قصة أساسها
الفرض والحدس والتخمين لا القطع واليقين .. ان الخرافة تظل دائما
خرافة ولو وجدت صورتها في المتحف البريطاني والفرنسي والأمرىكى
أو الروسي .

* * *

وان كنت تعجب فاعجب قولهم : اذا أصبحت هذه النظرية حقيقة
سوف نؤول النصوص التي تدل على الخلق المباشر للتوفيق بين القرآن وبين
النظرية ..

(١) ان الدكتور بعد ما أكد صحة هذه النظرية بالآية السابقة ، رجح
فقال في الصفحة التالية : " ولم ينشج صدرى لما توصلت اليه .. " اذا كان
قوله هذا حقا فلم يستدل بالآية لأجل بيان صحتها .. ولم يتكف بذلك بل
استشهد على صحتها بأقوال لابن خلدون في مقدمته .. فقال : وأنت ترى
ما جاء في كلام ابن خلدون تصرحا أقوى مما جاء في نظرية (داروين) في
كتاب النشو والارتقاء .. ان هذا يدل على أنه كان يؤمن بالنظرية
التطورية الداروينية الخرافية .

نقول لهم : هل رأيتم باطلا انقلب حقيقة ؟

هل رأيتم حقا انقلب باطلا ؟

اذا شمذ ذلك فكيف تصبح النظرية التي ثبت بطلانها ، حقيقة ؟

وكيف ينتقل الحق الواضح الذي رأيناه الى باطل ؟
في كتاب ربنا

ولن نتحقق أمنيتم هذه حتى يشبّ الغراب ان شاء الله ..

أدلة من السنة :

قد رأينا نصوص قرآنية تؤكد أن آدم قد خلق خلقا لا تطور فيه ،

والآن نريد أن نأتى بأحاديث صحاح لنؤكد بها أن القول بأن النصوص

التي وردت في الكتاب والسنة نصوص محتملة ، قول قد جانب الصواب ولا يجوز

لمسلم أن يتفوه به أبدا .. واليك أحاديث بهذا الصدد ..

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

” ان الله عز وجل ، خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ،

فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم : الأحمر والأسود وبين ذلك ،

والسهيل والحزن ، والطيب والخبيث ” قال الترمذى : (حديث حسن صحيح) .

وقال عليه الصلاة والسلام : ” لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، عطس ،

فقال : الحمد لله ، فحمد الله بأذنه . فقال له ربه :

رحمك الله يا آدم ، اذهب الى اولئك الملائكة - الى الملائكة منهم جلوس

فقال : السلام عليكم .. فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع الى ربه

فقال : ان هذه تحبوك وتحية بنيك بينهم ” (١)

ان هذين الحديثين لا يدعا مجالا للشك من أن آدم خلق خلقا مباشرا

وهو كامل في عقله على تمام الادراك .. وقد تم خلقه في السماء في وسط

الملائكة ، ان هذا يخالف أباطيلهم التي تقول ان تطور الحياة كله حصل في الأرض ..

وتم فيها .. ولست أدري كيف يؤولون هذين الحديثين اذا أصبحت النظرية حقيقة

لمموسة كما يرجون ؟

(١) الله جل جلاله ، سميدى ص ٥٠

التطور في المستقبل

بدعى أنصار داروين أن التطور كما حصل في الماضي السحيق فهو مستمر
الى المستقبل البعيد :

وقد قال جوليان هكسلى كلمته الشهيرة :

" من المسلم به أن الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل
محلّه القطة أو الفأر " .

نحن نتحداهم بالقرآن قائلين : ان ذلك لن يحصل أبداً كما لم يحصل
في الماضي . وذلك أن الله تعالى أخبرنا أن هذا القرآن محفوظ في
الحجة البالغة الى يوم القيامة : ﴿ نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ (١)
ان كان القرآن محفوظاً فالنوع الانساني كذلك يبقى غير متطور . . لأنه
لو تطور فمن الذي يقرأ القرآن ؟ أتقرأه القطة أو الفأر ؟

ان هذا مستحيل : ويدل دلالة واضحة أن لا تطور في المستقبل كما تخيله
هؤلاء الداروينيون .

ثم ان الله تعالى أخبرنا أن القيامة تقوم والنوع الانساني باقى على انسانيته .
يقول تعالى : ﴿ اذا الشمس كورت و اذا النجوم انكدرت و اذا الجبال سيّرت
و اذا العشار عطلت و اذا الوحوش حشرت الى قوله تعالى علمت نفس ما
أحضرت ﴾

ان هذه الأمثلة البسيطة تدل على عدم التطور في المستقبل والا يأتي يوم
القيامة لا يوجد على وجه الأرض أحد من الناس لأنهم قد يتطوروا الى
الديدان التي لا تكليف عليها .

هل رأيت كيف أدت هذه الفكرة التطورية الى الغاء يوم القيامة ؟ والى
تعطيل تعاليم القرآن العظيم ؟ لأنه قد تأتي أزمان لا يوجد أحد يحفظ القرآن
لأنهم قد تطوروا الى أنواع من الحشرات . .

هل يرضى عما لنا الذين يرجون تحقيق الفكرة التطورية في المستقبل ،
بهذه النتائج ؟

ان كانوا لا يرضون بها فليقولوا للناس صراحة أن لا تطور في المستقبل ،
آية أخرى تنفي التطور العضوي بتمامه :

* وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما
يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها
شرابا مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون * (١)
ان هذه تنقض التطور في المستقبل وفي الماضى معا . . لأن النحل كان
ولم يزل يخرج لنا العسل منذ أن وجد فوق الأرض انسان . .

فمنذ أن عرف الانسان النحل والعسل ، ومنذ وجد هذا النحل على
وجه الأرض (ومنذ الاف السنين) وطريقتهما فى الانتاج هى كما
أخبره القرآن . . ان دل هذا على شىء فانما يدل على أن التطور لم يحصل
فى الماضى . . ولو كانت هذه النظرية صحيحة للاحظ الانسان طيلة هذه
الالاف من السنين - شيئا من التطور والارتقاء على هذا النحل . . لا سيما وأن
النحل قد تواتر أمره فى جميع بقاع الأرض منذ أقدم العصور لا رتباط وجوده
بوجود العسل الذى لا يمكن انتاجه الا عن طريق هذا النحل وحسب النظام
الالهي الذى يسير عليه دائما . .

ولن يحصل هذا التطور أبدا فى المستقبل بدليل أن هذا النحل لو يحدث
عليه شىء من التطور والتحول (وحسب النواميس التى وضعها الداروينيون لنظرية
التطور والارتقاء) لا فتقد الانسان مادة العسل الى الأبد . . لأنه قد يكون
قد تطور وارتقى الى أى نوع من الأحياء لا يسمح له تركيبه الجديد ، وشكله
الجديد بانتاج هذه المادة . . لأنه قد يصبح ديكاً أو نسرًا أو طيلاً أو ما شابه
ذلك من الحيوانات . .

وهكذا فان واقع النحل والعسل لمن أقوى الأدلة على عدم صحة نظرية التطور والارتقاء ، في الماضي والمستقبل . . .
 ولا أجل هذا كله نستغرب من هؤلاء العقول الكبار حين صدقوا هذه النظرية ، حتى توقعوا صحتها في المستقبل . . .
 نظرية قد رفضها كل ذوى العقول في أوروبا ، فكيف يؤمن بها علماءنا الكبار ان هذا لغريب من غرائب الكون . . .

علماء غربيون يرفضون النظرية

وقبل أن نتقل الى الجزء التالي ، نسوق اليك تصريحات من أنصار الداروينية قد تراجع أصحابها عن هذه النظرية لما تأملوا فيها بالدقة .
 يقول العلامة (والاس) : " ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الانسان ، ولا يد من القول بخلقه رأساً " (١) . وهذا الأستاذ كان من أشد مناصري هذه النظرية . ومع ذلك أنكر على استاذة داروين القول بأن يكون الانسان قد تم تكوينه على طريقة التطور والارتقاء . . .

وقال الأستاذ (فرضو) انه يتبين لنا من الواقع بين الانسان والقرد فرقا بعيدا ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان سلالة قرد أو غيره من البرمائ ، ولا يحسن أن نتفوه بذلك . "

وقال (ميفرت) : ان مذهب داروين لا يمكن تأييده وانه رأى من آراء الصبيان . "

أما العلامة (أغاسير) فقد حكم على مذهب داروين بالبطلان وذلك في رسالة أصدرها تحت عنوان (أصل الأنواع) وتلاها في ندوة العلم الفكتورية فقال فيها ما خلاصته :

" ان مذهب داروين خطأ على باطل في الواقع ، وأسلوبه ليس من أساليب العلم بشئ ، ولا طائل تحته . "

هكسلى يرد على صديقه داروين :

أما العلامة (هكسلى) فبالرغم من أنه على مذهب (اللادريّة) وصديق حميم لداروين ، فقد تراجع عما كان عليه من تأييد جميع القوانين الداروينية فقد صح عنه أخيرا أنه قال :

" انه بموجب ما لنا من البيانات لم تبرهن قط أن نوعا من النباتات أو الحيوان نشأ من الانتخاب الطبيعى أو الانتخاب الصناعى " (١)

ودعا العلامة (تندرل) الى عدم الاهتمام بمذهب داروين فقال :

" انه لا ريب فى أن الذين يعتقدون الارتقاء يجهلون أنه نتيجة مقدمات لم يسلم بها . . . ومن المحقق عندي أنه لا بد من تغيير مذهب داروين . "

وأخيرا قال العلامة الايطالى (روزا) ان الاختيار الاصطناعى الذى جربه بنو الانسان فى خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين . " (٢)

وبعد هذه الجولة الطويلة نستطيع أن نثبت الحقائق التالية :

(١) - أنه توجد فى القرآن الكريم نصوص صريحة فى الخلق

المباشر لا بينا آدم عليه السلام خلافا لما ذهب اليه بعض علمائنا . . .

(٢) - التطور العضوى للكائنات الحية تتعارض مع القرآن كله . . . وذلك

أن القرآن الكريم قد عين أسماء بعض الكائنات الحية كالنحل وغيرها وذكر أن فيه شفاء ، ولو تطور النحل تبقى هذه الآية المتعلقة به

بلا معنى ، لأن الناس لن يعرفوا النحل بعد تطوره فيما بعد .

(٣) - ثم ان الانسان لو تطور الى كائن آخر من الذى يقوم - حينئذ -

بالتكاليف الربانية ؟

(١) هذه النقول عن كتاب الاسلام ونظرية داروين - أحمد باشميل ص ٤٥

(٢) المرجع السابق ص ٥٤

وكل هذا بوضوح توضيحا لا غموض فيه أن الانسان لن يتطور أبدا
 في المستقبل فضلا عن أن يكون متطورا في الماضي ..
 يبدو أن علمائنا الذين أرادوا التوفيق بين هذه الفكرة وبين القرآن لم
 يلاحظوا هذه الناحية .. أو لاحظوها ولكنهم أعرضوا عنها لحاجتنا
 في نفوسهم .. فما هي هذه الحاجة إذن ؟

حاجة في نفوسهم

ومن يتأمل في أقوال علمائنا الذين أيدوا مذهب التطور ، يجد أن الذي
 دفعهم الى هذا القول يرجع الى الأمور الآتية :

- ١ - مجازاة الأوربيين حتى لا يتهموا ديننا بأنه دين تأخر وجمود
 كما حصل ذلك فعلا في الديانة المسيحية ..
- ٢ - اثبات أن ديننا يتمشى مع كل زمان ومكان ..
- ٣ - الاسلام دين الفكر والعلم والبحث يتوسع لجميع الأفكار ..

استخلصنا هذه الأمور الثلاثة من تقرير الشيخ محمد فريد وجدى السابق
 الذى يقول فيه :

" ان هؤلاء الناس الذين ينادون قوانين مذهب داروين كله لأجل
 نتيجته لا يدرون أنه قد أقام أقوى البراهين الحية على حقائق قرآنية ، كان
 الغربيون لولا يتوهمون أنها جهاتنا الضعيفة التى يرهنون بها على عدم
 حقيقة ديننا " (١)

فنقول نعم ! ان الاسلام فرض على الناس الفكر والبحث ، وآيات القرآن
 فى هذا المعنى كثيرة ..

* أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ * (٢)

* قل انظروا ماذا فى السموات والأرض * (٣)

(١)

(٢) سورة الاعراف آية : ١٨٥

(٣) سورة يونس آية : ١٠١

* أولم يتفكروا في أنفسهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى * (١)

نعم ! ان الاسلام فرض على الناس العلم ، والآثار الواردة في الحث على العلم كسيرة وكذلك الايات التي تبين ان العالمين بالكون أعرف بالله :

* ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين * (٢)

* ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه . كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء * (٣)

ومن البدعي بعد هذا ، ان ما وصل اليه الفكر والعلم يفترض على المسلم ان يقول به ، ولا يقول بخلافه ، وقد يحدث ان يوجد بعض المسلمين الجاهلين ، وحتى ممن ينتسبون الى العلم ، ومن يعارض بعض الحقائق العلمية ، ولكن في هذه الحالة يبقى رأيهم شخصيا ، وهم فيجأطون ويؤخذهم على ذلك عامة المسلمين وعلماؤهم .

ولقد قال أبو حامد الخزالي الامام في كتابه (تهافت الفلاسفة) حاملا على علماء الدين ، المنكرين للحقائق العلمية ، كمعرفة وقت الكسوف والخسوف وغيرها :
 " ومن ظن ان المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضف امره ، فان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها رية فمن يطلع عليها ويتحقق من أدلتها ، ثم يقال له : ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وانما يسترب في الشرع ، وهو شر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطمئن فيه ، وهو كما قيل : (عدو عاقل خير من صديق جاهل) (٤) ، انه ليس من المحقول ان يأمرنا الله عز وجل بالبحث والعلم والنظر

(١) سورة الروم آية : ٨ (٢) سورة الروم آية : ٢٢

(٣) سورة فاطر آية : ٢٧

(٤) راجع الله جل جلاله ، سعيد صوى ص ٤٧

والمعرفة ، ثم يحرم علينا أن نأخذ بنتائج هذا العلم والبحث والمعرفة ؟
بل على العكس اذا أمرنا بالفكر أمرنا بالأخذ بنتائج الفكر
وهكذا ...

ولكن اذا كان الاسلام ديناً علمياً والمسلم على التفكير والاتجاه
وهدفه أن يصل الى الحقيقة العلمية المركزة ، فليس معنى هذا أن يقبل
الظن ، أو الفرضية ، أو النظرية على أنها حقيقة علمية . .
ان المسلم يجب أن يقف أبداً على أرض من صخر في عالم الفكر .
ان الله الذي حرم علينا أن لا ندعن للحقيقة ، لم يرض لنا أن نقبل
شيئاً دون برهان ، أو نعتبر الفرضية والنظرية حقيقة ، فنأخذ على
أنها مسلمة . .

* ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسؤولاً * (١)

وهذا هو الفارق الكبير بين العقلية الاسلامية والعقلية الأخرى .
العقلية الاسلامية عقلية علمية ثابتة لا تقبل شيئاً دون برهان وعلى
ضوء هذا نود أن نقف وقفة عند تقرير الشيخ محمد فريد وجسدى
السابق ...

الأستاذ محمد فريد وجدى والتطور

وأما قول الأستاذ فريدا وجدى أن الداروينية قد أقام أقوى البراهين الحجة على حقائق قرآنية ، نود أن يوضحه هنا ، وبيان ذلك أن الأستاذ يرى أن القوانين الداروينية حقيقة من حقائق الكون فلذا سجد به بعد قلبه يقارن بين تلك القوانين وبين بعض النصوص من القرآن ليجري على صحتها .
كتب يقول :

" أساس مذهب " داروين " أن العالم خاضع لنواميس : منها ناموس تنازع البقاء ونصه ، في الكتاب الالهي :

+ * ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض *

ثم قال وهو يشرح الآية على طريقته الخاصة :

" قد أشار الله تعالى الى سر الخلية في هذا التنازع وهي القوة لقوله

تعالى : * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة *

وأضاف قائلا :

" بهذه الآيات جمع النبي صلى الله عليه وسلم الى صفات القوة الجسدية

أعلى صفات الكمال الانسانية ، وبشرها في أفئدة أصحابه فدانت لهم الدنيا

وأصبحوا ملوك الأرض .. "

ثم قال أخيرا :

" ويقول (داروين وأحزابه : اذا سلمت أن تنازع البقاء ناموس من نواميس

الكون ، فلا مناص لك أن تسلم بحصول غلبة لبعض المتنازعين ، وخذلان للبعض

الآخر .

ومعنى تلك الغلبة وذلك الخذلان بلسان علم الحياة : (البقاء والتلاشي)

بمعنى أن الحزب الغالب يبقى متمتعا بما افتتحه بقوته ومهارته .. وأما الحزب

المغلوب سيزول ويدح الجو خاليا لخصومه .. " هذا ما قرره الأستاذ محمد

(١)

فريد وجدى . واليك ما نراه في الموضوع .

(١) تلخيص عن كتابه الاسلام في عصر العلم نقلا عن كتاب الدين والعلم الحديث ،

الاستدلال فيه نظير

ومن تدبر في تقرير الاستاذ (فريد وجدى) يجد أنه يدور حول شيئين

أساسيين :

أولا - ان الأنواع الدنيا الضعاف ، لا تجتمع مع العليا لأنها ستزول وتخلي

الجو لخصومها .. بل تتعاقب وتسبق الأولى الثانية أبدا ..

ان هذا التقرير خلافاً ما نجده في عالم المستحاثات وتسلسلها الزمني

التاريخي حسب الأعمار كما نجده في الأحياء جنباً الى جنب .. (١)

إذا عدنا الى القرآن الكريم وجدناه يؤكّد على أن الله يختار من خلقه

للبقاء في الكون ما يشاء * وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة

سبحان الله وتعالى عما يشركون * (٢)

الآية تنص على أن أى شخص يسند الخيرة الى الناس أو الى القوة

دون الله فهو من المشركين .. لأنه أشرك غير الله مع الله في تسيير الكون ..

وبذلك نكون قد نفينا تعبيرات الشرك التي نجدها في كل مؤلف كتب

عن هذا الموضوع .

ثانياً - مفهوم الأصلح : يؤكّد مذهب داورين أن الأصلح هو من يستطيع أن

يستولى - بأى وسيلة كانت - على ممتلكات الغير ، بالقوة والثورة والعنف

كما يفصل سكان الغاب من ذى ناب ومخلب وظفر ..

هذا الذى أيدّه الأستاذ (فريد وجدى) واستدل له بآيات قرآنية ؟

منها قوله تعالى : * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة *

ان كانت الآية تأمر المسلمين بالاستعدادات الحربية ارهاباً لقلوب اعداء

الله ، ولكن لا يفهم منها أبداً الحث على أخذ ممتلكات الغير لأجل الغلبة

(١) راجع التطور والانسان ، حسن زينو ص ٢٠

(٢) سورة القصص الآية : ٦٨

والعلو في الأرض فحسب .

المسلمون في جهادهم لم تكن تهمهم أنفسهم بتدريما بهمهم اعلاء كلمة
الله . . اذن لا يمكن الاستدلال بهذه الآية وأمثالها تأييدا للمذهب تتازع
البقاء الذي اخترعه داروين وأعوانه . .

وأما مفهوما الأصلح في الاسلام يتمثل في الدينونة لله تعالى في التصور
الاعتقادي ، وفي الشريعة والاتباع والشعائر التمجيدية . .

وبتعبير آخر : هو الايمان بالله وتطبيق شريعته . . ان ذلك هو
سبب بقاء الأمم والحضارات في الدنيا وسبب تغلب الضعفاء المتقين على الأقوياء
الكافرين والشيطان . .

وكما ان الذنوب والفسق عن أمر الله واتباع المنكر والشيطان هي سبب
الميلال والزوال . .

ولا ينكر عاقل أن الاستعداد قبل الحرب من أسباب النصر أنه مأمور به ،
ولكنه بدون الايمان والصلاح يصبح هزيمة نكراء على أصحابه . . هذا ما
تشهد به الآية التالية :

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ، فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرجوا
بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ﴾

نسوق اليك قصتين لتوضيح هذه النقطة التي خفيت على كثير من الباحثين .
قصة في الماضي البعيد ، وقصة أخرى في الماضي القريب :

القصة الأولى :

هي قصة استخلاف بني اسرائيل ونصرهم على الفراعنة ، انها ليست صراع
ذئاب ولا غلبة القوى على الضعيف وانما العكس انتصار الايمان والحجة على يد
موسى ضد طاغوت فرعون مصر ، انتصار قلب عليه السحرة فأمنوا وآثروا الموت من
تلك اللحظة ﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا
فاقص ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا . . انا آمنة بربنا ليفسر

لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى .. انه من يسأك
ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا .. ومن يأت مؤمنا
قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * (١)

* ثم أورثنا الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا
فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان
يصنع فرعون وقومه وما كانوا يمرشون * (٢)

* قالوا يا نوح انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت
علينا بمعزيز * (٣)

والقصة واضحة ولا تحتاج الى توضيح آخر . فهي اذن تخالف تقريرات
الأستاذ محمد فريد وحدي مخالفة تامة الذي يرى أن الغلبة للقوى دائمة
فأرجو من القارئ الكريم امعان النظر فيما قلنا ..
القصة الثانية :

هي قصة قيادة سعد ووصية عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ..
وانتخب عمر رضى الله عنه لقيادة هذا الجيش العظيم سعد بن أبى
وقاص الزهرى القرشى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فولاه ووصاه ، وكان
فيما قال له :

* بسم الله الرحمن الرحيم *

أما بعد :

" فانى أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى
الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وأمرك ومن معك
أن تكونوا أشد احتراسا منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من

(١) سورة طه الآية : ٢٤

(٢) سورة الأعراف : ١٣٧

(٣) سورة هود الآية : ٩١

عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولو ذلك لم تكن لنا بهم
قوة ، لأن عدونا ليس كعددهم ، وعدتنا ليست كعدتهم ، فإن استويننا
في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، والا نتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم
بقوتنا ..

فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا
منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله .
ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قم سلط عليهم
من هو شر منهم ، كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بالمعاصي كـ
المجوس فجاسوا خلال اليار ، وكان وعدا مفعولا .
وسلوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم وأسأل الله
ذلك لنا ولكم " (١)

وهناك العديد من الأمثلة ، ولكن الذي ذكرنا فيه الكفاية من التطويل ..
وهكذا رأينا أن الصراع على البقاء ليس هدفا اسلاميا ، وإنما هو
فكر مادي استعماري بحث ، لا أخلاقي .. لأنه يهدف - أول ما يهدف -
الى الاستيلاء على الشعوب الضعاف .
ولا يجهد أحد من العقلاء أن الانتصار لا يتم في هذا العالم المادي بدون
معرفة أساليب الحرب ومعرفة كيفية الاستعمال للآلات الحربية ، ولكن
ذلك ليس هو القانون العام الذي يسير عليه العالم في بقاء الأمم وانقراض الآخرين .
كما عرفنا أن شجاعة شخص ما مهما بلغت لا تكفه ليدق المسار قبضته
اليدوية فلا بد له من مطرقة .. ولكن هذه الوسائل وحدها لا تكفي - كما هو
ظن الملحدين - فلا بد من الصبر على الطاعة أولا والصبر عن المعصية ثانيا
والصبر على ضربات العدو ثالثا ..

(١) اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضرى رحمه الله تعالى ص ٦٨ مكتبة
دار الدعوة بحلب . الطبعة الأولى المحققة ١٣٩٨ هـ

وأية أمة تتوفر فيها هذه الشروط الثلاثة هي الغالبة ولن كانت أقل عددا
وأضعف جندا * هذا ما تشهد عليه الآية الثالثة :

* كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين * (١)
هذه الشروط هي التي توفرت في الفاتح الكبير (صلاح الدين الأيوبي -
حين هزمت أمامه جيوش الأفرنج * العالم يكن يتمتع بالشجاعة فقط ومعرفة
فنون الحرب ، أولم تكن بلاده تتبوأ - من الناحية العسكرية - المكانة التي
تحتلها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، فحسب * ولكنه أيضا يتمتع
بما هو أقوى من كل ذلك : وهو الايمان بالله وتطبيق شريعته واجتناب
المنكرات * يقول الله تعالى * لقد نصرم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين
اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم
وليتم مدبرين * (٢)

وانطلاقا من هذا المبدأ السامى ندرك أن الذين أرادوا أن يدافعوا
عن الاسلام بهذه النظرية التي لم تصل بعد إلى الحقائق - ولن تصل أبدا -
قد جانبوا الصواب * ولكن الله تعالى سيجزيهم عن نيتهم الطيبة ان شاء
الله * * وأما نحن لا نأخذ بهذه النظرية لبعدها عن الصواب * * ولإقامة
البراهين القاطعة على بطلانه * *

وبعد هذا ننتقل إلى الجزء الأخير ، وهو مصير داروين * *

مصير داروين

ان الذى يتأمل في المعطيات التاريخية ، يجد أن لداروين ثلاثة تطورات
- الطور الأول كان فيه مؤمنا
- الطور الثانى كان فيه شاكنا
- الطور الثالث كان فيه ملحدنا

واليك شرحاً موجزاً لكل من هذه الأَطوار الثلاثة :

الأول : أن داروين كان في البداية أمره ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد فقد كتب مرة إلى أحد أصدقائه يقول " . . " انه لا يعرف لماذا يتهمه الناس بالكفر والالحاد مع أنه لا يعتقد أن نظريته تنفي وجود اله للكون (١) " هذا يدل على أنه كان مؤمناً . . فلننتقل إلى الطور الثاني .

الثاني :- بينما نرى داروين هكذا ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد إذ بنا نجده في موضع آخر يعلن ترددده في الاعتراف بوجود الله تعالى فقد كتب سنة ١٨٧٩ م إلى المستر (فوردايس) صاحب كتاب ملامح من الشكوكية ، عندما سأله عن عقيدته الدينية ، كتب إليه يقول :

" ان آرائي الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعنى أحداً غيري ، ولكم

سألتي فاسمح لنفسي أن أقول انني متردد ، ولكنني في أقصى خطوات هذا التردد لم أكن قط ملحداً بالمعنى الذي يفهم فيه الالحاد انه انكار وجود الله واحسب أن وصف اللادري يصدق في أكثر الأوقات - لا في جميعها - كلما تقدمت الأيام " .

وقد كتب قبل ذلك . . سنة ١٨٧٣ م إلى طالب هولندي سأله عن عقيدته

الدينية فقال :

" ان استحالة تصور هذا الكون العظيم المجيب وفي نفوسنا الشاعرة قائماً

على مجرد المصادفة - هي في نظري أقوى البراهين على وجود الله ولكنني

لم أستطع أن أقرر قيمة هذا البرهان . . ^{الآتي} وأخيراً كتب هذه المقالة / إلى الطالب نفسه فيقول : " انه

لا يرى دليلاً على الوحي وأن الايمان بالبعث متروك لكل من يشاء أن يتخذ له فيه معتقداً بين الاحتمالات المتضاربة . . " (٢)

(١) عقائد المفكرين ، المقاد ص ٥٥ راجع ايضاً الانسان بين المادية والاسلام ،

محمد قطب ص ٢٣

(٢) الاسلام ونظرية داروين ، محمد احمد باشمهل ص ١١٢

ان هذه للتصريحات من داروين ان دل على شيء فانما يدل على ان داروين
كان في هذه المرحلة شاكاً في وجود الله عزوجل ، وقد يكون أكثر ميلاً
الى الالحاد والكفر .

ولكن داروين لم يصرح بالالحاد في هذه المرحلة المتوسطة من حياته
فانه قد صرح في آخر عمره عن الحاد وكفره بالله تعالى .

الثالث : كفر داروين والحاد :

فقد صح عنه قوله : " لم أكن واثقاً من اعتقادي بالله ، ولكنني واثق
تماماً من اعتقادي بالانسان .
ونقل عنه أنه قال :

" ان الاعتراف بوجود خالق له ارادة في الخلق ، هو بمثابة ادخال
عصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت " (١)

ان هذه اشارة صريحة من داروين الى أنه ينفي تدخل الله في
عملية التطور وأن وجوده ليس ضرورة لرعاية هذا الكون المادي .
هل اكتفى داروين بنفي تدخل الله في الكون فحسب ؟ لا ! بل ذهب
الى أبعد من ذلك ، انه قد أعلن كفره والحاد قبل أن يموت . .

وقد اعترف بالحاد في خطاب وجهه الى صديقه (غراي) في جامعة
(هارفارد) ، قال فيه : علي أن أخبرك - كرجل شريف - بأنني بلغت
غاية الهرطقة والالحاد في قولي أنه ليس ثمة من أنواع مستقلة الخلق ولعلك
مستحقرني من أجل ذلك " .

ولم يكتف داروين بهذا الاعلان الالحادي بل ندم على استعماله

لفظ الخلق في كتابه أصل الأنواع . . فهذا الاستاذ يوسف كرم يوضح
ذلك بقوله : (٢)

(١) الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب ص ٢١
(٢) عباقرة العلم ص ١٧٦ نقلاً عن كتاب الاسلام ونظرية داروين ص ١١٤

" وقد كان (داروين) مؤمنا بالله الى وقت ظهور كتبه (أصل الأنواع)
الذى قال في ختامه ان الصور الحية الأولى مخلوقة ، ثم تطور فكره شيئا فشيئا
حتى أعلن أسفه لاستعماله لفظ الخلق مجازاة للرأى العام ، وصرح بأن الحياة
لشئ من الألتاز وأن ما فى العالم من ألم يعدل بنا عن القول بحنايئة
الهيبة .. " (١)

فقد ظهر لنا هنا أن داروين اتخذ وجود الشرفى الكون دليلا لا نكار
وجود الله عز وجل ..
وشهد شاهد من أهله :

ولعل أقوى شهادة لدينا على كفر داروين والحاده هي شهادة زوجته
التي قالت بعد موته :

" لا ريب عندى فى أن داروين قد كفر بالله سبحانه وتعالى ، ولكن
الله غفور رحيم وهو سيصفح عنه " (٢)

وهكذا كان مصير داروين .. لقد اتضح سراً اختلاف الناس فى ايمان
داروين . وأن الكل صادق فيما وصف به داروين .
قد كان مؤمنا فى أول أمره ولذا قال الفريق الأول انه مؤمن ولعل هذا
الفريق لم يطلع على ما صرح به داروين من كفر والحاد . ثم صار شاكا وممانعا
للرأى العام ، ولذا قال الفريق الثانى انه منافق ، ثم كان مصيره الى الالحاد
والتعطيل الصريح آخر أيامه .. ولذا يقول الفريق الثالث انه ملحد وبدى
الى محاربة ومحاربة أفكاره الالحادية التي كتبها فى كتابه المشهور
(أصل الأنواع) .

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ص ٣٣٦

(٢) عباقرة العلم ص ١٨٤ نقلا عن كتاب الاسلام ونظرية داروين ، باشميل

موقفنا من المنظور

لقد نقلنا الأقوال في خلال هذا البحث ، وناقشنا بعض الآراء لبرهمن على أن نظرية التطور ليست إلا من قبيل الفرضيات التي لم يقم عليها برهان قاطع ، ولولا أن الصهيونية العالمية والشيعوية ، كل واحد منهما تتبناها ، لهوى في النفس كامن ، لنقضت من زمن نتيجة للحملات العلمية المركزة التي قام بها آلاف من العلماء عليها ٠٠٠ ان بروكوكولات حكما صهيون ، تذكر أنها هي التي مهدت لنجاح داروين وقصدها من ذلك تحطيم الأديان في أنفس البشر غير اليهود ٠٠

والشيعوية تتمسك بها - كتمسك لا بد منه ولو باطلا - لاثبات المادية

الجدلية .

أما موقفنا نحن المسلمين من هذه القضية فهو الذي ذكرناه سابقا كموقفنا من كل شيء : ما قام عليه البرهان قبلناه ، والا توقفنا فيه اذا كان النص القرآني محتملا ، أما اذا جزم النص القرآني وشك فنحن مع النص جزما ٠٠

* * *

ولا يفهم أحد منا أن البحث عن نشأة الكون ممنوع شرعا ، فقد أمرنا الله أن نبحث عن نشأة الحياة :

* قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق *

* أولم يروا كيف يسبدى الله الخلق ثم يعيده * (١)

ولقد أمرنا أن ننظر كيف وجدت الأحياء : * أفلا ينظرون الى الأبل كيف

خلقت * (٢)

وعند الله علم اليقين : قال تعالى * فما بال القرون الأولى ؟ قال : علمها

عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى * (٣)

(١) سورة المنكبوت الآية ١٩ - ٢٠

(٢) سورة الفاشية الآية : ١٧

(٣) سورة طه الآية : ٥١ - ٥٢

فما أخبرنا عنه من ذلك لا يكون غير ه حقا ولا يكشف العلم عن سواء •
 فقد رأينا أن النصوص التي تتعلق بخلق آدم كلها توه كد الخلق المباشر •
 ولا تجد نضا صريحا يدل على الخلق المتميل المتطور •• اللهم الا اذا كان
 من قبيل الفرضيات العقلية ••

وقد رأينا العلم الحديث أيضا لا يؤيد هذه النظرية بحال من الأحوال
 بل اعتبرها اسطورة من الأساطير ••

وآخر دعوانا في ذلك قوله تعالى :

* ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون *

* الذي أحسن كل شيء خلقه *

* سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، والذي

أخرج المرعى فجعله غثا أحوى *

* والله خلق كل دابة من ماء فمضهم من يمشى على بطنه ومضهم من يمشى

على رجلين ومضهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل

شيء قدير *

سبحان الذي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات وجعل

بعضهم يمشى على بطنه من أصل خلقته وبعضهم على رجلين منذ بدايته

خلقهم وبعضهم على أربع كما أراد الله لأنه يخلق ما يشاء ولا يحجزه

شيء •• ولم يسند هذا للطبيعة الممياء ولا للانتخاب الطبيعي كما يدعون ••

والحمد لله الذي أعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من أعضاء وآلات وحواس •

وهيا الانسان تهيئة خاصة لتحمل أعباء المسئولية والتكاليف الرأبئية

أحمده وأشكره وأصلى وأسلم على النبي الكريم •

الفصل السادس

دور اليهود في افساد أوروبا

لقد رأينا في السطور السابقة أن من أهم العوامل التي أدت إلى تمكين الفكرة
الاحادية في أوروبا الحديثة الأسباب التي ذكرناها ..

ولذلك أن نتحدث عن الأسباب الخفية التي قد أهملها كثير من الباحثين :

وهما : (١) دور اليهود في افساد أوروبا

(٢) رجوع أوروبا إلى آرتها الوثنية القديمة .

فلننظر .. كلا .. لحظة سريعة ..

دور اليهود في افساد أوروبا :

لقد استغلت اليهودية العالمية ، هذه الظروف المحيطة بالكنيسة ورجالها ،
لتوسيع الهوة التي قامت بين فكرة الدين وفكر الاحاد .. استغلتها تحقيقا
لحقدهم القديم ضد غير اليهود عامة ، وحقدهم على المسيحيين بصفة خاصة
من أجل ما لا قوه منهم من اضطهاد .. (١)

(١) تأرهم مع المسيحية في أوروبا تأرقديم .. تأرا الاضطهاد الفظيع الذي نالوه
من الحكم الروماني المسيحي ، والاذلال الذي اصابهم في كل مجتمع مسيحي
فلنضرب على ذلك مثلا واحدا .. كان المسيحي يحتاج إلى المال فيقترضه من
اليهودي ومع ذلك يأتي الا ان يحقر مقرضه ، فلا يسلم عليه بيده ولا يلمسه
انما يوقفه بميدا عنه كالنبونذ ويقول له آما موبخا : (ضع المال بميدا واغرب
عن وجهي يا خنزير . فاذا ابتعد خطوات في ذلة ذليلة ، اقترب (السيد)
المسيحي ليأخذ المال الذي اقترضه من اليهودي .. اذلال لا تنساه ذاكرة
اليهود .

راجع التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٣٣

راجع أيضا مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حينكة المبداني ص ٢٢٢

وراجع أيضا كتاب أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليلم ^{لاهم} . كار ص ١

(١)
فكرت هذه اليهودية العالمية في أن اعظم مادة تبنى بها هذا الجدار اللصين
مادة الاحاد والكفر بالله عز وجل ، لا قامة الحسابات الرياضية والرفقات المادية
مقامه .

لأنهم يدركون جيدا أن هذه المبادئ السامية متى انهارت في قلوب الناس
فقدوا - بالضرورة - كل الروادع الداخلية التي تردعهم عن الشر ... فيقومون
صرعى لهذه الشرذمة الملحونة أو يكونون حميرا ليركبها * شعب الله
المختار .

وتلك كانت مهمة اليهودية العالمية . وقامت بها بنجاح منقطع النظير (٢)
ونستطيع أن نجمل المخططات التي قامت بها اليهودية لافساد أوروبا ، في
دورين هامين :

أحدهما :- دور نظري ، وثانيهما :- دور عملي . فكل دور منهما له
أخطاره الكبيرة فلا بد من ايضاح كل منهما ولو قليلا :
الدور العملي :

وأما الدور العملي الذي قام به اليهود لافساد أوروبا فأسبابه كثيرة ومتنوعة
ولكننا نستطيع أن نجملها في شيئين اثنين :

(١) الثورة الفرنسية

(٢) الثورة الصناعية

(١) راجع كتاب مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٢٥

(٢) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٢٢

راجع ايضا كفاحي : ترجمة الاستاذ لويس الحاج ص ١٤٦ ، ١٤٧

راجع أيضا كتاب اليهود في القرآن ، غيف عبد الفتاح طبارة ص ٥٠ ط :

السابعة .

أولا - الثورة الفرنسية الكبرى :

خلال القرن الثامن عشر الميلادي دبر اليهود مكائدهم لاقامة الثورة الفرنسية الكبرى التي اندلعت نارها في عام ١٧٨٩ م^(١) كما سبق واستطاعوا أن يجنوا الثمرات لأنفسهم ، على حساب الأمم والشعوب . والدماء التي اهرقت من جرائمها لا تعد ولا تحصى واستطاعوا أن يظلوا في الخفاء بميدبين عن الأنواء ، وأن يمزوروا كثيرا من الحقائق التاريخية لسترمكائدهم وغاياتهم وأن يصوروا هذه الثورة وما جرت وراءها بالصورة المحببة الجميلة ، وأن يجعلوها احدى الأعمال التاريخية المجيدة . وذلك عن طريق الدعايات والاشاعات المزخرفة المقرونة بالشمارات البراقعة التي انخدعت بها الجماهير وأخذت ترددها بخفلة وحماسة وجعل بها تيهف اليه كما تردد البيخاوات الكلمات التي تسميها وهي لا تلمس ما تدل عليه .

واليك جملة تدل على صدق ما نقول :

قالوا في بروتوكولاتهم : (١٨)

" لقد أقمنا الأُميين بأن مذهب التحررية سيؤدي بهم الى مملكة العقول وسيكون استبدادنا من هذه الطبيعة لأنه سيكون في مقام يقمع كل الثورات ويستأصل بالعنف اللازم كل فكرة تحررية من كل الهيئات .

" حينما لاحظ الجمهور أنه قد أعطى كل أنواع الحقوق باسم التحرر تصور نفسه انه السيد وحاول أن يفرض القوة . وان الجمهور مثله مثل كل أعى آخر قد صادف بالضرورة عقبات لا تحصى ، ولأنه لم يرغب في الرجوع الى المنهج السابق وضع عندئذ قوته تحت اقدامنا . ثم قالوا وهو محل الشاهد :

" تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (الكبرى) ان اسرار تنظيمها التمهيدي

مصروفة لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا . ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدما من خيبة الى خيبة " (٢)

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليام غاي كارص ١٤
(٢) البروتوكول الثالث ص (١٢٩)

هذا ما يقوله اليهود بأنهم هم الذين نظموا هذه الثورة والمعلوم أن اليهود ليسوا هم الذين ينشئون الأحداث ولكنهم يستغلونها للقيام بدورهم الخطير. وقد عرفنا أن المظالم وسوء توزيع الثروة العامة كانت قائمة من قبل الأشراف والنبلاء ورجال الدين ولكنهم (اليهود) استغلوا هذه البهيسة الفاسدة ليهت مخططاتهم كما قلنا سابقا وليجعلوا من ذلك سندا للعامة والجماهير حتى يعرفوا أن التمسك بالدين والأخلاق والتقاليد تهممة ينبغي التبرؤ منها ..

هذه هي الثورة اليهودية التي سموها - بهتاننا وزورا بالثورة الفرنسية - وهكذا جرت الأمور وتتابع لتصلح اليهودية العالمية وزوروا الحقائق التاريخية هذا ما اعترفت به دائرة المعارف الماسونية على لسان المؤرخ السياسي الاقتصادي لويس بلان : " ان الماسونية كانت ممعلا للثورة .. فقد مكثت الماسونية نحو نصف قرن تعد محافلها أفكار الشعب الفرنسي للقيام بثورته الكبرى ولا غرابة في الأمر .. فالماسونية ، قد اتخذت شعاراتها ، كلمات ثلاث : حرية مساواة ، اخاء اتخذها قبل ان تتخذها الثورة الفرنسية شعارا " (١)

تمويل الثورة الفرنسية

أما عن تمويل الثورة الفرنسية فتمتدحرف دائرة المعارف اليهودية أنه كان

وراء الثورة عدد من اليهود قاموا بتمويلها وتذكر أسماءهم صريحة وهم :

دانيال انزج	(١٧٢٢-١٧٩٩)	من برلين
ديفد فريد لاندر	(١٧٥٠-١٨٣٤)	من برلين
هرز سير فيسبر	(١٧٣٠-١٨٩٣)	الالزاس
بنجامين جولد سمح	(١٧٥٥-١٨٠٨)	من لندن
ابراهيم جولد سمح	(١٧٥٦-١٨١٠)	من لندن
موزس موكاتا	(١٧٦٨-١٨٥٧)	من لندن

(١) البروتوكول الأول ص ١١٩

وراجع حنا أبو راشد ص ١٥٢

نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في محافل الاسلام ، عبدالله التل ص ١٣

وهم عم المليونير الانجليزي مونتفيورى (١) ومن المعروف ان نيكر ()
 (اليهودى السويسرى كان وزيرا لمالية لويس
 السادس عشر ملك فرنسا ، فاعرق هذا الوزير فرنسا بالديون حتى وصلت
 الى ١٧٠ مليون جنيه استرليني ، وهى ديون باهظة فى ذلك الحين ، فرسموا
 خطة تجويع فرنسا ٠٠ وحينئذ لم يسبق للشعب الفرنسى صبر على تحمل هذه
 المجاعة العامة فقاموا بهذه الثورة اليهودية التلمودية ٠٠
 ولن يعد غريبا مثل هذه الافكار الهدامة والأعمال المجرمة ، اذا قرأنا
 الوثيقة الخطيرة التى وجدت بين أوراق ميرابو (Miraboh)
 التى ضبطت فى منزل (مدام لجاي) زوج ناشركب ميرابو وذلك
 فى ٦ اكتوبر (١٧٨٩) ونصها :

” يجب أن نسحق كل النظام ، وأن نلغى القوانين ، وأن نحوا كل السلطات
 وأن نترك الناس فى فوضى ، وقد لا تنفذ القوانين التى نسنها فى الحال ، ولكننا
 متى اردنا السلطة الى الشعب فانه سوف يقاتل من أجل حريته يعتقد أنه
 يقاتل لصونها ،

ولكن لما كان الشعب آلة يحركها المشرعون طبق ارادتهم فمن الضرورى
 أن نستخدمه لتأييدنا ، وأن نحمله على بغض كل ما نرى الى هدمه ، وأن ننفذه
 بالخيالات والأوهام ، كذلك يجب ان نشترى كل الاقلام المرتزقة التى تبث
 مبادئه ، والتى تعرف الشعب باعدائنا الذين نهاجمهم .
 ” فرجال الدين - مثلا - وهم أقوى الطوائف تأثيرا فى رأى العام لا يمكن
 هدمهم الا بالسخرية من الدين ، والتشهير بأقطابه ، وتصويرهم أوفادا منافقين

(١) راجع :

نقلا عن كتاب الأفي اليهودية فى معاقل الاسلام تأليف عبدالله التل ص ١٣

ذلك لأن (محمدا) مهد لانشاء دينه بالطعن في الوثنية التي يمتنعها
 العرب ، ومن الواجب ان تقوم النشرات القاذفة في كل وقت بحملات جديدة على
 رجال الدين ، فتبالغ والقتل والكفر كلها مباحة في أوقات الثورة • ثم يجب
 أن نشين من قدر النبلاء وأن نرجعهم الى أصل ساقط (١)

وهكذا كان شأن الثورة الفرنسية ••• فهي كانت - كما قلنا سابقا - من أسباب
 شتاء العالم واذلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التي خططت
 للثورة ومولتها ونفذتها وجنت أرباحها •

ويبقى أن نذكر الحقيقة المرة وهي أن فرنسا منذ ثورتها اليهودية
 الماسونية سنة ١٧٨٩ م قد تحولت تدريجيا الى مزرعة يهودية بمالها
 وثقافتها وعلمها وسياساتها واقتصادها •

كما غدت فرنسا بفضل التسامح الذي فرضته الثورة اليهودية بؤرة فساد •

توزع الرذيلة والدعارة والفجور على العالم بأسره ••••• واذ فهمنا ذلك فلننتقل
 الى الدور الثاني الخطير الذي قام به اليهود في بث الأفكار الهدامة ضد
 الكنيسة ورجالها ، وهو الثورة الصناعية ••• فالي هناك!

ثانيا - الثورة الصناعية :

وقد قلنا - وسنظل نقول دائما - ان اليهود لا ينشئون الأحداث ولكنهم
 يستغلونها لتنفيذ مخططاتهم الماسونية التلمودية الصهيونية •
 نعم! قد فرحت اليهودية العالمية أيما فرحة بقيام النهضة الاوربية الحديثة
 على أساس لا ديني (Secularité) • ولم تكن فرحتها - بعد ظنهم -
 الداروينية - أشد من الثورة الصناعية فبذلت اليهودية جهود الجبابرة لتوسيع
 الهوة التي قامت بين الدين وبين هذه الثورة •

* * *

(١) تاريخ الجمميات السرية والحركات الهدامة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر
 ط ٢ ، ١٩٥٤ ص ١٤٤ ، ١٤٥

لقد استغلت اليهودية العالمية هذا الانقلاب الصناعي استغلالا يتجاوز حدود

القياس . . .

استغلته لتفتت الروابط الأسرية وانسداد الأخلاق . . .
كما استغلته أيضا لنشر التعامل الربوي في أوروبا أولا وفي جميع بقاع
العالم أخيرا . . .

فلا بد - اذن - من إيضاح لهذين الاستغلالين . . .
الا أننا نود - قبل هذا الإيضاح - أن نعطي للقارئ الكريم فكرة
موجزة عن الثورة الصناعية التي كانت بمثابة (النذير العريان) (١) لمجيء
الأحداث على الدين والأخلاق والتقاليد في أوروبا الحديثة . . .
فاليك شرحا مختصرا لهذه الثورة الصناعية :

ان هذه الثورة العجيبة بدأت بظهور الآلة . . . فأحدثت انقلابا شاملا
للحياة الأوربية . . . لا يقف عند حدود العلاقات الاقتصادية والاجتماعية
فحسب ، وإنما يتعداهما الى كل نواحي الحياة في أوروبا . . .
في البيت والشارع . . .
في العمل وفي الأفكار . . .
في التقاليد والقيم . . .
والمبادئ والأخلاق . . .

لم يسبق شيء على الإطلاق الا أصابته سمومه . . .
ان هذا الانقلاب ظهر أول ما ظهر في المدن تلص الصناعية ، حيث بدأت
تجذب اليها الشباب من الرجال الحزب ليعملوا في المصانع الجديدة ويعيشون
في المدن على صفة لم يعرفوها سابقا . . .
جاءوا بدون أسر . . . فاجتمعوا في زمالة العمل . . . غير متعارفين ولا مترابطين
وفجأة بدأت الحياة الأوربية تتغير . . .

(١) هو الذي ينذر قومه وهو عريان ليعلموا أن الأمر شديد فيستعدوا بالجد قبل
نزول الفارة أو المصائب .

الفلاحون الذين كانوا يعملون في الأرض ، أخذوا يعملون في المصانع " التي
تجمع حولها الشبان الأقوياء الفتوى العضلات " الذين يقدرون على الجهد
العضلي العنيف " .

وجاء دور تشغيل المرأة في المصانع :

ولما كان العمال الشبان يعملون فوق ما يطبقون ولا يأخذون الا بخص دراهم ،
فساءت العلاقة بين العمال والسادات " . فكروا حينئذ في تشغيل المرأة بأقل
الأجور من الرجال " (١)

ثم جاءت المرأة لتعمل مع الشبان في المصانع .

جاءت أيضا بدون أسر " . تشترك مع الشبان في العمل ، وصارت تملك
مالها ملكا تاما " . وتعامل مع الرجال الأجناب في المصنع والتاجر والطريق " .
فأحست المرأة أنها " تحررت " .

فكان ذلك انقلابا في نفسها " .

فاذا هي تلتقي مع الشباب المتحررين أيضا " .

من هنا خبثت أخلاقهم وانحلوا من ريق الدين والتحلل بالفضائل " .

ولكن الأمر لم يتوقف عند هذه الحدود ، بل قامت المرأة المتحررة تطالب

بجميع حقوقها كاملة غير منقوصة " .

وتطالب المساواة مع الرجل في الأجور " .

تطالب المساواة مع الرجل في التحلل والاباحية والانطلاق " .

تطالب دخولها في الجامعات مع الرجال جنبا الى جنب " .

تطالب دخولها في البرلمان والانتخابات والتمثيل الشعبي والصهي والنقابي " .

تطالب الحرية في القول والعمل " .

" فتحررت المرأة " وتحرر الناس من قيود الدين والأخلاق والتقاليد

وأصبحت الاباحية ديانة معترفا بها ، ويقوم بالدعاية اليها رجال على مسج من الحكومة ،

(١) التطور والثبات ، محمد قطب ص ٢٣ ولكن بالتصرف .

كنا وقصا وبحوثا وصحافة واذاعة وسينما وتلفزيون ..

وكان شعارهم في جميع أنحاء أوروبا : دعه يفعل (

دعه يمر)

ومعنى ذلك دع " الفرد " يعمل كما يشاء بلا قيود ودعه يمر لحاجاته

بلا حواجز ولا عوائق ..

فاندحرت أوروبا في ظلمات الالحاد والاباحية ..

هذا جزء ضئيل من قصة الثورة الصناعية ..

وجاء اليهود في وسط هذه الاباحية المطلقة الحرة لينفخوا في

صورها ويزينوها للناس في صورة براقعة خلافة .. فافهموا هؤلاء المجانين

أن الجنس عملية بيولوجية بحتة لا علاقة لها بالأخلاق . فبدأوا

يحيطون بالمجتمع الأوربي المفتون المسكين ، من المخريات بشتى أشكالها

من القصص والمسرحيات وسينما ، وتلفزيون والاذاعة والصحافة ..

كل ذلك يصور الحياة من خلال الجنس ! الجنس فقط .. وتصوره على أنه

شيء طبيعي ..

ان اليهود أنفسهم قد اعترفوا بهذا الدور الفظيع الذي قاموا به فقالوا

في البروتوكول مايلي :

" يجب أن نعمل لتدهار الاخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا .. ان فرويد

منا ، وسيظل يمرض العلاقة الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب

شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو اراء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه^(١)

وقالوا أيضا فيه :

" لقد رتبنا نجاح داروين وماركس ونيتشة بالترويج لآرائهم وأن الأثر

الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في فكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد^(٢)

(١)

(٢) البروتوكول الثاني ص ١٢٣

وهكذا جعلت اليهودية العالمية ، أوروبا بكاملها بين " نكي الكاشية " ولم
تستطع أوروبا التخلص من بينهما حتى وقعت صريعة بين أيدي اليهودية العالمية .
فأسست لها النظريات التي أسس عليها بنيان المجتمع الغربي الحديث ، يمكن
حصرها في ثلاثة عناوين :

- ١ - المساواة بين الرجال والنساء
- ٢ - استقلال النساء بشؤون معاشهن
- ٣ - الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء

ولا يخفى على كل ذي عقل ان هذه الكلمات الثلاثة فيها ما فيها من تدمير
الأخلاق والخروج بالنساء من الانسانية الكريمة الى البهيمية الهابطة .
١ - أنهم فهموا من ساداتهم - اليهود ، أن معاني المساواة أن يرخصى
للمرأة عنان القيود الخلقية مثل ما أرخصى للرجل من ذي قبل . . . فهذه الفكرة
الخاطئة جعلت المرأة غافلة بل منحرفة عن أداء واجبها الفطرى الذى
يتوقف على ادائه بقاء المدنية بل بقاء الجنس البشرى وهو تربية الأولاد في
البيوت وبترك هذا الواجب الفطرى وصلت أوروبا الى نتائج فادحة . . .

ومن نتائج هذا الاتجاه المنحرف أن تفككت الأسرة

لماذا ؟ الأب يحمل . . .

الأم تحمل . . .

والأولاد يعملون . . .

فقد أدى هذه الاعمال المرهقة الى تعاطى موانع الحمل وقتل الأولاد ،
لأنهم يمتصونهم من أعمالهم . . . هل يرضى بذلك البهائم والوحوش من سكان
الغاب والبرارى ؟ لا والله !

هكذا صارت بنات حواء في المجتمع الغربى الحديث . . .

إذا فهمنا هذا فلنتقدم الى خطوة ثانية . . .

استقلال المرأة بشؤونها :

٢ - نود هنا أن نلقى الأضواء على النظرية الخبيثة التي تقول :

باستقلال النساء بمعايشهن وأن يقمن بحالهن وبشؤونهن الاقتصادية ..
ان هذه النظرية اليهودية ، نظرية باطلة لما ظهر منها من نتائج سيئة
تعارض مع الفطرة الانسانية ..

وبيان ذلك أن هذه النظرية تدعو أن تفوض شؤون البيت الى الفنادق
والشركات .. لأن المرأة قد تحررت اقتصاديا ، تذهب صباح مساء الى الشغل
وليس عندها وقت لاعداد الطعام في البيت ..
الرجل
وكذلك لا يوجد لديه وقت ، لأنه مشغول عن نفسه في كل ما يتعلق بشؤون
المنزل .

فلم يبق بعد هذا الانقلاب بينهما من صلة ترغبهما في المشرفة البيتية
وتجبرهما على الحياة الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات وغرائز النفس
الحيوانية .

ومن الظاهر أن مجرد اطفاء أوار الشهوة البهيمية ليس بأمر يضطر الرجل
والمرأة الى أن يتعاشرا في بيت واحد ، مقرنين في نير الرابطة الزوجية الأبدية .
لأنه من الميسور أن يجد كل واحد منهما مكانا آخر لا طفاء هذه الشهوة ،
فما للمرأة - اذن - ترهق نفسها باعباء خلقية وأثقال قانونية في غير طائل .
وان كانت تخاف من ولد الزنى الذي تلده من فاجر مغمور ، ولكن قد أذهب
عن نفسها هذا الخوف ما ابتكر أخيرا من أساليب التخلص منه : وأولها تدابير
منع الحمل . فان أخفقت ، فلا بأس باسقاط الجنين .. وان لم يتحقق ، فلا
حرج في قتل المولود من وراء الجدران ، في جنح الليل وان أبت عا طيفة الأمومة
قتل المولود ، فلا لهم على الفتاة في كونها أمًا لا بن زنية ..
وبهذا فقد أصبح الناس في المجتمع الصناعي لا يعتبرون الاتصال الجنسي
غير المشروع ، عيبا وازدراء وحظا من شأن الانسان ، بل العكس عندهم

هو الصحيح • وهو أن يفعل الانسان هذا الاتصال الجنسي البهيمي تخلصاً من
تهمة الرجسية وحكم التخلف والجمود ••

هذا هو الذي أفسد أخلاق أوروبا من القواعد • وزلزل كيانه زلزلاً
شديداً ولا يستطيع أحد أن يتصور مقدار هذه البهيمية التي يعيشون بها
الا من أتصل بالأوروبيين عن كتب ، بل عن كتب أيضا •• يقول أبو
الأعلى المودودي في هذه المناسبة :

” كل قطر من أقطارهم ترى مئات الألف من الفتيات والنساء عوانس ، يرتدن

موارد الفحشاء والشهوات من غير تحفظ ولا خجل ••

” ويفوقهن في كثرة العدد اللاتي يتزوجن في سورة من عاطفة

الحب المارضة ، ولكنه لم يبق بين الرجل والمرأة من صلة غير صلة

التمتع الجنسية - تحوج أحدهما الى الآخر ••

وقد عادت أمثال هذه الأواصر الزوجية كأوهن ما يكون من الأمور ••

” وهذه الحال الراهنة هي السبب في شيوع المفسد من ضح الحمل واسقاط

الأجنة وقتل الأولد وانخفاض تناسب المواليد وكثرة أولاد النفل ، وكذلك

لها يد وأي يد في انتشار الفاحشة والخلاعة وازدياد الأمراض السريسة

الفتاكة •• (١)

فلا بد أن يصلوا الى هذه النتائج المخيفة لأنهم في انحرافهم هذا قد خالفوا

الفطرة الانسانية ، فلا بد اذن من عقوبة الفطرة •

ان فطرة الانسان ترى دائما أن المبدأ الصحيح أن يكسب الرجل وتدبير

المرأة شؤون البيت •• هناك يحصل التوازن ويحصل الوثام بين الطرفين •

بل يحصل هناك السكون والرحمة والمودة ••
الانظيف

هذا ما قرره الاسلام في تكوين المجتمع المسلم / فقال تعالى :

(١) الحجاب لأبي الأعلى المودودي ص ٣٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر •

* ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا انتم بشر تنتشرون *

* ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم

مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * (١)

أي أن البيت السعيد هو الذي يكون فيه السكون والرحمة والمودة .. ويكون

الفرض الأساسي للاتصال الجنسي تشجيع على الانجاب والتكاثر الذي يرثك

ويدعوك بعد الموت .. وليس الفرض هذه الشهوات الحيوانية النكراء ...

٣ - ولم ينته المكر اليهودي في تضليل الأوربيين حتى جردهم من كل خلق

انسانى ، قد استبدله لهم بأخلاق " الكلاب " و " الذئاب " .. قد استبدل

هذا البيت السعيد الهادئ ، بالاختلاط المطلق بدون حياء ولا مروءة ...

فنتجت عن هذا الاختلاط المطلق ، نتائج فادحة ..

(١) التبجح والمرى في النساء .. لأن الجاذبية الجنسية -

(Sexual Attraction) التي أودعها الله سبحانه

وتعالى - في فطرة الرجل والمرأة ، لها سلطانها الذي لا ينكر ..

ان هذه الجاذبية - كما يعرف ذلك الجميع حتى الملاحدة - تزداد

قوة واشتدادا باختلاط الجنسين ..

(٢) ولا ينتهى هذا الافتتان بابداء الزينة والجمال عند حد ...

بل يتجاوز الحدود كلها واحدا بعد الآخر ، حتى ينتهى أمره الى ظايات المرى

المشين ..

ان أوربا الجاهلة شاهدة على ذلك .. فقد ازدادت - ولا تزال تزداد فسى

المرأة الأوربية ، غريزة التجميل وحب الظهور بالمظاهر الجذابة للرجال

الى حد لا تكاد تظن أنها تعتبر نفسها انسانا ..

تراها تكاد تتجرد من ملابسها وتريد ألا تستر جسمها هدية ثوب مشمها ..

هذه حال المرأة عندهم ..

كل ذلك من تخطيط هذه الخلايا الخفية " اليهودية العالمية " .
وأما رجالهم فما تزيدهم كل هذه المظاهر الخلابية من الجمال النسوي الانهية
وشوقا ..

لأن نار الشهوة والمطافة البهيمية المتأججة في الصدور لا تخمد بكل
مظفر جديد من الخلاعة والسفور .. بل تزداد دائما وتزداد ... (١)
ولا يزال هذا الداء الوبيل - من غلبة الشهوة البهيمية - ينخر في كيان
الأم الغربية وينقص من قوة حياتها بسرعة هائلة ..
والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في مفاصل أمة الا أورد لها موارد
التلف والفناء ..

ذلك بأنه يقتل في الانسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية
وتقدمه في الحياة ..
وستنكم على ذلك بالتفصيل في الباب الذي سنعقده - ان شاء الله -
تحت عنوان (من نتائج الالحاد الحديث) .

اندفاع غريب الى الشهوات

لقد تقرر معنا أن اليهودية العالمية ، لا تنشأ الا أحداث وانما تستغلها
وتنفخ فيها وتخير أهدافها ، ... اذن تعلم أن الاندفاع الى هذه الشهوات
الحيوانية كانت موجودة في عروق الأوربيين .. فلا بد أن يكون ذلك لسبب من
الأسباب .. لأننا لم نراهم ديانة يتجردون من دينهم بهذا الشكل
الغريب الفظيخ الا الأوربيون .. فما هو سبب انحلالهم من الأخلاق
بهذا الشكل ؟

(١) حكم التريج والاختلاط في الاسلام ..

الحقيقة أن الدارس لآخلاق المسيحيين يجد أن هذا الاندفاع إلى الشهوات

بهذا الشكل السريع وقع ، كرد فعل ضد الكبت الكسبي . . .

وتفصيل ذلك : أن الفكرة التي كان يحتملها الآباء المسيحيون - كما قلنا سابقا -

في باب طغيان الكنييسة - عن علاقة ما بين الرجل والمرأة ، كانت قد تجاوزت

حد التطرف في جانب ، وكانت حربا على الفطرة البشرية في جانب آخر . . .

فاليك شرحا موجزا من نظرتهم إلى المرأة . . .

(١) أن المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور . . .

(٢) وهي باب من ابواب جهنم لأن منها انبجست عيون الحماة

الانسانية جمعا

(٣) فيحسبها ندامة وخجلا أنها امرأة . . . وينبغي أن تستحي من

جنسها وجمالها . . . لأنه سلاح إبليس الأقوى . . .

هذه نموذج من الفكرة التي كان يحتملها آباء الكنييسة تجاه المرأة . . .

وكان ذلك رد فعل لا ندلاع هذه النار الشهوانية في ظل الثمورة

(١)

الصناعية .

فلنستمع إلى ترتوليان (Tertullian) الذي هو أحد

أقطاب المسيحية الأول وأتمتها مبينا نظرية المسيحية في المرأة :

" أنها مدخل الشيطان إلى نفس الانسان . . . وأنها دافعة بالمرء إلى

الشجرة المنوعة ، ناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله - أي الرجل . . . (٢)

وكذلك يقول كراي سوستام (Chrysostem)

الذي يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة . . .

" هي شر لا بد منه ، ووسوسة جبلية ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة

والبيت ، ومحبة فتاكة . . . (٣)

(١) الجواب ص ٢١

(٢) المصدر السابق ص ٢٢

(٣) المصدر السابق ص ٢٢

أما نظريتهم الثانية في باب النساء ، فخلاصتها أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي نجس في نفسها ، يجب أن تتجنب ، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع " (١)

وإن كنا لا نجد مبررا للاحاد ، ولكنا نقول ان الكبت الكسى له يد في اندفاع الناس الى هذه الشهوانية البهيمية الحقاء .

الخلاصة : ان هاتين النظريتين ما وضعتا المرأة المكانة اللائقة بها .. هناك تفسير منها ، وهناك دعوة الى عبادتها .. فالكل متطرف ..

تنبية :

اذا قلنا أن الدول الاوروبية الملحدة قد فسدت أخلاقها وخبثت ليس معنى ذلك انهم لا يوجد لديهم شيء ما من الأخلاق ؟

لا ! ان لديهم ألوانا من الفضائل في مجال التعامل الفردي : الصدق والاخلاص في العمل والاستقامة والأمانة ونظافة التعامل .. ولكنهم - لبعدهم عن منهج الله - تنحرف عن طريقها القويم .

فقد تحولت - كما سنرى في آخر هذا البحث - الى فضائل " نفعية " يتبعها من يتبعها ، لأنها في مجموعها " ناعمة " في التعامل .. تجعل عجلة الحياة تسير بلا احتكاك ..

أما حين تفقد نفوسهم تجد الأوربي غير الأوربي وتصبح الأخلاق في نظره حماقة وعدم الفهم لا تستحق الاتباع ومستعمراتهم تشهد على ما نقول ..

هذا ما أريد أن أنبه اليه ..

الثورة الصناعية والتعامل الربوي

قد مررنا أن الانقلاب الصناعي بدأ بظهور الآلة ، وهي تحتاج إلى رؤوس الأموال الضخمة لإدارتها . . . فليس هناك من كان عنده مثل هذه الأموال إلا اليهود المرابون ، لا عند ملاك الأرض الاقطاعيين ولا غيرهم . . . فكانت هذه الفرصة بالنسبة لليهود فرصة سانحة أيضا . . . لأنهم يعلمون جيدا أنهم كما أفسدوا الأخلاق بواسطة النظريات والمنظمات السرية يستطيعون أيضا أن يفسدوا الجو في عالم الاقتصاد بسبب التعامل الربوي . . .

فبدأوا يقرضون الرأسماليين عن طريق (الربا) غير مباليين تعاليم التوراة التي تقول : " لا أخيك لا تبع ربا " . . . (١)

أي لا تبع ربا لا أخيك في الإنسانية . . . ولكن اليهود - بنيتهم الخبيثة -

حرفوا معنى النص فقالوا : إن معناه كالتالي :

لا تبع ربا لا أخيك اليهودي . . . أما (الأميون) غير اليهود فلا جناح

عليك أن تمتص دماءهم بكل سبيل . . .

✻ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ✻ (٢)

من هنا أباح اليهود الربا لأنفسهم ، فانتشر التعامل الربوي في الرأسمالية

الناشئة . . . فاتسمت - منذ البدء - برغبة الحصول على الربح الفاحش . . .

ومن أسهل سبيل . . .

وهذا هو بدء الكارثة التي أفسدت اقتصاديات أوروبا . . . وأبعدتها من كل

معنى الرحمة ومن كل معنى الإنسانية . . . (٣)

(١) سفر اللاويين ، الاصحاح ٢٥ آية ٣٦

(٢) سورة آل عمران الآية : ٧٥

(٣) يراجع في هذا جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص ١٤٢ ، ١٤٥ ،

ولكن بالتصرف . . .

من نتائج التعامل الربوي

ان هذا التعامل الربوي الذي يراه الناس شيئا تافها أو موردا من الموارد

المالية ، قد نتجت عنه كوارث عالمية كبرى .

١ - قد أدى الى الاحتكارات الخانقة :

وذلك ان تضخم الرأسمالية المتزايد ، والتقدم العلمي المتزايد ، أدى الى

أن رؤوس الأموال الكبيرة صارت أقدر على الربح - بإمكانياتها العلمية -

من رؤوس الأموال الصغيرة فأكلتها ! أو اضطرتها الى الدخول مصيرها

في اتحادات .

من المعلوم ، حين تتداخل كل رؤوس الأموال العاملة في صناعة ما ، وتكون

اتحادا واحدا ، يصبح هذا الاتحاد بالضرورة محتكرا لهذه الصناعة وحده . . .

بدليل أنه لا يستطيع أصحاب رؤوس الأموال الصغيرة ان ينافسوه في هذا الميدان

الذي تخصص فيه وتجهيا لاحتكاره . . .

فمن هنا قلنا : ان التعامل الربوي تؤدي الى الاحتكار والآنانية فلذا حاربه

الاسلام بقوله تعالى : ﴿ أحل الله البيع وحرم الربا ﴾ (١)

ولأجل هذا نجد عالمنا كله اليوم يريدون نظاما اقتصاديا عالميا

جديدا يخرجهم من هذه الاحتكارات التي تسود عالمنا اليوم الى الاستقرار الاقتصادي .

هذا من مساوي اليهودي في أوروبا أولا وفي العالم بأسره أخيرا . . .

٢ - الاحتكار أدى الى فتح باب الاستعمار :

وبيان ذلك : ان الصناعات قد زادت وتكثرت الانتاج هنا وهناك . . . وأصبح

لا بد من تصريف فائض الانتاج . . .

ومن هنا سمعت الدول الرأسمالية الى الاستعمار والتوسع " الامبريالي " لكي

تضمن الأسواق لفائض الانتاج . . .

* * *

فكان من نصيب الدول الاسلامية والافريقية أن وقعتا تحت نير الاستعمار الأوربي .
ولم يكتف هؤلاء المستعمرون بمحاولة بيع فائض الانتاج فحسب بل صاروا
يقتصون دماء تلك البلاد المستعمرة وينقلون خيراتها الى بلادهم
الأوربية .

هذه بعض نتائج التعامل الربوي الذي فتح بابه اليهود المرابون
وبعد : حان الأوان أن ننتقل الى الدور النظرى الذى استعمله اليهود في
افساد أوربا الجاهلة الضالة . . .

الدور النظرى :

وأما الدور النظرى : فهو بث النظريات الالحادية التى تنكر وجود الله
وتنفي تدخله في الكون ، وتنزع الأفكار الدينية كلها من رؤوس الناس
وقلوبهم . يقول البروتوكول الرابع في ذلك :

" يجب علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود وأن نضع
مكانها عليات حسابية ورغبات مادية " (١)

ومما لا يختلف فيه اثنان ان رباط الأمة الوثيق الذى يجعلها في مأمن
من التدهور والانحطاط هو الايمان بالله وكذلك لا أخلاق التى هى
أثر من آثار الهداية الالهية والتي سمعت الأديان الى اشاعتها فكانما سارت
الأمة في مضمار الهداية شوطا ازدهرت حياتها ويشمل السلام ربوعها +
ولذا كان تدهور الأخلاق في أمة ما نذيرا بالخراب . ومن الأهداف
المرسومة عند هؤلاء الصهاينة تقويض الأخلاق عند الغير لضعافه
والسيطرة عليه فاستغلوا لذلك النظريات الهدامة والأفكار المضللة . هذا
ما صرحت به سياستهم في البروتوكول .

(١) راجع البروتوكول الرابع - ترجمة خليفة التونسي ص (١٣١) الطبعة الرابعة .

" ان الشباب قد انتابه الحته لانغماسه في للفسق المبكر الذي دفعه للهيه
 أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفين
 والنساء اللواتي يعملن في اماكن اللهدو ونساء المجتمع المزعومات اللواتي
 يقلدنهم في الفسق والترف " (١)

وهذا ما اعترف به " أدولف هتلر " اذ قال : " فمذ ان وضع اليهود
 والمبلاشفة نصب أعينهم تفويض صرح الدولة الالمانية ، رأينا الرذيلة تنصب
 شركها في طريق الشبيبة الألمانية ، كبقيا اتجهت وأنى وجدت ، ورأينا
 عرش الاباحة والخلاعة ينتصب في دور العرض السينمائي والمرايح والحانات
 وحتى في الساحات العامة "
 ثم أبدى أسفه بقوله :

" كيف يرجي من شبيبة هذا شأنها أن تهيب للذود عن الوطن وأن تستميت
 في الدفاع عن مؤسساته وتقاليده . . " (٢)

ومن الروائع أن القرآن الكريم سبق أن قرر هذه الحقيقة منذ أربعمائة
 عشر قرنا ، بما جاء في قوله تعالى عن اليهود :

* ويسمون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين * (٣)

وقال تعالى في اليهود أيضا : * وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان
 وأكلمهم السحت لبئس ما كانوا يعملون • لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن
 قولهم وأكلمهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون * (٤)

فما ذكره القرآن الكريم ينطبق على اليهود الصهاينة - اليوم - أشد الانطباق ،
 فهم لا يتورعون عن الآثام وافساد الخير يشق الطرق للسيطرة عليه • ومن طرقهم
 المنحرفة استغلال النظريات التي توحى الى هدم قواعد الدين وازالة أهله • واليك
 نموذج لذلك •

(١) راجع اليهود في القرآن ، عفيف طيارة ص ٥٠ الطبعة السادسة

(٢) راجع كفاحي ترجمة الاستاذ لويس الحاج ص ١٤٦ ، ١٤٧

(٣) سورة المائدة الآية : ٦٤

(٤) المصدر السابق الآية : ٦٣

نظرية داروين ودور اليهود

لقد فرحت اليهودية العالمية أعظم فرحة يوم ظهر داروين المسيحي -
 بنظرته المسالفة الذكر في أصل الأنواع وأصل الإنسان . فقد أدركت بذلكها
 بما وراء ذلك الحدث الضخم من صدام عظيم مع الكنيسة يقول كتاب بروتوكولات
 حكما صهيون :

" ان داروين ليس منا ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها
 في تحطيم الدين المسيحي " (١)

واستغلت اليهودية العالمية نظرية (داروين) أبشع استغلال ..
 استغلتها على يد ثلاثة من أكبر علمائها .. قاموا بصياغة الفكر الأوربي
 كله في ميدان الاقتصاد وعلم النفس والاجتماع .. أخطر ميادين ثلاثة في علم الفكر .
 أولئك هم ماركس وفرويد ودوركايم . وقد أشار اليهود الى هذا الاستغلال
 في بروتوكولاتهم فقالوا : " لقد ربنا بنجاح داروين وماركس ونيتشة بالترويج
 لآرائهم . وان الأثر الهدام للاطلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر
 غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد " (٢)

ونكتفي بهذا القدر هنا مخافة الاستطويل والا لو أردنا أن تأتي بأكثر
 من هذا لفضلنا لأن كتبهم كهيلة لذلك . وانما أردنا هنا أن نثبت فقط
 انهم استخدموا النظريات لهدم الأديان والأخلاق .

استغلال المنظمات السرية لمحاربة الدين

كما استغلت اليهودية العالمية النظريات لمحاربة الأديان ، استغلت أيضا
 المنظمات السرية للعرض نفسه . ومن أخطر هذه المنظمات السرية المنظمة الماسونية .

(١) البروتوكول الثاني ص ١٢٣

(٢) المصدر السابق

قد استغللت اليهودية هذه للمنظمة الخبيثة بشكل فريد • ونصوصهم في هذا
الميدان كثيرة جدا • واليك نموذج من هذه النصوص الدالة على حقد اليهود
على جميع الأديان والمبادئ النبيلة • ففي إحدى الكلمات التي القيت في مؤتم
المشرق الأعظم الماسوني لعام ١٩٢٣ م قول أحدهم (١)

” يجب أن لا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره ولتحقيق الماسونية العالمية،
يجب سحق عدونا الأضلي الذي هو الذين مع ازالة رجاله ” ••

” سلقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير جدا من الحياة وسيكون
تأثيرهم وبيلا سيئا على الناس حتى ان تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر
الذي جرت المادة بأن يكون لها ” •• (٢)

ثم لم يكتف اليهود بافساد المسيحية بل حاولوا العبث بالمؤسسات والهيئات
والجمعيات الدينية وادخال عناصر فاسدة فيها وتولية امورها السذج من رجال
الدين الذين لا قدرة لهم على التبصر في الأمور الدقيقة •

جاء في نشر المشرق الأعظم الماسوني الفرنسي لسنة ١٩٢٣ م قولهم :

” على الاخوان أن يتغلغلوا في صفوف الجمعيات الدينية وغيرها بل لاعليهم -
ان احتاج الأمر أن يقوموا بتأسيس تلك الجمعيات على ان لا تشتم فيها أية
رائحة حقيقية للدين • عليكم أن تلموا شمل قطيعكم أينما كنتم • حتى في المعابد
الصغيرة وعلبكم أن تولوا امورها السذج من رجال الدين وليطمعوا خفية
ذوي القلوب الكبيرة من الرجال بقطرات من سموكم ” •

ثم قال : ” وبغية التفرقة بين الفرد وأسرته عليكم ان تنتزعوا الأخلاق من
أسسها لأن النفوس تميل الى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة • لأنها
تفضل الثروة في المقاهي على القيام بتبعات الأسرة • وأمثال هؤلاء من الممكن
اقتلعهم بالدرجات والترتب الماسونية ، وعلبكم أن تنتزعوا من بين أطفالهم وزوجاتهم
وتقدفوا بهم الى ملاذ الحياة البهيمية ”

(١) مكائد يهودية ، عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبكة الميداني ص ١٣٨

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨ (٣) المصدر السابق ص ١٨

هذه هي مهمة الماسونية وهذه هي مخططاتها الفريدة . لقد أثبتت تاريخ هذه الجمعية أنها من أخطر الجمعيات السريّة العالمية التي لعبت أدوارا خطيرة في تاريخ العالم والأُمم ، وأثرت تأثيرا مباشرا على مصائر كثير من الشعوب ، وتحكمت في سياسة معظم دول العالم ، من حيث لم تشعر هذه الدول أنها قد كانت فريسة خديعة يهودية دخلت إليها عن طريق المحافظ الماسونية التي تديرها من وراء الستار أصبح المكر اليهودي ، ولقد يبلغ الدهش عند من يبحث عن مخططات هذه المنظمة السريّة ، مبلغه العظيم حينما يعلم أن حروبا عالمية كبرى قد كان اليهود هم العاملون على إثارتها واشمال نارها عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في العالم .

وحينما يعلم أن كثيرا من القادة والزعماء المنحرفين في العالم قد أرسلتهم الى مراكزهم من الحيل اليهودية العالمية عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في البلاد . . .

تستدبرى بعض السطحيين وقصيري النظر ان هذا ضرب من الوهم ، وبالفئة من مبالغات الحدس ولكن الحقيقية التاريخية والواقعية جدرة بأن يكشفها الباحثون ، ويفتحوا أعين الناس حتى يروها ، مهما كانت بعيدة عن مدى حدسهم ومهما استهان بهم عدم معرفتهم لذلك . ولاجل هؤلاء البسطاء نسوق هذه الأدلة التالية :

جاء في البروتوكول الرابع :

” من ذا وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها ؟ هذا ما/حكومتنا الآن . ان المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم يعمل في غفلة كقناع لأغراضنا ، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه

(١) راجع عرض كتاب مكائد اليهود عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حينكة الميداني

القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا " (١)

(٢)

وجاء في البروتوكول الحادي عشر قولهم :

" ان الأميمين (اي غير اليهود) كقطع من الخنم ، واننا الذئاب فيمل تعلمون ما تفعل الخنم حينما تنفذ الذئاب الى الحظيرة انها لتخضع عيونها عن كل شيء " .

وقضية محاربة الماسونية للدين قضية لا تحتل أى جدل أو مناقشة ، لأنها من الأمور الكثيرة التي كشفتها تصرفاتهم الدائمة ثم اعترافهم وأقوالهم المنتشرة في كثير من الوثائق الصادرة عنهم من تصريحات وخطب وكتابات . وقد جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة ١٩٢٢ قولهم :

" ويجب أن لا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ، وعلينا أن لا نألوجدنا في القضاء على مظاهرها " (٣)

وجاء في مضابط المشرق الأعظم الماسوني لسنة ١٩١٣ م قولهم :

" سوف نتخذ الإنسانية غاية من دون الله " (٤)

وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي لسنة ١٩٠٠ م قولهم :

" اننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومحابدهم ، انما نأيتنا الأساسية

هي ابادتهم من الوجود " (٥)

(١) البروتوكول الرابع ص ١٣١

(٢) البروتوكول الحادي عشر ص ١٥٨

(٣) مكائد يهودية ، عبد الرحمن حسن حبيكة الميداني ص ١٣٧

(٤) المصدر السابق ص ١٣٧

(٥) المصدر السابق ص ١٣٧

وفي مجلة لفاستيا للماسونية سنة ١٩٠٣ م قولهم :

" ان النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته الا بعد فصل الدين عن الدولة"^(١)
وجاء في مجلة الشرق الاكبر التركية الماسونية قولهم :

" لا يعتقدوا كفر الملحدين أو ثواب المتدين أو وصف للجنة والنار ، وإذا وجد من يحاول العمل في ساحة الدين فنتركه وشأنه مع الله ، وإذا أصر على رأيه فترجوه أن يتركنا وأن يدخلنا بينه وبين الله " (٢)

وفي النشرة الرسمية التي أذاعها الشرق الأعظم في فرنسا في تموز سنة ١٨٥٦ م قولهم : " نحن الماسون لا يمكننا ان نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لا مخلص من ظفرها أو ظفرنا ، ولا بد من موتها أو موتنا ، ولن يرتاح الماسون الا بعد أن يخلقوا جميع المعابد " (٣)

وقال " كوقيل " في محفل منفيس بلندن :

" اننا اذا سمعنا لدسلم أو نصراني بالدخول في احد هياكلنا ؟ فانما ذلك قائم على شرط أن الداخل يتجرد من أضرابه ، ويجحد خرافاته وأوهامه التي خدع بها في شبابه " ؟

وفي المحاضرة الرابعة لمحفل السلامة الماسوني قولهم :

" ان الماسونية تجرد الافكار من الخرافات والنظريات اللاهوتية المدسوسة من قبل الأديان " (٥)

وفي محاضرات محفل الشرق لعام ١٩٢٣ م قولهم :

" انه يجب أن تبقى الماسونية لملة واحدة ، وعليه يقتضى محو الأديان ومقتسبها من الأساس " (٦)

واليك نموذجا آخر من نماذج التخطيط اليهودي لهدم الخلافة الاسلامية عن طريق الماسونية .

(١) مكائد يهودية ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ١٣٧

(٢) المصدر السابق ص ١٣٧ (٣) المصدر السابق ص ٢٣٧

(٤) المصدر السابق ص ٢٣٨ (٥) المصدر السابق ص ٢٣٨

(٦) المصدر السابق ص ٢٣٨

الماسونية والخلافة الاسلامية

لقد رأينا في تصريحات الماسونية ، أن اليهود يسمون دائما لمحـو
الاديان ومنتسبيها من الاساس . . . وفعلا قد رأينا الاعمال الملتخر بسببها التي
قاموا بها ضد المسيحية . . . فمن المستحسن أيضا وقبل أن تنتقل الى الثورة
الصناعية التي أفسدت أخلاق أوروبا - أن نعطي فكرة موجزة عن دور
الماسونية في هدم الخلافة الاسلامية ليتضح لنا :

الدور الخطير الذي قام به اليهود لافساد العالم بأسره

ولما كان تفصيل ذلك وتأبيده بالواقع مما لا يحتمله الا كتاب ضخـم فاننا نكتفي
بذكر الباعث الحقيقي الذي جعل اليهود يقومون دائما بالمؤامرات ضد
الاسلام وأهله .

ان الدارس للتاريخ يجد أن الذي دفع اليهود للقيام بهذه المؤامرات
ضد الاسلام وأهله يرجع الى عدة أسباب . ولكن نذكر في هذه المقالة
سببين أساسيين بارزين هما :

(١) الحسد ضد الاسلام .

(٢) موقف السلطان عبد الحميد من الماسونية :

فلنعط فكرة سريعة لكل من هذين السببين :

أولا - الحسد ضد الاسلام :

ان اليهود قاموا بعدة مؤامرات ضد الاسلام منذ البداية ، حسدا من عند أنفسهم
فقد حاربوا الاسلام في البدء ظاهرا أعنف حرب ، حتى فشلوا في ذلك (١) فارتدوا
يسالمونه سلاما كان شرا عليه من حربه الظاهرة . . . (٢)

(١) راجع الخطر اليهودي ، برتوكولات حكماء صهيون ، محمد خليفة التونسي ص ٧٤
(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ د . ابراهيم علي شحوط ص ٤٥ سنة ١٣٩٦ هـ
١٩٧٦ م شارح يعقوب بالمالية ص ٥١

فلنضرب على هذه الحرب الخفية أمثلة بسيطة :

فكعب الأخبار - مثلاً - يفسر القرآن ويروى الأخبار ويملاً ذلك كله بما يسمى
عندنا " الاسرائيليات " (١) حتى أصبح من الصعب تخلص الكتب الاسلامية
الجليلة من الاسرائيليات .. ثم انه من جبهة اخرى يشترك في المؤامرة بقتل
عمر رضي الله عنه .. (٢)

وينشط عبد الله بن سبا نشاطاً من نوع آخر .. فهو يشير بخطبة المسلمين
على خليفته (عثمان) لما أحدث من بدع (على حد تعبيرهم) و وكان
ينتقل بين العراق ومصر والشام مؤسساً " الخلافة الخفية " التي تثير النقمة
على عثمان رضي الله عنه انتهى الأمر بقتل عثمان وانقسام المسلمين أحزاباً ..

وهو من ناحية أخرى ينشط لنشر المبادئ الهدامة للإسلام فبدعو إلى
الإيمان برجمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته (٣) .. وغير ذلك
من المؤامرات اليهودية الكثيرة المنتشرة في كتب التاريخ ..

وهكذا انخدع المسلمون فحشدوا في كتبهم خرافات التوراة (٤) ، وجرى
بعضهم وراء تلك الأفكار الهدامة التي كان يبيتها هذا اليهودي الخبيث
(ابن سبا) .

وهذه أمثلة بسيطة من المؤامرات التي قام بها اليهود ضد ديننا
الاسلامي الحنيف ..

* * *

(١) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد ابوشهيبه ص ٢١ سنة

١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

(٢) البروتوكولات ص ٧٦

(٣) المصدر السابق ص ٧٦

(٤) أباطيل يجب ان تحي من التاريخ د . ابراهيم علي شعوط ص ٥١ - ٥٢

ط ٤ سنة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م

فلنقفز قفزة واسعة الى الفقرة الثانية ، وهى موقف عبد الحميد من الماسونية
لنرى أن أصبعا من الأُصابع اليهودية كاملة وراء كل دعوة تستخف بالقيم
الأخلاقية ، وترى الى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الانسان
في جميع الأزمان .. فاليهود كانوا وراء هدم الخلافة الاسلامية العنيفة .
واتخذوا لذلك وسائل متعددة .. سنبين بعضها فيما يأتي ..

(20)

ثانيا - موقف السلطان عبد الحميد من الماسونية :

وذكرنا التاريخ أن السلطان عبد الحميد ، قد تعرض لضغط الصهيونية
العالمية برياسة (تيودور هرتسل) الذي زاره في سنتي ١٩٠١-١٩٠٢ وعرض
عليه السماح لليهود باستيطان فلسطين على نطاق واسع مقابل كميات كبيرة
من أموال اليهود .. (١)

وكان مع هرتسل يهوديان آخران هما : (ايمانويل قره صو) رئيس الجالية
اليهودية في سلانيك ، والحاجام (موسى ليوى) .
وبعد مقدمات مفعمة بالرياء والخداع ، فصح هرتسل عن مطالبه ، فلقى من
السلطان الازدراء التام لذهب اليهود واطماعهم ووقاحتهم .. ومما قاله السلطان
ردا على هرتسل :

" ان أرض وطننا لا تباع بالدراهم ، ان بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها
ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بشبر منها دون أن تبذل أكثر ما بذلنا
من دماء في سبيلها .. " (٢)

وحيثما أدرك اليهود ثبات السلطان عبد الحميد في وجه اطماعهم زادوا من
تآمرهم لا سقاطه ، و استعانوا في هذا السبيل بشتى الوسائل نذكر أهمها :

(١) خطر اليهودية العالمية ص ٤٥ عن كتاب الأفضى اليهودية في معاقل

الاسلام ، عبد الله التل ص ٨٤

(٢) جواد رفعت ص ١٢٤ عن المرجع السابق ص ٨٤

الماسونية والقومية العربية واستغلال المبشرين للوصول الى هدفهم ..

واليك كلمة لكل واحد من هذه الامور الثلاثة :

أولا - الماسونية :

لقد جندت الماسونية قواها لخدمة اليهود وهدم الخلافة الاسلامية . واستخدم اليهود محافل الماسون في فرنسا وايطاليا لنشر الدعاية الكاذبة ضد الخلفاء وبخاصة عبد الحميد الثاني الذي كان عدوا للماسون (١) . ولم تترك أبواق الماسون عيبا من عيوب الحكم الا وألصقته بحكم عبد الحميد الثاني ، حتى أصبح رمزا للظلم والاستبداد والقسوة .. وأخيرا شاءت الأقدار أن تسقط هذه الخلافة العظيمة التي كانت رمزا للقوة عند المسلمين .. والخريب أن الماسون لا يخفي علاقتهم بالانقلاب العثماني الذي أطاح بالسلطان عبد الحميد الثاني . بل انهم يفخرون بالأدوار الاجرامية التي قاموا بها في تلك المجالات .. فقد قال الفيلسوف الماسوني (شاريبيا) في حفل اقيم للماسون :

" انظروا الى اخوانكم الماسونيين الذين قاموا بالحركة الدستورية التي قلبت الحكم العثماني في آخر عهد السلطان عبد الحميد دون أن تسيل نقطة دم واحدة .. أجل فيمثل هذا الشعب الماسوني تفخر الماسونية ويعظم من شأن وسائلها السلمية السلمية .. " (٢)

-
- (١) اعلان الحرية والسلطان عبد الحميد الثاني ، استانبول ١٩٦٠ ، نظام الدين نظيف ص ١١ وراجع أيضا مجلة المنار العدد الأول سنة ١٣٢٩ هـ مقالة للسيد محمد رشيد رضا . وراجع أيضا تركية الفتاة د . أرنست رامزور ، ترجمة الدكتور صالح العلي . مكتبة الحياة بيروت - ١٩٦٠ م ص ٤١
- (٢) دائرة المعارف الماسونية ص ١٦٦ نقلا عن كتاب الأفي اليهودية في معاقل الاسلام ، عبد الله التل ص ٧٨

وكذلك ضمنت جمعيات الماسون السرية المجرمين والارهابيين من اليهود والبلغار واليونان وغيرهم : فهو " عماد الثورة التي زحفت على استانبول وعزلت السلطان عبد الحميد ..

وكان يرأس الوفد الذي قدم للسلطان وثيقة العزل اليهودي الماسوني (قره صو) الذي صده السلطان مع (هرتسل) في المحاولات الصهيونية الأولى (١) .
وبعد عزله أخذت النكبات تتوالى على الأمبراطورية الاسلامية العظيمة (٢)
فضاعت " ليسبيا " واحتلتها (ايطاليا) ، ثم ضاعت مراکش ١٩١٢ م ..
وهكذا تتابعت الولايات اثر ويلات على الخلافة حتى جاء الشيطان الكبير ..
مصطفى كمال الذي تم به كل مخططات الماسونية الماكرة ..
واليك نموذجاً مما قام به هذا الشيطان الكبير ..

مصطفى كمال رأس الأفعى اليهودية

لقد اختارت اليهودية العالمية هذا الشيطان الكبير (مصطفى كمال) للقيام بيهدم الخلافة الاسلامية ، لما كانت تعلم أن مصطفى كمال هو الجواد الرابع الذي ينفذ أوامرها ويهدم الخلافة ..
والطريف في الأمر ، ان مصطفى كمال قد نجح في حشد القوى الشعبية التركية بسلاح الاسلام ، حيث يستنهضهم همهم للدفاع عن الوطن الذي استباحته الصليبية اليونانية ..
وكان يتظاهر بالتدين والتعلق بأهداب الدين ويصلى في مقدمة الجنود البسطاء ..
وكان يتلقى العلماء ويحطف عليهم ويستغلهم لشحن النفوس ودفعها الى الاستشهاد في سبيل الله . (٣) (أنظر الصورة المرفقة) ..

(١) عمر مفتي زادة ، جهاد ناطق ، الدار البيضاء ١٩٦١ ، ص ٨

(٢) الغارة على العالم الاسلامي ص ١٧٨

(٣) جهاد ناطق ص ١٠ عن كتاب الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبد الله التل ص ٨٨

وحالما استتب له الامر وأصبح اباللائراك كما كانوا يسمونه (أتاتورك)
 (١) شرع بتنفيذ الخطة الجهنمية التي رسمت له لمحاربة الاسلام ولهدم الخلافة .

وكانت الخطة الجهنمية ، بعد تفاوضه مع الحلفاء اليهود في الاتفاقية
 المصروفة باتفاقية " كيرزن " ذات الشروط الأربعة :

- (١) - إلغاء الخلافة الاسلامية نهائيا من تركيا .
- (٢) - أن تضمن تركيا تجريد وشل حركة العناصر الاسلامية الباقية في تركيا .
- (٣) - أن تقطع تركيا كل صلة مع الاسلام .
- (٤) - أن يستبدل الدستور العثماني القائم على الاسلام بدستور مدني بحت .

(٢) ولم يقدم مصطفى كمال على تنفيذ خطط اليهود والماسون دفعة واحدة وإنما
 تدرج بها ، ونفذ أجزاء الخطة بحسب الظروف المواتية . .

ففي أول نوفمبر ١٩٢٢ م خلع وحيد الدين (محمد السادس) من الخلافة
 وصوب عبد المجيد بدلا عنه ، وفي أغسطس ١٩٢٣ م أنشأ حزب الشعب الجمهوري
 وأغلب اقطابه من يهود الدونمة والماسون .

وفي ٢٠ أكتوبر ١٩٢٣ م أعلنت الجمهورية التركية وانتخبت الجمعية
 الوطنية " مصطفى كمال رئيسا للجمهورية " .

وفي ٢ مارس ١٩٢٤ م ألغيت الخلافة التي طالما كانت خنجرا في صدر
 اعداء الاسلام (٣) .

فلنستمع الى المؤرخ " آرمسترونج " يصف هذه الخطوات المملونة ،
 بالقول :

(١) انظر ايضا فصل صناعة الزعيم ، من كتاب عندما يحكم الطغاة د . جريشة .

وفي ظلال القرآن ، سيد قطب ٨ : ٨٦

والدبلوماسية والميكافيلية ، محمد صادق ص ١٤٩

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافة الاسلام ، محمد محمود الصواف ١٣٨٩ هـ ص ١٧٤

(٣) كتاب ترك واتاتورك ص ١٨-٢٠ وراجع ايضا ، مصطفى كمال الذئب الأغبير

آرمسترونج دار الهلال ١٩٥٢ ص ٢١٢

" انطلق كمال اتاتورك يكمل عمل التحطيم الشامل الذي شرع فيه وقد قسر
 انه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها المتحفن الفاسد ، يجب عليه أن يزيل
 جميع الأنقاض التي تحيط بها ، هو حطم فعلا النسيج السياسي القديم ، ونقل
 السلطة الى ديمقراطية ، وحول الامبراطورية الى قطر فحسب ، وجعل الدولة الدينية
 جمهورية عادية ، انه طرد السلطان (الخليفة) وقطع جميع الصلات عن
 الامبراطورية العثمانية ، وقد بدأ الآن في تغيير عقلية الشعب بكاملها
 وتصوراتها القديمة واعاداته ولباسه وأخلاقه وتقاليده وأساليب الحديث
 ومناهج الحياة المنزلية التي تربطه بالماضي .. " (١)

هذا ما فعلته الماسونية بالخلافة الاسلامية . وكانت ترغب أن تحول الأمة
 الاسلامية بكاملها الى دولة الحادية كما فعلت ذلك في أوروبا ولكن العقيدة
 الاسلامية الصامدة حالت بينها وبين ما ربهما .

ومع ذلك استطاعت أن تغير جانبا كبيرا من الحياة الاجتماعية الاسلامية في تركيا
 ونحوها ..

فلذا نجد مصطفى كمال نصب نفسه اليها من دون الله يشرع للأمة
 كما يشاء فلفق قانونا فريدا يتكون اكثره من القانون السويسري والقانون
 الايطالي وغيرهما وأكمل الباقي من عنده ومع ذلك يدعي أنه كله من
 عنده قائلا :

" نحن لا نريد شرعا فيه قال وقالوا ولكن شرعا فيه قلنا ونقول " (٢)

ثم اقتناه وزير العدل هارحا وفسرا :

" ان الشعب التركي جدير بأن يفكر بنفسه بدون أن يتقيد بما فكر غيره من

قبله وقد كانت كل مادة من مواد متبنا القضائية مبدوءة بكلمة قال (وقالوا) :

(١) الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ، النسوي ، القاهرة ص ١٦

(٢) حاضر العالم الاسلامي ، حواش شكيب ارسلان ٣/٣٤٣

فأما الآن فلا يهمنا أصلاً ماذا قالوا في الماضي بل يهمنا أن نفكر نحن
(١)
ونقول نحن :

- ولم يكف مصطفى كمال بهذه الخطوات الماسونية اليهودية بل تجاوز كل ذلك
فقام وألقى بالعنف والارهاب ما يلي :
- ١ - الكتابة التركبة بالأحرف العربية .
 - ٢ - وحرم الأذان بالعربية .
 - ٣ - وكب المصحف بلغة الهجين التركية .
 - ٤ - وحدد عدد المساجد .
 - ٥ - وألقى وزارة الأوقاف .
 - ٦ - وألقى الأعياد الإسلامية .
 - ٧ - وأخرج النساء من الحشمة والحياض الإسلامية .
- ماذا بقي للدين ؟

وبعد هذه الدسائس اليهودية والمؤامرات الماسونية وقعت تركيا في شبكة
اليهود وأصبحت - كما وصفها الأدميرال شكيب أرسلان " ليست حكومة دينية من طراز
فرنسا وإنجلترا فحسب ، بل هي دولة مضادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيا
سواء بسواء .

اذ أنه حتى الدول اللادينية في الغرب بثوراتها المعروفة لم تتدخل
في حروف الأناجيل وزي رجال الدين وطقوسهم الخاصة وتلفسي
الكنائس " (٢)

(١) المصدر السابق : ٣ : ٣٤٦ ، ٣٤٥

ويراجع كتاب الرجل الصنم ضابط تركي سابق ، ت / عبدالله عبدالرحمن ،
بيروت ص ٢٠٥

(٢) حاضر العالم الإسلامي ، الأدميرال شكيب أرسلان ٣ / ٣٣٦

النموذج للحكام

وبهذه الحقيقة المرة صار هذا الشيطان الكبير (مصطفى كمال) النموذج الصارخ للحكام في عالمنا الاسلامي اعنى الحكام الذين اتبعوه فـى هذا الاتجاه المنحرف ..

ولقد كان لاسلوبه الاستبدادى الفذ اثره في سياسة من جاء بعد ، منهم .. كما اعطى الاستثمار الغربي مبررا كافيا للقضاء على الاسلام .. ولكن ربك لرب المرصاد ...

بهذا القدر نكتفي لتثبيت أن الخلايا الخفية لها يد خفية في جميع الحروب والثورات التي تعصف بحياتنا ، والفوضى التي تسيطر على عالمنا وبعد كل ذلك ندرك يقينا أننا لسنا مع مخلوقات عادية من لحم ودم ، بل مع القوى الروحية والفكرية التي تعمل في الظلام وتسيطر على معظم هؤلاء الذين يشتغلون المراكز العليا في العالم بأسره .. (١)

رأيناها قد أنزلت الولايات على المسيحية حتى أصبحت أوروبا دولة الحادية وكما رأينا أصابها أيضا تحرك الأمة الاسلامية المجيدة حتى أسقطت خلافتها المريقة ، ان دل هذا على شيء فانما يدل على أن القرآن المجيد وحى من عند الله حيث أخبرنا عنهم قبل أربعة عشر قرنا بقوله :

* ويسمون في الأرض فسادا *

* * *

ولكن ليس بأعجب من هذا الرجل عميل الماسونية وزمرته ممن ينادون اليوم — من عالمنا الاسلامي — باقامة حكومات علمانية ويقولون ان مصطفى كمال هو قائدهم الروحي .. يا للعجب !!

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليام ذى كار ص ٢

ان السرفي قولهم هذا مجرد تقليد أعمى وليس عن دراسة وعلم وانصاف في

التحقيق ..

انهم قلدها في هذا القول بحضرة الأوربيين الذين يمدحون مصطفى كمال على

فعلته هذه ..

فمثلا نجد (توينسي) يمدح مصطفى كمال على عمله واعتبره أعظم من هتلر

عبقرية في معرفة فن الهدم وقطع الصلة بالماضي ، وقال :

” ان الدولة القومية التركية التي أقامها مصطفى كمال على النسق الغربي

تبدو - وقت كتابة هذه السطور - عملا ناجحا لم يتحقق مثله حتى ذلك الوقت

في أي بلد اسلامي آخر ” (١)

وكما امتدحه (ولفرد كانتول سمث) - على طريقته الخاصة - قائلا :

” رأينا تركيا في سبيل رفعة شأنها وخلق مثل عليا جديدة لم تتردد

في سحق السلطات الدينية وألغت تعاليمها وحررت الاسلام وكشف النقاب عن

الدين الحق القويم ” (٢)

وبعبارة الأقوال انخدع هؤلاء الدعاة الى اقامة الدولة الملمانية فسي

العالم الاسلامي • ولكن الله غالب على أمره •

(١) مختصر دراسة التاريخ ، أرنولد توينسي ، ت فؤاد نبيل القاهرة ١٩٦٦ م •

١١٣/٢

(٢) الاسلام والخلافة ، على الحسن الخربوطلي ، بيروت ١٩٦٩ م -

ص ٢٨٥ •

ثانيا - الدعوات المفرضة للقومية العربية :

ان هذه الدعوات قد أسهمت في تحقيق مآرب اليهود في القضاء على الخلافة وقد استغل اليهود بعض مفكرى العرب من النصارى الذين لم يروا الا فساد الخلافة وظلمها فأبرزوا المساوىء على نطاق واسع ودعوا الى القومية العربية بأساليب بحث الشك في اولئك الدعاة الذين نادوا بتحرير العرب وفصلهم عن الخلافة مقلدين النزعات القومية التي اجتاحت دول أوروبا في القرن التاسع عشر . . (١)

ويعترف مؤرخو العرب من النصارى ، بأن الرواد الاوائل لحركة القومية العربية كانوا من (النصارى) ، وأنهم تعاونوا مع الماسونية الأوروبية وفروعها ومخاطبيها في المشرق العربي . . وكان لهذه الحركة أثر فعال في هدم الخلافة الاسلامية . .

وأسهم ادباء النصارى وشعراؤهم في نشر الافكار القومية منددين بالحكم التركي ومتعذرين بأمجاد العرب كما قال شاعرهم ابراهيم اليازجى :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب	فقد طسى الخطب حتى غاصت الركب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم	تستغضبون فلا يسبد ولكم غضب
أفذاركم في عيون الترك نازلة	وحقكم بين أيدي الترك مختصب
فشمروا وانهبوا للأمر وابتدروا	من دهركم فرصة ضمنت بها الحقب (٢)

* * *

(١) الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص ٨٠

(٢) القومية العربية في القرن العشرين ، تأليف دكتور توفيق برو ، دمشق ،

الأعمال السياسية

وعلى ضوء هذا كان نصارى العرب على صلة وثيقة بالجمعيات الهدامة
البيروقراطية وشبكات الجاسوسية العالمية ••
ولذلك كونوا الجمعيات السرية التي تناهض الخلافة الاسلامية وتدعو
الى حكومة لادينية ووطنية او قومية •

ولنذكر على سبيل الاختصار عددا من هذه الجمعيات منها :
جمعية بيروت (فارس نمر) وجامعة الوطن العربي (نجيب عازوري)
والجمعية القحطانية ، ثم الحزب القوي السوري (أنطون سمادة) واخيرا
حزب البعث (ميشيل عفلق) (١)

ولم تكف هذه الجمعيات في تنفيذ المخططات الماسونية في الحقل السياسي
وانما نفذوها أيضا في الأعمال الفكرية أيضا • واليك نموذجا من ذلك :
الأعمال الفكرية :

حاول هؤلاء النصارى تنفيذ هذه المخططات الماسونية في الفكر والثقافة
فاستعملوا لهذه الوسائل الآتية :

أ - الصحافة : فأصدروا صحفا كثيرة منها : الجنان والمقتطف والهلال وكان
محرروها أمثال نصيف اليازجي ويعقوب وجرجي زيدان يمثلون طلائع اللادينية
في الشرق الاسلامي •

ب - التراث الاسلامي : اتجه قسم منهم الى التراث الاسلامي اتجاها يشابه طريقة
المستشرقين فألفوا المعاجم اللغوية والقواميس والموسوعات للترجمة •• ومن
هؤلاء أحمد فارس الشدياق وبتروس البستاني ولويس شيخو •
(١)

(١) القومية العربية في ضوء الاسلام (رسالة ماجستير) صالح العبود ، جامعة

ج - الفلسفة : قد انكب بعضهم - تنفيذاً لمخططات الماسونية الجهنمية - على الفلسفات المرعبة فنشروا مؤلفاتها ومجدوا زعمائها ، وداعوا الحرب الى امتناعها واقامة حياتهم على أسسها .
من هؤلاء شبلئ شميل الدارويني المتطرف وسلامة موسى ..

د - الشعر : قد ظهر من هؤلاء النصارى شعراء أذكو بشعرهم الحماس القوي ضد الاسلام مثل ابراهيم اليازجي وبشارة الخوري والشاعر القروي وشعراء المهجر ..

يقول شبلئ شميل :

" ... الام تقوى بمقدار ما يضعف الدين فهذه أوروبا لم تصبح قويصة وتمدنة - فعلا - الا عندما حطم الاصلاح والثورة الفرنسية سلطة الكليروس على المجتمع وهذا يصح أيضا على المجتمعات الاسلامية " (١)

ان هذا مما لا بدع مجالاً للشك أن الماسونية لها يد في اسقاط الخلافة الاسلامية المجيدة ..

فلنتقل اذن الى الجزء الثالث والاخير لنرى كيف أسهم المبشرون ايضا في الفارة على العالم الاسلامي وفق مخططات الماسونية اليهودية العالمية ..

(١) المرجع السابق ص ٨٠

ثالثا - الصليبية الغربية الحاقدة :

قد مرّ بنا أن اليهود لما حاولوا بث مخططاتهم في قلب نظام الخلافة الإسلامية استعملوا خطوات عديدة قد ذكرنا فيها أولا الماسونية شتم القيمة العربية ثانيا والآن نحاول أن نتكلم عن الصليبية الحاقدة بكل اهتمامها لأن قصدنا هنا بيان خبث الماسونية التي كانت من أسباب الانحطاط الخفية في أوروبا الحديثة ثم تجاوزت أوروبا حتى امتدت لتهدم الخلافة الإسلامية .

الصليبية الماكرة الحقاء ، بعد أن رأت امتداد رقعة الاسلام ولا سيما بعد سقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني وزحف الاسلام حتى أبواب فيينا - فقد وضعت الصليبية الحاقدة نفسها في خدمة اليهودية العاتية ليسخرها رأس الأفعى في مساعدته على تحقيق خطط اليهود والتخريب .

ومن أجل هذا تحالفت قوى الصليبية الأوروبية في دول عديدة هي :
(22) (23) (24) (25) (26) (27)
بلغاريا ورومانيا والنمسا وفرنسا وروسيا واليونان وإيطاليا ، لمحاربة الدولة العثمانية وحرمانها من الهدوء والاستقرار والتفرغ للبناء .

وقد أدى الضغط الصليبي المستمر الى تضييق رقعة الاسلام في أوروبا . .
كما أدى الى تقطيع أوصال السلطة التي كانت تمتد من تركيا شمالا الى حضرموت جنوبا ومن ايران شرقا الى طنجة غربا . فضاعت الجزائر سنة ١٨٩٠ م ثم احتلت مصر سنة ١٨٨٢ م ومن بعدها تونس وليبيا والمغرب (١)

وفي الختام نشبت هنا ما قاله رئيسها رساليات التبشير الالمانية في تقرير وضعه عن أعمالها سنة ١٩٠٠ م :

(١) انظر الأفعى اليهودية في معادل الاسلام ، عبد الله النمل ص ٧٦ .

" ان نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج في البلاد النائية ولا في مستعمراتنا في آسيا و افريقيا ، بل ستكون في المراكز التي يستمد الاسلام فيها قوته وينتشر سرياً اكان في افريقيا أم في آسيا وبما أن الشعوب الاستوائية تولي وجهها نحو الاستانة عاصمة الخلافة ، لأن كل المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة اذا لم نتوصل الي قضاء لبتاتها فيها ..

ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية ارساليات التبشير الالمانية هو بئذ

مجهوداتها نحو هذه العاصمة وهي قلب العالم الاسلامي .." (١)

عنا انما عاصمة الخلافة - الاستانة - هي المقصودة أولاً ، لأن الخلافة

كانت المبعج الرهيب الذي يقض مضاجع المبشرين والمستشرقين من اليهود

كيف لا ! وهي التي كانت بهيبتها وسيطرتها تزلزل عروش أوروبا وتحمل

لواء الاسلام بصدق وأمانة .. وتذود عن المقدسات ، التي توحدت دون

حدود أو حدود طوال خمسمائة عام ..

ومن أجل هدم الخلافة ابتدع شياطين اليهود فكرة القومية التركيبية

(الطورانية) أولاً ثم القومية العربية اقتداءً بها ، ونكاية ...

وهذه هي اليد الخفية في أوروبا وفي العالم الاسلامي وفي العالم

كله

(١) الغارة على العالم الاسلامي راول شاتليه ، محب الدين الخطيب ط ٢

ثانيا - رجوع أوروبا الى ارثها القديم

في الجزء الأول قد تحدثنا عن دور اليهود في افساد أوروبا وقلنا أنه أحد السببين الخفيين من أسباب الالحاد ، وهنا نود أن نتحدث عن السبب الثاني الذي هو رجوع أوروبا الى ارثها القديم . ان أوروبا - بعد ما كبرت برب الكنيسة رجعت الى ارثها القديم . وهو الوثنية الاغريقية . فخير نموذج له الأسطورة الاغريقية الشهيرة .

" زيوس هورب الالهة والناس جميعا ، وكانت الصراعات بينه وبين الالهة تشب باستمرار وكان بينه وبين الاله " بروميتون " عداوة أيضا . فخلق بروميتوس الانسان من الطين وعندما انتهى من تشكيله نفخت فيه الروح الالهية " أثينا " وحقد زيوس على الجنس البشرى وقصد حرمانهم من كل خير ففى الدنيا وابتلاهم بحرمانهم من النار التي هي ضرورة جدا للانسان ، و لكن (بروميتوس) سرق النار من السماء أو من مصنع (هيفايستوس) اله النار والحرف . وبخاصة الحدادة كما علم البشر الفنون والحرف متحديا الاله الأكبر . فلما تعلم الانسان ذلك ، يش زيوس من قدرته على اهلاكه لكنه ظل على الدوام يتحين الفرصة للانتقام منه وتقليل فرص المعرفة أمامه كيلا يتجاوز حدوده فيصبح الاله . . " (١)

هكذا ورثت أوروبا الحديثة هذه الفكرة المنحرفة ، من الاغريق ، وفهمت من هذا الارث " الكبير " أن كل ظفر للانسان في مجال العلم والمعرفة - انما هو هزيمة لارادة الاله وكل كشف يصل اليه انما هو انتصار على هذا الاله المزعوم .

وبقيت هذه الفكرة في أخلاذ الناس في أوروبا ، وحتى بعد أن تخلت أوروبا عن عبادة زيوس وغيره ، ورفضت عبادة اله الكنيسة معتنقة عبادة الطبيعة ، وظلت

(١) انظر مثلاً أساطير الحريق ج ٥ سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الأساطير
الهيئة العامة للكتاب ، مصر . .

في أفكارهم هذه الأُمنية يعنى انتصار الانسان على (الله) عز وجل عن طريق انتصاره على الطبيعة . .

وكلمة اليونسكو في كتاب " تاريخ البشرية توضح هذه النية . .
 " كانت الفكرة العامة في معظم المجتمعات في العاضى ، ان الطبيعة موجودة ببساطة ، توءثر في حياة الانسان على نحو لا يتغير ، وازاء قوتها المارمة لم يحاول أن يطوعها كثيرا لاحتياجاته بل كان عليه أن يكيف نفسه وفق ما يلائمها ولكن انسان القرن العشرين . قد أخذ يخناق الطبيعة مما على أن يستخرج أسرارها وأن يستغل مواردها وأن يقهر آثاره الخطرة (١)
 ويقول نخبة من العلماء السوفيت في كتاب أصدره مايلي :

" الطبيعة كنم لا تبع بأسرارها . ففي تكب قوانينها بنظام غامض ثم تحكم ظلمها واخفائها بعيدا في خزانات متينة . . وهي لا تكشف عن أسرارها الا تسرا فلا تصلى الباحثين من هذه الأُسرار في كثير من الأحيان الا بدلائل للحقيقة فقط . . " (٢)

هذه هي فكرة العلماء الماديين الى الله عز وجل . فهم يحاولون - بكل ما أعطوا من قوة العلم أن يتغلبوا على الله حتى يصبح الانسان هو الله كما مر بنا ذلك سابقا . واعتمادا على هذه الفكرة اللاحادية ، ذهب بهم الخلو الى حد أنهم يرفضون ذكر اسم الله على أي بحث علمي .

يحكي لنا استاذ من أساتذتنا في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة . . انه قد شهيد في أوروبا بحثا قدمه طالب من المسلمين فكتب في الصفحة الأولى - (بسم الله الرحمن الرحيم) . . ولما رآه بعض الأُساتذة الأُوربيين استغرب فقال له : لماذا تكتب اسم الله على كتابك ؟ هل هو الذى بحث لك هذا البحث . .

أنت الذى قمت بهذا العمل بدون أى تدخل منه . . فلماذا تكتب اسمه ؟؟

هذا ما فعله هذا الارث اليوناني في افكار الملاحدة الأُوربيين الى هذا الحد يظهر لنا بكل وضوح آثار التراث اليوناني في البحث العلمى الحديث .

(١) الفضاء الخارجى والانسان تأليف مجموعة العلماء السوفيت ت/ زكريا فهمي ١٩٧ ص ٣٥

(٢) على مفترق الطرق ، محمد أسد ص ٦١

(٣) هذا الاستاذ هو محمد قطب قال ذلك في أثناء القائه لنا الدرس في السنة المنهجية بجامعة الملك عبد العزيز .

حواشي الباب الأول

- (١) برتراند رسل (١٨٧٢ -) (فيلسوف ورياضي انجليزي تعلم
بكمبريدج حيث تولى التعليم بعدئذ . . . عارض الحرب لمان الحرب العالمية
فسجن . . . وبعد الحرب كتب مؤلفاته في الاصلاح الاجتماعي . . . سمي
مذهبه الفلسفي (بالواحدية المحايدة) لانه يرى انه لا فرق بين عقل ومادة
الا في طريقة التكوين . . . وذلك ان الحوادث لا هي عقل ولا هي مادة .
- (٢) ستالين جوزيف فساريو نفتش (١٨٧٩ - ١٩٥٣) سياسي
ودكتور روسي وزعيم شيوعي اتهم انه اشترك في سرقة بنك ١٩٠٦ في تغليس
وقبض البوليس القيصري عليه خمس مرات بين (١٩٠٦ - ١٩١٣) ولكنه كان
يهرب في كل مرة ثم صار يحكم روسيا بيد من حديد حتى وفاته في مارس ١٩٥٣
- (٣) افبيون له رائحة قوية وطعم مر . . . ان تعاطى الافبيون بالتدخين
او المضغ ينتج عنه الادمان مما يسبب تدهورا في عقلية وصحة المدمنين . . .
وقد منعت بعض الحكومات زراعة الافبيون الا ان كل هذه القوانين لم تفلح في منع
التجارة فيه واستعماله بطرق غير مشروعة . . . الموسوعة ص ١٨٣
- (٤) جينتر ، سيرجيس (١٨٧٧ - ١٦٤٦) عالم رياضيات
وفيزيقي وفلك بريطاني . . .
- (٥) ولز هربرت جورج (١٨٦٦ - ١٩٤٦) اديب صحفي انجليزي
ولد في بروملي وتخرج في جامعة لندن ١٨٨٨
- (٦) يوحنا الرسول " احد الرسل الاثني عشر " اخو يعقوب بن زبدي
صاحب الانجيل الرابع وله ثلاث رسائل وكتاب الرؤيا كان التلميذ الذي كان
يسوع يحبه (يوحنا ١٣ : ٢٤ ، ١٩ : ٢٦) اوصاه المسيح عندما كان
مصلوبا ان يتكفل بوالدته (مريم) توفي يوحنا حسب اخبار القرن ؟ في
جزيرة باتموس - (رؤيا ١ : ٩) توفي أمس .
- (٧) متى القديس : احد الرسل الاثني عشر كان عشارا من كفرناحوم
راجع انجيل متى ٩ : ٩ - ١٣ . . . ولوقا ٥ : ٢٧

(8) مادة : كل ما يشغل حيزا من الفراغ وله وزن ومرونة وعزم وقصور هذا هو تعريف المادة في السابق . وعلى هذا يقول الماديون : ان المادة لا تخلق ولا تنعدم بل تتحول من صورة الى اخرى . وطبقا للتجربة الجزيئية ، تتكون المادة من جسيمات صغيرة تسمى " جزيئات " في حركة دائبة داخل الجسم . للمادة ثلاث حالات طبيعية : الصلابة ، والسيولة والغازية ، وأما الان أصبحت المادة لا يمكن تعريفها على وجه الدقة . لانها أصبحت تنقسم خلافا لمن قال انها لا تنقسم . ثم أصبحت المادة كيمياء من بروتين والكربون . فانفلت من أيدى الماديين كل ما كانوا يعتبرون حقيقة . تفصيل ذلك في الصفحة . ()

(9) فرساي : مدينة سكانها ٦٣١١٤ نسمة عاصمة محافظة السين ولواز (سن) فرنسا الى الجنوب الغربي من باريس بدأ ١٦٦١ لويس ١٤ تشييد القصر . ونقل اليه بلاطه ١٦٨٢ واكتمت الثورة الفرنسية لويس ١٦ على الانتقال لقصر التويلري بباريس ١٧٩٠ . حول لويس فيليب القصر الى متحف وطني . تشتهر هذه المدينة بكثرة قصورها وحدائقها . وفيها وقعت معاهدة فرساي في نهاية حرب استقلال الولايات المتحدة ضد انجلترا ١٧٨٣ وفي نهاية الحرب العالمية ١٩١٩ م راجع الموسوعة ص ١٢٨٩ .

(١٥) باستيل ، حصن وسجن حكومي بباريس كان يقع - حتى هدم ١٧٨٩ م - بالقرب من موضع ميدان الباستيل الحالي . بدأ تشييد ١٣٦٩ م تقريبا هيو اوبريو حاكم باريس في عهد شارل / ٥ / ثم وسع . ومن بين نزلائه المسجونين السياسيين : نيقولا فوكيه ، وذو القناع الحديدي وفولتير . وفي ١٤ يوليو ١٧٨٩ م هجم شعب باريس الذي غضب لطرده نيكرو - على الباستيل أملا في الاستيلاء على الاسلحة . وقتل حاكمه (المركيز دي لوني) واطلق سراح نزلائه السبعة . فكان هذا الحادث البداية الحقيقية للثورة الفرنسية واكتسب أهمية رمزية . واصبح يوم ١٤ يولييه العيد القومي للجمهورية الفرنسية . راجع الموسوعة ص ٣١١

(11) القسطنطينية : المراد بها هنا المسيحية التي غيرها الامبراطور القسطنطين في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ واما القسطنطينية : وهي استنبول اليوم مدينة في تركيا على ضفتي البوسفور ٨٤٥٠٠٠ ر هي بيزنطا القديمة اُسسها الاغريق الاقدمون (القرن ٧ ق م) وجعلها قسطنطين من عواصم الامبراطورية الرومية بعد ان سماها باسمه القسطنطينية ٢٣٠ ثم اصبحت عاصمة الامبراطورية البيزنطية الى ان فتحها الاتراك المثلثون ١٤٥٢ م وفيها استقر السلاطين وهي مركز تجاري هام ونقطة عسكرية حساسة في الشرق ، وبلد علم وفن الباني التاريخية وابدعها آجبا صوفيا وجامع السلطان سليم وخرانات المخطوطات النفيسة والمتاحف ٠٠ راجع شمس العرب ص ١٠٦

(12) غلاصم

(13) شلتوت محمود (١٨٩٢ - ١٩٦٣) عالم بالدين وشيخ الازهر ١٩٥٨ - ١٩٦٣ ولد ببنية بني منصور بالبحيرة ، بمصر التحق بمعهد الاسكندرية الديني ١٩٠٦ وكان ترتيبه الاول في جميع سنى الدراسة حصل على شهادة العالمية ١٩١٨ م عين مدرسا بالقسم العالي بالازهر ١٩٢٧ م . فصله الشيخ الظواهري من المعهد ١٩٣١ م فمارس المحاماة ٠٠ وبعد شهور اعيد الى منصبه مدرسا بكلية الشريعة ثم عضوا في لجنة الفتوى ثم وكبلا لكلية الشريعة ثم عضوا بالمجمع اللغوي عين شيخا للازهر في ٢٢ اكتوبر ١٩٥٨ م وظل في منصبه الى وفاته ٠٠ من مؤلفاته : " الاسلام عقيدة وشريعة " و " الدعوة المحمدية " و " القتال في الاسلام " و " المسئولية المدنية والجنائية في التشريع الاسلامي " و " فقه القرآن " ٠٠ الموسوعة ص ١٠٩١

(14) خلد الماء : حيوان ثديي نصف مائي استرالي يضح البيض ويسمى ايضا منقار البط وهو بني اللون . والرأس والجذع والذيل كلها عريضة مفلطحة وطول الذكر البالغ ٥٠ سم ٠٠ الموسوعة ص ٧٦٢

(١٥) صبني أو كروموسوم : شكل تتخذه المادة الصبغية في نواة الخلية

في اثناء مراحل الانقسام غير المباشر والانقسام الاختزالي ويعتمد شكل عدد الصبغيات على النوع . فهي في الانسان ٤٨ وفي ذبابة الفاكهة ٨ واما الاعداد الشائعة في النباتات فهي : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٤ وكلها اعداد زوجية . . واما الخلايا الجنسية فتحتوي بعد عملية الانقسام الاختزالي ، نصف هذا العدد وعندما يتحد المشيج الذكرى بالانثى يعود العدد الى اصله . . وتحتوي الصبغيات على الموروثات (الجينات) التي تحدد الصفات الوراثية المميزة وهي جوهرية في الوراثة وتحديد الجنس . . الموسوعة ص ١١١٥

(١٦) شمش : نبات اسمه العلمي برونس أرمينياكا ، يتبع الفصيلة

الوردية موطنه المناطق الاسيوية المعتدلة .

(١٧) دراق ويسى ايضا خوخ اسمه العلمي برونس دومستكا من

الفصيلة الوردية . . موطنها اسيا وتنتشر زراعته في المناطق المعتدلة شجرته صغيرة ازهارها وردية اللون جميلة المنظر تخرج مبكرة في اواخر الشتاء . . الثمرة كروية بديعة الالوان .

(١٨) بروتوكول : لفظ يطلق على الوثائق الرسمية : او الاتفاقات التي تقر

قواعد سياسية عامة . . صفاتها موجزة غالبا .

تعقد الوثيقة السياسية باجراء مفاوضات ويجمع لها مندوبو الدول المتعاقدة كما انها تعقد بالمراسلة ومثل هذه الاتفاقات لا تكون طريقة الاجل بل نافذة

لمدة معينة - الموسوعة ص ٣٥٧

(١٩) بلخراد : مدينة ١٩٨٨ ر ٤٦٩ نسمة عاصمة يوغسلافيا على نهر

الدانوب والساف وهو مقر لكبرى اساقفة كاثوليكى روماني وبارك ارثودكسى سى مفتاح البلقان . . نظرا لاهمية موقعها الاستراتيجى منذ عهد الرومان .

اصبحت عاصمة صربيا في القرن ١٢ . استولى عليها الاتراك (١٥٢١ م

(20) عبد الحميد الاول ١٧٢٥ - ١٧٨٩ سلطان تركي .. بدأ حكمه

بعقد معاهدة " كوجوك قيترجى " ليس هو المراد هنا .. وإنما المعنى هنا هو عبد الحميد الثاني :

(عبد الحميد الثاني) : ١٨٤٢ - ١٩١٨ سلطان تركيا واجلس مكانه مراد أخا عبد الحميد .. ولكنه انزل عن العرش بحجة جنونه واعتلى عبد الحميد الثاني مكانه .. قبل دستور مدحت باشا ولكنه ما لبث ان الغاه . استمر على الحكم حتى اكرهوه على منح دستور للبلاد سنة ١٩٠٨ ثم خلعوه ١٩٠٩ م وسجن اولاً في سالونيك .. ثم في جزيرة قريسة من ازمير .. الموسوعة العربية ص ١١٨٠

(21) مصطفى كمال : أتاتورك ١٨٨٠ - ١٩٣٨ مؤسس تركيا الحديثة ..

اتخذ هذا الاسم ١٩٢٤ بدلا من اسمه الذي كان معروفا به وهو مصطفى كمال ومعنى (أتاتورك) : أبوالاتراك ولد بسالونيك . أقام جمهورية " تركيا " ١٩٢٣ م وانتخب رئيسا لها .. وأعيد انتخابه في ١٩٢٧ و ١٩٣١ و ١٩٣٥ ثم شرع في حزم ونشاط كبيرين في تنفيذ برنامج واسع النطاق " من التغيير الداخلي " واقتباس النظم الغربية .. فغير معالم تركيا تغييرا كليا دون اية معارضة . فالقى الخلافة ١٩٢٤ م وفصل بين الدين والدولة .. واستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية .. واستعمال الطربوش والعمامة .. والحجاب .. وجعل القانون المدني يقوم على اصول التشريعات الاوربية بدلا من الشريعة الاسلامية وكان يشرب الخمر فأضرامانه الخمر بصحته .. ومات في سن الثامنة والخمسين .. راجع الموسوعة ص ٤٥

(22) روما : مدينة سكانها ١٩ر٤٤٠٠٠٠ في وسط ايطاليا قرب الساحل

الغربي على شفتي نهر التيبر عاصمة ايطاليا .. وفيها الفاتيكان مقر البابوية يطلق عليها (المدينة الخالدة) وكذلك (المدينة المقدسة) وهي مركز ثقافي وفني وديني منذ عهد طويل .. وقد مرت على روما عصور مختلفة :

(١) قبل عصر اغسطس (٢) وعهد الامبراطورية (٣) وروما في العصور الوسطى

(٤) وروما في عصر النهضة والعصر الحديث .. الموسوعة ص ٨٩٩

(23) النمسا او (اوستريا) جمهورية اتحادية ٨٢٨٥١ كم ٢ و
 ٧٠٢٠٢٦ نسمة باوروبا الوسطى بخترقها نهر الدانوب و تحد يوغسلافيا
 و ايطاليا جنوبا و سويسرا و (ليختنشتاين) غربا . . و باقريا و تشيكوسلوفاكيا
 شمالا . . والمجر شرقا . . عاصمتها فيينا ومقاطعاتها تسع . . وهي ممثلة في
 المجلس الاعلى من البرلمان الاتحادي ذي المجلسين . . ويغلب على سكانها
 المذهب الكاثوليكي واللغة الالمانية .

(24) فرنسا : جمهورية ٥٥٠٨٩٣ كم ٢ و ٤٥٨٤٠٠٠٠ نسمة في
 اوربا . . يحدها شمالا القنال الانجليزي . . وغربا المحيط الاطلنطي
 وجنوبا غربا اسبانيا والبحر المتوسط . . وشرقا ايطاليا و سويسرا والمانيا
 وفي الشمال الشرقي لكسمبورغ وبلجيكا . . عاصمتها باريس .
 وفرنسا اهم اعضاء (الاتحاد الفرنسي) وتشمل ٨٩ قسما اداريا . ويغلب على
 فرنسا الثقافة اللاتينية والدين الكاثوليكي . . ويرجع الفصل بين الكنيسة
 والدولة الى الصراع الذي دار ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م وقامت الثورة سنة ١٧٨٩ م .
 راجع الموسوعة ص ١٢٩٢ - ١٢٩٣

(25) روسيا . . الاسم الشائع الذي يطلق على اتحاد الجمهوريات
 السوفييتية الاشتراكية . قامت بالثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ م .
 (اليونان : اسمها الاغريقي القديم (هيلاس او الامن) تؤلف
 مملكة ١٢٩٨٨٠ كم ٢ و ٨٣٥٨٠٠٠ نسمة وتقع في جنوب شرق اوربا
 وعاصمتها (اثينا) راجع الموسوعة ص ١٩٩٤

(26) ايطاليا : جمهورية مساحتها ١١٠٢٠٢ كم ٢ وعدد سكانها
 ٥٠٠٤٦٤٠٠٠ تقع جنوب اوربا وعاصمتها روما . . تفصل جبال الالب شمال
 ايطاليا عن فرنسا و سويسرا والنمسا ويوجسلافيا . . وهي شبه جزيرة على شكل
 حذاء . . وتحتوي على مدينة الفاتيكان وسان مارينو . .

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٢ - ١	المقدمة
١	تعريف الالحاد
٢	الاشتقاق
٣	المعنى اللغوى
٨	تحديد معنى الالحاد الاصطلاحي
١١	موقف البشرية من الالحاد
١٤	موقف الاسلام من الالحاد
١٥	انواع الالحاد
١٦	كلمات مزيفة
١٧	كلمة الحضارة
١٨	الحضارة في الاصطلاح
٢١	مفهوم الحضارة عند الماديين المعاصرين
٢٣	كلمة العلمانية
٢٥	العلمانية في تعريف الغربيين الماديين
٣١	كلمة التطور
٣٥	فكرة عامة عن اوربا الحديثة
٣٦	بداية العصور الوسطى
٣٩	بداية العصر الحديث
٤١	الاكتشافات الجغرافية
٤٢	اوربا في النهضة العلمية والأدبية

شهادات من او ربا

٤٤	شهادة من النمسا
٤٦	شهادة من فرنسا
٥٠	شهادة من ألمانيا
٥٢	شهادة من أمريكا
٥٣	شهادة من بريطانيا
٥٥	شهادة من الهند
٥٨	شهادة جوستاف لومون
٦٢	هدايا الحرب للفرع
٦٣	طريقة الاستدلال العلمي
٦٥	سرتفوق العرب على الاغريق في الابحاث العلمية
٦٦	سرتقدم العرب على المسيحية
٦٩	فرقة عظيمة
٧٣	من هدايا العرب موسوعات الطب الاسلامية
٧٤	كتاب القانون ه ابن سينا
٧٩	الترجمة
٨١	كلمات عربية في اللهجات الاوربية
	<u>الصراع في تاريخ الفكر الاوربي</u>
٨٣	سيادة الدين
٨٥	سيادة العقل
٩٠	سيادة الحس
٩٣	بناة المذهب الوضعي
٩٤	كارل ماركس

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٩٧	الصراع بين الطبقات
١٠١	الدين مخدر
١٠٢	المذهب المادى التاريخي
١٠٤	الماركسية كنظام سياسى للجماعة
<u>ظروف عامة مهدت لقيام دولة الالحاد في الارض</u>	
١٢٩	اول ملحد يعرفه تاريخ اليونان
١٣٢	اول من فتح باب الرهينة في اليونان
١٣٢	نقد مذهب الذرى الديمقراطى
١٣٣	الصمد الرومانى
١٤١	الصمد الجاهلى
١٤٤	في عهد الكنيسة
١٤٦	اوربا المادية
١٤٨	حواشى التمريفات

الباب الاول

الفصل الاول :

١٦٣	لماذا الحد الناس في اوربا الحديثة
١٦٧	اسباب الالحاد العامة
١٦٨	استنكار هدى الله
١٧٠	البحث عن الله عن طريق الحس
١٧٣	مرض من الامراض القلبية

رقم الصفحةالموضوع

١٧٦

واقصيرهم المادى يكذبهم

١٨٣

بعض اقوال الطواغيت في العصر الحديث

الفصل الثاني :

١٨٦

اسلوب المفكرين في اسباب الالحاد

١٨٧

الاسباب الظاهرة

١٨٨

الدين

١٩٨

عقيدة اليهود في الله

١٩٨

الاصناف الحسية ليهوه

٢٠٤

اليهود والألوهية عموماً

٢٠٥

الانبياء في التوراة

٢٠٦

سيدنا ابراهيم و التوراة

٢٠٨

الدفاع عن التوراة

٢١١

فكرة موجزة عن التوراة

٢١٢

نماذج من تحريف التوراة

الفصل الثالث :

٢٣٦

طشبان الكنيسة

٢٣٩

القرآن بذكر بعض انبياءهم

٢٤١

صكوك الغفران

٢٤٥

هذه هي القاصمة

٢٤٦

المسيحية والداوقان

٢٤٩

الكنيسة تضطهد العلماء

٢٥٠

الاتاوات المالية

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٥١	فرض سلطانها على الملوك
٢٥١	قرارات الحرمان
٢٥٢	الخشوع والجدل لرجال الدين
٢٥٢	وقوف رجال الدين في صفوف الظلمة ضد الشعب المكافح
٢٥٤	جناية الرهبان على انفسهم
	من طغيان الكنيسة غياب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من
٢٥٦	الاناجيل الاربعة
٢٦٢	حقائق وأباطيل
٢٦٣	بشرية عيسى عليه السلام
٢٦٦	التثليث
٢٦٩	شواهد من كتب النصارى على عبودية عيسى عليه السلام
٢٧٠	انسانيته في الاناجيل
	<u>الفصل الرابع :</u>
٢٧٢	قوانين المادة
٢٧٣	ما آلت اليه المادية
	<u>الفصل الخامس :</u>
٢٧٧	مقارنة الأديان
٢٨١	قصة مقارنة الأديان في أوروبا
٢٨٢	مذهب التطور التقدمي
٢٨٢	المذاهب الروحية المشهورة باسم الحيوانية
٢٨٣	المذاهب النفسية
٢٨٤	المذهب الاجتماعي

الفصل السادس :

- ٢٨٦ الثورة الفرنسية
- ٢٨٨ ما لقيه المسجونون في الباستيل
- ٢٩٠ الصفحة المظلمة للثورة
- ٢٩٠ وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير
- ٢٩٢ الخلا يا الخفية في الجسم الاوربي
- ٢٩٣ الفكر اللاديني الذي طبع عصر التنوير

الفصل السابع :

- ٢٩٦ مذهب النشوء والارتقاء
- ٢٩٧ فكرة عن مذهب النشوء والارتقاء
- ٢٩٨ ملخص تاريخي لتدرج العقول في فكرة اصل الانواع
- ٣٠٠ العرض الاساسي لهذه النظرية
- ٣٠٢ الذنوب سبب هلاك الامم وليس الانتخاب الطبيعي
- ٣٠٩ موقف الكنيسة من مذهب التطور
- ٣١٢ موقف الملاحدة من النظرية
- ٣٢٠ مواقف بعض المفكرين الاسلاميين من النظرية
- ٣٢٨ اثار الداروينية في الحياة الاوربية
- ٣٢٩ عبت أوروبا الشيطان بطرق متعددة
- ٣٣٧ الرأي المؤيد
- ٣٤٣ خلق آدم
- ٣٥٥ الاستاذ محمد نريد وجمدى والتطور
- ٣٦٠ مصير دارون
- ٣٦٤ موقفنا من النظرية

٣٦٦	دور اليهود في افساد أوروبا
٣٦٧	الدور الصليبي
٣٨٣	من نتائج التعامل الربوي
٣٨٤	الدور النظري
٣٨٦	نظرية دارون ودور اليهود
٣٨٦	استغلال المنظمات السرية لمحاربة الأديان
٣٩١	المأسونية والخلافة الاسلامية
٣٩٥	مصطفى كمال رأس الأفعى اليهودية
٣٩٩	النموذج للحكام
٤٠١	الدعوات المفروضة للقومية العربية
٤٠٦	الصليبية الغربية الحاقدة رجوع أوروبا الى ارضها القديم
٤٠٨	حواشي الباب الاول

جامعة الملك عبدالعزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الإسلام

وأشارة في الحياة الأوربية الحديثة

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصّص الأولى (الماجستير)

من الطالب:
صالح السبيعي بامبا صالح

بإشراف الاستاذ:

محمد الغزالي

١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ

الجزء الثاني

الباب الثاني

مناقشة الملحدين

مستندات الملحدين في انكار وجود الله سبحانه :

توطئة :

قبل أن نخوض في مناقشة الملاحدة ، كان علينا أن نهيئ أولاً نقطة هامة وهي :
اننا عندما نناقش مستندات الملاحدة في انكار وجود الله لا لكونها أدلة قائمة
على الحق ، وإنما نناقشها باعتبارها شبهة تمسك بها الملاحدة في انكار وجود
الله - سبحانه - والا لا يوجد أحد - على الاطلاق - من الملاحدة ومن غير
الملاحدة ، يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول " ان الله موجود " كما
أن احدا لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول " ان الله غير موجود " .
وقد ينكر منكر وجود الله ولكنه لا يستطيع أن يؤيد انكاره بدليل . وأحياناً
يشك الانسان في وجود شيء من الأشياء ولا بد في هذه الحالة أن يستند شكه
الى أساس فكري (١) . ولكني لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلاً عقلياً واحداً ولا حسياً
واحداً على عدم وجوده سبحانه وتعالى .

وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده ، منها مقروءة في
الكتب ومنظورة في كتاب الكون من الذرة الى المجرة . . . (٢)

ولكن لما تسربت تعاليم الملاحدة في عقول كثيرة من الناس فالحدوا ، كان علينا
أن نقوم بدورنا من مقاومة هذه الأفكار الهدامة وبهان بطلانها وبعدها عن
الحقائق العلمية .

وعلى هذا الأساس نحاول هنا أن نناقش شيئاً من أفكارهم الخطيرة التي يضلون
بها الدهماء وضماف القلوب . . .

واليك بعضاً من أفكارهم ومناقشتها :

(١) راجع كتاب الله يتجلى في عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الأبركيين بمناسبة
السنة الدولية لطببيات الأرض ص (١٤٤)

الفصل الأول

قضايا الملاحدة

لقد قامت قضايا الملاحدة على مغالطات كثيرة وشبهات متعددة لا تعدولا

تحصى • الا أننا متبعون هنا أهمياتها وأهمها وهي كما يلي :

أولا - اصل الكون ونصيب الصدفة منه

ثانيا - نشأة الحياة وتنوعها

ثالثا - الدين يتعارض مع العلم مطلقا

تلك هي اهم حجج الملاحدة التي يتدعون بها •• وقد سارت هذه التعاليم ،
بواسطة الاستعمار والاستشراق والتبشير ، الى بعض الناس من الدهماء فأخذوا ••
ولسوف ننظر في صحة هذه القضايا الثلاثة ، على أسس علمية ان شاء
الله تعالى ••

جهد جهيد بذله الاستعمار والاستشراق والتبشير لتحقيق هذه الغاية ، ثم
تلقفه منهم " تلاميذهم " المسلمون في العالم الاسلامي كأمثال " د • عظم
وطه حسين " فأخذوا يرددون الاسطوانة في عالمنا الاسلامي ••

يقولون : أن أوروبا متقدمة ••

وليست متدينة ••

فتقدمت وتحضرت ووصلت الى القمة والسلطان ••

ونحن متدينون ••

وفي الوقت نفسه متأخرون ••

فينبغي أن نسلك الطريق القويم •• ننبذ ديننا - كما فعلت أوروبا ••

فنتقدم ونتحضر ونصل الى القوة والسلطان ••

وتلك خلاصة السموم في حياة البشرية ، التي وضعها التبشير والاستشراق والاستعمار ••
(١)

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٢٦٦
وراجع ايضا (صراع مع الملاحدة حتى العظم) عبدالرحمن حسن هينكة الميداني
ص ٢٥١ سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م فيه مقال للدكتور عظم بهذا الصدد . وراجع كتاب
الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين ص ١٢

أولا - أصل الكون :

من الدعاوى العريضة التي يدعيها أصحاب المذاهب الهدامة ، أنهم يعتمدون على الحقائق العلمية وعلى مناهج البحث العلمي الصحيح ، ويتجنبون الأوهام ، والخيالات التي تملق بها دعاة الأديان الخادعون والمخدوعون في كل زمان ومكان ..

وإن كان أصحاب المذاهب الهدامة ، مضللين في كثير من الأمور ، فالأمر الأول منها هو هذه الصفة العلمية التي يزينون بها مذاهبهم اللاحادية .. وهو مناقض لكل علم ، مخالف لكل حساب ..

سنرى عما قريب أن النظريات التي تروى الى تفسير الكون تفسيراً آلياً فإنها تعجز عجزاً تاماً عن تفسير كيف بدأ الكون .. وكيف انفصل الكوكب الأرضي عن السماوات .. (١)

تعجز لأنها وقعت في الخطأ من حيث المبدأ لكونها تسند كل ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى الى محض المصادفة ..

إن هذا يخالف مخالفة تامة قواعد البحث العلمي ، يخالف ما يجب على رجال العلم أن يتبعها في تفكيره وعمله وحياته ، فهو يتبع المبدأ الذي يقول بأنه لا يمكن أن توجد آلة دون صانع ..

وهو يستخدم العقل على أساس الحقائق المعروفة ويدخل الى معمله لكى يصل الى النتائج الصحيحة عن طريق الملاحظات والتجربة ..

(١) قلنا : " عن السماوات " ، ولم نقل : " عن الشمس " كما في تعبيرات الملاحدة .. لأن القرآن لم يقل بذلك ، ولم ندر أى سماء انفصلت عنها الأرض إذن إن القول بأن الأرض انفصلت عن الشمس بالذات ، مجرد ظن وليس من باب التجربة الحسية التي يعتمد عليها العلم الحديث .

سنرى - عاقرب - أبرز العلماء الطبيعيين الذين حاولوا أن يعطوا
 صفة الخالق للمصادفة العمياء ، وأنها هي التي خلقت نفسها بنفسها ..
 أليس هذا سخريه على عقول المشرحيين ؟ واحتقار من قيمة العلم الحديث
 نفسه ؟

ألا يجب على معجزات المعرفة العلمية المحاصرة في هذا الميدان وغيره ،
 أن تقود الانسان الذي يتأمل الى نتيجة عكسية تماما ؟ ..
 ان ذلك التنظيم الذي يتحكم في الكون ، وفي الحفاظ عليه ، ألا يراه كسل
 من يدرسه متزايدا في التعميد ؟ ..

أفلا يرون كلما تقدمنا في امتلاك العلم ، وخاصة فيما يتعلق بكل ما هو
 مستناه في الصغر مثل ذرة ، ازدادت الحجج القائلة بوجود الخالق المبدع
 الحكيم العليم الخبير .. ؟

ولكن الملحدين بدلا من أن يمتلئ بالتواضع أمام هذه الوقائع ينتفخ
 تكبرا على خالقه وبارئه ..

ذلك هو المجتمع المادي في تمام توسعه - الآن في الغرب ..

* * *

فيجب على المؤمن بالله - اذن - أن يجابهوا أولياء الشيطان الذين
 لوثوا عقائد الناس وأفكارهم بهذه الخرافات التي تحمل الصفة العلمية زورا
 وبهتاننا ...

يجابهوهم بحقائق القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
 خلفه ..

* * *

نعم ! ان هذه الموجة المادية وغزو الالحاد للغرب لم تظهر الا بسبب عجز
 المسيحية عن الصمود .. لماذا ؟ لأنها كانت مشغولة بطغيانها وحقاقتها ودهانيتها

والتمسك بجملها الموروث (1) .. هكذا كانت .. حتى أصبح الملحد لا يرى فيها الا نظاما تبناه البشر منذ حوالى الفى عام لا رساء سلطة لا قلبية قليلة على بشر مثلها .. ولا يجد في كتابها المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) لفنة تتشابه مع لفته ولو من بعيد ..

والكننا - (المسلمين) نريد أن نجابه هؤلاء بقرآتنا العظيم لكسى نردهم الى حجمهم الطبيعي .. نفهم كل ملحد أن فكرة المصادفة فكرة لا يتبناها الا الجهال " من العلماء " .

* * *

وأمثال هؤلاء الباحثين اذا سألتهم :

- كيف ظهرت مادة الكون الى حيز الوجود ؟
- ومن أين جاءت ؟ سيقولون : انها جاءت من المصادفة ..
- وما هو نوع القوى التى أدت الى نشوئها وانتظامها ؟ سيقولون : هى المصادفة ؟
- يا عجا ! من الذى قام بتزويد المادة بطاقة لا زمة لهذا النشو ؟ سيقولون : هو المصادفة !
- لو قلنا أيضا هل كانت لهذا الكون بداية ؟ سيقولون : لا ! ليست لها بداية ولا نهاية لأنها ترجع الى المصادفة
- ما حظ المصادفة - اذن فى نشو هذا الكون ونظامه ، أهى ممكنة أو مستحيلة ؟ ترى الملاحدة يصدون عنك صدودا ...
- فأصبحت القضية اذن - قضية صيدانية .. ومع ذلك كله .. سوف ندرس هذه الادعاءات على أسس علمية مستوحاة من القرآن الكريم والواقع المسلموس .. ان شاء الله تعالى ..

(1) أى ورثت هذا الجهل المطبق عن آباء الكنيسة الذين غيروا تعاليم المسيح ونسوا حظا مما ذكروا به ... وأما أصل ديانة المسيح كان يفيض بالعلم والنور ..

أصل الكون والفروض التي قدمها الملاحظة

ان التأمل في كتب الباحثين الغربيين عن أصل الكون ، يجدهم من خرجي

مدرستين اثنتين :

١ - مدرسة المذهب الذري . .

٢ - مدرسة الفلكيين الطبيعيين . .

وأما المدرسة الأولى هي التي أسسها الفيلسوف الملحد اليوناني (ديمقريطس)

(٤٦٠ - ٢٧٠ ق م) . . وقد سبق أن تحدثنا عنه ، وقلنا انه يرى العالم

مؤلفاً من ذرات متجانسة في طبيعتها . . ولا تنقسم ، ولا تفنى . (١)

فقد ناقشنا هذا المذهب في مطلع هذا البحث فلا داعي لاعادته هنا ، وأما

الذي يسمونها هنا هو المدرسة الثانية . . لأنها هي التي تدعى أن ما وصلت

اليه من علم نفي للدين من تلقاء نفسه . . وأن الذي أتت به قومها ، هو

النسبية . . ولا قول لأحد بعده . . وأنه هو الجسد . . وغيره . هو

الباطل . . (٢)

ان اصحاب هذه المدرسة قد عللوا أصل الكون ، بكثير من الفروض المتعارضة

أشهرها ثلاثة و نوجزها في الكلمات التالية :

الفرض الأول :- فرض (دي بوفون) (Bofone) العالم الفرنسي

(١٨٠٨ - ١٨٨٨) الذي يقول في كتابه (التاريخ الطبيعي) الذي نشره

عام ١٧٤٩ : ان المنظومة الشمسية نشأت من اصطدام الشمس بأحد المذنبات

السابحة في الفضاء . . وأن الصدمة أطارت منها السيارات فطفت تدور حولها

بحكم الحركة المركزية والجاذبية (٣) .

(١) الموسوعة العربية ص ٨٣٧

(٢) الزحف الأحمر ، محمد الخزالي

(٣) راجع عقائد المفكرين ، محمود العقاد ص ٣٥ - ٣٦

ولكن العلماء للذين تبعوه عرفوا من تركيب المذنبات ما لم يكن يعلمه
 (بوفون) في عصره ، فاستبدلوا بالمذنبات نجما عظيما يقارب الشمس ففى
 المظم ، لأن قوام المذنبات أخف من أن يحدث ذلك الاصطدام العنيف الذى
 فرضه (بوفون) . . .
 وبهذا أصبحت نظرية بوفون ، في زاوية النسيان . . . فانتقلوا الى نظرية
 أخرى وهى :

* * *

الفرض الثانى :- وهو فرض (لا بلاس) (Laplace) الفرنسى

انه أظهر خطأ آخر في نظرية (بوفون) . . . لأنه يرى أن السيارات طارت من
 الشمس على اثر انفجار شديد في باطنها . . . وأن هذه السيارات على شكلها الذى
 نعيده اليه . . . (1)

لا شك ان هذا يخالف فرض (بوفون) مخالفة تامة بل نقول : ان بينهما

تناقضاً بيننا لأن (بوفون) يرى أن الانفجار كان بسبب خارجى . . .

وأما (لا بلاس) يقول انه كان بسبب داخلى .

فأى الفرضين نأخذ به اذن ؟ ومع ذلك يدعون أنهم هم العلميون

الباحثون الحقيقيون وغيرهم هم الجهال لا يعلمون شيئاً . . .

(1) قد تقدم أن أشرنا فى مطلع هذا البحث أن نابليون بونابرت وجه
 سؤالا الى (لا بلاس) هذا عن عمل القدرة الالهية في تنظيم الأفلاك
 السماوية . . . فقال (لا بلاس) : " اننى لم أجد في نظام السماء ضرورة
 القول بتدبير اله " . انطلاقاً من هذا التفكير الشارد ، ندرك مدى الضلالة
 التى وقع فيها هؤلاء الباحثون الفلكيون . . . راجع عقائد المفكرين
 محمود المقاد ص ٣٠

ثم قال (لابلاس) ان الأجسام التي تتطابق من الشمس، ينبغي أن تدور
في شكل بيضاوي، بخلافه لأفلاك السيارات التي تستدير وتقرب من
شكل الدائرة التامة، فأثبت بذلك خطأ (بوفون) الذي يقول ان الدوران
كان بشكل دائري .. فأى القولين أولى بالصواب؟ (١)
فلنتقدم الى فرض آخر ..

* * *

(4)

فرض "كانت" (Kante) : الفيلسوف الألماني وله رأيا آخر وهو يشبه
نظرية (لابلاس) الا أنه يفوق عليه بالقول ان الشمس هي التي كونت
مجموعتها السيارة بنفسها (٢) دون تدخل أى جرم سماوي آخر ولا خالق
مدبر حكيم .. يوافق بهذا القول قول (لابلاس) الذي يقول : " ان
نظام الكون لا يحتاج الى أى اسطورة لا هوتية " .
وإذا قلنا للفيلسوف "كانت" .. كيف كونت الشمس نفسها ومجموعتها ؟
يقول :

" كانت الشمس في مراحلها الأولى كتلة ضخمة من الغاز المنخفض الحرارة
نسبياً . تملأ حيز المجموعة السيارة الحالي بأكمله .. وتدور حول محورها
ببطء ، وأخذت حرارتها تنخفض باستمرار لفقدائها قسماً منه بالأشعاع في
الفضاء المحيط بها ، مما جعلها تنقل تدريجياً ، ثم تولدت قوة مركزية
طاردة ناتجة عن هذا الدوران حول المحور أدت الى التفلطح التدريجي
لمادة السديم ، أو الغاز الأصلية مما ترتب عليه طرح عدد من الحلقات
الغازية من حافة خطها الاستوائي الممتد .. انظر الشكل (٢) ..

(١) عقائد المفكرين ، محمود العقاد ص : ٤٦

(٢) للتوسع انظر ايضا المريخ ، من ص ٦٠ الى ٧٠ وكتاب الجغرافية الطبيعية
ص ١٢ وكتاب الفضاء الكوني ، ص ٢٢٠ وكتاب " وجه الأرض " للدكتور

" وتكوين مثل هذه الحلقات من موارد تدور حول محورها .. ثم تفرض النظرية أن الحلقات الغازية المكونة بهذه الكيفية تقطعت فيما بعد .. وتكونت منها الكواكب السيارة ، أما نواة السديم ، وهي الجزء الأوسط والأكبر ، فقد بقيت ولم تنفصل منها حلقات ، وتكونت منها الشمس " .

والفيلسوف صريح في أن الصدفنة العمياء هي الخالقة الصائفة المدبسة

كما ترى *

فلما جاء العالم الانجليزي " كلارك مكسويل " خالفه في شكل الغازات فقال : " ان الغازات - في هذه الحالة - لا تتجمع على شكل كرة بل ينحني أن تتعلق حلقات متفرقات " .

ولكنه وافقه في أن الصدفنة العمياء هي المصدر الوحيد في تشكل الأجرام السماوية كلها ..

ثم صار الناس في أوروبا يؤمنون بهذه النظرية الأخيرة ويدرسونها في مدارسهم حتى تبين لهم أنها خطأ فانتقلوا الى فرض آخر وهو :

الفرض الثالث :- وجاء العالم الروسي الملحد (جورج جاموف) (4) -

(GAMW) فهو يرى : " أن انشقاق السيارات انما نشأ من مرور نجم آخر على بعد من الشمس لم يبلغ من قربه أن تصطدم بها ولم يكن من البعد بحيث يعبرها في طريقه فبرز من الشمس ، تنوء منجذب الى ناحية نجم آخر .. ثم انفصل على شكل مخروط تقطع رؤوسه على التوالي وتداركها الجاذبية وفعل الحركة المركزية فتتصلج منها هذه السيارات واحداها هذه الكرة الأرضية " (1) .

فلما ظهرت هذه الفكرة الجديدة ، قامت أوروبا وقعدت ، فأمنت بها بشكل
 قطيع ، واعتبرتها من الحقائق العلمية التي لا تجارى ولا تماثل . . . وبقيت
 هذه النظرية مقبولة حتى عهد قريب ، فظهرت في كل المؤلفات والكتب المدرسية
 التي تبسط العلم للجمهور . . . (١)

عودة الى نظرية التصادم

فبينما هم كذلك انهم يرجعون أيضا الى نظرية التصادم التي رفضوها أولا . . .
 وكانت هذه العودة على يد ثلاثة من علماء الفلك وهم : (ساميرلن ، ومولتون
 وجيمس جينز) .

ان هؤلاء الثلاثة ، رفضوا نظرية الانفجار الداخلي التي تبناها
 الفيلسوفان " كانت " و " لا بلاس " ورجعوا بأوروبا مرة ثانية الى نظرية
 التصادم التي قد رفضت من قبل . . .

الا انهم قالوا : ان سبب التصادم ليس كما يقول (بوفون) ولكنه كان بسبب
 هجوم جرم كبير على الشمس فاجتزا من الشمس أجزاء هي " الكواكب " .

تعديلات جديدة على النظرية

ثم ان العلماء الفلكيين غيروا آراءهم خلال المقدين ، تغيرا تاما عن أصل الكون . . .
 لأنهم بدؤا يقولون : " ان تكوين المجموعة السبارة ، لم يكن حادثا استثنائيا . . .
 كما يدعيه الفلكيون الأول . . . بل لا بد أنه تكرر عند تكوين الغالبيات العظمى
 من نجوم الكون . . .

وبناء على ذلك : لا بد أن يوجد في مجموعتنا المجرية وحدها ملايين
 السيارات التي تكاد تماثل الأوضاع الطبيعية لسطح الأرض " (٢)

(١) مثل كتاب جورج جامو : " ميلاد الشمس وموتها " الذي صدر عام : ١٩٤٠م

وكتاب " حياة الأرض " الذي صدر عام ١٩٤١م

راجع كتاب : " تاريخ الأرض " لجامو ص ٢١

(٢) نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين ، شوقي أبوخليل ص ٣٦

هذه هي النتائج التي قدمها علماء أوروبا للمالم ، فأمنوا بها لمجرد
التعصب الأعمى ...

انها نكسة كبرى ورجعية نكراء ان صح التعبير ..

ان القوم في بداية الأمر اتفقوا ^{على} جميعا / أن أصل الكون كان كتلة غازية
ثم تفرعت الكواكب ... قلنا هذا جميل ولكن كيف تفرعت عن الأصل ،
هل تفرعت بارادة منها أو من شيء آخر ؟

قالوا : ليس باختيار نفسها ولكن بصدفة عمياء : قلنا كيف ذلك : ..
قالوا : ان الشمس تصادمت مع مذنبات صفار .. ثم تبين لهم ان ذلك
مستحيل .. فقالوا انها تصادمت بنجم أضخم من الشمس نفسها ثم تركسوا
هذا الرأي بكامله .. فقللوا : ان الصحيح هو الانفجار الداخلي ..
فأمنوا بذلك برهة من الزمان ، حتى جاء اليوم الذي أعلنوا فيه مرة أخرى
أن الصحيح كل الصحيح هو نظرية التصادم ولكن بسبب هجوم نجم أكبر
من الشمس بكثير .. وهي النظرية السائدة الى هذه اللحظة ..

وأخيرا قرروا أن هذا التصادم لم يكن حادثا فريدا في تاريخ الكون
— كما هو المظنون — وإنما وجد هناك تصادمات عديدة في الكون .. واستنتجوا
من ذلك : ان مجرتنا تحتوى على العديد من السيارات .. أى أن العالم متعدد
في السماء . والأسرة الشمسية هذه واحدة من هذه الموالم ..

تلك هي النتائج المتطرفة التي حاربوا بها الأديان جميعا ..
وكيف لا تكون النتائج من هذه الفروض متطرفة عندما نعترف المواقف المتطرفة
التي اتخذها ابرز العلماء كهؤلاء .. الذين حاولوا أن يسطوا صفة الخلق
للمصادفة العمياء وانها خلقت نفسها بنفسها .. هذه سخريفة على عقول
البشر جميعا واحتتار من قيمة العلم الحديث نفسه . . الا يجب على معجزات
المعرفة العلمية المعاصرة في هذا الميدان وغيره — كما قلنا — أن تقود الانسان
الذي يتأمل الى نتيجة عكسية تماما .. ؟ فذلك التنظيم الذي يتحكم فى

الكون وفي الحفاظ عليه لا يراه كل من يدرسه متزايدا في التحقيد ؟
كلما تقدمنا في امتلاك العلم ، وخاصة فيما يتعلق بكل ما هو متناه في الصغر
مثل الذرة ، ازدادت الحجج القائلة بوجود الخالق المبدع الحكيم المليم
الخبير ، كما قلنا سابقا . . .

ولكن الملاحظة بدلا من ان يمتلىء عقولهم بالتواضع أمام هذه الوقائع ينتفخ
تكبرا ، هو يعتقد أن من سلطانه السخرية من " فكرة الله " كما يسخر من
كل ما يتصل بالدين من أخلاق وعفة وأمانة وإيمان .

ذلك هو المجتمع المادي في تمام توسعه - الآن - في الغرب (١)

ما هي اذن القوى الروحية التي يمكن دفعها لمجابهة تلويث هؤلاء الملاحدة
من العلماء الغربيين المعاصرين ؟ . . .

فقد رأينا فيما مضى من أول هذا البحث ان هذه الموجة المادية
وغزو الاتحاد للغرب لم تظهر الا بسبب عجز اليهودية والمسيحية عن الصمود . . .
كل منها غارق في الحيرة . . . ان المادي الملحد لا يرى في المسيحية الا نظاما
ابتناه البشر منذ حوالي ألفي عام لا رساء سلطة لأقلية قليلة على بشر مثلها . . .
ولن نجد في الكتب المقدسة (العهد القديم والعهد الجديد وغيرهما)
لغة تتشابه مع لغته ولو من بعيد . . . فهذه الكتب كما رأينا سابقا - تحتوي
على كثير من الأمور التي لا تتفق مع المعطيات العلمية الحديثة ومن المتناقضات
والأمور غير المحقولة وهل القرآن كذلك ؟ ؟ هذا ما نحاول الاجابة عنه في
الصفحات التالية . . . ان شاء الله تعالى . . .

(١) وقد تحدثنا عن هذه الجملة في الصفحات السابقة ، وأعدناها هنا
للأهمية . . .

موقف القرآن من أصل الكون

ان هذه الدراسة ،دراسة موقف القرآن من اصل الكون ، قد يبدو للبعض الناس انها قليلة الفائدة بدليل ان الناس منذ عهد نزول القرآن قد آمنوا بدون معرفة هذه الأشياء ، وهكذا ، يجب ان يؤملوا دون ان يحتاجوا الى هذه الدراسة الكونية ..

فنحن نخالف هذا الرأي مخالفة حاسمة فنبادرهم بالقول بأن دراسة الآيات الكونية لها مكانة خاصة في الدعوة الى الله في هذا العصر ، عصر العلم الكونية التي كشف الانسان بعض أسرارها فبلغ من القوة المادية ما بلغ ، وان لم يرح في استنطارها واستغلالها ما شرع الله له . ولكن هذا النوع من الدراسة يمجز الالحاد أن يجد موقفاً للتشكيك في الدين الا أن يتبرأ من العقل ..

اذا كانت الكتب المقدسة المسيحية عجزت عن مقاومة الالحاد لما اشتطت عليه من معلومات مظلمة ، فجاء القرآن الكريم بحقائق علمية كونية لم تعرفها الانسانية الا في القرن التاسع عشر أو العشرين ، أفلا يدل ذلك عند كل ذى عقل على أن خالق هذه الحقائق هو منزل القرآن ؟ ؟ .

ونكرر دائما أننا لسنا مع الذين يريدون أن يثبتوا القرآن بالعلم الحديث ولكننا نريد ان نبرز لهؤلاء الملاحدة جانباً من الكون العلمية التي احتواها هذا الكتاب العظيم . سواء وافق معطيات العلم الحديث أو لم يوافق وسنرى عن قريب أن اشارات القرآن الكريم الى نشأة الكون تخالف جوهرها - كل معطيات العلم الحديث في هذا الميدان .

وقد رأينا الفروض الثلاثة التي ذكرها هؤلاء (بوفون ولا بلاس وجوج جامو) ومن لف لفهم ... كلها تشير الى نقطة واحدة وان اختلفت في مظاهرها وهذه النقطة هي :

ان الكون جاء عن طريق المصادفة ولا يحتاج الى تدبير اله خالق . وأن الكون
تطور الى ما وصل اليه تطورا عشوائيا بدون اولادة ولا حكمة . هذا ما بينا كذبسه
في السابق . ولكن هنا نريد أن نبين للناس ان القرآن الكريم تناول الموضوع نفسه
ولكن بطريقة نظيفة يقبلها كل عقل سليم . . يقول تعالى :

* أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من
الماء كل شيء حتى أفلا يؤمنون * (١)

ان الآية الكريمة من عجائب الاعجاز العلمي في القرآن لأنها سبقت علماء
الفلك المحدثين الى ما قرروه من أن الكون كله ، قبل ان تشكل عوالمه
وجاراته ونجومه ، كان كيانا سديما غير متميز عن بعضه البعض ثم
أخذ يتميز ويتطور ، وهنا وقف العلم وصار ينتقل من فرض الى فرض لكي يصل كيف
تطور الكون وتميز بعضها عن بعض الى أن انتهى الى هذه الفروض الثلاثة
المذكورة .

* * *

ولكنا اذا رجعنا الى الآية مرة ثانية نجدها تشير الى أن الفتق كان
بأمر الله وإرادة الله ، هذا ما يفرضه الملاحظة فقال : * ففتقناهما * اذن

ان القرآن خالف العلم الحديث في كيفية تطور الكون بعدما كان سديما أو
دخانا على التعبير القرآني (٢) فانه يرى أن ذلك كان بفعل الله وإرادته وأما

أرباب العلم الحديث أسندوا كل ذلك الى الصدفة العمياء الخرقاء .

ثم اذا رجعنا الى الآية مرة ثالثة نجد فيها اعجازا آخر مدعاه . . نجد أنها
تشير بوضوح الى أصل الحياة وهي المسألة التي شغلت العقول في كل
عصور الانسان .

(١) الآية في سورة الأنبياء : ٣٠

(٢) إشارة الى قوله تعالى * ثم استوى الى السماء وهي دخان *

ان القرآن قد ذكر ذلك بايجاز فقال * وجعلنا من الماء كل شىء حى
أفلا يؤمنون *

فلا يسهل معنى ان كل شىء مصدره المادة كمادة جوهرية ، أو معنى ان لمصل
كل شىء حى هو الماء . ويتفق هذان المعنيان تماما مع العلمية . . . فالعلم
الحديث انتهى الى القول الى ان اصل الحياة مائى وأن الماء هو العنصر
الاول المكون لكل خلية حية (١) ولكنه لا يعرف من الذى خلق الماء فأسنده
الى الصادفة الحقاء فهل هناك غيب اكبر من هذا ؟ ؟

* * *

ان كلمة الماء في الاية شاملة لجميع انواع الهيا ، من ماء المطر
أو ماء المحيطات أو أى سائل آخر .
تدل على ذلك الايات التالية :

* . . . وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى * (٢)

* والله خلق كل دابة من ماء * (٣)

واذن فسواء كان المقصود هو اصل الحياة عموما أو العنصر الذى يجعل النبات
تولد في التربة ، أو كان المقصود هو بذرة الحيوان فان كل عبارات القرآن تتفق
تماما مع المعطيات العلمية الحديثة الصحيحة ولا مكان مطلقا في نص القرآن
لأى خرافة من الخرافات التى كانت سائدة في العالم في عصر تنزيل القرآن
الكريم . . .

فالحاد الملاحدة بعد ذلك الحق المبين يصبح مجرد التعصب أو مجرد
شهوة الالحاد التى لا دليل عليها . . .

(١)

(٢) سورة (طه) ٢٠ - الاية ٥٣

(٣) سورة النور ٢٤ - الاية ٤٥

القرآن معجزة قديما وحدثا

ان هذه الايات بقيت معجزة لعصرنا نحن ، كي يبقى القرآن في جملة
وكأنه أنزل ليومه هذا . . .

معجزات وآيات الصحابة من خلال آيات كتاب الله ، لم نرها نحن . . . كقوله
تملئ : * غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيخلبون * (١)
وتحقق ما أورده القرآن الكريم ، فغلبت الروم وانتصر الفرس . . . ثم قال
عز شأنه مخبرا عن ستكون له العاقبة * وهم من بعد غلبهم سيخلبون *
وحددها * في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد . . . * (١)

هذا ما حدث فعلا حسب أخبار القرآن الكريم ، حيث جمع هوقل جموعه
بتركيز كبير وهاجم الفرس الذين استكانوا للنصر ولذاته ، وقتلوا عن الحفاظ
عليه ، فانتصر عليهم ، أيام انتصار المسلمين في بدر (٢) .
ولما ملك " شبرويه " في فارس صالح الروم عام ٦٢٨ م ورد أسراهم
وردوا أسرا . . .

انها لمعجزة كبيرة تفوق حدود القياس والمعارف الانسانية . . .

* * *

معجزة الوعد والوعيد

وقال عز وجل قبل غزوة بدر الكبرى * وان يمدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله ان يحق الحق
بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كرهه
المجرمون * (٣)

(١) سورة الروم : الاية الكريمة ؛ ٣ ، ٤٦

(٢) في شهر أيار عام ٦٢٤ ميلاديا ؛ عن كتاب الانسان بين العلم والدين ، خليل

شوقي ص ٤٣

(٣) سورة الانفال : الاية الكريمة ؛ ٧ ، ٨

هذه الايات تنبأت بمستقبل غيبى آت .. انها ايات دقيقة وحساسة
جدا ..

فالدعوة الاسلامية في بدء بها . فلو جاءت آية واحدة مخالفة لما تنبأت
به ، لشك الناس بالنبوة وشكوا بصحة القرآن الكريم ولجعلها الكافرون والمشركون
سلاحا اعلاميا مضادا ..

ولكنه القرآن الكريم .. وحى السماء الى الارض .. لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزىل من حكيم حميد ﴿ (١)

* * *

هذه من المعجزات التي رآها الصحابة .. وهانحن اليوم نرى معجزات كثيرة
من معجزات القرآن الكريم .. ومن هذه المعجزات (أصل الكون) وتكوينه
من الدخان ثم فقهه الى ما شاء الله تعالى .. وعندما أراد العلم الحديث
أن يتناول الى ذلك أخفق وسنرى في خلال هذا الفصل معجزات أخرى كلها
تؤكد أن القرآن وحى من عند الله .. ولكن الملاحظة قصارى النظر .. لا يهتمون
بالدين وكل ما يتصل به .. فلذلك تراهم في طغيانهم يعمهون ..

* * *

ومن أهم ما اتخذته الملاحظة سندا لنقض الأديان هو قضية نشأة الحياة
انهم يدعون أنهم قد عرفوا ذلك بطريقة العلم الحديث ..
وفي الصفحات الاتية محاولات لبيان كذبهم وافتراءهم .. وقبل ذلك نود أن
نسجل هنا كلمة لبعض الباحثين المنصفين من الغربيين وهو (د . واين أولت)
اذ يقول :

" أما النظريات التي ترى الى تفسير الكون تفسيراً آلياً فانها تمجز عن تفسير
كيف بدأ الكون .. ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى الى محض
المصادفة " (٢)

(١) سورة فصلت الاية الكريمة : ٤٢

(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص : ٣٨

الفصل الثاني

نشأة الحياة وتنوعها

لقد رأينا في السطور الماضية أن الملحدين يقولون : ان الحياة بدأت خلية واحدة ، ثم بدأ التكاثر يعمل عمله (١) ، والانتخاب الطبيعي يعمل عمله بطور - حيناً - بعض الكائنات من جرثومة صغيرة الى حيوان كبير . ثم يتطور الكبير الى جرثومة صغيرة أيضا . وهكذا يعمل التطور عمله حتى وصلت الحياة الى ما وصلت اليه الآن . . .

ولكن هل لهم على هذا من برهان ؟ . . .

والجواب لا ! لو كان عندهم برهان ل فعلوا ذلك في معاملهم ، لأنهم يدعون أن كل شيء في الحياة معروف - وكل شرط تحتاجه الحياة يمكن أن تتوفر في المصنع .

والعناصر التي تتركب منها الاحياء - يقولون - انها معروفة ، ونسبها معروفة ، وأجزائها معروفة . . .

فبقيت الظروف ، لأنهم يقولون : ان الظروف الأولى التي ولدت فيها الحياة لا تتوفر بالسهولة . . .

فنقول لهم : يمكن لكم أن تقدروها وتوجدوا ظروفها مثلها ؟

هيهات ! لن تستطيعوا أبدا ! والا فجربوها !

وقد ناقشهم القرآن - ومن قبل مناقشة هادئة لا مفر منها أبدا فقال :

﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله

لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف

الطالب والمطالب . . . ما قدروا الله حق قدره ﴾ (٢)

(١) الله جل جلاله ، سعيد صوي ص ٥٦

(٢) سورة الحج الآية : ٢٣ - ٢٤

روسيا الملحده تبحث عن نشأة الحياة

ولقد حاول الملحدون في روسيا الملحده أن يبرهنوا على امكانية نشأة الحياة كيميائية ، وذلك - في زعمها - كدليل تثبت به مذهبها الالهادي ..
وكيف كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة كالتالي :

وقد كلفت هذه الدولة الملحده ، بهذا الموضوع " أوبارين " رئيس المعهد الكيميائي في الاتحاد السوفياتي ، وطلبت أن يتفرغ للبحث في أمر واحد ، وهو مدى امكانية ايجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائي .
وبعد عمل متواصل قارب (عشرين عاما) أعلن حوالي سنة ٦٣ عن انتهاءه من دراسة هذا البحث ، وأعلن عن النتيجة التي توصل اليها ، في تقرير رسي أذاعته جميع وكالات الأنباء في العالم اذ ذاك ، وهي :
أن العالم الكيميائي عاجز عن ايجاد الحياة في المخبر ..
والعلم لا شأن له الا بالمادة المحسنة ..

* * *

وكانت الفرصة مهيأة لهذا الرجل ولاهل روسيا أن يؤمنوا بالله ويتوبوا عن الحادهم وتمردهم على الله ، ولكن سبقتم اليهم شقوتهم .. وبدل أن يعترف هذا الباحث الملحد بأن الله هو خالق الحياة ، أجاب على سؤال كانت صيفته :

" هل التفاعل الكيميائي في المادة قادر على بحث الحياة ، كما انبعثت الحياة الأولى منذ ملا بين السنين وعلى الصورة التي دعاها أرست هيكل ؟
- ان هذا ممكن ولكن في كواكب أخرى غير كوكبنا هذا . (١)
هل رأيت - أيها القارئ الكريم - تهربا واضحا اكثر من هذا الجواب ؟

(١) راجع الله جل جلاله ، سعيد صوي ص ٥٧

ومع هذا التهرب الواضح نقول لهم :

اذن لم تستطيعوا صناعة الحياة وكل شيء متوفر ؟

أفلا يدل هذا العجز الانساني على أن هناك قوة عظيمة أقوى من كل ما

يتصور ؟ هي موهب الحياة كلها ؟

أفلا يدل ذلك على أن تلك القوة هي خالق الحب والنوى ؟

يخرج الميت من الحي .. ويخرج الحي من الميت ؟

ويحى الأرض بعد موتها ؟ ؟

* * *

والواقع ان عامة الذين لا يؤمنون بالله يتهربون من هذا الموضوع بمشغل

هذه الادعاءات ؟

تصور معنا أيها القارئ في قولهم :

" ان الحياة قد جاءت من بعض الكواكب في شكل جرثومة انسلت دون

أن يصيبها تلف ، وبعد أن بقيت زمنا غير محدود في الفضاء استقرت

على الأرض ، ومن ثم تسلسلت الحياة عن تلك الجرثومة ، أو يقولون .. انها

وصلتنا عن طريق نيزك أصاب أرضنا " (١)

هل هذا الكلام معقول ؟

هل هذا الكلام يفسر لنا حقيقة علمية ؟

الجواب : لا !

اذ كيف استطاعت هذه الجرثومة أن تبقى حية في درجة الصفر المطلق

في هذا الفضاء الواسع ؟

فلنقل نعم استطاعت أن تبقى رغم ذلك ، ولكن كيف نجت من الاشعاع الكثيف

ذي الموجة القصيرة الذي يقتل أمثالها ؟

فلنقل أيضا - مجازاة معهم - انها بقيت حية رغم ذلك ، ولكن كيف وجدت
لنفسها مكانا ملائما في الأرض ؟

وكيف وجدت هذا الاتفاق المدهش في الظروف ، حتى توالدت فبدأت الحياة ،
وكم من السنين استغرقت هذه الرحلة التطورية حتى وصلت ؟

* * *

فلنقل نعم ! كل ذلك ممكن وحتى ..

ولكن كيف بدأت الحياة على ذلك الكوكب الأول ؟

هذا سؤال يسبق دائما - بدون جواب الى يوم القيامة ..

اذن ان المنطق الوحيد المعقول ، هو أن الله الحي هو وحده خالق الحياة ..

* والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون .. أموات غير

أحياء وما يشعرون آيات يبعثون * (١)

ولا يستويان في منطق العقل :

* أنمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * (١)

ولا يستويان كذلك عقليا :

انسان نسب الحياة الى المصادفة الحمياء ، وآخر ينسبها الى الله ...

والقرآن يقول ان الذي يجعل الملاحظة ينسبونها الى المصادفة هو : الغفلة ..

فيهم لا يستعملون قلوبهم ، استعمال الفقه والفهم الصحيح ، ولا ينظرون الى المخلوقات

نظرا للاعتبار والتفكير ، ولا يسمعون نداء الله بواسطة رسله - سماع من يطلب الخير

لنفسه .. فلذلك نزلوا بقلوبهم هذه ، وأعينهم هذه ، وأذانهم هذه ، التي

مستوى البهيمة .. وبتعبير أدق ان البهيمة أعدل وأبصر وأسمع من

هؤلاء الملحدين :

(١) سورة النحل الاية : ٢٠ - ٢١

(٢) المصدر السابق الاية : ١٧

* ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ،
ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام
بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون * (١)

* أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون * (٢)

ان الكون مخلوق لا خالق ، ومن أعطى الكون أو الطبيعة صفة الخلق ،
فقد أشرك بالله جبلا وسفاهة • بل قد أهدى في الله تعالى •

نشأة الحياة لا تعطى الا بالله •

وجود الأنواع والأجناس لا يعطى الا بالله •

وما في الحياة من عجب لا يعطى الا بالله •

وكل جزئية من هذا كله آية من آيات الله •

* ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا * (٣)
ونفتح هذا الفصل بقولنا :

ان نشأة الحياة دليل على الله •

وتعقيدات الحياة دليل على الله •

وتنوع الأحياء دليل على الله •

ومركز الانسان في هذا الكون بصفاته العليا دليل على الله •

وفي النفس البشرية - اخلاقها وعجائبها - دليل على الله •

فبيل يبقى لمحمد بعد ذلك من حجة أو سبيل ؟ الاحجة الجليل وسبيل

الموسى المؤدى الى البوارثم النار * ألا لعنة الله على الملحدين * والحياد
بالله من الالحاد ••

(١) سورة الاعراف الآية : ١٧٩

(٢) = = = : ١٩١

(٣) سورة الاسراء الآية : ٨٥

الفصل الثالث

الطبيعة أو الصدفة

بعد ما تبين لنا ، بما لا يقبل الشك ، أن الاحاد ينتج عن الجمل لا عن العلم ، وتبدلت أماننا تلك الشبهات بقيت هناك شبيهة من شبهات العصر وضلالة أخرى من ضلالتة وهي - كما يظهر لك - مصطنعة كما تصطنع الأصنام .. مخيبة على الافكار كما تخيم الأوهام ، ولكنها - بكل أسف - مع اصطناعها هذا ، وعدم استنادها الى أساس ، نجدها مسيطرة على عقول كثير ممن يدعون " الثقافة والمعرفة " ، وقد أصبحت غشاوة على قلوبهم دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتحري .. تلك الشبهة هي : قولهم : ان الطبيعة هي التي أوجدت نفسها .. وبتعبير آخر ، ان الطبيعة وجدت عن طريق الصادفة .. اله العصر المزعوم ..

* * *

حينما تبادر أحد الطبيعيين بالقول :

من خلق السموات والأرض ، يقول : الطبيعة ..

من خلق النبات والحيوان ؟ يقول : الطبيعة ..

من خلق الانسان ؟ يقول لك : الطبيعة ..

من يدبر جميع هذه الأمور الفلكية ، والحيوانية والفرزية ، وكل بحساب دقيق

(١)

ونظام لا يحيد ، فسيقول لك : الطبيعة ..

وكل ما خفي عن الادراك ، سببه ، فسببه الطبيعة ..

وإذا قلت كيف جاءت الطبيعة نفسها ؟ قالوا : انها جاءت عن طريق

الصادفة أو أوجدت نفسها بنفسها .. يا للعجب !

(١) راجع كتاب الله جل جلاله ، سعيد صوى ص ١٢٣

وكل منطق يؤدي في نهايته الى التسليم بوجود خالق مدبر حكيم عند المؤمنين
 ينتهي عند الملاحظة بوجود شيء لا وجود له هو المصادفة . . وكل ما كان
 وكل ما يكون ، وكل ما هو كائن فعلته الأولى هي المصادفة وأساسه الحقيقي
 هو المصادفة ، منها صدر ، وعليها يقوم ، وبها يتخذ ما شاءت له
 المصادفة من شكل أو كيف أو اتجاه . . (١)

وليس شأننا في هذا البحث أن نكتفي بالتسفيه والتشنيح ، ولكننا نناقش
 الأمر من جميع الوجوه . . نناقشه بأقوال الكثرة الكاثرة والأغلبية الساحقة من
 أمثالهم من أساطين العلم الحديث . .

ثم نترك المجال للطبيعة نفسها لتكذب فكرة الصدفة العمياء . . وبعد ذلك
 نتقل الى مناقشة افكار بعض الملاحدة المؤيدين للصدفة وأخيرا نقرر للملاحظة
 قانون الصدفة للبيان أن الصدفة ليس لها عمل في الخلق . . .

* * *

أولا - الطبيعة والكون :

الطبيعة في اللغة ، تعني الخلق والسجية ، وقد جاء في تاج
 العروس قوله : " والطبع والطبيعة والطباع ككتاب الخلق والسجية
 التي جبل عليها الانسان " (٢)

أما الكون في اللغة : فهو (الحدث) (٣) إذ أن لفظة (كون) في
 الأصل تدل على حدوث شيء ، أما في زمان ما أو زمان حاضر . . (٤)
 إذن ان كلمة الطبيعة تختلف عن كلمة الكون اختلافا بينا . .

(١) راجع الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، محمد علي يوسف ص ٣٤ - ٣٥

(٢) الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ج ٥ ص ١٤٢٨

(٣) ابن منظور لسان العرب ج ١٣ مادة الكون

(٤) ابن فارس ، مقاييس اللغة ج ٥ مادة الكون

وللكون عند المتكلمين مرادف للوجود^(١) . وأما معنى الكون في القرآن هو عبارة عما يكون بالارادة الالهية من الموجودات على اختلاف الوانها واشكالها بعد أن لم تكن^(٢) . يقول تعالى * اذا قضى أمر فانما يقول له كن فيكون *^(٣) وتطلق الكلمتان : الكون والعالم على كل شيء سوى الله لعدم اتصافه بالحدوث . . . وقد استعمل الأوربيون كلمة الطبيعة (Nature) بمعنى الكون أو العالم . فالطبيعة في اصطلاحهم : هي العالم بما فيه من أشياء مختلفة^(٤) وهي تنقسم الى مفهومين في عقولهم :

المفهوم الأول :- انها عبارة عن الأشياء بذاتها ، فالجماد والنبات والحيوان كل هذه الكائنات هي الطبيعة وهو مفهوم غير دقيق ، وحكم غير سديد كما سيتضح لنا فيما يلي :

المفهوم الثاني :- انها عبارة عن صفات الأشياء وخصائصها فهذه الصفات من حرارة وبرودة ، ورطوبة ويوسية وملاسة وخشونة ، وهذه القابليات من حركة وسكون ، ونمو واغذاء وتزاج وتوالد كل هذه الصفات والقابليات هي : الطبيعة .

هذان هما المفهومان لمعنى الطبيعة عند الأوربيين . فما نصيبيهما من الحق اذن ؟ ؟

أما القول الأول فلا يخرج بالطبيعة - بالنسبة لخلق الوجود - عن تفسير الماء بالماء . يقولون : الأرض خلقت الأرض ، والسماء خلقت السمااء والأصناف صنفت نفسها وكل شيء أوجد ذاته . وهو في الوقت نفسه ، الخالق والمخلوق ، والحادث والمحدث . . .

(١) البستاني ، بطرس ، محيط المحيط مادة الكون مكتبة البيان

(٢) التيهانوني . كشاف مصطلحات الفنون مادة التكوين

(٣) سورة مريم ٦ آية رقم ٣٥

(٤) الجفرة المفتعلة بين العلم والدين : محمد علي يوسف ص ٤١

وبطلان هذا القول واضح ، لا يحتاج الى أية مناقشة ، فهو ادعاء بان
 الشيء وجد بذاته من غير سبب . وقانون السببية عند جميع العقلاء - ما عدا
 الملاحدة - يبطل ذلك . . فمذهبهم هذا يدل على اندماج الخالق والمخلوق
 في كائن واحد فالسبب هو عين المسبب وهو مستحيل ، بل هو من التيهات
 والتناقض الصريح بحيث لا يحتاج الى الوقوف والشرح . .

أما القول الثاني : الذي هو جعل قابليات الاشياء خالقا لها . نقول :
 لو تكلف هؤلاء في البحث عن قابليات الاشياء التي اعتمدوا عليها فسي
 خلق الاشياء لوجودها سرايا خادعا يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم
 يجمد شيئا . . ولا بد من توضيح ذلك بطريقة علمية :

لو اردنا استنبات حبة قمح ، نضعها في التراب أو القطن المبلل بالماء
 فتنتفخ هذه الحبة وتنطلق فيظهر منها - أولا - الجذر متوجها نحو الاسفل
 ثم يظهر الساق يتوجه الى الأعلى ، ثم تظهر الاوراق فالأزهار فالثمار .
 وفي هذه الحالة ، اذا سألت الملحد من الذي أنبت هذه الحبة يقول انه
 القابلية . . القابلية فقط !

فلا بد - اذن - أن نبحث عن هذه القابلية وعن حقيقتها :

لو لم تنتفخ الحبة وتنطلق لما نشأ شيء . فمن الذي نفخها وقلعها ، لو كان
 للحبة عقل وتدبير لقلنا : ان عقلها هو الذي هيأ لها ذلك ، ولو ان الماء هو
 الذي نفخها وقلعها ، لا يمكن للماء أن ينفخ في الحديد ويفلقه ، اذن فلا
 بد من مؤثر وقبول لذلك المؤثر ، وان كانت الحبة بذاتها - جدلا - انتفخت
 وانفلقت فلماذا لم يجمد وتضمر بدلا من أن تنتفخ وتنمو ولكي يحصل التكاثر والبقاء
 يحتاج الأمر الى عقل وادراك ، ومضياح مرسوم من قبل تلك البذرة ونعلم ومعنا
 الملاحدة ، أن البذرة لا تملك شيئا من ذلك ، فكيف حصلت اذن ثمرة بحينها ؟
 بل كيف حصلت ثمار كثيرة متنوعة ؟؟

وكيف كضت الغاية المحيطة والصفات المقصودة في صميم كل بذرة منها ؟

والحقيقة أن من أنعم النظر في تعبير الملاحظة المستندين الى القابلية حينما يقولون : طبع النبات على ذلك ، انتفخت الحبة وانفلقت وتوالدت الخلايا ، تميل الخلية الحية الى الانقسام يجد أنها افعال مبنية للمجهول لجبرلهم أو تجاهلهم الفاعل الحقيقي . . . فكان الملحد الطبيعي أغض العين عن السبب الحقيقي وبنى الفعل للمجهول تخلصا من ذكر الله تعالى .

فتقول له : فمن الذى نفخ في الحبة ؟ ومن الذى فلقها ؟ ومن الذى أدى الى التواليد ؟ ومن جبل الخلية على الانقسام ؟ ومن الذى جعلها تنتفخ بدلا من أن تضمر ، كل هذا التحقيق لا تصل اليه نظرة الملاحظة الطبيعية القصيرة ! بل هي مقتصرة على وصف الظواهر دون الذهاب لادالى أسبابها ، بل هي مخطئة في جعل الصفة المنفصلة سببا فاعلا ، والقابلية مؤثرا ، والظاهرة المجهولة عاملا مكونا . . .

والمعجب أن تجد الملحد الطبيعي يجعل من مجموع هذه الصفات مفهوما مركبا سماه (قابلية التوالد والنمو) ، فجعل من القابلية التى هي عرض من أعراض الشئ سببا في الخلق ومن الصفة الانفعالية التى لا تسمى ولا تدرك سببا فاعلا واعيا في تكوين الأشياء !

اذن فمن الذى ركز الطبيعة في العناصر ؟ ومن الذى نوع تلك الطبايع ؟ اذا قلت ذلك ترى الملحد ين - بدون حياء - يقولون : ان ذلك كله من فعل الصدفة ! الصدفة وحدها التى اعطت الطبيعة قانون الطبيعة

وانا قلت ان بذرة الشمس وبذرة الأرز مثلا حين توضعان في التراب تنتج كل واحدة منهما ثمرا يختلف عن الآخر ، بلونه ، وطعمه ، ورائحته مع أنه يسقى بماء واحد ، ومع اتفاقنا على أنه ليس للبذرة عقل ولا لجذر الشجرة ادراك ، فكيف كان الجذر يمتص الماء ويصطفي ذرات بعينها ، ويكون العصارة ، وينشئ الحلاوة اذا قلت له ذلك يرجع الى صنمه الأول فيقول : ان ذلك من فصل الصدفة وقوانين الطبيعة واليك قول هكسلى :

اذا كانت الوقائع نتيجة للعمل الطبيعية فهي بالطبع ليست نتيجة للعمل
ما فوق الطبيعة " (١)

* * *

أين يكمن الضعف في استدلال الملاحظة الطبيعيين ؟
اننا نستطيع فهم هذا الضعف من المثال البسيط التالي :
قد يشاهد احد الرجال قاطرة تجرى على قضبان الحديد فيتبادر الى ذهنه
سؤال : كيف تجرى هذه المجالات الثقيلة ؟

وبعد قليل من المشاهدة يصل الرجل الى الات وتروس القاطرة فيرى ان المجالات
الثقيلة تتحرك بتحرك التروس والالات . أفبعد هذا الاكشاف يحق لهذا الرجل
أن يزعم أن الات القاطرة وحدها هي السبب في تحرك عجلاتها .
ومن الواضح أن الأمر ليس كذلك بهذه البساطة ، لأنه يجب أن نعتري
بالسائق الذي يدير الماكينات ، ثم بالمهندس الذي صنع تلك الماكينات وأوجد
القاطرة ، فلا وجود في الحقيقة للقاطرة ولا يمكن احداث الحركة في الاتيها
بدون عمل المهندس والسائق . فالماكينات الداخلية ليست هي الختام في قصة
القاطرة بل ان الحقيقة النهائية هي " العقل " الذي أوجد تلك الماكينات
ثم ادارها وحركها وفق ارادة مرسومة .
لقد أصاب عالم مسيحي حين قال : " ان الطبيعة لا تفسر الكون ، وانما هي
نفسها في حاجة الى تفسير " (٢)

وذلك لأن الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون وليست تفسيراً له . .

(١) راجع الدين ، وحيد الدين خان ص ٦٥

(٢) نفس المرجع السابق ص ٦٦

ولنفهم هذا من مثال آخر .

ان الككوت يعيش أيامه الأولى داخل قشرة البيضة القوية ، ويخرج منها بعد ما تتكسر مفضة لحم . لقد كان الانسان القديم يؤمن بأن اللـه أخرجه ، ولكننا شاهدنا اليوم — بالمنظار — أنه في اليوم الحادى والعشرين يظهر قرن صغير على منقار الككوت يستعمله في تكسير قشرة البيضة لئلا يخرجها منها ثم يزول هذا القرن بعد بضعة أيام من خروجه من البيضة .

* * *

هذه المشاهدة — كما يزعم الملاحدة — أبطلت الفكرة القديمة القائلة بأن الله يخرج الككوت من البيضة اذ قد رأينا يقينا أن قانون " الواحد والعشرين يوما " يحدث هذه العملية . والحقيقة أن المشاهدة الجديدة لا تدلنا الا على علاقات جديدة للحادث ، ولا تكشف عن سببه الحقيقي ، فقد تغير الوضع الان فاصبح السؤال لا عن (تكسر البيضة) بل عن (كيف يطير انسان) ؟ ان السبب الحقيقي سوف يتجلى لأعيننا حين نبحث عن العلة التي جعلت بيضا القرن ، العلة التي كانت على معرفة كاملة بأن الككوت سوف يحتاج الى هذا القرن ليخرج من البيضة ، فمن لا نستطيع أن نعتبر الوضع الأخير (وهو شاهدتنا بالمنظار) الا أنه مشاهد للواقع على نطاق أوسع " ولكنه ليس تفسيرا له .

ان الاكتشاف الذى اعتبروه بديلا " لـالله " يمكننا أن نفسره بسهولة بأنفسه " أسلوب عقل الطبيعة " . اننا نستطيع أن نقول بكل قوة ، ان الله يجسرى ارادته في الكون بواسطة هذه القوانين التي كشفت علومنا الحديثة بعضها أجزاءها فقط حتى الآن — يقول الله تعالى : ﴿ وآتيناه من كل شيء سبيبا فاتبعها سبيبا ﴾ (١) فالله تعالى جعل هذه القوانين اسبابا لتسببها ومقتضاها .

وليست هذه الأسباب أو هذه القوانين هي الخالقة المدبرة ، وأما الفاعل الحقيقي هو الله جل جلاله وعز كماله ..

ولو قصر النظر عند الملاحظة على هذه الأسباب ، لوجدنا الجواب شافيا منطقيا منسجما مع ما تقدم من التحقيق العلمي في الآية الكريمة التالية :

* ان الله فلق الحب والنوى ، يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ذلكم الله ربكم فأنى تؤفكون * (١) بذلك توجع الاسباب كلها الى الخالق الاول وتعرف المجاهيل ، ويحسم الأمر ...

* * *

ولكى تزيد الأمر وضوحا ، نضرب لذلك مثلا آخر :

لنفرض ان رجال الدين يعتقدون ان الله ياتي بالمد والجزر في البحار ثم ياتي عالم من " علمائنا " الجدد ويقول لنا : ان المد والجزر له سببان هما قوة الجاذبية في القمر ، والتكوين الجغرافي أى الوضع الجغرافي لأجزاء الأرض البرية والبحرية .

اننا سنقبل هذا الكشف العلمي بكل سرور فليس هناك من داع يقتضى رفض هذا الكشف لأنه لا يؤثر اطلاقا على صواب عقيدتنا ، اننا نسلم بأن حدوث المد والجزر يقتضى قوة الجاذبية القمرية ، ويقتضى وضعا جغرافيا معينيا لأجزاء الأرض . ولكن ما هي قوة الجاذبية ، وما هو الوضع الجغرافي الأرضي ؟ انهما - ايضا - من خلق الله ، والله يستخدم هذه الوسائل لتنفيذ ارادته وفعله ، ولولا استخدامه لهذه الوسائل المحددة لتنفيذ مشيئته لحلت الفوضى في الكون ولا نعدم النظام . فالله سبحانه وتعالى لا يزال هو السبب الاول والحقيقي لطوفان البحار وقلق الحبوب والزراع الحقيقي كما ورد ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

* أفأرى ما تحرثون ؟ أنتم تزرعونه ام نحن الزارعون ؟ لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمت تفكيرهم : انا لمفرومون بل نحن محرومون * (٢)

(٢) في سورة الواقعة : ٦٣

(١) في سورة الانعام : ٩٥

هذا الزرع الذى ينبت بين ايديهم وينمو ويأتى ثماره • ما دورهم فيه ؟
انهم يحرثون و يلقون الحب والبذور التى صنعها الله • ثم ينتهى دورهم
وتأخذ يد القدرة فى عملها المعجز الخارق العجيب ••• تأخذ الحبة أو
البذرة طريقها لاعادة نوعها • تبدؤ • وتسير فيه سيرة العاقل العارف الخبير
بمراحل الطريق • الذى لا يخطئ • مرة كما يخطئ • الانسان فى عمله ولا ينحرف
عن طريقه ولا يضل الهدف المرسوم ! ••

هل هذه البذرة الصغيرة عاقلة حتى تحمل هذه الاعمال المجيبة ؟ لا !
والله ! بل يد القدرة الالهية هى التى تتولى خطاها على طول الطريق •
ولولا ذلك تصبح هذه البذرة الصغيرة اعقل من الانسان ! لأن الانسان
يخطئ • فى جميع أعماله • حتى اتخذ العلم الحديث الخطأ والاحتمال
قاعدة تتطلق منها للوصول الى الحقائق العلمية • واذا انتفى أن هذه
البذرة عاقلة لا يبقى هناك الا ان نقول ان المجيبة التى نراها فى هذه
الحبة هى من صنع الله العليم الحكيم •

* * *

ولولا ذلك كيف تأخذ هذه الحبة رحلتها المجيبة • الرحلة التى ماكان
تد العقل ليصدقها • وما كان الخيال ليتصورها • لولا أنها حدثت وتحدثت
ويراها كل انسان فى صورة من الصور • ونوع من الأنواع • والا فأى عقل
كان يصدق • وأى خيال كان يتصور أن حبة القمح — مثلا — يكمن فيها هذا
الصود وهذا الورق وهذه السنبله • وهذا الحب الكثير ؟ أو أن النواة تكمن فيها
نخلة كاملة سامقة بكل ماتحتويه ؟ !

* * *

(١) هذا الشرح أخذناه من كتاب فى ظلال القرآن • سيد قطب ج ٢٧ ص ٧٠٣
المجلد السابع ولكن بالتصرف •

أى عقل كان يتناول به الخيال الى تصور هذه العجيبة . لولا أنه يراها
تقع بين يديه صباح مساء ولولا أن هذه القصة تتكرر على مرأى ومسمع من
جميع الناس ؟

وأى انسان يمكنه أن يدعى انه صنع شيئاً في هذه العجيبة سوى الحرث
والقلاء البذور التى صنعها الله ؟

ثم يقول الناس : زرعنا !! وهم لا يتجاوزون (الحرث) والقلاء البذور . أما
القصة العجيبة التى تشتملها كل حبة وكل بذرة ، وأما الخارقة التى
تنبت من قبلها وتنمو وترتفع فكلها من (صنع الله) الخالق الزارع الحقيقى .
بل ولو شاء الله لم تبدأ رحلتها . ولو شاء لم تتم قصتها . ولو شاء لجعلها
حطاما قبل ان تؤتى ثمارها وهى بمشيتها تقطع رحلتها من البدء الى
الختام !

ولو وقع ذلك لظل الناس يلونون الحديد وينوعونه يقولون : * انالمضرمون *
: غارمون * بل نحن محرومون * ولكن فضل الله يمنحهم الثمر ويسمح للنبته
أن تتم دورتها ، وتكمل رحلتها ، وهى ذاتها التى تقوم بها الخليقة
التي تمنى . . وهى صورة من صور الحياة التى تنشئها القدرة الالهية
وترعاها . . (١)

ومع هذا كله نقول للملاحدة : ان القابليات والاسباب كل اولئك ارادة الله
في الكون . وان الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون ، وليست تفسيراً له . .
ومع كل ذلك تجد الملاحدة يصدون عنك صدودا ويقولون : ان فاعل ذلك
كله ، هو الصدفة ! الصدفة هي تحمل عليها في الظالم بدون ارادة ولا علم
ولا عقل وانما هي تخبط خبط عشواء . . .

(١) لخصنا هذا الشرح أيضا من كتاب في ظلال القرآن ، لسيد قطب المجلد

وان بدت سخافة هذه المقالة الصيغانية ،فانها تستحق النظر لانها
 افسدت في العالم قلوبا وافكارا ..
 اذن فما هي الصدفة وما قيمتها عند العلماء وعند البحث العلمي الصحيح
 البعيد من اليهود والاحاد ؟

الملم والدين يقاتلان فكرة المصادفة العمياء

كثيرا نسمع من الملاحدة المعاصرين يقولون : " ان هذا الكون المادى
 لا يحتاج الى خالق ويلخص بيرتراندرسل هذه النظرية المادية المتطرفة
 فيقول :
 " ليس وراء نشأة الانسان غاية او تدبير . ان نشأته وحياته وآماله ومخاوفه
 وعواطفه وعقائده ليست الا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة ..
 ولا تستطيع حماسته او بطاولته او فكره او شعوره ان تحول بينه وبين الموت ..
 وجميع ما قام به الانسان عبر الاجيال من اعمال فذة وما اتصف به من ذكاء واخلاص
 مصيره الفناء المرتبط بنهاية المجموعة الشمسية . ولا بد ان يدفن جميع
 ما حققه الانسان من نصر وما بناه من صروح المدنية تحت انقاض هذا الكون ..
 ان هذه الامور جميعا حقائق لا تقوى فلسفة من الفلسفات على انكارها (١)
 ذلك هو منطق الملحدين الذى عبر عنه هذا الملحد العاتى ولكنه منطق
 سلبى .. لانه ليس كل العلماء الطبيعيين يعتقدون في قدرة الملم على كل
 شىء حتى تستطيع ان تجد تفسيراً لكل شىء .. كما مر ذلك سابقا .
 فالملم لا يستطيع ان تحلل (الحق والجمال والسعادة) وذلك باعتراف جميع
 الماديين . كما انها عاجزة عن ان تجد تفسيراً لظاهرة الحياة او وسيلة لادراك
 غايتها .. بل ان الملم اشد عجزاً عن ان تثبت عدم وجود الله سبحانه
 وتعالى ..

والكل يعلم - حقيقة - أن العلم لا تستطيع ان تفسر لنا كيف نشأت تلك الدقائق الصغيرة المتناهية في صغرها والتي لا يحصيها عدّ وهي التي تتكون منها جميع المواد . كما لا تستطيع العلم ان تفسر لنا بالاعتماد على (فكرة المصادفة) وحدها كيف تتجمع هذه الحقائق الصغيرة لكي تكون الحياة . ولا يوجد عند احد دليل قديما وحديثا على ذلك . . .

بل نتحدى هذا الملحد وغيره ان يبين لنا كيف تستطيع المصادفة أن تخلق هذا الكون . بل ان العلم نفسها قد أبدت فعلا كثيرا من النبوءات التي جاءت بها الأديان الحقّة . كما قاتلت العلوم ، فكرة المصادفة - مع الأديان جنبا الى جنب كأنها من مشكاة واحدة . بل انهما من مشكاة واحدة لأن الأديان أتت بكتب الله المقرّوة وأما العلوم فهي تدرس كتب الله المنظورة وهي هذا الكون الفسح من الذرة الى الاجرام السماوية . . . هذا ما صرح به العالم الطبيعي والكاتب اللامع (أوليفر وندل) في هذه المناسبة : " كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف ، والفهم الحقيقي للعلوم يدعو الى زيادة الايمان بالله " (١)

وأيدته (ايرفنج وليام نوبلوتشى) أستاذ العلوم الطبيعية - الحاصل على درجة الدكتوراة من جامعة أيووا - اخصائي الحياة البرية في الولايات المتحدة - أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة ميشيجان منذ سنة ١٩٤٥ م اخصائي في وراثة النباتات ودراسة شكلها الظاهري . أيدته بقوله : (٢) " أما بالنسبة الى نفسى بوصفى احد المشتغلين بالعلوم ، فاننى لا أستطيع أن انفى قوانين المصادفة (٣) لأننى ألمس نتائجها في كثير من أمور حياتنا

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٥٣

(٢) المرجع السابق ص ٥٣

(٣) يرى فريق من العلماء المعاصرين ان استخدام لفظ المصادفة هو تخلص من تفسير الظاهرة او الأمر الذى حدث تفسيرا طبيعيا ، وعلّة ذلك اننا لم نصل بعد الى تلك التفسيرات الطبيعية . هذا يقصده هذا العالم في استعمال لفظة المصادفة .

اليومية • ولا أستطيع كذلك أن أرفض النظريات المادية رفضا باتا لأن نجاح
المشتغلين بالعلم يتوقف على مدى وصولهم الى تفسيرات طبيعية للظواهر
المحيطة التي يدرسونها ••

” ولكنى أو من بوجود الله • اننى اعتقد في وجوده - سبحانه - لأننى
لا أستطيع أن اتصور ان المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور
الالكترونات والبروتونات الاولى او الذرات الاولى او الأحماض الأمينية الأولى
او البروتوبلازم الأولى أو البذرة الأولى او العقل الأول • اننى اعتقد
في وجود الله لأن وجوده القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط
بنا من ظواهر هذا الكون التى نشاهدها “ (١)

وبعد هذا التقرير الصريح من عالم أتاحت له هذه الفرصة السانحة
للإطلاع على نتائج هذه العلوم كلها ، ننتقل الى استعراض صورة من العلم
الحديث في ابطال الصدفة ، واستعراض بعض الايات القرآنية للاثبات
أن العلم والدين يقاتلان معا ضد الصدفة العمياء •

العلم يبطل فكرة المصادفة

أولا - شهادة علم الهندسة :

ان هذه الشهادة يؤيدها عالم من العلماء الطبيعيين بل هو الذى استطاع
أن يخترع المخ الالكترونى (٢) فلندعه يتكلم : (٣)

(١) المرجع السابق ص ٤٥

(٢) مستشار هندسى - حاصل على درجة الماجستير من جامعة كلورادو ومستشار
هندسى بمعامل جنرال (الكترىك) - مصمم العقل الالكترونى للجمعية العلمية
لدراسة الملاحة الجوية بمدينة لانجلى فيلد (اخصائى في الآلات الكهربائى
والطبيعية للقياس •

المرجع السابق ص ٨٨

(٣) تنبيه : لا اعتراض بين ما قررنا أولا أن الملاحظة اتخذوا العلوم لضرب الأديان
وبين ما نقره هنا من ان العلم يدل على الايمان •• فى التقرير الاول / هم الذين
اتخذوا العلم سلاحا للحاد والعلم برئ من ذلك • ان الملاحظة

" واني احب ان ابدأ بذكر الحقائق التي لا سبيل الى انكارها والتي لا أشك في أن غيري ممن اسهموا في هذا الكتاب قد تناولوها : وهي ان التصميم يحتاج الى مصمم . وقد دعم هذا السبب القوي من اسباب ايماني بالله ما أقدم به من الاعمال الهندسية . . . فبعد اشتغالي سنوات عديدة في عمل تصميمات لأجهزة وأدوات كهربائية ، ازداد تقديري لكل تصميم أو ابداع ابنما وجدته . . . وعلى ذلك فانه مما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا الا من ابداع اله أعظم لا نهاية لتدبيره وابداعه وعبقريته . . .

* * *

" حقيقة ان هذه طريقة من طرق الاستدلال على وجود الله ، ولكن الملمم الحديثة قد جعلتها أشد بيانا وأقوى حجة ضيها في أي وقت مضى . . . ثم زاد قائلا :

" ان المهندس يعلم كيف يمجّد النظام ، وكيف يقدر الصعاب التي تصاحب التصميم عندما يحاول المصمم أن يجمع بين القوى والمواد والقوانين الدابصية في تحقيق هدف معين ، انه يقدر الابداع بسبب ما يواجهه من الصعاب والمشكلات عندما يحاول ان يضع تصميمًا جديدًا .

* * *

لقد اشتغلت منذ سنوات عديدة بتصميم مخ الكذروني يستطيع ان يحل بسرعة بعض المعادلات المعقدة المتعلقة بنظرية " الشد في اتجاهين " . وقد حققنا هدفنا باستخدام مئات من الانابيب المفرغة والادوات الكهربائية والميكانيكية والدوائر المعقدة ووضعها داخل صندوق بلغ حجمه ثلاث اضعاف حجم أكبر " بيانو " ولا تزال الجمعية الاستشارية العلمية في (لانجلي فيلد) تستخدم هذا المخ حتى الان . . . وبعد اختراعي هذا الجهاز سنة أو سنتين ، وبعد أن واجهت كثيرا من المشكلات التي تطلبها تصميمه ووصلت الى حلها ، صار من المستحبات بالنسبة

التي أن يتصور عقلى أن مثل هذا الجهاز يمكن عمله بأية طريقة أخرى غير استخدام العقل والذكاء والتصميم . (١)

" وليس العالم من حولنا الا مجموعة هائلة من التصميم والابداع والتنظيم وبرغم استقلال بعضها عن بعض ، فانها متشابكة متداخلة ، وكل منها أكثر تعقيدا في كل ذرة من ذرات تركيبها من (ذلك الخ الكروني) الذي صنفته ..

فاذا كان هذا الجهاز يحتاج الى تصميم أفلا يحتاج ذلك الجهاز الفسيولوجي الكبيبي البيولوجي الذي هو في جسي ، والذي ليس - بدور - الا ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون اللانهائي في اتساعه وابداعه ، الى مبدع يبدعه .. ان التصميم أو النظام أو الترتيب ، أو سمها ما شئت لا يمكن أن تنشأ الا بطريقتين : طريق المصادفة أو طريق الابداع والتصميم . وكلما كان النظام أكثر تعقيدا ، بعد احتمال نشأته عن طريق المصادفة ..

(٢)

ونحن في خضم هذا اللانهائي لا نستطيع الا أن نسلم بوجود الله تعالى ..

شهادة العلم الطبيعية

يتساءل العلامة أ. كريسي موريسون عن سر الحياة وهل هي من صنع المادة :
 " ان المتفق عليه عموما هو أنه لا البيئة وحدها ولا المادة مهما كانت موائمة للحياة ولا أي اتفاق في الظروف الكيماوية والطبيعية قد تخلقه المصادفة يمكنها أن تأتي بالحياة الى الوجود " (٣) ويقول :
 " فالحياة هي المصدر الوحيد للوعي والشعور وهي وحدها التي تجعلنا ندرك صنع الله ويبهرنا جماله وان كانت أعيننا لا تزال فوقها غشاوة " .

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٨٩

(٢) المصدر السابق ص ٩٠

(٣) العلم يدعو الى الايمان . تأليف أ. كريسي موريسون ص ٩٧

(٤) المصدر السابق ص ٩٠ الطبعة الخامسة يونيو سنة ١٩٦٥ م .

ويقول : " والطبيعة لم تخلق الحياة ، فان الصخور التي حرقتها النار ،
والبحار الخالية من الملح ، لم تتوافر فيها الشروط اللازمة " .
" نرى انه مما يدعو الى الدهشة على الاقل ان يكون تنظيم الطبيعة على هذا
الشكل بالغاً هذه الدقة الفائقة . لأنه ، لو كانت قشرة الأرض أسماك مما
هي بمقدار بضع أقدام ، لا تمتص ثاني اوكسيد الكربون والاكسجين ، ولما
امكن وجود حياة النبات ، وهناك احتمال بأن قشرة الأرض والمحيطات السبعة
قد امتصت كل الاوكسجين ، وأن ظهور جميع الحيوانات التي تستنشق الاوكسجين
وأن الحساب الدقيق قد يجعل هذا المصدر للأوكسجين في حيز الامكان
ولكن مهما كان مصدره فان كميته هي بالضبط مطابطة لاحتياجاتنا .
ولو كان الهواء ارفع كثيراً ما هو ، فان بعض الشهب التي تحترق الان كل يوم
بالملايين في الهواء الخارجي ، كانت تضرب في جميع أجزاء الكرة الأرضية . وهي
تسير بسرعة تتراوح بين ستة اميال واربعين ميلاً في الثانية ، وكان في امكانها ان
تشعل كل شيء قابل للاحتراق

وعجلة الموازنة المنظمة هي تلك الكتلة الفسيحة من الماء أي المحيط الذي
استمدت منه الحياة والغذاء والمطر والمناخ المعتدل والنباتات ، وأخيراً الانسان
نفسه . . . فدع الذي يدرك ذلك يقف في روعة أمام عظمتة . وقرر بواجباته شاكرًا .

(١) العلم يدعو للايمان . ا . كريسى موريسون ص ٨٩

(٢) العلم يدعو للايمان . ا . كريسى ص ٦٦ .

قد أصاب هذا الباحث حيث اثبت ان الحياة مستمدة من الماء لأن الله تعالى
يقول : * أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا
من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون * سورة النساء
وقد استدللنا بهذه الآية في مبحث " موقف القرآن من أصل الكون ولكننا رجعنا
إليها هنا لملاقمتها الواضحة بما نحن بصدده .

شهادة علم الفلك في ابطال فكرة المصادفة

ورائدنا في هذه الشهادة رائد الفضاء الامريكي الذي يقول :

”... عندما وقع علي الاختيار لبرنامج الفضاء كان بين اوائل الأشياء التي اعطيت لي ، كتيب (صغيرة) يحوي الكثير من المعلومات عن الفضاء ، وكان بين محتوياته فترتان تتعلقان بضخامة الكون اثرتا في تأثيرا بالغا...“

” ولكي ندرك هاتين الفترتين يجب ان تعرف أولا ما هي السنة الضوئية :

ان الضوء يسير بسرعة تبلغ ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية - أي ما يعادل الدوران حول الأرض حوالي سبع مرات في الثانية - فاذا أطلقت هذا الشماع من الضوء وجعلته يستمر لمدة عام فان تلك المسافة التي يقطعها - وتبلغ حوالي ٩٥ مليون مليون كيلومتر - وهي السنة الضوئية !

واني اقتبس هنا ما ورد في الكتيب عن حجم الكون الذي نعيش فيه .. وعندما نذكر أن المجرة التي تضم كوكبنا يبلغ قطرها حوالي ١٠٠ الف سنة ضوئية

نشعر بدعشة .

” ولما كانت الشمس نجما لا يمتد به يقع على مسافة حوالي ٣٠ الف سنة ضوئية من مركز المجرة ، ويدور في مدار خاص به كل ٢٠٠ مليون سنة أثناء دوران المجرة فاننا ندرك مدى صعوبة المقياس الهائل للكون الواقع وراء المجموعة الشمسية ..“

” بل ان الفضاء الذي يقع بين النجوم في مجرتنا ليس نهاية هذا الكون فورا ، ملا بين من المجرات ، الأخرى تندفع جميعا فيما يبدو ومتباعدة عن بعضها البعض بسرعة خيالية وتمتد حدود الكون المرئي بالمجهر مسافة ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية على الأقل في كل اتجاه .“

” ان هذا الوصف يظهر مدى ضخامة الكون الذي نعيش فيه...“

(١) راجع كتاب قذائف الحق ، للأستاذ محمد النزالي ص ١٦ -

”... ولنعد الان لما نعرفه عن تكوين الذرة وهي أصغر جسم حتى الآن فنجد ان هناك تشابها كبيرا بين الذرات ومجموعتنا الشمسية في الكون ...”

” ذلك ان هذه الذرات لها الكترونات تدور حول النواة بصورة منتظمة كدوران الأسرة الشمسية حول امها الشمس ..”

ثم قال :

” والآن ماذا أريد أن أقول ؟ أريد التحدث عن نظام الكون بأسره من حولنا ...”

” من أصغر تكوين ذرى الى اضخم شيء يمكن تصويره . مجرات تبعد ملا بين السنين الضوئية ، كلها يسير في مدارات مرسومة محدودة تضبط علاقة كل منها بالآخرى . فهل يمكن ان يكون ذلك كله قد حدث اتفاقا ؟

” أكانت مصادفة ان حزمة من نفايات الغازات الطافية بدأت فجأة في صنع هذه المدارات وفقا لاتفاقها الخاص ؟

فقال في صراحة وصراحة :

” اني لا أستطيع تصديق ذلك .. بل ان ذلك مستحيل .. والمؤكد ان ذلك تم وفق خطة مرسومة محددة .. وهذا واحد من الأشياء الكثيرة في الفضاء التي تبين لي أن هناك لها .. وأن قوة ما قد وضعت كل ذرة الأشياء في مدارات وأبقتها هناك تؤدي وظيفتها المعتادة ..

” ولنقارن السرعة في مشروعنا ” عطارد ” مع بعض هذه الأشياء التي

نتحدث عنها :

” اننا نظن أحيانا ان المشروع على ما يرام و فقد بلغنا سرعة تصل الي حوالي ٢٩ الف كيلومتر في الساعة في الدوران حول الارض - أي حوالي ٨ كيلومترات في الثانية - وهي سرعة كبيرة حقا بالنسبة لمقاييسنا الأرضية كما أنها سرعة

مرتفعة الى حد مناسب ونحن على ارتفاع يزيد قليلا على ١٦٠ كيلومتر .
 أما بالنسبة لما يجرى فعلا في الفضاء فان مجهوداتنا هذه تعد ضئيلة
 جدا * ا.هـ. (١)

وصدق رائد الفضاء في كلمته تلك ، فان ما يصل اليه الانسان بجهدده وفكره
 شيء محدود القيمة بالنسبة الى ما يقع في العالم حوله ، ان الذي يتجول في
 مصانع السكر - مثلا - يرى الانابيب الطائفة بالعصير والاُفران المليئة
 بالوقود ، والآلات التي تغطي مساحة شاسعة من الأرض ٠٠٠ فلا يد
 ان يتعجب من ذلك ٠٠٠

ولكن لو تأمل هذا الانسان في بطن نحلة صغيرة يؤدي هذه الوظيفة ٠٠
 وظيفة صنع السكر دون كل تلك الاجهزة الدوارة والضجيج العالي : لو تأمل
 في ذلك لقال سبحان الله * هذا خلق الله فأرني ماذا خلق الذين من
 دونه * (٢)

وأين نصيب المصادفة في كل ذلك ؟ هل للمصادفة نصيب في قطرة
 الماء التي ترى تحت المجهر وهي تحتوي الكروونات تدور حول نواة في المركز
 وهي تتشابه بتلك النجوم التي تشاهد خلال المنظار الكبير ؟ ؟
 ان العقل السليم لا يقبل هذا بحال من الأحوال . بل لا يسهه الا أن يمجده
 ذلك النظام الرائع وتلك الدقة البالغة والقوانين التي تعبر عن تماثل
 طواف الكروونات حول كمبتها (البروتون) وطواف الأسرة الشمسية حول كمبتها
 أيضا التي هي الشمس . هل في ذلك نصيب للمصادفة المزعومة . ب * فانها
 لا تصح الأَبصار ولكن تصح القلوب التي في الصدور * (٣) .

(١) المصدر السابق ص ١٩

(٢) الآية من سورة لقمان / ١١

(٣) الآية من سورة الحج / ٤٦

هذا غريب من غرائب الفكر الالحادى

ولست أدري كيف يفسر الملاحدة على أساس المصادفة ما أثبتته العلم الحديث الحديث للأرض من صور الملاءات العديدة .. ان العلم الحديث يرى أن الأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها ، فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار ، وهى تسبح حول الشمس مرة في كل عام ، فيكون في ذلك تتابع الفصول الذى يؤدى بدوره الى زيادة مساحة الجزء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية اكثر مما لو كانت الأرض ساكنة ..

ولست أدري/يفهمون^{كيف} على أساس المصادفة^{كيف} ما قرره العلم الحديث من أن الأرض محيطة بخلاف غازى يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها الى ارتفاع كبير يزيد على ٥٠٠ ميل .. ويبلغ هذا الغلاف الغازى من الكثافة درجة تحول دول وصول ملايين الشهب القاتلة .. والغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة ، ويجعل بخار الماء من المحيطات الى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يمكن أن يتكاثف مطرا يحيى الأرض بعد موتها ، والمطر مصدر الماء العذب ، ولولاها لأصبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة . ومن هنا نرى أن الجو والمحيطات الموجودة على سطح الأرض تمثل عجلة التوازن في الطبيعة (١) كما أفاد بذلك كريسى موريسون في شهادته السابقة ...

ان الغريبة كل الغريبة كون الملاحدة يؤمنون بكل ذلك ولكتهم ينحرفون عن نتائجها اللازمة وهى اثبات اله لهذا الكون الغريب .

(١) يراجع في ذلك كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص ٦ - ٧

ولست أتهم أيضا كيف يقررون للماء خواصا هامة ثم ينسبون لها الى شئى
لا عقل له بل هو يخبط - على زعمهم - خبط عشواء - ان ذلك ليس
الضال المبين .

فهم يقررون ما أقره العلم الحديث من أن الماء يمتاز بأربع خواص هامة تحمل على
صيانة الحياة في المحيطات والبحيرات والانهار ، وخاصة حينما يكون الشتاء
قارسا و طويلا ، فالماء - كما يقرر العلم الحديث - يمتص كميات كبيرة من
الأكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة . . . وتبلغ كثافة الماء
أقصاها في درجة أربعة مئوية . . . والثلج أقل كثافة من الماء مما يجعل الجليد
المتكون في البحيرات والانهار يطفو على سطح الماء لخفته النسبية فيرى
بذلك الفرصة لا استمرار حياة الكائنات التي تعيش في الماء في المناطق الباردة .
وعندما يتجمد الماء تتحلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة
الأحياء التي تعيش في البحار . . . هذا بعض ما قرره العلم الحديث (رب
الملاحدة) ولكنهم يهربون من دلالات العلم الحديث . العلم يقول ان التصميم
لا بد أن يكون له مصمم . . . ولكن الملاحدة يرون خلاف ذلك . . . فهم
يعترفون بالتصميم الموجود في الكون ولكنهم ينكرون المصمم ويقولون : ان نظام
الكون لا يحتاج الى أية اسطورة لا هوتية ، واذا وضعنا خواص الماء جانبا
وانتقلنا الى الأرض اليابسة التي تحمل في صمت ولكنها عجيبة . نجد الملاحدة
يعترفون بتلك الأعاجيب كلها ثم ينحرفون عن لوازمها ودلالاتها .
فالأرض اليابسة - كما يقول العلم الحديث - هي بيئة ثابتة للحياة كثيرة
من الكائنات الأرضية ، فالتربة تحتوي العناصر التي يمتصها النبات ويحولها
الى أنواع مختلفة من الطعام يفتقر اليها الحيوان . . . ويوجد كثير من المعادن قريبا
من سطح الأرض ، مما هي السبيل لقيام الحضارة الراهنة ونشأة كثير من
الصناعات والفنون .

وعلى ذلك فان الأرض - بلغة العلم الحديث - مهياة على أحسن صورة للحياة وهذا - بلا شك - من تدبير حكيم عليهم لا يضل ولا ينسى ، وليس من المعقول ولا من المألوف ان يكون كل ذلك مجرد مصادفة أو خبط عشواء . . . وأخيرا لست ادري كيف عميت قلوبهم حينما يحترفون بوجود البروتونات وتوانينها المعقدة التي تحيرت منها قلوب الباحثين ، ثم يقولون بالصدفة الحمياء . . .

أليس العلم الحديث (خالقهم الأوحسد) يقول على لسان (فرانك ألن) البيولوجى . . . " ان البروتينات من المركبات الاساسية في جميع الخلايا الحية . . . وهي تتكون من خمسة عناصر هي : الكربون ، والايديروجين والنيتروجين والاكسجين ، والكبريت . . .

" و يبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتينى الواحد ٤٠٠٠٠٠ ذرة ، ولما كان عدد العناصر الكيميائية في الطبيعة ٩٢ عنصرا موزعة كلها توزيعا عشوائيا ، فان احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكون جزيئا من جزئيات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغى أن تخلط خلطا لكى تؤلف هذا الجزيء ، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد . . .

" وقد قام العالم الرياضى السويسرى (تشارلز بوجين جاى) بحساب هذه العوامل جميعا فوجد أن الفرصة لا تتغيرا عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتينى واحد الا بنسبة (١) الى ١٦٠/١٠ أى بنسبة الى رقم عشرة مضروبا في نفسه ١٦٠ مرة . وهو رقم لا يمكن النطق به اوللتعبير عنه بكلمات . وينبغى أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد اكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بملايين لا تحصى

من السنوات قدرها العالم السويسرى بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة
من السنين (٢٤٣١٠ سنة) .

ثم يقول متسائلا :

” ان البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية فكيف تتألف

ذرات هذه الجزئيات ؟ انهما اذا تألفت بطريقة

اخرى غير التي تتألف بها . تصير غير صالحة للحياة ، بل تصير في بعض

الاحيان سموما . وقد حسب العالم الانجليزي ج . ب ليتز (J. B. Letz)

الطرق التي يمكن ان تتألف بها الذرات في أحد الجزئيات البسيطة من

البروتينات فوجد أن عددها يبلغ (٤٨١٠) وعلى ذلك فانه من المحال عقلا

أن تتألف كل هذه المصادفات لكي تبني جزئيا بروتينيا واحدا .

* * *

ثم صرح بأن المصادفة لا تعجز عن تأليف الذرات فقط ولكنها تعجز

بشكل واضح عن ايجاد الحياة في المواد الكيماوية فقال :

” ولكن البروتينات ليست الا مواد كيماوية عديمة الحياة ، ولا تدب فيها

الحياة الا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذي لا ندري من كنهه

شيئا . انه العقل اللانهائي (١) وهو الله وحده ، الذي استطاع أن يدرك

ببالغ حكمته أن مثل ذلك الجزئ البروتيني يصلح لأن يكون مستقرا للحياة

فبناه وصوره وأغدى عليه سر الحياة . . . (٢)

(١) اننا لا ننكر المجيود الجبار الذي قدمه العالم للوصول الى الايمان بالله وحده

ولكنه لم يزل - بعد - يحمل في ذاكرته بعض المصطلحات الالحادية وهو :

تسمية الله سبحانه وتعالى ” بالعقل اللانهائي ” ان هذه التسمية ولو كان يراد

بها اثبات وجود الله ، ولكنها في الوقت نفسه لا يجوز لمسلم أن يسعى الله بها

لانها ليست من الاسماء الحسنى . ولقوله تعالى * فله الاسماء الحسنى فادعوه

بها . وذرروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون *

(٢) راجع الله يتجلى في عصر العلم ص ١٠

وقد رأينا في هذا الاستعراض السريع ان العلم الحديث يحارب فكرة الصدفة
محاربة شديدة الا أن الملاحظة الجيلاء الذين ليس لديهم علم واسع في
العلم الطبيعية ولا في العلوم الدينية ، هم الذين ينكرون وجود الله الخالق
المدير . هذا ما أكده " آينشتاين " :

" ان التجربة الدينية للكون افضل وأقوى من كل ما يتفجر من أعماق البحوث
العلمية والذي لا يفهم المجهودات الجبارة والثقة بالنفس التي من دونها
لا يكشف شيء جديد في التفكير العلمي فهو لا يستطيع أن يقدر قوة الشعور
الذي ينشأ من خلال هذا العمل العلمي البعيد عن الحياة اليومية المباشرة .
ولا بد أنه يوجد عند كيبليز ونيوتن مثلا ايمان عميق بحكمة نظام
الكون و ارادة قوية لفهمه وحتى لو لم يكن هذا الفهم الا شعاعا ضئيلا
من الحكمة المنزلة في الدنيا " (١)

ويقول أيضا : " ان العلم لا يستطيع أبدا أن ينفي بجد وجود الله
الواحد الذي يقدر جميع الحوادث الطبيعية " .

ويقول : " والعلم لا يكشف الا من طرف من هو متشبع جدا بطموح معرفة
الحقيقة بتمامها وانما هذا الشعور مستمد من الدين ومن أيضا يظهر الايمان
بأن القواعد المطبقة في عالمنا هذا منطقية أى ان العقل يدركها وانى لا
أتصور عالما لا يملك هذا الايمان العميق وانى أعبر عن الحالة تلك بعبارة :
الصورة : " العلم بلا دين أعرج والدين بلا علم أعمى " (٢)

هكذا يتضح خلال هذا المثال البسيط الذي يخص الضوء أن الموقف
الفكري عند أصحاب العلم الحديث الجهادية ، يتنافى مع فكرة الصدفة وبعد
هذا نود أن نرى أيضا موقف الدين في هذا المجال . .

(١) راجع كتاب الله العلم : بشير التركي ص ٣٣

(٢) المرجع السابق ص ٣٣

الدين يبطل عقيدة الصدفة العمياء

ليست مصادفة ان تكون اول كلمات القرآن الكريم امرا بالدعوة الى القراءة ..
 وأن تدعو اول آياته الى العلم .. فان أول ما نزل من الآيات الشريفة
 هي :

* اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الاكرم
 الذي علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم * (١)

وهي دعوة صريحة لتعلم القراءة والكتابة .. بل وجهت نظر الانسان
 الى ادق العلوم التي تخرجه من ظلمات فكرة المصادفة الى العلم بالايمان
 الصحيح .. وهي علم الحياة وخلق الانسان ..

فما نصيب الصدفة العمياء في خلق الجنين في بطن امه كما أخبرنا به القرآن
 الكريم في الايات التالية :

* ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين • ثم جعلناه نطفة في قرار مكين •
 ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا الملقحة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
 العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * (٢)

ثم بعد مئات السنين يقرر العلم الحديث ، بعد الاستماعة بالمجاهر وأجهزة
 للتصوير والأشعة ، أن الترتيب المنصوص عليه في هذه السورة هو ترتيب
 خلق الجنين ، والأكثر من هذا أنه حتى لم يكن الاستعاضة من ألفاظ
 القرآن بغيرها • فهي الألفاظ التي تدل على المعنى بغير لبس أو غموض
 أو زيادة أو نقصان .. فهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن الدين
 والعلم يقاتلان مما هذه الفكرة الخاطئة ، فكرة الصدفة العمياء التي لا وجود
 لها في عالم الواقع .. كما يدل أن القرآن حق •

ثم تتابع الايات التي توجه النظر الى دقائق خلق الانسان فيقول الله سبحانه
 وتعالى : * فلينظر الانسان مم خلق .. خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب
 والترائب * (٣)

(٢) في سورة المؤمن آية : ١٤

(١) في سورة العلق آية : ٥

(٣) في سورة الطلاق آية : ٧

ثم يقرر القرآن حقائق وراثه الصفات في خلق الانسان فيقول المولى في سورة
الانسان :

* انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * (١)

أفبعد ذلك مكان للصدفة العمياء في العقول الثيرة ؟ أفليس ذلك دعوة
صريحة من الله عز وجل للمسلمين بأن يتعلموا ؟ وليست مصادفة كذلك
أن تتكرر في القرآن الكريم آيات الدعوة الصريحة الى النظر في خلق السموات
والأرض وما فيها مثل :

* قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون * (٢)

* أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء * (٣)

* أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج * (٤)

ولم يكف القرآن بذلك بل دعا الى النظر في خلق النبات ومراقبة نموه

ودراسة حياته ان يقول المولى :

* وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا

نخرج منه حبا متراكبا ومن النخيل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب * (٥)

وقال : * أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زيدا رابيا * (٦)

تؤكد هذه الآيات ان مراقبة نمو النبات ودراسته حياته شيء ينفي الصدفة

العمياء التي لا تتفق مع العقل السليم ثم أكدت الآيات كذلك على اهمية الميرون

المائية وتموينها بماء المطر الذى يتجهه اليها . ويستحق الأمر وثقة لنذكر

بتسلط بعض المفاهيم في القرون الوسطى كـ (أرسطو) الذى كان يرى أن

الينابيع المائية تنمو بواسطة بحيرات جوفية . ويصف ر . آمينبيراس

(R. Remeneras) الأستاذ بالمدرسة الوطنية للهندسة الزراعية

- | | |
|----------------------------|---------------------------|
| (١) سورة الانسان آية : ٢ | (٤) سورة قى آية : ٦ |
| (٢) سورة يونس آية : ١٠١ | (٥) سورة الانعام آية : ٩٩ |
| (٣) سورة الاعراف آية : ١٨٥ | (٦) سورة الرعد آية : ١٧ |

والمياه والغابات في مقاله " الهيدرولوجيا " (Hydrologie)

بدائرة معارف أونيفرسال يصف المراحل الرئيسية في علم المياه ويستشير بأعمال الرى القديمة الرائجة وخاصة تلك التى انجزت فى الشرط الاوسط ، وهو يلاحظ أن المعرفة العلمية قد سادت كل هذه الانجازات على حين كانت الافكار صادرة عن مفاهيم مغلوبة . ويردف المؤلف قائلا : " ويجب أن ننتظر حتى عصر النهضة ما بين ١٤٠٠ و ١٦٠٠ تقريبا حتى تغلب المفاهيم الفلسفية الصرفية المكان لأبحاث تعتمد على الملاحظة الموضوعية للظواهر الهيدرولوجية . (١)

فقد ثار (ليوناردو دافنشى) (Leonardo De Vinci)

(١٤٥٢ - ١٥١٩) على دعاوى أرسطو . .

ويعطى (برنارد باليس) (Bernard paleusy)

في بحث له بعنوان " خطاب في روعة طبيعة المياه والعيون الطبيعية

منها والصناعية Discours Admirable De La Nature Des Eaux Et Fontaine Tant Naturelles qu'artificielles.

(باريس ١٥٧٠) يعطى تفسيراً صحيحاً في دور المياه وخاصة عن تموين الأمطار

(٢)

للينابيع " . .

ليست هذه بالتحديد هي الإشارة التى نجدها في الآية التالية التى تذكر

اتجاه مياه الأمطار نحو الينابيع في الأرض . .

* ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق

يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه

عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار * (٣)

(١) راجع عرضاً كتاب دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي

ص ٢٠٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢ (٣) سورة النور آية : ٤٣

ويقول تعالى : * أفرايتم الماء الذي تشربون ؟ أنزلناه من الميزان
(١)
أم نحن المنزلون لو نشاء لجعلناه أجاجا فلولا تشكرون *
الاستشهاد بأن الله تعالى كان يستطيع أن يجعل الماء الطيب بطبيعته
مالحا شديد اللوحة هو يدل على عجز الانسان وقصور فهمه عن طبائع
المخلوقات ومنها المياه .

وقد كتب م ١٠٠ فاس (M.A. Facy) مهندس عام الارصاد
الجوية الوطنية في مقالة " الهواطل " بدائرة معارف (أوفيز سالي)
مايلي (٢)

" لن يمكن أبدا اسقاط المطر من سحابة لا تحتوي على سمات السحابة القابلة
للهبطول او من سحابة لم تصل الى درجة مناسبة من التطور (أو النضج) ،
وبالتالي فان الانسان لا يستطيع الا أن يجعل بعملية الهطول مستعينا
في ذلك بالوسائل التقنية الملائمة ، على شرط ان تكون الظروف الطبيعية
لذلك جاهزة سلفا . ولو كان الامر غير ذلك لما كان الجفاف عمليا . وهذا غير
حادث . كما هو واضح . التحكم في المطر والطقس الجميل ما زال حتى
اليوم حلما . . .

" لا يستطيع الانسان ان يقطع كيفما يشاء الدورة الثابتة التي تضمن حركة
المياه الطبيعية وعلى حسب تعليمات (الهيدرولوجيا) الحديثة فيمكن تلخيص
هذه الدورة كما يلي :

" يشير الاشعاع الحرارى للشمس تبخر الماء في المحيطات وكل السطوح الأرضية
المغطاة أو المشبعة بالماء . يتصاعد بخار الماء بهذا الشكل نحو الجو ويشكل
سحبا عن طريق تكاثفه . . . عندئذ تدخل الرياح لتؤدي دورها في نقل
السحب بعد تشكلها الى مسافات متنوعة . . . وقد تختفى السحب دون أن تعطى

(١) سورة الواقعة الايات ٦٨ - ٧٠

(٢) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٠٣

مطرا . كما يمكن أن تلتقى كتل السحاب مع كتل أخرى لتعطي بذلك سحباً ذات كثافة كبرى ، وقد تتجزأ لتعطي مطارا في مرحلة من تطورها . وسرعان ما تتم الدورة بوصول المطر الى البحار التي تشكل ٧٠ ٪ من سطح الكرة الأرضية .

أما المطر الذي يصل الى الأرض فقد يتم جزئياً بواسطة النباتات . مساهمياً بذلك في نموها وهذه بدورها تقوم خلال ترسبها بإعطاء جزء من الماء الى الجو . أما الجزء الآخر فإنه يتسلل بمقدار قد يقل أو يكثر الى التربة ليتجه نحو المحيطات عبر مجارى الماء أو قد يتسرب في التربة ليمود نحو الشبكة السطحية عن طريق الينابيع أو الأماكن الأخرى التي يخرج منها الماء الى السطح " .

ولوقارنا معطيات علم الهميدورولوجيا الحديث بتلك التي نجدتها في كثير من الآيات القرآنية المذكورة في هذه الفقرة ، سنلاحظ وجود توافق رائع بين الاثنين .

فعلى أى يدل هذا التوافق العجيب ؟ ؟ يدل على أن العلم والدِين من منبع واحد ، لأنهما كتب تتلى ولآخر كتب تنظر فيها . ان النتيجة الحتمية لهذا التوافق تراجع الى شيء واحد لا ثاني له هو : أن خالق هذا الكون اله واحد لا شريك له وليس له معين في الخلق لا من العقلاء ولا من غير العقلاء مثل الصدفة المزعومة .

الآفاق والأُنفس

فمخلوقات الله في السماء والأرض أكثر من أن تحصى ، فهل الى ذكرها من سبيل ؟ الجواب : لا . ولكننا لو اتبعنا طريقة القرآن في عرض هذه الأشياء لكان أيسر لأن القرآن يحض على النظرة الشاملة الكاملة حين يقول :

* أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء * (١)
ثم نجد القرآن الكريم يقسم هذه النظرة الشاملة الكاملة الى قسمين : ويقول :
* سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق * (٢)
إذا بحسن بنا أن نسير في هذه الفقرة على طريقة القرآن في اختيار بعض آياته في الآفاق بالذكر . وقصدنا في كل ذلك : اثبات ان العلم والدين لا يعترفان - بحال من الأحوال - بوجود المصادفة المزعومة بل انهما يحاربانها محاربة عنيفة ، فلنقرأ هذه الآيات من كلمات ربي . يقول الخلاق العظيم في كتابه الكريم :

* والسماء بنيناها بأيدينا وانا لموسعون * (٣)
* أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء * (٤)
* أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج * (٥)
* الله الذي رفع السموات بنير عمد ترونها * (٦)
* وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون * (٧)
* الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * (٨)
* أنتم أشد خلقا أم السماء بناها ورفع سمكها فسواها وأغطس ليلها * (٩)
* ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا * (١٠)
* تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا * (١١)
* والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قد رنا منازل حتى عاد كالمرجوج القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
(١٢)
وكل في فلك يسبحون *

* فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لا تعلمون عظيم * (١٣)

- (١) سورة الاعراف آية : ١٨٥ (٢) سورة فصلت آية : ٥٣
(٣) الذاريات آية : ٤٧ (٤) الاعراف آية : ٧٥
(٥) ق آية : ٧ (٦) الرعد آية : ٢ (٧) الانبياء آية : ٣٢
(٨) سورة الملك آية : ٦ (٩) النازعات آية : ٢٨ (١٠) فاطر آية : ٤١
(١١) الفرقان آية : ٤١ (١٢) يس آية : ٢٨ (١٣) الواقعة آية : ٧٦

فتعال أيها الملحد المفتري ، ننظر ، كما أشارت الايات على ضوء العلم الحديث الذي تعتبرونه الخالق المدير ، الى ما في هذه السماء من مخلوقات ثم تبدى رأيك في الصدفة الخرقاء الحمياء ..

هل نظرت الى هذه السماء وما تحويه من شيء مخلوق بلا تفاوت ، وبنيسان مشيد بلا عمد وسقف محفوظ بلا فطور وسلك مرفوع بلا فروج والى ما فى بنائها من نجوم لا تمد ولا تحصى وما لهذه النجوم من (مواقع) تستحق أن تكون محلا للقسم العظيم يقسمه الخالق العظيم .

بماذا أحدثتك هذه الجولة عن سعة السماء يا ملحد وان كنت لا تؤمن بهذه الايات القرآنية النبيرة المباركة وما تحدثت عنه من سعة السماء ؟ فتعال مرة ثانية الى معطيات العلم الحديث في هذا المجال سترى ان السعة التى عرفها العلم اليوم عن السماء لم تكن تخطر على قلب بشر في العصر الذى نزل فيه القرآن .

انت قد درست فيما درست معنا فيما مضى من هذا البحث ، وبالتحديد في مبحث " شهادة علم الفلك " ، " وأن الضوء يقطع في الثانية ١٨٦ الف ميل أو ٣٠٠ ألف كيلومتر أى أنه يقطع في الثانية (١١ مليون و ١٦٠ الف ميل) في السنة الواحدة من سنينا يقطع ستة ملايين مليون او ستة الاف مليار ميل تقريبا) . وهذه المسافة هي التي اصطالحوا على تسميتها (السنة الضوئية) ليجبروا عن ابعاد السماء الهائلة ، فمتى قيل لنا ان نجما يبعد عنا سنة ضوئية فهنا أنه يبعد عنا ستة ملايين مليون ميل (١)

أليس هذا ما تؤمنون به يا ملحد ! نعم ! نعم ! هذا هو الحق ان العلم لا ينطق الا بعد التجربة الحسية .

اذن نتقدم خطوة اخرى معك يا ملحد !

(١) راجع كتابة قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص ٣٠٥

" فللقمر يا ملحد ، وهو أقرب الاجرام السماوية الى الأرض ، يصل لوره اليها في أقل من ثانتين لأن بعده عن الأرض ٢٤٠ الف ميل تقريبا أليس هذا يقره العلم الحديث يا ملحد ! نعم هذا هو ما نعتقده وموت عليه . أحسنت يا ملحد فلنتقدم أيضا الى الأمام ..

" أما الشمس فيصل نورها اليها في نحو ٨ دقائق لأن بعدها عن الأرض ٩٣ مليون ميل تقريبا . فيل أزيدك يا ملحد ! نعم زدني ! فاعلم أن اقرب نجم اليها بعد الشمس يبعد عنا أربع سنوات ضوئية تقريبا ومعنى ذلك انه يبعد عنا ٢٣ مليون مليون ميل تقريبا .

أتو من بهذا التقرير الطلي الحديث يا ملحد ! طبعا طبعا فكل ما يصدر عن العلم لا مساومة فيه ابدا .. طيب ! ان هذا العدد تافه جدا امام التقارير الحديثة التي تقول : " ان وراء ذلك (النسر الطائر) الذي يبعد عنا ١٤ سنة ضوئية و (النسر الراح) الذي يبعد عنا ٣٠ سنة ضوئية و (السمك الراح) الذي يبعد عنا ٥٠ سنة ضوئية أي ٢٩٤ مليون مليون ميل تقريبا .

(١)
فما رأيك في هذا ؟ يا ملحد ! ان الحقيقة ان هذا الاخير شيء مذهش .. وهذا أيضا تافه يا ملحد !

" فورا ذلك نجوم تبعد عنا الف سنة ضوئية ، ووراء مجرتنا هذه سديم فيها سديم " المرأة المسلسلة " الذي يبعد عنا مليون سنة ضوئية ، ووراءه من السدم ما هو أبعد في تقدير العلماء ..

أليس هذا الذي وصل اليه العلم الحديث يا ملحد ! انه هو ! هذا في سعة السماء ، أما عدد النجوم فيماذا أحدثك عنه العلم الحديث يا ملحد ؟ واصل حديثك انني موافق لكل ما ذكر ..

(١) ان هذا الحوار نقلناه عن المصدر السابق مع تغييرات كثيرة ص ٣٠٥

" ان العلم يذكر ان النجوم يمدّ اليوم بالعلماء بين بعد ان كان الناس في

السابق يمدون بها بالالف ٠٠٠ فقد وصلوا - الان - الى ثلاثين مليار في مجراتنا التي نحن من عالمها * هذا شيء يسير في سعة هذا العالم * اليس كذلك يا ملحد ! نعم لأنه من نتائج العلم الحديث الصرفة .. أفلا تحدثنا يا ملحد عن مواقع النجوم؟

لا ! لا ! واصل كلامك اذا وجد هناك خطأ فسوف أبينه !

" لقد رأى العلماء ان لهذه النجوم مواقع لا تتبدل ولا تتغير ، فظنوها ثابتة وسموها (الثوابت) ومنها شمسنا * وما هي بثوابت كما حقق العلماء في هذا العصر ، بل كلها تدور وتجرى لمستقر لها في مجريين مختلفين متداخل احدهما في الاخر ..

هل توافق العلم في تقريره الاول أم الثاني ؟

الملحد : أوافق في الثاني ! ولماذا لا توافقه في الأول ؟

الملحد : انه قد تبين انه خطأ *

أيقع العلم الحديث في خطأ ؟ ؟

الملحد : وكيف لا ! انه في تطور دائم ومحاولات جديدة مستمرة ..

وكيف تؤمنون بشيء في كل شؤونكم مع الاعتراف بأنه متعرض للخطأ ؟ ولما

طالت مدة انتظار الجواب من الملحد قلنا : فلنتقدم اذن يا ملحد الى الامام

مع هذا المأخذ الواضح على العلم الحديث الذي لا مفر منه ..

يا ملحد ! الست قرأت معنا الايات السابقة أن القرآن يقول : * والشمس تجري

لمستقر لها ذلك تقدير العزيز الحكيم *

الملحد : نعم قد قرأنا هذه الاية *

هل هي تتناقض مع حقائق العلم الحديث التي توصل اليها اخيرا ؟

الملحد : لا منافاة بينهما !

لماذا لا تؤمن بالحقائق التي جاءت بها الأديان والتي وافقت معلوماتك ؟

الملحد : أعرف بعد هذا الحوار ان الدين كذلك قام على حقائق علمية
ولكننا لا نستطيع ان نتصور ان لهذا الكون خالقا لأن بعض علمائنا المشهورين
مثل برتراند رسل أثبت أن هذا الكون لا يحتاج الى موجد ومثل لا بلاس الذي
يقول : ان هذا الكون لا يحتاج الى اية اسطورة لا هوتية وكما قال داروين :
ان تدخل الله في الكون بمثابة / فكيف اذن أترك هذه التقارير من هؤلاء
العلماء الفطاحل ؟

يا ملحد : ما زلت على ضلالك القديم ؟ اذن نغير معك اسلوب الحوار
فلنتقل سريرا الى قانون المصادفة لنرى معك نصيب المصادفة من هذا
العالم المنظم المتفق ..

الملحد : طيب فلنتقل اليه فهو الفيصل في هذا الباب ..
وهكذا رأينا ان الالحاد مبني على تقليد أعمى اكثر من ان يكون مبنيًا
على علم ودراسة . ان الملحد اقرّ بأن الشمس تجرى كما قال القرآن
ولكنه لا يستطيع ان يؤمن بقيمة هذه النتيجة لأن علمائهم اثبتوا في
اقوالهم أن هذا العالم لا يحتاج الى موجد مدبر حكيم . فلا يؤمن بالله
الا اذا اثبتنا علميا أن الصدفة عاجزة عن خلق هذا الكون ،
اذن - / قانون الصدفة الذي اتفق عليه علماء الطبيعة ومصميم الملاحظة
ايضا .

قانون الصدفة

ان المصادفة تبدو شاردة ، غير منتظمة ، وغير خاضعة لأي طريقة
من طرق الحساب ، ولكن اذا كنا ندهشنا مفاجأتها فانها مع ذلك خاضعة
لقانون صارم نافذ . (١) ولا بد من ايضاح ذلك بضرب الأمثلة :

(١) العلم يدعو للايمان ، ١٠١ كريسسي موريسون ص ١٣

إذا أخذنا - مثلا - لوحا ، وأغرزنا فيه ابرة ، ووضعنا في ثقبه ابرة ثانية
أخرى وقل لي يا ملحد ، إذا رأى انسان عاقل هاتين الابرتين ، وسأل كيف
أدخلت الثانية في ثقب الأولى ؟ فأخبره انسان ، معروف بالصدق ، ان الذى
ادخلها رجل ماهر قذف بها ، من بعد عشرة أمتار ، فاستطاع أن يدخلها
في ثقب الابرة الاولى ..

ثم أخبره انسان ، معروف بالصدق ، ان الذى ادخلها في ثقب الاولى ، صبي
صغير ولد من بطن أمه أعمى ، فوقعته في الشق (بطريق المصادفة)
فأى الخبرين تصدق يا ملحد !

الملحد : انه ولا ريب أميل الى تصديق : الخبر الأول وكما يميل اليه كل
عاقل ، ولكننى مع ذلك أرى أن المصادفة ممكنة ، فلذا لا أستطيع بهذا
المثال أن أجزم بترجيح أحد الخبرين على الآخر ... اذا كان عندك
شيء آخر غير هذا فات به ! (١)

فاسمع اذن يا ملحد ! لو اذنا رأى هذا الرجل ابرة ثالثة مغروزة في شق
الابرة الثانية ايضا ، فهل يبقى عدم الترجيح على حله عندك ؟
الملحد : كلابل يتقوى ترجيح (القصد) على المصادفة ، ولكنه مع كل
ذلك لا أستطيع أن انفى فكرة المصادفة كليا وانما ارجح القصد ترجيحا
ضعيفا ..

يا عجباً . ولكن اذا رأيت أن هناك عشرات ، وكل واحدة منها مغروزة في
ثقب الاخرى التى تليها ، فهل ترجح فكرة القصد ترجيحا ضعيفا أو قويا .
الملحد : الآن القصد مرجح عندى ترجيحا قويا حتى يبدو ان أقول
ان فكرة المصادفة كادت أن تتلاشى .. ولكنى أجد فى نفسى دائما - أن
المصادفة موجودة ولكنها تكون مستبعدة احيانا كهذه الحال وليست مستحيلة ؟

(١) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر . ولكن أغلب
الالفاظ قد تصرفنا فيها .. ص ٢٩٢

الى الان ما زلت على فكرتك القديمة يا ملحد ؟

اذن فلا بد أن نغير معك اسلوب الحوار أيضا وصدق الله : * وكان الانسان

الكثير شقى * جدلا * فخذ مثلا آخر لحلك به تهتدى :

يا ملحد ! لو رأيت احدا يقول لك ان حرف مطبعة كونت بنفسها عند
اختلاطها ، بالمصادفة كتابا كاملا من (٥٠٠) صفحة ينطوي على قصيدة
واحدة تؤلف بمجموعها وحدة كاملة مترابطة متلائمة منسجمة بالفاظها واورانها
وقوافيرها ومعانيها ومغازيها ، فهل كنت تصدق ذلك يا ملحد ؟

الملحد : لا ! لا ! أبدا لا أصدقه !

(١)

ولماذا لا تصدقه يا ملحد !

الملحد : لا ! لأنني هنا أجد الاستحالة بديهيته حقا بخلاف الابر العشر ،

لا أجد وجه الاستحالة واضحا وبديهيها كما أجد في مثلها الكتاب .

أتدري - يا ملحد - ما هو السبب في ذلك ؟

السبب يرتكز على قانون المصادفة نفسه : فالتزام بين الابر يجرى بين
عدد قليل فيجعل خط المصادفة بنسبة معينة ٠٠ وهذه النسبة وان كانت
تكفي لا بطلان لفكرة المصادفة ، ولكن التزام بين حروف الكتابة يجرى بين
(٥٠٠) الف حرف على تكوين (١٦٥) ألف كلمة تقريبا ، بأشكال وترتيبات
لا تعد ولا تحصى أبدا . وهذا ما يجعل خط المصادفة بنسبة واحد ضد

عدد هائل جدا جدا لو قلت عنه أنه مليار مليار مليار لكان قليلا ٠٠٠

هذا في كتاب المطبعة وكلماته المحدودة الممدودة يا ملحد !

فما قولك في كتاب الله الأعظم وكلماته التي يقول عنه جلت قدرته :

* قل لو كان البحر ممدادا للكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي

ولو جئنا بمثله مددا *

ويقول : * ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة

أبحر ما نفدت كلمات الله * ٠٠ ؟

وبهذا الاستمرار نصل الى النتيجة التالية :

" ان حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص ، بنسبة معكوسة مع

عدد الامكانيات المتكافئة المتزاحمة " (١)

وتوضيح ذلك : انه كلما قل عدد الأشياء المتزاحمة ، ازداد حظ المصادفة

من النجاح ، وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة . فاذا كان التزاحم

بين شيئين اثنين متكافئين ، يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد

اثنين) واذا كان التزاحم بين عشرة يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد

عشرة) وهكذا الأمر حتى تصبح المصادفة في حكم العدم ، بل المستحيل .

فتعال نتصور في عدد ما في عالم الخلق (من شيء) في ملكوت السموات والارض ،

من الذرة الى المجرة ، وعدد ما يربط بينهما ، في عالم الأمر ، من روابط

وعلائق على اختلاف النواميس ، والاقدار ، والمدد ، والأشكال والحركات

والأوضاع . . . هل يتصور أن توجد هذه الأشياء بطريق الصدفة ؟ انه مستحيل

في حكم العقل السليم . . . ؟

هذا ما أكدته الدكتور (واين اولست) بقوله :

" أما النظريات التي ترى الى تفسير الكون تفسيراً آلياً فانها تعجز عن

تفسير كيف بدأ الكون ، ثم ترجح ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الاولى

الى محض المصادفة ، فالمصادفة هنا فكرة يستماض بها عن فكرة وجود الله

بقصد اكمال الصورة والبعث بها عن التشويه . . . ولكن حتى بغض النظر عن

الاعتبارات الدينية عامة ، نجد ان فكرة وجود الله أقرب الى العقل والمنطق

من فكرة الصدفة ولا شك ، بل ان ذلك النظام البديع الذي يسود هذا

الكون يدل دلالة حتمية على وجوده المنظم وليس على وجود مصادفة

عمياء تخبط خبط عشواء " (٢)

(١) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن - نديم الجسر ص ٢٩٢

(٢) عن كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص ١٣٣ - ١٣٤

ويقول (أدوين فاست) : " وإذا نظرنا إلى الكائنات الحية الراقية فإننا نرى من بينها ما لديه من الذكاء ما يجعله قادرا على التخطيط والابتكار والقيام بأعمال تقرب من حدّ الإعجاز وتحاول أن تتغلب على القوانين الطبيعية ... فإذا تصورنا أن كل ذلك يتم بمحض المصادفة التي تجعل الجزيئات تجتمع بصورة معينة لكي تكون ذرات يتألف بعضها مع بعض لكي تكون أجساما تقوم بدورها بالتكاثر وأداء سائر وظائف الحياة ويكون لها عقل وتفكير دون ان يكون وراء كل ذلك اله مدبر هو الذي خلق فصور فأبدع ... فان ذلك ما لا يقبله عقل او يتصوره فكر ...

(١)

" وحتى اذا فعلنا ذلك فإننا نكون قد أخذنا بفرض مستحيل من الوجهة العلمية ، و طرحنا وراء ظهورنا فرضا منطقيًا ألا وهو وجود الله الذي أنشأ هذا الكون وبدأه بقدرته . فالله هو المبدئ " (٢)

وهكذا رأينا مع الملحد أن نظرية المصادفة لا تقوم على أي دليل علمي مقبول ولا يقبلها أي عقل سليم ... و لهذا نرى القرآن يخاطب هؤلاء المتشككين بأسلوب اتقاي بسبب فيه أن الكون لا بد له من مسبب وهو الله سبحانه (أفى الله شك فاطر السموات والأرض) أفى وجود الله وألوهيته وحده شك وهو خالق السموات والأرض ؟

ويلفت القرآن النظر إلى الحكمة المتمثلة في خلق المخلوقات والتي تدل على خالق في نهاية العلم والحكمة * صنع الله الذي أتقن كل شيء * فالمصادفة لا تخلق وجودا فيه علم وحكمة واتقان صنع ...

والفرض في هذه الفقرة ، اثبات أن العلم والدين يحاربان المصادفة معا . وقد حصل ذلك بمنه وكرمه ... وقد رأينا مختلف العلوم الحديثة قد حاربت هذه الفكرة وكما رأينا القرآن حاربها ثم رأينا أخيرا قانون الصدفة الذي يعترف به الملاحدة قد حاربها : والحمد لله على ذلك .

وليس معنى ذلك أن الملحد يرفض الالحاد بمجرد اثبات الدليل على
بطلانه لا إنا ذلك بتوفيق الله وعنايته لأن الملحد قد تعدت فيه
أجهزة الاستقبال الفطري فليس في استطاعته أن يؤمن بمجرد وضوح
دليل هذا ما أشار إليه القرآن بقوله :

- * الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون * (١)
ولولا ذلك كيف يلحد الانسان وهو يتلو الايات التالية :
- * انا كل شيء خلقناه بقدر * (٢)
* وخلق كل شيء فقدره تقديرا * (٣)
* وكل شيء عنده بمقدار * (٤)
* والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون * (٥)
* وان من شيء الا عنده خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم * (٦)
* وأنزلنا من السماء ماء بقدر * (٧)
* الذي أحسن كل شيء خلقه * (٨)
* لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم * (٩)
* قل انظروا ماذا في السموات والأرض * (١٠)
* ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت * (١١)
* وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون * (١٢)
* سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق * (١٣)

(١) سورة الانعام اية : ١٣	(٢) سورة القمر اية : ٤٩ (٣) الفرقان آية : ٢
(٤) سورة الرعد اية : ٨	(٥) سورة الحجر اية : ٢٩
(٦) سورة الحجر اية : ٢١	(٧) سورة المؤمنون اية : ١٨
(٨) سورة السجدة اية : ٧	(٩) سورة التين اية : ٤
(١٠) سورة يونس اية : ١٠١	(١١) سورة الملك اية : ٣
(١٢) سورة يوسف اية : ١٠٥	(١٣) سورة فصلت اية : ٥٣

هذا يا ملحد بعض آيات الله التي أنزلها على عبده ورسوله محمد صلى
الله عليه وسلم النبي الأُمِّي سليل القبيلة الأُمِّيَّة وربيب البيئــة
الأُمِّيَّة ، منذ أربعمئة عشر قرناً .
والملاحظة قديما وحديثا اذا اتبعت عليهم أدلة الأثبات لوجود الله تراهم
ينتقلون الى حجة شيطانية خبيثة لا يستطيع المؤمن أن يردّها الا بعد
تحقق في العلوم الدينية والفلسفية والمادية .
فما هي اذن هذه الحجة الشيطانية ؟
وفيما يلي محاولات لبيانها وابطالها :

حجة شيطانية

رغم أننا قد ابدلنا في الفقرة السابقة ، فكرة المصادفة ، ولكن تبقى
هناك حجة شيطانية يتمسكون بها - قديما وحديثا - لاثارة الشكوك في
تلوب المؤمن الذين لم يجربوا الامور . . .
وهذه الحجة الشيطانية قولهم : " اذا كان الله هو الخالق ، فمن الذي
خلقه " ؟ (١) * كبرت كلمة تخرج من أفواههم . سبحان الله عما يشركون *
ان هذا الهذيان لا يقوله مؤمن جاد ، ولا عالم طبيعي جاد ، وانما يقوله
جاهل بالدين وجاهل بالعلم الحديث " والقديم " .
فالؤمن من الجاد يعلم يقينا ان للخالق صفات تخصه ، وللمخلوق صفات
تخصه فلا يجعل من كان وجوده ذاتيا وواجبا في درجة من كان وجوده جائزا
ان الخالق ليس بحادث ، فينطبق عليه قانون الحوادث في السؤال عن خالق له
فذلك غير سائغ . لانه كامل مطلق . والكامل المطلق لا يحتاج الى غيره . . .

(١) الوجود الحق ، الدكتور حسن الهويدي ص ٣٢

وقول الملحد هنا ، بعد اقراره بأن الله يجب ان يكون هو الكامل المطلق :
 أين موجود الكامل للمطلق ؟ تناقض بين ، وخطأ ذريع تشتمل عليه
 الجملة في طرفيها ، فأولها عجز وافتقار : (أين موجوده) ؟ وآخرها
 (كمال مطلق) لا يتطرق اليه العجز والافتقار ! اذن فالكامل المطلق
 لا يفتقر بحكم كماله الى سبب يحدثه ، والا كنا مضطرين الى نقض كماله . وذلك
 أمر ثابت مقرر عندنا . .

ولعل بعض السطحيين يظن أن هذه المفاجأة بهذا السؤال غريبة على
 عقول المؤمنين بالخالق . والحق ان السؤال ليس مفاجئاً ، فقد أشار اليه
 الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق
 كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فاذا بلثه
 فليستخذ بالله ولينته " (١)

وقد ورد معناه في حديث اخر ، برويه البخاري ايضاً وسلم عن ابي هريرة قال
 " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا
 خلق الله الخلق . فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت
 بالله ورسوله " .

والتورط في هذا الخطأ راجع الى علة نفسية وجبيل صاحب السؤال بالدين
 والعلم . ذلك ان شدة سيطرة القاعدة الاولى الخاصة بالحوادث (لا بد لكل
 حادث من محدث) والتي تبرز لأعيننا في مئات الحوادث كل يوم ، جعلته يطبق
 (بقصد او بخير قصد) هذه القاعدة على الله الذي ليس كمثل شئ .

(١) رواه البخاري في باب الاعتصام^{١٢} ورواه مسلم في باب الايمان ٢١٢

(٢) رواه البخاري ، بدء الخلق ١١ ورواه مسلم }
 ٢١٤ }
 ٢١٥ }
 ٢١٧ }

وشأنه في هذا القياس الشوولي ، شأن رجل يشتغل طوال عمره بكيمياء
النحاس فمرض له الذهب فجأة ، فراح يطبق عليه قوانين النحاس ، افتراه
يصيب أم يخطئ ؟ لا جرم انه مخطئ . . . وأن خطأه نشأ من انه ما كنه
الدائم في قانون معين وقلته عن التفريق بين القوانين حينما اختلفت مجالاتها
التطبيقية و تعرف كل فطرة سليمة أن خالق الحوادث لا يتصف بالحدوث قطعا
فكيف تطبق عليه قانون الحوادث .

ان هذه الشبهة مع سخافتها و حماقتها ، يقيم في ظلماتها الكثيرون ، هي
التي ردت كثيرا من الناس اليوم عن قبول الحق ، وهي نتيجة سيئة لامتداد
الفلسفة الى ما وراء حدود اهلها ، حتى بلغت عقول العامة من المتطفلين
على الفلسفة ، أو ادعاء العلم الحديث ، فأصبحوا في كل واد يهرمون و يتكلمون
فيما لا يعرفون ، وهم لقصور باعهم في هذا المضمار ، لا يستطيعون تحييص
الحق من الباطل ، ولو اخلصوا في ذلك ، لمدم الاستعداد ، كالرجل الذي
لم يدرس الهندسة والحساب ، ويحاول ان يبرهن لك صحة نظريته
(فيثاغورس) مثلا واليك نموذج من هؤلاء المتطفلين :

الدكتور العظم والحجة الشيطانية

خذ مثلا الدكتور صادق جلال الدين العظم . الذي ألف كتابا سماه : نقد
الفكر الديني . ومن قرأ هذا الكتاب يرى فيه عجبا من المفالطات والباطل
والافتراءات . وسائر وسائل الجدل بالباطل كدحض قضية الحق . . .
ومن هذه الافتراءات قوله :

" ان قولنا باحتضار الله في المجتمعات المتخلفة يشكل تمثيلا رمزيا لحالة
الثورة والفوران ، وفقدان الجذور التي تعانيتها هذه المجتمعات في محاولاتها
الوصول الى نوع من التعايش المرحلي بين الافكار العلمية الجديدة وتطبيقاتها

العلمية والصناعية ، وبين تراثها الديني السحيق . دون أن يتنازل كلياً
ومرة واحدة غما في ماضيه من قيم غيبية . لذلك نسمع دائماً أصداً صرخة
تقول :

" حتى لو سلمنا كلياً بالنظرة العلمية للأشياء ستبقى أمامنا مشكلة (المصدر
الأول) لهذا الكون .

لنفترض مع (رسل) (٢) أن الكون بدأ بسديم . ولكن العلم لا يقول لنا : من
أين جاء هذا السديم . انه لا يتبين لنا من أين جاءت هذه المادة الأولى
التي تطور منها كل شيء ؟ فلا بد للعلم اذن من أن يتصل بالدين ففى
نهاية المطاف .

" ولكن السؤال بهذه الصورة يبين لنا مدى تحكم تربيتنا الدينية ، وتراثنا
الغيبى في كل تفكيرنا . . .

" لنفرض اننا سلمنا بأن الله وحده هو مصدر وجود المادة الأولى ، هل
يحل ذلك المشكلة ؟ هل يجيب هذا الافتراض على سؤالنا عن مصدر
السديم الأول ؟

والجواب هو طبعاً بالنفي . أنت تسأل عن علة وجود السديم الأول وتجب
بأنها (الله) . . .

وأنا أسألك بدورى : " وما علة وجود الله " ؟

وستجيبنى بأن الله غير معلول الوجود .

وهنا أجيبك : ولماذا لا نفترض أن المادة الأولى غير معلولة الوجود ؟

ابهذا يحسم النقاش دون اللجوء الى عالم الغيبيات ، والى كائنات روحية بحيث
لا دليل لدينا على وجودها . علماً بأن ميل الفلاسفة القدماء بما فيهم المسلمون
كان دائماً نحو هذا الرأي اذ قالوا : (بقدّم العالم) ولكنهم اضطروا

(١) راجع ايضاً كتاب صراع مع الملاحدة حتى العظم ، عبد الرحمن حسن حبكة الميدانى
ص ١٠١

(٢) بقتدر (رسل) الملحد الماتى (برتراندرسل) الذى تحدثنا عنه مراراً .

(١)
 للمداورة والمداراة بسبب التعصب الديني ضد هذه الفكرة الفلسفية للموضوع.
 " في الواقع علينا أن نعتزف بكل تواضع بجهرلنا حول كل ما يتعلق بمشكلة
 المصدر الأول للكون . .

عندما تقول لي : " وما علة وجود الله " ؟ ان أقصى ما تستطيع الاجابة
 به ، " لا أعرف الا أن وجود الله غير معلول " (٢)

ومن جهة اخرى عندما تسألني : وما علة وجود المادة الأولى فان أقصى
 ما أستطيع الاجابة به : " لا أعرف الا أنها غير معلولة الوجود " .
 في نهاية الأمر اعترف كل منا بجهرله حيال المصدر الأول للأشياء .
 ولكنك اعترفت بمدى بخطوة واحدة ، وأدخلت عناصر غيبية لا لزوم لها لحل
 المشكلة . ثم قال :

" والخلاصة ، اذا قلنا : ان المادة الأولى قديمة وغير محدثة ، أو ان
 الله قديم وغير محدث ، نكون قد اعترفنا بأننا لا نعرف ولن نعرف كيف يكون
 الجواب على مشكلة المصدر الأول للأشياء .

فالأفضل - اذن - أن نعتزف بجهرلنا صراحة ومباشرة عوضا عن الاعتراف
 به (بحارق ملتوية) وبكلمات وعبارات رنانة . .
 ليس من العيب أن نعتزف بجهرلنا ، لأن الاعتراف الصريح بأننا لا نعرف ما لا
 نعرفه من أهم مقومات التفكير العلمي .

وتعرفون أن العالم ملزم على تطبيق الحكم عندما لا تتوفر لديه الأدلة والشواهد
 والبراهين الكافية لاثبات أولنفي قضية ما .
 " هذا هو الحد الأدنى من متطلبات الأمانة الفكرية في البحث الجاد
 عن المعرفة والحقيقة " (٣) .

* * *

(١) المصدر الأول ص ١٠٢

(٢) المصدر الأول ص ١٠٣

(٣) المصدر الأول ص ١٠٣

هذا كالمذهب العظيم " حرفيا ، وعلينا أن نقوم بدورنا لتحريرة أبا طبله
أمام القارئ وبيان مغالطاته السخيفة ..

اننا لا نرد عليه في سخافته حيث أطلق على هذا الخلاق العلى التقدير كلمة
(الاحتضار) * وقد سبق لنا في هذا البحث أن (نبشة) يقول : ان الله
قد مات . ان مثل هذه الحماقة لا تستحق الوقوف عندها ولا تدخل في أى مجال
أو في أى مستوى من مستويات النقاش العلمى أو البحث المنطقى . ولا جواب لها
في الحقيقة الا أن ينزل الله عليه صاعقة * ولكن الله يسهل ولا يسهل حتى
إذا أخذه بالمذاب لا تجد له من نصير ..

ومن تأمل هذه المقالة الشنيعة ، يجدها تركز على النقاط التالية :

أولا :-
_____ ان المؤمن والملحد سواء . فكل منهما لا يجد جوابا في اثبات ما
يحتقده الا أن يقول : لا أعرف الا أن وجود هذا الاصل غير معلول ..
اذن فلا فضل للايمان على الالحاد .. لأن كلا منهما يؤمن بشئ غير
معلول . وكلاهما قديم .

ثانيا :-
_____ وبعبارة اخرى : ان كلا من الله والسديم يصلح أن يكون هو الموجد
لهذا الكون على حد سواء ..

ثالثا :-
_____ اذا كان الله - سبحانه وتعالى - علته لوجود الكون فما هو علة
وجوده ؟ لأن القاعدة الفلسفية تقول : " كل موجود لا بد له من موجد " .
فهذه هي أهم النقاط التي دار حولها كلام هذا الملحد : فلنعط " كلا "
كلمة ..

(1)
أولا - تولد ما دام الله غير معلول فلم لا يكون السديم غير معلول أيضا ؟
ولدى البحث المنطقي الهادى * يتبين لكل ذى فكر صحيح . ان هذه الحجة
التي ساقها ليست الا مغالطة من المغالطات الفكرية ..

وهذه المفالطة قائمة على التسوية بين أمرين متباينين تباينا كبيرا ولا يصح التسوية بينهما في الحكم . وفيما يلي تمهيد تامة لهذه المفالطة من كل التلبيسات التي جلدتها بها .

فاذا أردنا أن نبين المفالطة في قوله هذا ، يكون التعبير كالتالي :
ما دام الموجود الأزلي غير معلول الوجود فلم لا يكون الموجود الحادث غير معلول الوجود أيضا ؟

وقد رأينا في الصفحات السابقة أن قياس الحادث على القديم الأزلي الذي لا أول له . من سخافة القول ومن حماقة والجهل . .
وإذا قال الملحّد : ولم لا تكون المادة الأولى لهذا الكون (كالسديم مثلا) قديمة أولية غير حادثّة + يصدر منها الخلق ثم يعود عليها ؟

نقول ان جوابه يؤخذ من طبيعة هذا الكون وما فيه من صفات وخصائص .
لقد اتفق العلماء الطبيعيون المنصفون على حدوث العالم . وقد رأينا فيما مضى حينما ناقشنا الملحّد الأول (ديمقريطس) القانون الثاني للحرارة الديناميكية وهو القانون الذي يسمونه (قانون الطاقة المتاحة) أو يسمونه (ضابط التنبير) ان هذا القانون يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزليا :
اذ هو يفيد تناقض عمل الكون يوما بعد يوم . ولا بد من وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات . وحينئذ لا تبقى أية طاقة مفيدة للحياة والعمل وتنتهي العمليات الكيماوية والطبيعية وبذلك تنتهي الحياة . .

يذكر هذا التحقيق الملمس عالم امريكي في عالم الحيوان ، هو : " ادوارد لوثر كيسل " ثم يقول :

" وهكذا تلقائيا وجود الاله ، لأن كل شيء ندى بداية لا يمكن أن يتدى بذاته .
ولا بد أن يحتاج الى المحرك الأول الخالق الاله " .

ونجد مثل هذا في كلام (السير جيمس) ان يقول في كلام له :

"تو من العلوم الحديثة بأن (عملية تخير الحرارة) سوف تستمر حتى تنتهي طاقتها كلية . ولم تصل هذه العملية حتى الان الى آخر درجاتها . لأنه لو حدث شيء مثل هذا لما كنا الآن موجودين على ظهر الأرض حتى نفكر فيها . ان هذه العملية تتقدم بسرعة مع الزمن . ومن ثم لا بد لها من بداية ، ولا بد أنه قد حدثت عملية في الكون يمكن أن نسميها (خلقا في وقت ما) حيث لا يمكن هذا الكون أزليا" (١)

اذن - فحدوث الكون أمر محترف به عند العلماء الماديين . ولكن الملحدين بالله يغالطون في الحقائق . ويتظاهرون بالانتماء الى قافلة العلم والبحث العلمي زورا وبهتانا .

فيبدو لنا بعد ذلك - أن تسوية (العظم) بين الاله الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق الحادث في موضوع الأزلية ، تسوية مبنية على المهجوى لا على العلم والانصاف في التحقيق . . .

وقد حققنا فيما مضى أن من كان أصله الوجود ، ووجوده أزلي . فانه لا يحتاج أصلا الى علة لوجوده . واذا كان لا يحتاج الى علة لوجوده فالسؤال عن هذه العلة خطأ وضلال . . ومخالف للمنطق السليم . .

وأما قوله ان المؤمن بالله ليس في استطاعته أن يثبت وجود الله الا أنه غير محلول . ان القول فيه حقائق وأباطيل .

وأما الحقائق في هذا القول ان الانسان لا يستطيع أن يدرك كنه الله لأنه لم يعط - بعد - الوسائل الكافية في معرفة الله عز وجل حسيا ، بل أن المنطق الصحيح يقضي أن الصغير لا يستوعب الكبير ، وأن الناقص لا يحيط بالكامل ، وقد عرفنا أن الانسان لا يتمتع اكثر من الكمال النسبي وأن الخالق يتصف بالكمال المطلق . .

(١) نشقلا عن كتاب صراع مع الملاحدة حتى العظم ص ١٠٧

ومعنى ذلك ان الكمال النسبي لا يمكن ان يحيط بالكامل المطلق ، كما
لا يحيط العدد المحدود باللانهاية ، أى : ان الانسان لا يمكن ان يحيط
بالخالق حين البحث في معرفته او أن يدركه ادراكه للحسوسات التي بين
يديه ..

ولكن ليس معنى ذلك ان عدم الاحاطة يقتضى عدم المعرفة ، كما يظنه هذا
الدكتور العظيم ، فان الطفل الصغير يمكن أن يعرف رجلا كبيرا دون ان يحيط
بجميع صفاته ، فالطفل عرفه ولكنه لم يحط به ، فالمعجز عن درك الادراك
ادراكه " فمن نفي ذلك فانه اما مصاب في عقله او متعصب للحاده واغوائه ..

الفطرة السليمة تقر معرفة الله بدون احاطته

ان هذا يعرفه كل ذى فطرة سليمة . تجد ذلك مصورا تصويرا حسيا فيما
يرى " عن رجل مرتاب مر برجل مؤ من على ساحل البحر ، فدعا
الى الايمان فأبى الا أن يرى الله جبهة - كما يحتج بذلك كل ملحد -
فانتحى المؤ من جانبا وحفر حفرة صغيرة وأخذ يصب من ماء البحر والماء يطفح
من جوانبها ، واستمر على ذلك وحتى عجب منه صاحبه الملحد ، فأقبل
عليه قائلا :

ماذا تفعل ؟ قال : أريد أن انقل البحر الى هذه الحفرة ! قال : وهل
يفعل ذلك عاقل ؟ وهل يستوعب هذه الحفرة الصغيرة مياه البحر الكبير ؟ قال
المؤ من : " وهل يستوعب هذا الانسان الصغير الخالق الكبير ؟ " . انك لتجد
تحديد هذا النوح من المعرفة في آيات القرآن الكريم " (٢)

* لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير * (٣)

لأن ادراك الاحاطة من خصائص الأكبر بالنسبة الى الأصغر ، وهو مفقود
في الأصغر بالنسبة الى الأكبر .

(١) الوجود الحق الدكتور حسن هويدى ص ٣١

وراجع أيضا في ظلال القرآن ط ١ ص ١٣ في المقدمة

(٢) المرجع السابق ص ٣١ (٣) سورة الانعام اية : ١٠٣

* واذ قلت يا موسى لن نوؤ من لك حتى نرى الله جبهة فلخذتكم الصاعقة
وأنتم تنظرون * (١) لا استحالة اشتغال العين عليه ، لأنه ليس من الحوادث
المحسوسة فينتقل بطريق الخس . أي انه غير مادي فينطبق عليه قانون
المادة .

* قال رب أرنى انظر اليك ، قال لئن تراني ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صمقا * (٢)

وفيه اشارة الى أن الخالق لم يحجب نفسه ضنا على المخلوق بل ان نقص
المخلوق الذي يتناسب مع الخلافة في الأرض هو الذي حجبته عن الرؤى
ولذا يقول تعالى :

* وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا * (٣)

لماذا لا يستطيع البشر أن يرى الله في هذه الدنيا ؟ فتجيب الآية :

* ليس كمثل شيء وهو السميع البصير * (٤)

وما دام لا يماثل الأشياء ولا تماثله فلن يدرك ادراك الأشياء اذن فالذي
نخلص اليه أن المبدع الأول لا يمكن أن يحيط به حين معرفته ولا أن ندركه
ادراك المحسوس فهو يعرف معرفة كما قال تعالى :

* وقالت رسليهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض * (٥)

ولكنه لا يحاط به احاطة . . وهذا تتضح للناس مغالطات الدكتور العظيم
وتطرفاته بل الحادة المضل .

* * *

(١) سورة البقرة آية : ٥٥

(٢) سورة الاعراف آية : ١٤٣

(٣)

(٤) سورة الشورى آية : ١١

(٥) سورة ابراهيم آية : ١٠

وهنا يطرح الملحدون على عوام المسلمين مخالطة في سوق الدليل على وجود الله فيقولون لهم : أستم تقولون : " ان كل موجود لا بد له من موجد " وان هذا الكون موجود فلا بد له من موجد ، وذلك هو الله تعالى . . .

فيقول/العامي الذي لا يعرف أصول المغالطات : بلى . عندئذ يستدرجه الملحده فيقول له : الله موجود وهو على حسب الدليل لا بد له من موجد فيجد العامي نفسه قد انقطع ان لم يستطع جوابا . .

لكن الخبير الذي يسير على ضوء الكتاب والسنة ، لا يقبل أصلا صيغة الدليل على هذا الوجه القائم على المغالطة . .

وذلك لأن المقدمة (كل موجود لا بد له من موجد) مقدمة كاذبة غير صادقة . فالخبير لا يسلم بها لفسادها لأنه قياس شمولي .

فالله تعالى لا يتناوله القياس الشمولي ولا قياس التمثيل والذي ينبغى فسي حقه هو قياس الأولي . .

فماذا يقول الخبير ؟ فالخبير يقول بدل ذلك (كل موجود حادث لم يكن ثم كان لا بد له من موجد) . . ثم يقول :

(وهذا الكون موجود حادث لم يكن ثم كان بشهادة العقل وشهادة البحوث العلمية) عندئذ تتحصل النتيجة على النحو التالي : (اذن فلا بد لهذا الكون من محدث) وهذا المحدث للكون لا بد أن يكون موجودا أزليا غير حادث ولا بد أن يكون منزها عن كل الصفات التي يلزم منها حدوثه ، حتى لا يحتاج الى موجد بوجوده ، بمقتضى الدليل الذي أثبتنا فيه وجود الله . .

وهكذا تجرى مغالطات الملحدين ، ليتصيدوا بها الجهلة والفاةلين من المسلمين . . بغية استدراجهم واحراجهم . ونقلهم من مرحلة الايمان الى مرحلة التشكك .

فالمؤء من يعلم أن الخالق أزلي ليس له من الصفات ما يلزم حدوثه ، وليس من الكائنات التي ندركها في العالم الخارجي . لأن الكائنات عرضة للتفيسر

والأقول ، وأن صفاتها الطارئة تملئ عليها املاءً وتتحكم بها قهرا والزما ،
وأن اكمل الكائنات هو هذا الانسان الذي نجده مقهورا لأسباب كثيرة فهو
يولد ، ثم يعاني الام الحياة ثم يموت ، يجرى عليه كل ذلك رغم أنه .
فما أروع ما استدل به أبوحنيفة على الفرق بين واجب الوجوب وبين
الانسان العاجز لقد سئل أبوحنيفة رضي الله عنه عن الدليل . فتمسك
بأن الانسان يريد أن يكون له ابن فتكون انثى وبالعكس فدل على وجود
الصانع المختار وهو الله تعالى وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك
فيقول * يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم * (٢)
وانك لتجد ذلك التحقيق واضحا في القرآن الكريم في عدة صور . ومنها
ما ورد بشكل حجة منطوية ، ومنها ما استند الى الواقع في آياته الكونية
والله أعلم

(١) مع الله نظرات في الكون والحياة ، عبد الجواب رجب ص ٥٣

(٢) سورة آل عمران آية ٦

الفصل الثالث

الدين يتعارض مع العلم الحديث

ان الدين - كما يزعم الملحدون - من "العلماء" : شيء لا حقيقة له ، وهو مظهر للفريزة الانسانية الباحثة عن حقائق الكون .. بل لا يعتقدون بأن للوجود خالقا ، انما يقولون أن كل ما في الوجود أزلي صادر عن المادة ..

فلذا سخروا جميع علومهم لمحاربة الله ودينه ، وتشنيع "الغيبيات" وتسفيه المؤمن بها .. (١)

فهذا الفيلسوف الفرنسي "أوجست كونت" يدعى لمن التاريخ الانساني قد وصل - الان - الى المرحلة الأخيرة .. يعنى المرحلة الوضعية (Positive Stage) حيث لا تذكر الأرواح والالهة والقوى المطلقة .. فقد سبق وتحدثنا عن كل ذلك وأما هنا نود أن نشير الى منشأ هذا الضلال وهذه السخافة التي يترنم بها الملاحدة أمام المصوم السذج البسطاء ..

* * *

ان المتبع لأقوال الملاحدة ، يجد أن قضية المصير الحاضر ، ضد الدين هي : قضية "طريقة الاستدلال العلمي" (٢) أغنى الطريقة التي اتخذوها للوصول الى الحقائق العلمية المادية ..

هذه الطريقة الجديدة ، هي معرفة الحقيقة بالتجربة والملاحظة ، على حين تتصل عقائد الدين - في زعمهم - بعالم ما وراء حواسنا ، ولا يمكن إخضاعها للتجربة وهو ما يجعله متعارضا للعلم ..

(١) أسس المادية الديكتاتورية والمادية التاريخية ، تأليف سبيركين ، "باخوت"

ت ، محمد الجندي ، دار التقدم موسكو ص ٤٤

(٢) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٦٠

هذا هو مصدر الضلال والالحاد الذى حال بين الملاحدة وبين الايمان

بالله وقد نقلنا عنهم قولهم :

" كل معرفة حقة ، مرتبطة بالتجارب ... بحيث يمكن فحصها أو

اثباتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة " (١)

بناء على هذا يدعى الملحدون المعاصرون أن التطور الذى بلغ به الانسان

— اليوم — أعلى مستوى من الانسانية ، وهو نفي للدين من تلقاء نفسه ...

وذلك أن (نيوتن) أثبت " أنه لا وجود لاله يحكم النجوم " ..

وقال (لابلاس) الفرنسى قوله المشهورة ، التى تحدثنا عنها مرارا —

وهى : " ان النظام الفلكى لا يحتاج الى أى اسطورة لاهوتية " (١)

* * *

وقبل ان ننقل اليك اقوال بعض العلماء الطبيعيين الذين ردوا على

الملاحدة ، نقول اولاً : ان قضية العصر الحاضر باطلة .. لأنها

لا تقوم على أسس علمية .. وذلك ان الطريقة الجديدة ، لا تنفي وجود أشياء

لم تجرب مباشرة ، كما لا تنفي الأشياء التى لا تدخل — بحقيقتها — تحت

التجارب الحسية .. مثل وجود الارواح ، والمقل ، والذات الالهية ...

وما أشبه ذلك .. ان مجاله أن يسأل فقط عن (ما هذا) ؟ ولا يدخل

في نطاقه السؤال الذى صيغته : (لماذا) ؟ .. فالدين من النوع الثانى ..

فليس من الممكن البحث عن حقائق الدين ، كما يبحث عن تطورات فتون

العمارة ، والنسيج والحياكة والسيارات ..

فالدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع أو يرفضها ، أو يقبلها فى شكل

ناقص كالمسيحية مثلاً .. ويبقى الدين فى جميع هذه الأحوال ، حقيقة

واحدة فى ذاتها .. وانما تختلف فى أشكاله المقبولة ..

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص : ٢٤ نقلاً عن كتاب :

ولهذا لا يمكن ان نفهم حقائق (الدين) بمجرد فهرسة مماثلة لجميع
 الأشكال الموجودة في المجتمعات باسم الدين .. أو بدراسة الشعوب البدائية
 في استراليا أو في افريقيا كما فعل ذلك (أميل دوركايم) وأمثاله ..^(١)
 وكما فعل (كارل ماركس) الملصون الذي يقول : " ان الدين وليد
 التطور الاقتصادي ولا ارادة للانسان ان يتخلص منه أو هو أفيون الشعوب .."^(٢)
 اننا لا نرد على كارل ماركس هنا أكثر من اشارتنا : اذا كانت هذه السخافة
 صحيحة ، فكيف تمكن كارل ماركس - وليد النظام الرأسمالي - من أن يفكر
 ضد العوامل الاقتصادية الرائجة في عصره ، هل صعد القمر لكي يبعث
 في أحوال الأرض ؟

وبعبارة أخرى : لو صح أن الدين وليد عصر مخصوص فكيف لم تكن
 الماركسية وليد النظام الرأسمالي لمصرها ؟ ..
 وإذا لم تسع هذا الوضع فيها يتعلق بالماركسية فكيف نسبغه بالنسبة
 الى الدين ؟

الحق ان هذه الفكرة ، فكرة معارضة الدين لحقائق العلم ، عبث مشير
 لا يحمل على ظميره أى دليل على أو عقلى كما ترى ..^(١)
 فلذا تصدى لهم علماء آخرون من علماء الطبيعة وبينوا أن العلم الحقيقي
 لا يتنافى مع الدين الصحيح .. وأن الالحاد ينتج عن الجهل .. الجهل فقط
 واليك بعضا من أقوالهم :

يقول الفيلسوف الانجليزى فرانسيس بيكون الذى نقلنا عنه قوله سابقا : " ان
 قليلا من الفلسفة يقرب الانسان من الالحاد وان التعمق في الفلسفة فيرده الى
 الدين .. "

(١) تهافت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل ص ٣٦ / مؤسسة الرسالة .

(٢) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص ١٢٥

ومما يسجل للقرآن كونه سبق أن قرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر
قرناً فقد حصر خشية الله على وجهيها الأكمل في العلماء .. قال تعالى :

* إنما يخشى الله من عباده العلماء * (١)

لأن العلماء - بما أتوا - من صفات النظر العميق والتحقيق الدقيق يتقون
على أسرار الإبداع الإلهي في الوجود ونواحي الإعجاز فيما لا يظلمر لغيرهم
من الملاحظة الماديين .

ويؤكده العلامة المؤرخ الطبيعي (فابر) (٢)

"كل عهد له أهواء جنونه ، فاني اعتبر الكفر بالله من الأهواء الجنونية
وهو مرض العبد الحالي وأسر عدى ان ينزعوا جلدى من أن ينزعوا منى
الحقيدة بالله "

هذه بعض أقوال المنصفين من العلماء الطبيعيين . وهناك أقطاب آخرون
يروون ان العلم هو سبب تقوية ايمانهم .
يحسن بنا اذن ان ننقل اليك بعض تصريحاتهم في هذا المجال
ليصرف حشرات الالحاد أنبيهم بعيدون عن العلم والدين مما ...

(١) سورة فاطر / ٢٨

(٢) روح الدين الاسلامي ، عفيف طبارة ص ١٣

العلم يدعو الى الايمان

ان المتدينين صرحوا أن الكفر من ضرورات العلم ، وأن أكثر الناس علما هم أكثرهم الحادا . . . فتصدى لهم جمهرة من اقطابهم فقالوا ان العلم يدعو الى الايمان وأن الالحاد ينتج عن الجهل . . .
واليك شواهد على ذلك . . .

قد نشر الدكتور " دينرست " الالمانى بحثا حثا حثا فيه الاراء الفلسفية لأكابر العلماء الذين أناروا العقول في القرون الاربعة الأخيرة وتوخى أن يدقق في تصرف عقائدهم فتبين له من دراسات ٢٩٠ منهم أن :
٢٨ منهم لم يصلوا الى عقيدة ما . . .

٢٤٢ أعلنوا على رؤوس الأشهاد الايمان بالله . . .
٢٠ فقط تبين أنهم غير المباليين بالوجهة الدينية أو ملاحدة . . .
وإذا اعتبرنا غير المباليين ملاحدة ، وجدنا ان ٩٢ في المئة من كبار العلماء يعتقدون بوجود الله تعالى . . .

فهذه النسبة الكبيرة تدل دلالة واضحة على أن التناقض بين الايمان والعلم الذين يزعم الماديون أنه وصف مميز للعلماء ، ليس له أصل . . .
وكما تشير أيضا الى أن الايمان والعلم يتكاملان ولا يتنافيان . . .
وإذا أردنا مزيدا فلنقرأ الكلمات الآتية :

يقول ا. كرسى موريسون :
" ان وجود الله - تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها . . . تكون الحياة بدونها مستحيلة " . . .

وان وجود الانسان على ظهر الأرض ، والمظاهر الفاخرة لذكائه . . . انما هي جزء من برنامج ينفذه بارئ الكون . . .

(١) الله والعلم الحديث ، عبدالرزاق نوفل ص ٥ ط الثالثة سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

(٢) روح الدين ، عفيف طبارة ص ٨٢

وقال :

" واني لأورد قول أوسبورن (Osborn) في هذا المجال : " بين جميع الأشياء التي لا يمكن ادراكها في الانسان ، تتركز الصعوبة الكبرى فيما له من مخ ، وذكاء ، وذاكرة وآمال ، وقوة كشف وبحث ، وقدرة على تدليل الحقائق . . (١)

ولنقرأ ايضا للدكتور (ونز) الكيميائي وعضو اكااديمية العلوم وعميد كلية الطب الباريزية فقد كتب يقول :

" اذا احسست في حين من الاحيان ان عقيدتي بالله قد تزعزعت ، وجهت وجهي الى اكااديمية العلوم لتثبيتها . "

وقال (فاي) : " من الخطأ القول بأن العلم يفضى بصاحبه الى نكران وجود الله " .

فلندع الكالم - الان - للجيولوجي الذائع الصيت (أدمون هربرت) المدرس بجامعة السوربون ، ان يقول :

" العلم لا يمكن أن يؤدي الى الكفر ولا الى المادية ، ولا يفضى الى التشكيك " .

وقال الأستاذ الرياضي المشهور (كوشي) : ليست عقائدي ثمرة أوهاهي الوراثة ولكنها نتيجة تحقيقاتي العميقة " (٢) .

وهكذا رأينا ان الالحاد ينتج عن الجهل ، وليس ما يقابل العلم والدين الصحيح . . لأن اكبر دعائم العلم . . كل العلم - هو الايمان بقانون السببية ثم قانون العناية في الخلق . .

ولما كان الالحاد لا يؤمن بيهذين القانونين اللذين - بدونهما - لا تستقر الحياة الدنيا - عرف انه ينتج عن الجهل والخرافة . .

(١) تراجع العلم يدعو الى الايمان : ا. كرسبي موريسون ص ٤٦ من الطبعة العربية

(٢) روح الدين الاسلامي ، غفيف طبارة ص ٨٣

أوينج عن جهل مركب بتعبير أدق ، ، وبيان ذلك : ان الملاحظة لما رأوا ان الذي يدعو الباحثين الى الايمان بالله ونسبة الأفعال الكونية اليه هو ما يرونه في الكون من دقة وحكمة واتقان تدل بوضوح على أن له غاية محدودة ، وهدفا مقصودا ، مما يدعّم الايمان بالله - لما رَأوا ذلك - بحثوا عن احدى السبل للحيلولة دون الوصول الى هذا النتيجة فلم يجدوا الا القول المتهصب المتحکم بأن الوجود ليس له غاية أصلا (١) وأن
القول بذلك يناقض فن البحث العلمي لذا قال قائل منهم :

" ان العلماء يجب أن يتساءلوا عن " الكيفية " لا عن السبب . . ان السؤال عن السبب يعنى ان هناك غرضا عاقلا وراء تصميم الأشياء . . وأن عوامل فوق الطبيعة توجهه الأفعال نحو غايات معينة . .
 ولهذا عرفنا ان هؤلاء الملاحدة الذين يرفضون الدين باسم العلم يرفضونه بجهل مركب فلذا يقول (فون بروكه) ذات مرة قائلا :
 " ان الغائية سيده لا يقدر عالم بيولوجى ان يحيا بدونها ومع ذلك فيسبو بخجل ان يظهر بصحتها امام الناس " (٢)

(١) مصير الانسان ، ليكون دى نوري ، خليل الجسر ، المنشورات العربية ص ٢٧٧ .

(٢) في البحث العلمى د ١٠٠ ب بفروج ، ت زكريا فهمي ، الألف كتاب ١٩٦٣ م ص : ١٠٧ - ١٠٨

المادة أم اللسـه ؟

ولنقف قليلا ، عند أولئك الذين يقدسون التجربة والحس العلمي . .
ويعلنون بكل وقاحة : " اننا لا نؤمن بأن فكرة ، ما لم تثبت بالتجربة ،
ولم يبرهن عليها عن طريق الحس . ومادامت المسألة الالهيية مسألة غيبية ،
وراء حدود الحس والتجربة ، فيجب أن نطرحها جانبا ، وننصرف الى ما
يمكن التفربه في الميدان التجريبي ، من حقائق ومعارف . . . " (١)

ويقول وليم جيمس لا يزال بعض رجال العلم يقولون : " ان الحقيقة

العلمية ، هي الهنا الوحيد ، فهو ليس له الا امر واحد وقول واحد ، وهو

أن ليس لكم أن تؤمنوا بالله " (٢) نقف عندهم لنسألهم ، ماذا تريدون

بالتجربة ؟ وماذا تمنون برفض كل عقيدة لا برهان عليها من الحس ؟

فان كان نحوى هذا الكلام ، انهم لا يؤمنون بوجود شيء ، ما لم يحسوا

بوجوده احساسا مباشرا ، ويرفضون كل فكرة ما لم يدركوا واقعها الموضوعي .

بأحد حواسهم ، فقد نسفوا بذلك الكيان العلمي كله ، وأبطلوا جميع

الحقائق الكبرى ، المبرهن عليها بالتجربة التي يقدسونها . فان اثبات

حقيقة علمية بالتجربة ليس معناها الاحساس المباشر بتلك الحقيقة ، في

الميدان التجريبي . فلنضرب على ذلك أمثلة بسيطة . .

قانون الجاذبية :

ف (نيوتن - مثلا - حين وضع قانون الجاذبية العامة ، على ضوء التجربة

وانما اكتشفها عن طريق ظاهرة اخرى محسوسة لم يجد لها تفسيرا الا بافتراض وجود

(٣)

القوة الجاذبية . .

(١) فلسفتنا ، محمد باقر الصدر ص ٣٤٢

(٢) الحقل والدين ، وليم جيمس ، ت محمود حسب الله ، مصر ١٣٦٨ هـ ص ٩٨

(٣) فلسفتنا محمد باقر الصدر ص ٣٤٣

فقد رأى أن السيارات لا تسير في خط مستقيم ، بل تدور دورانا ، وهذه الظاهرة لا يمكن ان تتم - في نظر نيوتن - لو لم تكن هناك قوة جاذبية لأن مبدأ القصور الذاتي يقضي بسير الجسم المتحرك ، في اتجاه مستقيم ما لم يفرض عليه أسلوب آخر من قوة خارجية . . . فانتهي من ذلك إلى قانون الجاذبية ، الذي يقرر ان السيارات تخضع لقوة مركزية هي الجاذبية . والجاذبية ، لم تزل فرضا من الفروض . . . وما يزال الأثير فضاء أو كالتضاء . ولا ريب أن هذا مأزق من أشد مأزق التجريبيين . . . (١)

* * *

ثم نسألهم ماذا تمنون - أيها التجريبيون - الذين ينادون بالتجربة ويقدمسونها ؟

هل تمنون نفس الأسلوب الذي تم به ، علميا - قوى الكون وأسراره ، وهو درس ظواهر محسوسة ثابتة بالتجربة ، واستنتج شيء آخر منها استنتاجا عقليا ، باعتبار التفسير الوحيد لوجودها . . .
فهذا هو أسلوب الاستدلال على المسألة الالهية تماما . . . بل ان الاستدلال بالمخلوقات على الخالق أبين وأظهير من استدلال دوران الأجسام حول نفسها على وجود الجاذبية . . .

وذلك ان ظاهر الحياة يدل على الله ،

أعنى نشأتها وتنوعها والامن والأخلاق . . .

ظاهرة الاجابة تدل عليه . . .

ظاهرة الهداية تدل عليه . . .

ظاهرة الابداء تدل عليه . . .

ظاهرة الحكمة تدل عليه . . .

ظاهرة العناية تدل عليه . . .

(١) هزيمة الشيوعية ، أنور الجندي ص ٩٣

- ظاهرة وحدة الكون تدل عليه
- ظاهرة الكون بخامته تدل عليه
- ظاهرة الليل والنهار تدل عليه
- ظاهرة الحياة والموت تدل عليه (١) (بل) •• في كل له آية تدل على أنه واحد
- حقيقة المادة ومصدرها :

كان تعريف المادة عند الماديين هو : " كل ما تقع عليه الحواس " •• وكان هو التعريف الوحيد عندهم حتى تقدم العلم من بعد •• وتوالى الاكتشافات العلمية •• فاذا هم بالمادة تتجاوز ما يقع عليه الحس الى عالم الذرة •• ومن ثم أعدوا صياغة التعريف فقالوا :

" ان المادة هي الموجود الموضوع خارج الذهن " (٢)

وبدراسة الذرى ، ثبت أن كل ذرة ، تشابه المجموعة الشمسية في تركيبها ونظامها فكما كان المجموعات الشمسية ، تتكون من الشمس التى تدور الكواكب حولها في سباحة طويلة •• كذلك الذرة تتكون من بروتونات مركزية موجبة الشحنة ، والكترونات سالبة الشحنة ، وتدور حول البروتونات •• مما تعتبر في ذاتها سرعنة

(٣)
•• خيالية

* * *

- (١) يراجع لتفاصيل كل ذلك الكتاب " الله جل جلاله " سعيد حوى من ص ٥٥ - ١١٨
- (٢) هزيمة الشيوعية في العالم الاسلامي ، أنور الجندى ص ٩١
- (٣) الله والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ص : ١٩٧
- راجع فلسفتنا ، محمد باقر الصدر ص ٣٤٤

فقد افتتح في باريس في أوائل عام ١٩٥٦ م معرض للسرعة .. ثبت أن سرعة مرور الدم في عروق الانسان هي (٣٠ سنتيمتر في الثانية) وسرعة أسرع كائن حي ، وهو نوع من الذباب اسمه : سيفينوميا ، بلغت (١٣٠٨) كيلو متر في الساعة ..

أما سرعة الالكترونات في ذرة الهيدروجين فقد بلغت (ألفي كيلومتر) في الثانية .. وهذا فيما يعرفه العلم والعلماء ، أقصى سرعة أمكن أو يمكن معرفتها على وجه الأرض إطلاقا ..

* * *

وهم يفتقون حائرين - اليوم - بعد أن أفلتت جميع التعريفات من أيديهم فصاروا يعرفونها بالتعريفات الآتية ..

قال (أرستوالد) : " ان المادة صورة من صور الطاقة فحسب "

وقال (ليبون) : " ان المادة صور مختلفة من الطاقة " .

وقال ادنجتون : " ان المادة مركبة من بروتونات والكترونات " أي

شحنات موجبة وسالبة من الكهرباء ..

وقال (هوايتريد) : " ان مفهوم الكتلة في طريقه الى فقدان امتيازه

الواحد الدائم في النهاية فالكتلة الآن اسم لكمية من الطاقة في علاقتها ببعض آثارها الديناميكية " .

وقال ليبون (أيضا) :

" ان عناصر الذرات التي تتحلل تفتى تماما ، فهي تفقد كل صفة المادة

بما فيها ذلك الثقل الذي هو أكثر صفاتها الأساسية ، ذلك أن الميزان يتجز عن وزنها ولا شيء يستطيع أن يعيدها الى حالة المادة فقد اختفت في عظمة الأثير والحرارة والكهرباء والضوء ، يمثل آخر مراحل المادة قبل اختفائها في الأثير ..

ولكن ما هو الأثير : لا أحد يحرف ..

يقول (لورد سالسبوري) : : " ان الاثير ليس اسماعلى الفعل بشموج ..
والاثير خرافة ابتدعت لا خفاء جهل المثقف للمعلم الحديث فهو ظمض غموض
الشيخ أو الروح .

ونختتم هذه النقول بقول الأستاذ (ادنجتون) :

" ليس الأثير نوعا من المادة فهو لا مادي " (١)

وهكذا انفلت من المادة كل شىء ثابت أو كانوا يحسونه مضرب المثل في

الثبوت ونتيجة تقدم العلم بالكهرب والذرة أصبحت المادة كلها كيارب وذرات ..

وإذا بالذرات تنطلق فستنطلق شمعا كشماع النور ..

* * *

سؤال :

كيف عرفوا أن الذرة بما فيها من بروتونات والكثرونات ، طاقة ؟

ويجب على هذا السؤال أنشتين في معادلته ان يقول :

" ان الطاقة = كتلة المادة x مربع سرعة الضوء (وسرعة الضوء تساوى

٨١٦٠٠٠ ميلا في الثانية ..

كما ان الكتلة = طاقة ÷ مربع سرعة الضوء " (٢)

وبذلك ثبت ان الذرة بما فيها من بروتون والكثرون ليس في الحقيقة

الاطاقة متكاثفة ، يمكن تحليلها وارجاعها الى حالتها الأولى .

وكما ثبت ان المذهب الذرى (الديمقريطيسى) الذى يقول ان المادة

لم تخلق ولا تفنى ولا تنقسم ، خرافة من خرافات الدنيا ..

* * *

(١) هذه التحريفات نقلناها عن كتاب هزيمة الشيوعية ، أنور الجندى ص :

(٢) فلسفتنا : محمد باقر الصدر ص ٣٣٨

ان هذع الطاقة هي الاصل العلمي للعالم في التحليل الحديث ، وهي التي تظهر في اشكال مختلفة ، وصور متعددة ، صوتية ، ومغناطيسية وكهربائية وكيمائية ، وميكانيكية ..

اذن فاسمعوا - ايها الملاحدة - ان المادة لها بداية ، فما كان له بداية فلا بد ان ينتهي الى نهاية .. اذن ان المادة حادث ، فيجب ان يبحث عن خالقها .. (انه هو الله تعالى) وبهذا تسقط مزاعم جوليان هكسلي حيث يقول :

" ان الطبيعة تحتوي في ذاتها على كل القوى المطلوبة لاجداث جميع صور الوجود فيها والانواع ينشأ بعضها من بعض بالتحول طبقا لقوانين وتبعاً لترتيب في الامكان منذ الان تحديده .. فلا شيء في الطبيعة لا يفسر بالطبيعة ولا شيء تقدم على الطبيعة ولا شيء يسمو عليها .. فالطبيعة عند من يعرف قوانينها وبخاصة الانتخاب الطبيعي والتطور هي ذاتها التي خلقت نفسها " (١)

مفهوم المادة والمادية

قبل ان ننتقل الى موضوع (قوانين المادة) يحسن بنا ان نقدم فكرة موجزة عن مفهوم المادة والمادية لاننا نرى كثيرا من الناس يخالطون فيهما .. نقول : المادة شيء ، والمذهب المادي شيء آخر .. ان المادة هي الحياة .. والمذهب المادي .. هو الايمان بهذه المواد وحدها بحركاتها وقوانينها ، دون شيء آخر .. نحن المسلمون لا نرفض المادة " لاننا لا نرفض الحياة التي اعطانا الله .. ولكننا نستعملها بعقيدة اخرى .. نرى المادة وسيلة ، والله غاية .. المادة اذن ليست (حراما) لانها نعمة الله بالحياة .

(١) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة (اميل بوترو) : ١٠٥ - ١٠٦

ولكن الحرام : هو سوء استخدام هذه اللقمة بالاسراف الذي يصنع الترف...
 أو اعتبارها هي الخالقة الصانعة... كما فعله الملاحدة قديما وحديثا...
 (١)

الاحاد وقوانين المادة

قد سبق أن قلنا أن فضيلة المذاهب المادية ، كانت عند الماديين
 أنها تقوم على الوقائع والحقائق ولا تقوم على الننون والاهام...
 ثم شاعت القوانين التي سميت بالقوانين الطبيعية... وبطل هذا
 الانقلاب هو (نيوتن) الذي عرض على الدنيا فكرة تثبيت أن الكون
 مرتبط بقوانين ثابتة تتحرك في نطاقها الأجرام السماوية...
 ثم جاء بعده آخرون فاعطوا هذه الفكرة مجالا علميا أوسع حتى قيل :
 " ان كل ما يحدث في الكون من الأرض الى السماء خاضع لقانون معلوم...
 فقال هكسلي : " اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغي
 أن ننسبها الى أسباب فوق الطبيعة " (٢)
 فلما تقدمت الايام بهم وانتهى هذا الجوالطيء بالحقد ضد الأديان ،
 عاد التجربيون الى القوانين الطبيعية التي تحكم الحرارة والحركة والضوء
 وكل ما في علم المادة من كهرباء وذرات فوجدوا لها قانونا واحدا هو :
 (الخطأ والاحتمال) وعرفوا أن للعلم الحديث مجالات لا يمكن أن يتجاوزها
 لكونها لا تدخل تحت نطاقه...
 ان هذه الحقيقة ليست من بنات أفكارنا وانما أخذناها من تقارير بعض

(٣)

أقطابهم العالميين وهم :

(١) راجع كتاب الاسلام وقضايانا المعاصرة ، احمد موسى سالم ص ٢٢٦... دار

الجيلي بيروت سنة ١٩٧٥م

(٢) راجع الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص

(٣) عقائد المفكرين عباس محمود العقاد ص ٥٨

راجع أيضا موقف العقل والعلم ، تأليف مصطفى صبري ج ٢ ص ٢٢٨

(١) - (ماكس بلانك) بولوني

(٢) - (ورنر هيزنبرج) الثاني

(٣) - (أروين شرودنجر) ليمسوي

والأولان منهم صاحباً جائزة نوبل في العلم الطبيعية عن سنة ١٩١٨ وعن سنة ١٩٣٢ والثالث مكمّل النظريات التي اشتهر بها الأولان . وحجة لا يعلو عليها حجة في مسائل الطبيعة على العموم . والبك بمننا من آرائهم التي تؤكّد ان العلم الحديث قاصر في معرفة كنه الأشياء :

أولا - الأستاذ بلانك :

" فالأستاذ بلانك هو صاحب نظرية المقدار أو الكوانتم ، وخلاصتها : أن الأشعاع قفزات لا تصرف القفزة الثانية من القفزة الأولى إلا بالتقدير والترجيح ، وأن صحة التقدير لا تتفق إلا لأن أجزاء تحسب بملايين الملايين ، فلا يظهر الخطأ فيها إلا بمقدار يسير " .

والملاحظة هنا هي أن العلم الحديث يصبر عن عجزه في معرفة قفزات الأشعاع وأنه لا بد أن يقع خطأ في حساباته ولو كان ذلك الخطأ بمقدار بسيط .

ثانياً - الأستاذ هيزنبرج :

" وهو صاحب نظرية الخطأ والاحتمال في قوانين الطبيعة ، وخلاصة براهينه الكثيرة في هذا الباب ان الموضع والسرعة لكهرب معين لا يمكن تحقيقها في لحظة معينة على وجه اليقين ، وأن موقع الكهرباء بعد ثانية يتراوح اختلافه الى مدى أربعة سنتيمترات . .

ثم يقل مدى هذا الخطأ في الثانية التي تليها وأن التجريبين في أية قاعدة من قواعد العلم الطبيعي لا تأتيان بنتيجة واحدة بالفة ما بلغ المجرّب من الدقة وبالفا ما بلغ المسار من الاتقان " (٢)

ان هذا واضح ولا يحتاج الى توضيح آخر من أن العلم الحديث قاصر في معرفة الغيبيات .

" والاساذ (شرودنجر) هو المجرى المحقق الذى أسفرت تجاربه كلها

عن نتيجة واحدة تؤيد نظرية (اكسز) (Exner) وهى :

" أن تقدير ما سيحدث تطبيقا للقوانين المادية ممكن ، ولكنه غير محتوم " .

هذا هو كالم أساطين العلم الحديث وجهابذته ، فهم يرون بكل تأكيد

أن هذا العلم قاصر في معرفة كنه الأشياء وخاصة ما يغب عنا . وبتعبير

آخر : يرون أن العلم الحديث مهمته قلصرة على السؤال التالى : (ما هذا) ؟

وليس من شأنه أن يسأل : (لماذا) ؟ كما قلنا سابقا . .

ثم ان هؤلاء الثلاثة لا يتفردون بتقرير ذلك وتأبيده ، فانه تقرير عام

يقره معهم علماء الطبيعة جميعا ولا يخالفونهم في مبادئه . وقد سبق لنا في

هذا البحث ان ذكرنا قول (جود) (١) بهذا الصدد حيث قال : " لقد

كانت وجهة النظر في القرن التاسع عشر تنحو الى الظن بأننا قد أشرنا على

بلوغ أقصى ما يمكن من اكتمال الفهم للانسان والكون أما في الوقت الحاضر

فقد أخذنا نكشف جهلنا نسبيا بكلبيهما . . "

وأما الدكتور الكسز كاريل الذى سنتحدث عنه في الفصل الذى سنمقده

تحت عنوان : " من نتائج الالحاد " فهو يرى أن جهلنا بالنسبة للانسان جهل

مطابق . "

ان هؤلاء العلماء حينما يقررون هذه الحقيقة كأنما يقررون قول الله تعالى :

* ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين

عضدا *

وبهذا نرى تطابق العلم الصحيح مع القرآن الكريم على أن العقل البشرى

والبحث العلمى التجريبي لا يمكن ان يصل - بحال من الاحوال - الى نتيجة

(١) عقائد المفكرين في القرن العشرين ، محمود العقاد ص ٥٩ ينقله عن كتاب فلسفة العلم الطبيعى تأليف (أونجتون) في الكلام عبر نظرية الكوانتم .

حاسمة من نشأة الخلق وخلق الانسان . وليس معنى ذلك أنهما مقصران في تأدية واجبهما ؟ لا ! ولكنهما يتجاوزان موضوع العلم . . . وموضوع التجربة والمعمل . حينما يبحثان في نشأة الكون والانسان . لأن ذلك لا يدخل تحت التجربة ولا يرى بالعين لأنه أمر غيبي . . . وما دام الأمر غيبيا . . . فان الله الذي خلقنا هو الذي يحدثنا . . . كيف خلقنا . . . أما نحن فاننا لا نعرف كيف خلقنا ولا يعرف ذلك العلم التجريبي ولا العقل المجرد الفلسفي .

ومن هنا فاننا لا يمكن ان نتحدث علميا عن المنصرين اللذين يتكلمون منهما الانسان : (المادة والروح) لكي نصل الى معرفة الأُسْبُق منهما . وإذا صمنا على ان نبحث في هذا المجال . . . نكون قد شغلنا أنفسنا بعلم لا ينفعنا عن جهل . بل يضرنا لأننا نستخدم طاقاتنا في شيء لا طائل تحته . وستكون النتيجة لا محالة وهو الاحاد والاضلال كما أشارت الآية السابقة الى ذلك * وما كنت متخذ المظلمين عضدا * .

والعلم يجب ان يتم على مادة صماء . . . يمكن أن تدخل المعمل الأصم ، وتعطى حقائق صماء . . . أليست هذه هي الحقيقة ؟ ؟

والدليل على ذلك أن المسكرات المتصارعة - قديما وحديثا لا تختلف في مذاهب العلم التجريبي كاختلافهم في مذاهب النظريات لا سيما اذا صاحبها الهوى لا توجد هناك كهرباء امريكية . . . وكهرباء روسية . . . ولا توجد كيمياء ألمانية ولا كيمياء انجليزية أو فرناوية . . . وكل علم الكيمياء . . . في أي دولة من دول العالم خاضع لما تعطيه التجربة الصماء لأنه من مجالات العقل الانساني ومجالات العلم التجريبي . . . وبهذا تكون النتيجة واحدة . . . سواء كان المعمل انجليزيا أو امريكيا . . . أو سوفيتيا . . . أو أي معمل من معالم الدنيا . . .

ولكن يحدث الخلاف حينما يتجاوز العلم التجريبي والعقل البشري محل وظيفتها الذي هو القياس والتجربة . هناك ايمان والحاد . . . ورأسالية

وثنوية ، انكار للروح واثمان بها .. لماذا .. ؟ لأن كل ذلك ليس
 مما يدركه العقل البشري المجرد والبحث العلمي التجريبي لأنهما لم يكونا
 حاضرين عند خلقه ولم يكونا مساعدين لخالقه ، وصدق الله : * ما أشهدتهم
 خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم *

وهكذا رأينا أن الالحاد ليس له سند من العلم الحديث ولا الفطرة .
 ولكن الملاحدة ، لما أرادوا أن يهربوا من الكبيسة اتخذوا جميع
 العلوم المادية سندا للالحاد وساقوا بها السذج البسطاء الى سوق
 الالحاد .

ولما كانت شبهاتهم كثيرة ومتعددة ، نود أن نذكر هنا أهمها
 وأشهرها :

فنقول : لقد قامت قضية معارضي الدين على أسس ثلاثة :

١ - اللاشعور في علم النفس .

٢ - علم مقارنة الأديان

٣ - الكشوف الكوبرنيكي لمركز الأرض

وهذه هي أهم الأسس التي اتخذها الملاحدة دليلا لتوطيد أركان
 الالحاد .. فصارت الجماهير تتشرب ابحاثهم المختلفة التي يصبونها
 في أذهانها ..

ان هذه الأسس أصبحت بمثابة الفرملة التي تمنع المودة وتسمح
 فقط بالمضي المجنون في طريق الشيطان ..
 فلا بد اذن من اصلاح ..

الأساس الأول : اللاشعور ونقضه :

ان من الأسس التي اتخذها الملاحدة المعاصرون سندا علميا لمناقضة الدين فكرة (اللاشعور) .

في مطلع هذا البحث وفي " فصل صورة عن أوربا الحديثة " بالذات ، قلنا ان الملاحدة اتخذوا (علم النفس) أساسا لمحاربة جميع الأديان بل حاربوا فكرة الدين نفسها . . . قد رأينا هناك انهم قالوا : ان العقل الانساني مركب من شيئين هما :

١ - الشعور . . .

٢ - اللاشعور . . .

فأما الشعور ، يزعمون انه مركز الافكار التي تخطر على قلوبنا في ظروف عادية . . . وأما اللاشعور ، يدعون انه مخزن الافكار التي مرت بنا ونسيناها ، ولا تظهر الا في احوال غير عادية ، كالجنون والهستيريا . . .

فالأديان كلها - كما زعموا - صادرة عن اللاشعور ، فلذلك قالوا : ان الأديان ليست فطرية في الانسان انما هي نتيجة الجنون والهستيريا . . . أي أن الانبياء كانوا مجانين ومصابين بهذا المرض (الهستيريا) (١) . . . والله يشهد ان الملاحدة لكاذبون . . . اتخذوا هذه الخرافة علما فصدوا عن الايمان والتدين . . . فأصبح العوام لا يفهمون عن الوحي الا أنه نوبات صرعية كان الانبياء يسمونها فردوها لتصبح توراة أو انجيلا أو قرآنا . . .

(١) هستيريا : عصاب . من سماته البارزة القابلية الشديدة للايحاء والتقلب الانفعالي ، وضعف الشحنة الانفعالية وتفكك فحوى الشعور . . . وعلاج الهستيريا لا يكون بالنسوان أو بالايحاء بل بالاعتماد على التحليل النفسي للقضاء على المقعد النفسية .

راجع الموسوعة العربية . . . الميسرة ص ١٨٩٧ م

نقد هذه الفكرة :

ان النقد الذي نود أن نوجهه الى هذه الفكرة المزعومة يكون في

ناحيتين :

١ - ناحية تتعلق بالفكرة نفسها . . .

٢ - ناحية تتعلق بعلم الطب .

فأما الناحية الأولى : ان فرويد (نبي هذه الفكرة) وأتباعه قاسوا كلام المجانين

بكلام الأنبياء . . . ان هذا قياس مع الفارق لما يأتي :

١ - ان اللاشعور - كما هو في تعريفهم - فراغ في أصله لا شيء فيه قبل مولد الانسان . . . أي انه ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات التي شاهدتها الانسان في حياته ، ولو مرة .

ثم يقولون : انه من المستحيل ان يختزن اللاشعور حقائق لم

يعلمها من قبل . . .

نقول :

ان الذي يثير الدهشة - ان كان اللاشعور كما عرفوه - ان الدين الذي جاء على لسان الأنبياء - وخاصة الاسلام - يشتمل على حقائق أبدية لم تخطر على بال احد من الناس في أي زمان . . .

فلو كان اللاشعور هو مخزن هذه المعلومات ، فمن أين يأتي بها هؤلاء

الذين يتكلمون عن أشياء لا طريق لهم الى العلم به ؟

* * *

ب - ان الدين الذي جاء به الأنبياء يتصل بجميع العلوم المعاصرة . . .

تتصل بعلم الطبيعة * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر

قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . . . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر

ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون * (١)

هل هذا الكلام من اللاشعور ؟ أو هو كلام المجانين ؟

ويتصل بالفلك ، وعلم الحياة ، وعلم الانسان وعلم النفس والتاريخ

والحضارة والسياسة والاجتماع وغيرهما من العلوم .

ولم يكتف بما حواه من العلوم بل يتحدى العالم بأسره أنهم عاجزون أن

يأتوا بمثل كتابه " القرآن " وجاء فيه :

* ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا

شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا

النار التي اعدت للكافرين * (١)

ويستمر في التحدى ويقول :

* قل لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون

بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً * (٢)

ويقول * يسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من

العلم الا قليلاً * (٣)

فيأتي القرن المشرون تحقيقاته العلمية الضخمة فتبقى قضية الروح

سراً مكتوماً ، لا يستطيع العلم الحديث أن يتكلم فيها . . .

هل هذا الكلام من اللاشعور ؟ أو هو كلام من يعلم السر وأخفى ؟

ولم يكتف بذلك بل كان يخبر اتباعه بما هو آت في المستقبل القريب . . .

كقوله تعالى * الم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم

سيغلبون ، في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، فيؤمنوا بفرح

المؤمنون بنصر الله * .

والمعطيات التاريخية العالمية قد صدقت هذا الواقع . . . أعني تاريخ

الروم في الغرب وتاريخ الفرس في الشرق وتاريخ العالم الاسلامي . . . ولم

يستطع احد ان يكذب هذا الخبر القرآني . . .

(٢) سورة الاسراء : ٨٨

(١) سورة البقرة : ٢٤

(٣) سورة الاسراء : ٨٥

هل هذا الكلام من اللاشعور؟ أو هو وحى من عند الله تعالى؟

بل فعل ما يدهش كل ذى عقل وكل ذى فطرة سليمة ..

يعين هذا النبي صلى الله عليه وسلم انسانا بعينه من أشد أعدائه فيقول له:

انك سموت كافرا ولن تدخل في الاسلام أبدا ثم اذا مت تدخل في النار

يقول هذا على مسمع من جميع كفار مكة وهم يريدون ان يجدوا أى عيب لتكذيب

دعوته - وكان في استطاعتهم أن يأمرؤا هذا الانسان أن يدخل في الاسلام

نفاقا لتكذيب دين محمد وأخبار محمد صلى الله عليه وسلم ولكنهم ما استطاعوا

ذلك .. لماذا؟ لأن محمداً كان يتكلم من اللاشعور؟ لا! والله!

بل كان يقرأ القرآن الذى يقول:

* تبت يدا أوى لهيب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات

لهيب وامراته حمالة الحطب في جدها حبل من مسد *

ان هذا الانسان هو أبو لهيب وامراته .. لماذا لم يدخل في الاسلام

نفاقا لأجل ابطال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم؟

هل هذا الكلام أيضا من اللاشعور؟ أو هو كلام من يعلم خائفة الأعين

وما تخفي الصدور؟

* * *

والذى يدل على أن اللاشعور فكرة خرافية لا أصل لها من الصحة أننا

وجدنا معلومات في التاريخ الانساني مصدره (الشعور) الذى يقولون انه لا

يفضل ولا ينسى ، لا تخلو من الأغلط والأكاذيب والأدلة الباطلة ..

وجدناهم يقولون : ان المادة لا تنقسم . ثم وجدناهم يقولون : ان المادة

تنقسم الى برتونات والكروونات ..

وجدناهم في القرن التاسع عشر يقولون ان الشمس واقفة ، ثم وجدناهم يقولون

ان الشمس متحركة ..

وجدناهم يقولون ان الأرض انفصلت عن الشمس بسبب انفجارها الخارجى

ثم وجدناهم يقولون - بدون حياء - انها (الحادثة) كانت بسبب انفجار داخلى . .

وجدنا ديكارت الفيلسوف البارح بفلط ويقول : ان الدم هي النفس

في الانسان هل هذا صحيح ؟

ثم وجدنا (كانت) الفيلسوف الكبير بفلط ويقول : ان وجود اللغ لا يعرف

بالعقل هل هذا صحيح ؟

ومن قبل وجدنا الفيلسوف اليوناني الكبير افلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م

يتخيل فيرى نفسه في المدينة الفاضلة (التي تسمى في التاريخ بالمدينة

الأفلاطونية) أو (عالم المثل) .

ان المدينة الفاضلة التي تخيلها كصورة مثالية للدولة يتراوح سكانها

بين أربعة الاف وستة الاف نسمة . . ينقسمون الى ثلاث طبقات :

الأولى طبقة (الحكام) وهم الفلاسفة

والثانية طبقة (الجنود) وهم الحماة عن المدينة الفاضلة

والثالثة (أصحاب الاعمال) وهم الزراع والصناع والتجار الذين يقدمون

للحكام اسباب العيش المادى من مطعم ولبس ومسكن ومال . . بل

(١)

هم المعبود لهاتين الطبقتين .

هل تقسيم الناس الى هذه الطبقات من اللاشعور أو من الشعور ؟ هل

هذا هو الأقرب من كلام المجانين أم قول النبي الذي يقول : * يا أيها الناس

انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند اللما تقام *

فتقارن بينهما لتعلم أيهما اقرب الى اللاشعور ! أيها فرويد الملحد اليهودى !

* * *

(١) تاريخ الفكر العربى الى ايام ابن خلدون ، عمر فروخ ص ٩٧ بيروت طبعة دار

العلم للملايين لبنان ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

وأیضا جمهورية افلاطون لنظام الحكيم ومحمد مظهر سعيد القاهرة دار المعارف

١٩٦٣م

ولقد وجدنا أيضا في اليونان هذا الفيلسوف الذائع الصيت الذي يقال
انه معلم البشرية (أرسطو) (١) قد أتى بأغلوطات فادحة في تعيين
صفات الله تعالى بل يقول : (ان العالم قديم) .. فجاء العلم الحديث
ليكذبه ويجريه ..

وأما الدين الذي يقال انه من كلام المجانين ، لما جاء أثبت أن العالم
حدث فقال * أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون *
فقارن بينهما لترى أي القولين أقرب الى كلام المجانين ؟
هكذا رأينا - من خلال هذا الاستعراض السريع - أن الكلام النبوي
بريء - ولا شك - من كل هذه العيوب .. رغم اتصاله بجميع العلوم ..
ولقد مرت قرون اثرون ، أبطل فيها الآخرون ما ادعاه الأولون . وما
زال صدق كلام النبوة باقيا على الزمان ، ولم يستطع احد ان يدل على شيء
باطل جاء به .. وكل من حاول ذلك أخفق .. كما أخفق فرويد وكارل ماركس
ودوركايم .. وغيرهم من اصحاب المذاهب الهدامة التي عرفت في التاريخ
الانساني العام ..

اذن ان فكرة اللاشعور خرافة لا أصل لها من العلم الصحيح ..

فلنتقل الى الجزء الثاني وهو الناحية الطبية ..

ثانيا - الناحية الطبية :

قد ادعى بعض الملاحدة أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة
كان مريضا بالصرع وأن ما يمتريه في ساعات الوحي انما هونوبات الصرع ..
التي كان يسمح اثناءها كلاما ردهه فأصبح قرآنا .. فرد عليهم (الدكتور
يحيى طاهر) اخصائي وأستاذ الأمراض العصبية بكلية طب ومستشفى القصر
العيني بجامعة القاهرة .. فنحن نلخص ما قاله تلخيصا شديدا فيما يناسب
مع هذه المجالة .. فهو يقول :

(١) أرسطو (٣٦٧ - ٣٢٢) ق م المصدر السابق ص ١٠٧ (عمر فروخ)

يقول:

" لقد أراد بعض الناس أن يطعنوا الدين الاسلامي في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم فقلوا : ان النبي محمدا كان مريضا بالصرع ، وان الوحي الذي كان ينزل على الرسول بالقرآن ما هو الا نوبات صرعية كان يسمع أثناءها كلاما ردهه ليصبح قرآنا والذي يدرس الصرع من أى ناحية من نواحيه الطبية او العلمية او الفسيولوجية يتبين له جسامه هذا الافتراء (١) اذ ان النوبات الصرعية ليست نوبات نفسية كما يتبادر الى الذهن ، ولكنها ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ ، بدليل انه امكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ أثناء تلك النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجي ومن المعروف ان هناك مظاهر خارجية عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية ، وذلك تبعا لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية وطريقة وسرعة انتشارها .

فاذا بدأت في مراكز الحركة كانت النوبة على شكل تقلصات او تشنجات عضلية واذا بدأت في مراكز الاحساس كانت النوبة على شكل احساسات مختلفة واذا بدأت في مراكز الابصار كانت النوبة على شكل ذكريات او احلام هكذا .. ثم قال :

ويكفينا أن نشرح نوعا واحدا من النوبات الصرعية الذي يشبه ان يكون هو النوع الذي قيل عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مصابا به ، ألا وهو النوبات الصرعية النفسية ، ففي هذه النوبات الصرعية النفسية يكون التغير الحقل هو المظهر الاساسي للنوبة ، ولا يفقد المريض شعوره تماما كما في الأنواع الأخرى من النوبات ، ويمكنه الى حد ما تذكر التجارب النفسية التي حدثت له أثناء النوبة بعد انتهائها .

وتكون هذه التجارب النفسية التي تمر بالمريض أثناء النوبة اما على شكل انفعالات مثل الخوف ، أو على شكل تفكير في اتجاه محين كأن يردد

(١) راجع كتاب الاسلام والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ص ٥٥

المريض في ذهنه " يجب ان اتول للفلان كذا وكذا " او على شكل خيالات
 او هلاوس ، وفي هذه تسمى بذهن المريض ، ذكريات او احلام مرثية
 او سمعية أو الاثنين معا . . . (١) هذا ما يقوله الطب بالنسبة لهذا المرض .
 تعال نحاول تطبيقه على الوحي الذي كان ينزل على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم .

" وبتطبيق ما وصلنا اليه من هذا العرض السريع للصرح على الافتراء الذي
 يفتريه خصوم الاسلام على الوحي الذي نزل على سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم نجد ان الهلاوس والاحلام التي تمر بذهن المريض بالصرح ما هي
 الا أجزاء من ذكريات قديمة نبيتها النوبة ، ولا يمكن للمريض بالصرح ان
 يولف اثناء النوبة شيئاً ، فكيف بالقوانين والاداب والقصص والعلوم وغير
 ذلك مما اشتمل عليه القرآن الكريم .

كذلك لا يمكن ان تتحسن لغة المريض في اثناء النوبات الصرعية تتكرر
 بعضها او كلها بنفس الشكل بتكرار النوبات كما أن المر يض لا يمكنه ان يصفها
 وصفا دقيقا .

أما القرآن الكريم فانزلت آياته واضحة محدودة متممة بعضها بعضا
 شاملة كل ما يهم الناس في شئون دينهم ودنياهم .

فهل يمكن ان يقال بعد هذا المرض الملحي البحث ان القرآن الكريم ما هو
 الا هلاوس رجل مصروع ؟ ؟ ؟ ان هذا الا افتراء فليحكم الناس بأنفسهم
 بعد هذا المرض الملحي . . .

وللدكتور عبد المزيز الشريف اخصائي واستاذ الأمراض الباطنية بكلية
 طب القصر العيني وعضو كلية الأطباء بأدنبرة مقاله في هذا الأمر بحسن
 بنا أن نشبه هنا لأن كثرة الحديث تزيد قوة ومثانة .

فهو يقول : " المرض علة تصيب اى عضو من أعضاء الجسم ، فتسبب خللا فيصبح الانسان لذلك معتلا . والشخص المريض هو الذى تغيرت حالته بسبب المرض فأصبح غير عادى ، اذ يقل في قوته وصحته وبالتالى انتاجه وتفكيره . . .

ولم يعرف الطب ، ولم يحدثنا التاريخ العلمى ، ان شخصا اصيب بمرض فوهبه المرض علما . . . أو عقلا . . . او مقدرة . . . اذ ان العقل السليم فى الجسم السليم . . .

فكيف يقولون عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم انه اصيب بالصراع فتحسن لغته تحسنا بحيث لا يمكن ان نقارن بين حديثه العادى وببستن القرآن الكريم الذى يقولون انه حديثه وهو في نوبة الصراع ؟ وكيف يشرح المريض هذه التشريعات التى تعتبر الأسس القويمة لكل القوانين التى تهدف الى العدالة والرحمة والتقدم .

وهل يستقيم ذلك والصراع حالة تتميز بالاختلال المفاجىء فى وظيفة المخ ؟ وكيف يكون ما عند الرسول نوبات صرع ، وهذه النوبات تسبب للمريض الاثام شديدة فى عضلاته تكون مصحوبة بالصداع والغثيان وتبقى مدة بمدة النوبة التى هى تشنج وتصلب فى العضلات . . . فاذا غابت عنه حزن ووجل ؟ فقد فتر الوحى عن الرسول فترة فتولاه الخوف والوجل وحزن حتى نزل قول الله سبحانه وتعالى له :
(١)

* والضحى واللليل اذا سجدى . ما ودعك ربك وما قلى * (٢)

وعلاوة على ذلك ان الدب يقرر ان الخيالات التى يراها أو يسمعها المريض اثناء نوبته لا بد ان يكون قد رآها او سمعها فى طفولته أو شبابه أو قبل مرضه ، كما يقول فرويد صاحب الشعور والاشعور .

(١) المرجع السابق ص ٥٩

(٢) سورة الضحى الاية (١)

نسألهم : هل يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى الاقوام قبل عصر
الاسلام وعاش بينهم واستمع الى احاديث الرسل والانبياء مثل الآيات
التالية :

* كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انسى
لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب * (١)
* قالوا يا موسى لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون * (٢)

وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الخلق حتى يرى ما كان
بين الله وآدم من حوار مثل قوله تعالى :

* وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها رغدا حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * (٣) وهكذا كذب الطب
اباطيلهم هذه .
الأساس الثاني - مقارنة الأديان :

لقد اتخذ الملحدون علم مقارنة الأديان ، سببا من اسباب الالحاد ،
وذلك أن جمهور الباحثين في هذه المسألة لا يطلبون من بحثهم الوقوف
على الأسباب العامة التي تتيسر دراستها ويمكن التحقق من وجودها في كل
عصر ، بل يفهمون من كلمة " نشأة الدين " الصورة التي ظهرت فيها
الأديان اول ما ظهرت في الوجود بمعنى أولية زمانية مطلقة ، تقتصر
بظهور الانسان على هذا الكوكب .

والمضيق الذي يسلكونه للوصول الى هذا المطلب هو التنقيب عن أديان
الأمم القديمة أو اديان الأمم المعاصرة غير المتحضرة ، حتى اذا ما انتهى
بيهم السير في تلك العصور المظلمة ، اوتلك الأقطار المنزلة ، السى

(١) آل عمران / ٢٧

(٢) المائدة / ٤٦

(٣) البقرة / ٢٥

أقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الديني ، اعتبروه مطابقة لما كان عليه الانسان الأول . . .

فعلى هذا انقسم الباحثون في أوروبا الى شحبتين عظيمتين ، تسييران في خطين متعاكسين : هما (المذهب التطوري ، والمذهب الفطري .
أما المذهب التطوري : يرى ان الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وأن

الانسان تطور في دينه حتى وصل اخيرا الى التوحيد او عقيدة " الاله الأحد " وعلى رأس هؤلاء دوركايم (Durkheim) فقد
 أشرنا الى هذه النقطة في مبحث علم الاجتماع السابق (1) .

أما المذهب الفطري : يرى أن فكرة " الاله الأعظم توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الاجناس الانسانية " .

وقد انتصر لهذا المذهب علماء الاجناس وعلماء الانسان وعلماء النفس وعلى رأسهم لانج (Lang) غير أنه مهما تفاوتت النتائج في نظر المذهبين : " التطوري والفطري " فانهما متفقان على موضوع البحث هو : اتخاذ العقيدة البدائية الصورة الحقيقية لفهم نشأة الأديان في الكون . هذا خطأ ولكنه يتجلى عندما نقرأ الصفحات التالية :-

(1) راجع الدين ، د . محمد عبدالله دراز ص ١٠٦

راجع ايضا عقائد المفكرين عباس محمود العقاد ص ٧٤

(2) (Schmidt. Ouv, cite, p. 30) نقلا عن كتاب

الدين السابق ص ١٠٨

خطأ علماء المقارنة للأديان

ان الذين يستدلون بالتاريخ او الاجتماع كدور كائهم مثلا ، خطوء هم
الأساسي انهم لا يدرسون الدين من وجه صحيح ، ولهذا يبدولهم
الدين شيئا غريبا .

ومثال ذلك ان ترى شيئا مريحا من زاوية منحرفة فبتراءى لك مثلثا . .

ان رأس الخطأ الذي يقعون فيه هو : انهم يتناولون الدين على أنه " مشكلة

موضوعية " (Objective Problem)

فهم يجمعون في سلة واحدة كل ما أطلق عليه (اسم دين) من رطب وياابس

في أي مرحلة من التاريخ الا شيئا واحدا أعني موكب الرسالة فيهم

يذكرون كل شيء في بحوثهم (الا الرسل) مما يدل على أنهم لم يتجردوا

في بحوثهم (من الهوى) فهم يريدون ان يصلوا الى نتيجة معينة قبل البدء

بالبحث . هذه النتيجة هي : تكذيب فطرة التدين وتكذيب الرسل في

دعواتهم . . فلا يجوز لمسلم - اذن - ان يأخذ بنتائج هذا " العلم " علم

مقارنة الأديان وكيف لا ! ان ربنا سبحانه وتعالى : أخبرنا في كتاب لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . أخبرنا ان اول الرسل ابونا نوح عليه

السلام وآخرهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم طبيب القلوب والابدان . .

فتعال تعالى :

* شرح لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصىنا به

ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما

تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب * (١)

فكيف نترك هذا الحق المبين ونجري وراء هذه النتائج المتعارضة التي

لا تستند على مقدمات صحيحة . . فلا يجوز لمسلم أن يؤمن بهذا العلم

لأنه يعارض القرآن صراحة . . .

موقف منحرف

ان موقفيهم هذا من الأديان ينحرف من اولى مراحلها ، فيبدو لهم الدين — من جراء هذا الموقف الفاسد — عملا اجتماعيا لا كشفا لحقيقة .

* * *

فهم يقرون في العلم الحديث ان طريقة البحث عن الحقيقة من الحقائق فلا بد أن تدرس مظاهرها وتاريخها في ضوء مثله الأعلى . .
أما الأمور التي تأتي بها أعمال اجتماعية فليس لها مثل أعلى وبقاؤه رهن بحاجة المجتمع لها . (١)

ولماذا لا يطبقون هذه القاعدة على الأديان ؟ هل الأديان من الاعمال الاجتماعية ؟ ؟

فالدين يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فليس من الممكن البحث عن حقائقه ، كما يبحث عن تطورات فنون العمارة والنسيج والحياكة والسيارات .
لأن الدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع او يرفضها او يقبلها فسي شكل ناقص ، ويبقى الدين في جميع هذه الاحوال حقيقة واحدة في ذاتها ، وانما يختلف في اشكاله المقبولة ، ولهذا لا يمكن أن نفهم حقائق (الدين) بمجرد فهرسة مماثلة لجميع الأشكال الموجودة في المجتمعات باسم الدين .

* * *

ونحن نسأل قبل كل شيء عن الأصل الذي بنى عليه هذا القياس هل صحيح أن قوى النفس المختلفة تسير في نموها على قدم المساواة ؟ ؟ وأن حياة الناس الروحية ، تمشي في كل أديانها جنباً الى جنب مع حياتهم المادية ؟ ؟
الجواب لا !

(١) الدين ، وحيد الدين خان ص ٥٠

أولسنا نرى هاتين المظاهرتين تسيران أماناً في طريقين متعارضين ؟ ؟
 فإذا صح ما يقوله الملاحدة الهاريون من الكنيسة ، من أن الانسان
 كان في بدايته في الكهوف ، ويتستر بجلود الحيوانات ، ولا يأكل الا من
 الاعشاب ، ان صح ذلك ، قلنا ان نقول : ان قلة مشاغل هذا الانسان
 " البدائي " كما تدعون ؟ هي الدافعة القوية الى التأملات في الكون
 والاهتمام بمصدر كل شيء . . .

وكما اشتغال الانسان بالماديات والاخلاد الى الأرض يقل الاهتمام بالتأمل
 في الالهيات . ذلك ان الغرائز المتقابلة تضعف وتتقلص بقدر ما تنمو
 وتقوى أضعدها . مثل كفتى الميزان : لا ترتفع احدهما الا اذا انخفضت
 الأخرى . . . (١)

اذن فقلة شواغل البدائي بالماديات من بواعث تأملاته في الالهيات
 وكثرة شواغل المتحضر في الماديات تضعف الغريزة الدينية في قلبه . . . هذا
 ما شهيد به (لاروس) للقرن العشرين . وقد أشرنا الى هذه الشهادة في
 مبحث (شهادة التاريخ) من هذا البحث ، ولكننا نستشهد^٩ هنا لعلاقتها
 بما نحن بصدده : وهذا نصه :

" ان الغريزة الدينية : مشتركة بين جميع الأجناس البشرية ، حتى
 أشدها همجية ، وأقربها الى الحياة الحيوانية . . . وان الاهتمام بالمعنى الالهي
 وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية ويقول :
 " ان هذه الغريزة الدينية " لا تخفى بل لا تضعف ولا تذبل الا في
 فترات الاسراف في الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد " (٢)

(١) انظر اول صفحة من كتاب العقاد عن نشأة العقيدة الالهية (الله) .

وراجع الدين ، د . محمد عبدالله دراز ص ١١٠

(٢)

وبهذا نعلم يقينا ان هذا القياس فاسد غير علمي بل هو سفسطة علمية (Sophisme Scientifique) ذلك ان علماء هذا العصر يمالجون قضايهم في ضوء العلم الحديث ، غير ان هذه المعالجة لا تجدى نفعا ، لأنها قائمة على العلم المحض وحسب ، على حين لا بد من اعتبار اشياء أخرى تنفي عن العلم الحديث . . .

ومثال ذلك ان أرباب هذا العلم يشرعون في دراسة علمية لأشياء علمية

ناقصة ، فسوف تؤدي هذه الى نتائج غير علمية ناقصة باطالة .

فلنضرب على ذلك مثالا رائعا يذكره الأستاذ وحيد الدين خان في كتابه القيم "الاسلام يتحدى" : هذا نصه :

" لقد عقد في دلهي في يناير ١٩٦٤ مؤتمرا دوليا للمستشرقين

اشترك فيه ألف ومائتان من العلماء من جميع انحاء العالم ، وقدم أحدهم بحثا

يدعي فيه مآثر كثيرة لمسلمي الهند ليست من عمل المسلمين وإنما هي من عمل

الملوك الهندوس . وضرب لذلك مثلا بمنارة قطب في دلهي المنسوبة الى

الملك (قطب الدين ايبك) ، حين بناها الملك الهندوسي سامودرا جويت

قبل ٢٢ قرنا ، وقد أخطأ المؤرخون المسلمون فنسبوها الى الملك قطب الدين .

ويستدل في هذا البحث بأن في المنارة المذكورة بعض أحجار قديمة نحتت

قبل عصر الملك قطب الدين . . .

" وهذا - كما يبدو - استدلال علمي ، إذ أن بعض أحجار المنارة

فعلا من الصنف الذي ذكره "العالم" ولكن هل كفي مشاهدة بعض أحجار

المنارة في أمر بانيتها ، أو أنه لا بد من نواح أخرى كثيرة لنشاهدتها

في هذا الصدد . ومن هنا فان هذا التفسير لا يصدق على منارة قطب - ككل .

هذا تفسير . . .

وهناك تفسير آخر هو أن هذه الاحجار القديمة التي توجد بعضها
 في المنارة ، إنما جاءت من أنقاض ابنية قديمة ، كما هو معروف في كثير
 من الأبنية التاريخية الحجرية . ولا مانع من أن نقبل هذا التفسير
 الثاني حين نشاهد منارة قلب الدين في ضوء ظاهرها المعماري ورسومها
 وتصميمها ، والمسجد الناقص بجوارها ، والمنارة الثانية التي لم تكتمل
 ثم ننتهي الى أن التفسير الأول ليس الا قياسا خاطئا قائما على المغالطات (١)
 ان المثال الذي ذكره الاستاذ وحيد الدين خان ينطبق تمام الانطباق
 على علماء المقارنة بين الأديان ، لأنهم نظروا الى حقائق ناقصة
 وجزئية ، لا تصل بعضها بالموضوع مطلقا واعتقدوا أن الدراسة
 العلمية الحديثة قد أبطلت الدين ، على حين أننا لو نظرنا الى الواقع
 بجملة وتفصيلا فسوف نصل الى نتيجة تختلف عن الأولى كل الاختلاف .
 وهذا يتجلى بوضوح عندما نقف وقفة قصيرة عند العقل الجمعي
 الذي اخترعه (دوركاهم) ليكون مصدرا للحقبة الدينية عند جميع
 الشعوب والأمم .

واليك تفاصيل ذلك :

(١) المصدر السابق ص ٥٥

العقل الجمعي ونشأة الدين

بخالف " العلامة " دوركائم (Durkheim) جميع المذاهب

التي تعرضت لنشأة العقيدة الدينية ، كما يخالف جميع الأديان الحقنة ..
وذلك ان الأديان وبعض المباحث الحديثة ، ترى أن التدين فطرى في
الانسان كما نص على ذلك القرآن الكريم بقوله :

* فأقم وجهك للدين فطرت الله التي فطر الناس عليها ..*

ومع ذلك نجد (دوركائم) اليهودى يزعم ان التدين وليد أسباب اجتماعية
يل يذهب الى أبعد من ذلك فيزعم أن عناصر التفكير ، وأسس المصرفة العقلية
نفسها ، ما هي صور ولدتها حياة الجماعة ، وطبعتها على غرار النظم الاجتماعية
.. وسى هذا النظم الاجتماعية " بالعقل الجمعى " الذى يكيف للناس
مشاعرهم و عقائدهم ..

الأسس التي قامت عليها النظرية

لوحاولنا أن نختصر مذهب دوركائم لوجدنا أن محوره ثلاثة أسس :

- (١) - عقل جمعى عشوائى خارج عن شعور الأفراد ..
- (٢) - هذا العقل يصدر أوامره على شكل " ظاهرة اجتماعية " تتقلب
وتتغير بطريقة غير منطقية ..
- (٣) - هذه الظاهرة تقهر الأفراد وتخضعهم لسلطوتها شعروا أولم يشعروا
(١)

* * *

ثم بيت القصيد في مذهب دوركائم هو تطبيق هذه الأسس الوهمية على الدين

وما يتصل به من عقائد وأخلاق ، وبتلخص هذا التطبيق في ثلاث قضايا هي :

(١) من مقتطفات من قواعد المنهج على التوالى : ٢٧٩ ، ٣١ ، ٥١ ، ٢٠٣ ، ٥

١٠٠ يعنى قواعد المنهج ، علم الاجتماع ، أمين دوركائم ، ت محمود قاسم

القاهرة ١٩٢٤ م

- ١ - ان الدين ليس الهيما لأن فكرة الألوهية - في نظره - ليست الا تعبيرا عن البيئة الاجتماعية في مرحلة من مراحل تطورها ويكون الاله فيها رمزا للدرجة التي وصل اليها تطوره .. (١)
- ٢ - ان الدين - بناء على ما سبق - ظاهرة اجتماعية يفرضها العقل الجمعي بقدرته القاهرة على الأفراد في بعض المراحل والبيئات دون أن يكون لهم دين مطلقا لكانوا غير متدينين ولا يملكون الا الانصياع لذلك ..
- ٣ - ثم يصل دوركائم الى نتيجة خطيرة وهي ان الدين ليس فطريا ومثله الأخلاق والأسرة .. ان الأسف الشديد أن نجد هذه الفكرة اليهودية في جميع أبحاث علم الاجتماع وعلم مقارنة الأديان بدون أن يعرف الذين جاءوا ~~من بعده~~ أن ذلك تخطيط يهودي تلمودي .. (٢)

الطوطمية (Totem)

ان دوركائم يرى أن اصل التدين ناشى من نظام الطوطمية أو اللقب الأسرى .. وهو نظام - كما يزعم - يقوم على نظام القبائل (Tribus) والفصائل (phatries) والمشائر (Clans) .. و بين ذلك بقوله :

" ومعروف ان المشائر (وهي النواة الصغرى في تلك المجتمعات) قوامها وحدة اللقب المشترك بين أفرادها وهولقب يشتق في الغالب من اسم حيوان ..

(١) المصدر السابق ص ٥١

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٣) الدين ، عبد الله دراز ص : ٤٥٨

" وتعتقد المشيرة أن لها بمسمى هذا الاسم ، صلة قديمة حيوية أو روحية اما على انها تسلسلت عنه ، أو أنه كان حليفا او حارسا لجدها الأعلى أو نحو ذلك . . . فلذلك تعظم المشيرة ولا تأكل لحمه . . . وقد بلغ الأمر ببعض القبائل في افريقيا او استراليا او في أمريكا أن يتخذ بعض أفرادها (وشما) يطحنونه على وجوههم وأجسامهم كأنه بخاكة شخصية ليتحقق انتساب كل منهم الى عشيرته . . .

نقض نظرية دوركاهم

اننا لا نخالف دوركاهم اليهودي في وجود هذه الطوطمية في الأمم البدائية ولقد رأيناها بأعيننا في افريقيا بالذات ، التي ننتهي اليها جغرافيا ولكننا نستغرب من هذا الفيلسوف الذي يدعي أن هذه القبائل البدائية هي أخصب مكان لدراسة نشأة التدين في الانسان . . . وأن استراليا أنسب من كل الأماكن . . .

بل يرى ان الاسم المشترك بين الحيوان وبين الجد الأعلى وبين أفراد المشيرة سبب في عبادة المجتمع . . .
وبهذا يكون الاجتماع مبدأ التدين وغايته ، وتكون الجماعة انما تمجد نفسها من حيث لا تشعر . . .

* * *

ان هذه النظرية الحقيرة التي تصادم فطرة البشرية لأول وهلة ، تبدو صفحتها لضروب من النقد لا تحصى ولكن نجملها في شيئين اثنين :

- أولا - ملاحظة عامة .
- ثانيا - النظر في أسس النظرية . . .
- ١ - أما الملاحظة العامة تتمثل فيما هوآت :

ان النظرية تقوم بالبحث عن العقليات البدائية لتقرير الدين ، والمعلوم أن أية نظرية تقوم على مثل هذا الأساس فهي نظرية مشكوك فيها . . .

ولا يد في قبوله من التحفظ اللبليخ .. وبين تلك :
ليس كل السائحين على جانب من علوم النفس والمنطق والدين والأخلاق
بكثير لا ستيطان غور الأمور ، ووضع الأسئلة الدقيقة المحسدة
في هذا الشأن ..

ثم ان هذه المعلومات لا تنقل عن آثار مكتوبة ، وإنما تؤخذ من
أفواه قوم محرومين من العلم والفنون المدونة ... فمن الراجح اذا سئل
أحد هؤلاء يسرح الى الاجابة بكلمة : " نعم " أو " لا " من غير
مراجعة لعقولهم بل ان الكتاب أنفسهم قد يتناقضون في وصفهم لتلك
القبائل ..

* * *

ولنجاز - الآن - هذه الملاحظات العامة لننظر في أسس النظرية
نفسها ..

٢ - النظر في أسس النظرية :

وقد رأينا ان صاحب هذه النظرية ، يرى ان (نظام الطوطمية) ،
هو أساس العقيدة الالهية وأن أقدم نظام معروف للقبائل هو ما عرف في
استراليا الوسطى .. اذن .. توجد أمامنا مقدمتان ..
واليك كلمة لكل منهما :

أما المقدمة الأولى وهي : أن نظام الطوطمية هو أساس العقيدة الالهية .. نقول :
انها لا تعدو أن تكون سفسة علمية وتحديات سافرة لما اجتمعت طبه الأديان
الساوية ..

بل لا نرى في هذه الالقب والرموز عند البدائيين الا شمارا قويا يصرفهم انسابهم
ويني فيهم شعور الوطنية وباعثة التعاون . فهم بكل تأكيد لا يعبدون تلك
الرسوم ولا مدلولاتها ، بل لهم معبود روجي يعتمدون عليه في جلائل أعمالهم
ودقائقها .. كما أنهم في تحريمهم لبعض المحرمات انما يستندون الى روايات متوارثة
عن اسلافهم ينسبوننها الى امر الله .

أهل مكة أذرى بشعابها

ان هذا المثل يكذب مزاعم دوركائم الذى قد تعدى على عقيدة الناس في افريقيا وغيرها بخير علم بطبيعة تلك البلاد وأهلها :

نحن الأفراسة الذين نحرف هذه القضية حق المعرفة لأننا كنا نعيش معه ، وما زلنا نعيش معه الى اللحظة ..

وكل افريقي يصرف ما أقول هنا وهو : ان الطوطمية لم توضع لأجل العبادة وانما وضعت شمارا للقبائل لا أقل ولا أكثر ..

ودليلنا على ذلك ان قبيلة (ويرا) أو (بامبا) أو (جارا) مثلا .. تعظم الحيوان الذى انتسبت اليها ، ولا تأكل لحمه تعظيما له .. ولكن لا تعبدها أبدا .. بدليل أنك تجد بعض أفراد هذه القبيلة مسلمين وبعضهم مسيحيين وبعضهم وثنيين ..

ولو كان قول دوركائم حقا لكانوا جميعا مشتركين في عبادة ذلك الحيوان ولا يشذ منهم أحد عن عبادته ، الى عبادة غيره ..

ان هذا المثل البسيط يفقد الصحة من نظرية دوركائم وأضرابه ..

* * *

وقد يقول القائل : لعلمهم كانوا جميعا في الأصل على عبادة هذا الحيوان

ثم انتقل بعضهم الى اعتناق الاسلام او المسيحية أو غيرها ..

فنسارع ذلك القائل بقولنا : ان هذا ليس صحيحا أبدا لأن المعقول والمألوف

انما تاب أحد من الشرك أو عبادة الوثنية يتوب عن كل ما يتعلق به ..

يتوب عن عبادته .. وعن الانتساب الى ذلك الحيوان وعن عدم أكل لحمه ..

هذا هو المعروف في التاريخ .. وكذلك الطوطمية الموجودة في افريقيا وغيرها ..

فأهل (كوليبالي) مثلا : فيهم مسلمون ومسيحيون ووثنيون .. ومع

ذلك ينتسب كلهم الى هذا النسب المشترك .. وأوضح مثل هو : ان المسلمين

القرشيين كانوا - ولم يزالوا ينتمون الى قبيلة قريش - مع اختلافهم ^{عن} / مشركى قريش

في التصور والسلوك .. ان دوركائم لم يحرف شيئاً عن هذا الا القليل المزيج باليهوى
والاحاد .. تلك هي المقدمة الاولى ..

وأما المقدمة الثانية وهي قوله : ان أقدم نظم القبائل هو ما تمثله قبائل
(استراليا) الوسطى ..

ان هذا زعم باطل من ناحيتين : ناحية تاريخيه ، وناحية دينية ..

فأما الناحية التاريخية : هذا (روبرت شميت) من كبار الباحثين الذين
قاموا بدراسات شخصية دقيقة عن (استراليا) .. يقرر هذا الباحثة :
أن القبائل المذكورة هي أحدث القبائل في (استراليا) وأكثرها تقدماً ..
وكما قرر ان أقدم قبائل (استراليا) هم سكان جنوبها الشرقي .. ومع
ذلك ان هؤلاء لا يعرفون نظام الالقاب الحيوانية السالفة الذكر (١) ..

وفي الوقت نفسه توجد عندهم عقيدة (الاله الأعلى) بصفة واضحة ..
بل يعترف رئيس المدرسة الاجتماعية الفرنسية بأن عدداً من قبائل (استراليا)
قد وصلوا الى فكرة (الاله الأعلى) أو (الاله الأحد) (٢) .

* * *

هذا ما يقوله هذا الباحثة : من أن دوركائم لم يكن دقيقاً وموضوعياً في
أكاذيبه وأباطيله والحاداته .. (نقل فيه ماشئت) ..

ونحن نعلم يقيناً .. ان دوركائم اليهودي وألوف من أمثال دوركائم

لا يصلون الى أبة نتيجة في هذا المجال وذلك لما يأتي ..

— انهم أرادوا أن يصلوا الى نتيجة معينة قبل البحث الحر .. وتلك النتيجة

هي محاربة الكنيسة بالملم الحديث . اذن فخطأ النتيجة تبع لخطأ المقدمات ..

(١) راجع الدين .. د عبدالله دراز ص ١٥٦

(٢) المرجع السابق ص ١٥٦

من هنا أكدنا أن طم مقارنة الأديان لا يجوز لمسلم أن يعتبره علما
حقيقيا لا هماله موكب الرسالة من لدن سيدنا نوح الى نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم .

وأما المناحية الدينية :-
ان هذه النظرية تصرح في أن الالحاد هو الأصل
والايمان هو الفسح وأن الوثنية سابقة للأيمان والتوحيد . . ان هذا
زعم باطل في باطل . . فقد رأينا - أنفا - أن التاريخ قد كذبه . .
والآن سنرى أن الدين الاسلامي بكذبه . . وذلك ان الله تعالى
قد أخبرنا في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن الأصل
هو التوحيد والايمان . وأما الالحاد والشرك طارثان على البشرية . . .
فلنقرأ خاشعين الآيات التالية :

* كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . وأنزل
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه - وما اختلف فيه
الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم - فهدى الله
الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه . والله يهدى من يشاء
الى صراط مستقيم * (١)
وقفات عند الآية :

الوقفة الأولى : * كان الناس أمة واحدة * على نهج واحد ، وتصور

واحد أعنى الايمان بالله تعالى وتوحيده . .

ثم اختلفت التصورات وتباينت وجهات النظر ، وتعددت المناهج ، وتنوعت

المعتقدات . وعندئذ بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . .

ان هذا التقرير الالهي يجعل مزاعم دوركائم باطلا زهوقا . .

وهذا الذي يقرره القرآن في هذه الآية ، هو النظرية الاسلامية الصحيحة

في خط سير الأديان والمعائد . .

كل نبي جاء بهذا الدين الواحد في أصله ، ويقوم على القاعدة الأصلية ،

قاعدة التوحيد المطلق : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غير ه ﴾ . . .

ثم يقع الانحراف عقب كل رسالة ، وتتراكم الخرافات والأساطير ، حتى

يبعد الناس نهائياً عن ذلك الأصل الكبير . . .

وهنا تجيء رسالة جديدة . . . تجدد العقيدة الأصلية ، وتنفي ما علق

بها من انحرافات ، وتراعى أحوال الأمة واطوارها في التفاصيل . . .

* * *

وهذه النظرية أولى بالاتباع من نظرية (دوركاهم) اليهودي وأتباعه

من الباحثين المنحرفين ، في تطور العقائد من غير المسلمين . . . والتي كثيرا

ما يتأثر بها باحثون مسلمون ، وهم لا يشعرون ، فيقيمون بحوثهم على أساس

التطور في أصل العقيدة ، وقاعدة التصور ، كما يقول المستشرقون وأمثالهم

من الباحثين الغربيين الملحدون الجاهلین . . .

الوقفية الثانية :- ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ ، وقد تكون هذه الإشارة

إلى حالة المجموعة البشرية الأولى الصغيرة من أسرة آدم وحواء وذريتهم . . .

قبل اختلاف التصورات والاعتقادات . . .

فالقرآن يقرر أن الناس من أصل واحد وهم أبناء الأسرة الأولى :

أسرة آدم وحواء . . .

وقد شاء الله أن يجعل البشر جميعاً نتاج أسرة واحدة صغيرة ، وليقرر

مبدأ الأسرة في حياتهم . . . وليجعلها هي اللبنة الأولى . . . فكانوا كذلك

في مستوى واحد ، واتجاه واحد ، وتصور واحد ، في نطاق الأسرة الأولى

حتى نمت وتعددت وكثر أفرادها . . . وتفرقوا في المكان . . . وتطورت معاً ثم

وسزت فيهم الاستعدادات المكونة المختلفة التي فطرهم الله عليها لحكمة

يعلمها . . . ويعلم ما وراءها من خير للحياة في التنوع في الاستعدادات

(١)

والطاقات والاتجاهات .

(١) يراجع في هذا الشرح الجيد تفسير في ظلال القرآن سيد قطب ج ٢

المجلد الأول ص ١٥٠ ولكن بالمعنى والتصرف

الوقفه الثالثة :- * لبحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه * وهنا تتبين تلك الحقيقة الكبرى . . ان من طبيعة الناس ان يختلفوا ، لأن هذا الاختلاف اصل من اصول خلقهم ، بحقق حكمة عليا من استخالف هذا الكائن في الارض . . ان هذه الخلافة تحتاج الى وظائف متنوعة ، واستعدادات شتى من ألوان متعددة ، كي تتكامل جميعها وتتناسق ، وتؤدي دورها الكلي في الخلافة والعمارة ، وفق التصميم الكلي المقدر في علم الله . .

* * *

فلا بد - اذن - من تنوع في المواهب يقابل تنوع تلك الوظائف ولا بد من اختلاف في الاستعدادات يقابل ذلك الاختلاف في الحاجات : * ولا يزالون مختلفين - الا من رحم ربك - ولذلك خلقهم * (١)
هذا الاختلاف في الاستعدادات والوظائف ينشئ بدوره اختلافا في التصورات والاهتمامات والمناهج والطرأئق . .
ولكن الله تعالى - بحكمته البالغة - يحب أن تبقى هذه الاختلافات المطلوبة الواقعة داخل اطار واسع عريض يسعها جميعا حين تصلح وتستقيم . .

هذا الاطار هو اطار التصور الایماني الصحيح ، الذي يفسخ حتى يضم جوانحه على شتى الاستعدادات ، وشتى المواهب وشتى الطاقات . . فلا يقتلها ولا يكبحها ، ولكن ينظمها وينقيها ويدفعها في طريق الصالح . . ومن ثم لم يكن بد أن يكون هناك ميزان ثابت يفيء اليه المختلفون وحكم عدل يرجع اليه المختصون ، وقول فصل ينتهي عنده الجدل ، ويشوب الجميع منه الى البقين : . . لكل ذلك : * فبما الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، لبحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه *

* * *

الوقفه الرابعة :-

ولا بد أن نقف عند قوله تعالى * بالحق * ..
 فهو القول الفصل .. بأن الحق هو ما جاء به الكتاب ، وأن هذا
 الحق قد أنزل ليكون هو الحكم العدل ... والتول الفصل ، فيما عداه
 من أتوال الناس و تصوراتهم و مناهجهم و تقييمهم و مواز بينهم ..

لا حق غيره ...

ولا حكم معه ...

ولا قول بمده ...

- وبغير هذا الحق الواحد الذي لا يتعدد ..
- وبغير تحكيمه في كل ما يختلف فيه الناس ..
- وبغير الانتزاع الى حكمه بلا محاكمة ولا اعتراض ...
- وبغير هذا كله لا يستقيم أمر هذه الحياة ولا ينتهي من الخلاف
 والفرقة ..
- ولا يقوم على الأرض السلام ، ولا يدخل الناس في السلم بحال ...

* * *

هذا ما قرره القرآن .. قرر أن الناس كانوا على ملة التوحيد ، ثم
 دبست اليهم الخلافات فاختلّفوا .. فرجع بعضهم الى الوثنية .. وبعضهم
 الى اللادينية وبعضهم الى الالحاد .. فلما جاء (دوركائم) وأضرابه
 جعلوا هذا التراجع عن التوحيد قاعدة أساسية يقاس عليها
 في معرفة دين الله ..

انها الانتكاس ...

انها الضلالة ...

انها الالحاد الأحمر ...

الوقفه الخامسة :-

ان الابهة تشير بوضوح الى ان هذا الكتاب ، قاعدة للحياة البشرية

ثم تمضى الحياة ..

- فاما انفتحت مع هذه القاعدة ، وظلت قائمة عليها ، فهذا هو الحق ..
 واما خرجت عنها وقامت على قواعد اخرى .. فهذا هو الالحاد ، والباطل ..
 هذا هو الباطل ولو ارتضاه الناس جميعا .. في فترة من فترات التاريخ ..
 فالناس ليسوا هم الحكم في الحق والباطل .. في الايمان والالحاد ..
 وليس الذى يقرره هؤلاء الملاحدة في معرفة الدين الحق من الباطل ، هو
 الحق ..

- وليس الذى يقرره علماء الأديان المقارنة ، هو الدين ..
 ان أقوال الناس : لا تحيل الباطل حقا ..
 وان أفعال الناس لا تجعل الشيء حقا اذا كان مخالفا للكتاب ..
 وهذه الحقيقة ذات أهمية كبرى .. فتأمل ! ثم طبق !

* * *

الوقفه السادسة :-

البغى هو الذى يقود الناس الى المضى في الاختلاف على أصل

- التصور والمنهج ، والمضى في التفرق واللجاج والعناد ..
 حقا ان بغى الحسد .. وبغى الطمع .. وبغى الحرص .. وبغى
 الهوى .. هو الذى يفعل ذلك كله ..
 ولو ألقينا نظرة عابرة في تاريخ الأديان نجد هذه الحقيقة كامنة فيه :
 ما يختلف اثنان في كتاب انزله الله الا في نفس أحدهما بغى وهوى أوفى
 نفسيهما جميعا ..

فأما حين يكون هناك ايمان فلا بد من التقاء واتفاق ..

يقول تعالى في آية أخرى * ذلك يوعد به من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر *

ان الله لا يهدي الا من كان في نفسه صفاً .. وفي روحه رحمة
وتجرد ، وفي قلبه رغبة في الوصول الى الحق * فهدى الله الذين
آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه *

كانت هذه بعض الملاحظات لاحظناها في هذه الآية الكريمة ، فاذا
هي تقرر تقريراً حاسماً أن التوحيد قد سبق الالحاد والوثنية .. وأن
الوثنية طارئة على الانسانية .. وأما أرباب الجهالة الملمية يقولون
-- جهلاً -- ان الوثنية سابقة على التوحيد ..

وصدق الله تعالى * وجعدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً *
وبعد هذا الاستطراد نعود الى موضوعنا وهو أن الملاحدة لما
أرادوا توطيد أركان الالحاد اتخذوا أشياء سندا للحاديا ليصدوا الناس
عن الايمان فقد ذكرنا حتى الان اثنين منها : ذكرنا أولاً اللاشعور ثم
ذكرنا هنا علم مقارنة الأديان .. فنود أن نذكر في الصفحات الآتية
الأساس الثالث والأخير الذي هو الكشف الكوبر نيكي ..

ولكن قبل أن نخوض في هذه المعركة يحسن بنا أن نبدي رأينا
في مدى تأثير المجتمع في الفرد .. لئلاً يقول بعض المطرفين : انتم
تسكرون " العقل الجمعي " ونحن نلمسه في حياة الأفراد والجماعات ..
فلنقرأ -- اذن -- السطور التالية : ..

مدى تأثير المجتمع في الانسان

لقد رأينا في هذا الجزء الأخير أن العقل الجمعي الذي ادعى دوركائم أنه هو الذي يصنع للناس عقائدهم ومساخرهم ، رأينا أنه أسطورة أضحوكة .. ولكن ليس معنى ذلك أننا ننكر تأثير المجتمع على الفرد ، لا ! ان للبيئة والوراثة من سلطان بليغ على نفوس الأفراد وبالمها من أثر في تكوين آرائهم وعقائدهم ، وقد سجل القرآن ذلك وجعله حقيقة واقعة ..

* بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا * * * وانا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون * (١)

* * *

الا أن القرآن حين يقرر هذا الأمر الواقع ، لا يذكره الا في معرض التقرير والذم تاعيا على العامة رضاهم بما فيه من استمبات فكري .. وهبوط من الكرامة الانسانية الى مستوى القطعات من الماشية التي تسير وراء كل ناعق .. ويقول تعالى :

* ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء ضم بكم عسى فيهم لا يعقلون * (٢)

القرآن يلومهم على تعاطيلهم وظليفة آذانهم والستيم وعيونهم .. وهذه منتهى الزرابة بمن / تفكيره .. ويخلق منافذ المعرفة والهداية ويتلقى في أمر نفسه من غير الجهة التي ينبغي أن يتلقى منها .. هذا هو الفرق الجوهرى بين تأثير المجتمع على الفرد في المجتمع المسلم ، وبين تأثيره في اصحاب العقل الجمعي ..

(١) سورة الزخرف : ٣٣

(٢) سورة البقرة : ١٧١

الفرد في مجتمع العقل الجمعي يتلقى التقاليد والأوامر الشيطانية بدون وعي ولا ادراك .. وأما في المجتمع الاسلامي لا يتلقى شيئاً من المجتمع الا ما وافق شريعة الله الذي يعلم السر وأخفى ..

ولذلك كله نجد القرآن الكريم يهيب بالناس أن يميزوا الخبيث من الطيب .. وأن يلتمسوا مثلهم العليين في أهل الفضائل ..

* فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه * (١)

* أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * (٢)

وفي هذا المعنى تقول الحكمة النبوية :

” ولا تكونوا امعة : تقولون ان احسن الناس احسنا وان ظلموا ظلمنا ..

ولكن وطنوا أنفسكم : ان احسن الناس ان تحسنوا وان أساءوا فـ لا تظلموا .. ” (٣)

(١) في سورة الزمر : ١٨

(٢) في سورة الأنعام : ١٠

(٣) أخرجه الترمذي في باب البر (٦٣)

الأساس الثالث - الكشف الكوبرنيكي :

ان اكتشاف " كوبرنيكس " مركز الكون كان أحد المعاول التي ضرب بها
 الملاحظة جميع الأديان ...
 وقالوا : ان الدين خرفة لأنه مبني على الخيالات والأوهام .. ومن
 خيالاته ، أنه اثبت أن الأرض ثابتة وبسوطه ... ولكن العلم الحديث
 جاء فأثبت أن الأرض ليست ثابتة ، بل هي متحركة .. وليست بسوطه
 بل هي كروية ..

وعلى هذا الأساس قالوا : ان الدين مبني على غير الحقيقة ..

وقبل أن نبدي رأى الاسلام في هذا الموضوع ، يحسن بنا أن نعطي
 للقارئ فكرة موجزة عن هذا الكشف الكوبرنيكي توضيحاً لما قلنا سابقاً
 في أول البحث .

* * *

لقد اجمعت المخططات التاريخية أن " كوبرنيكس " نشر كتابه الذي ذكر
 فيه هذا الكشف قبل وفاته بسنة ١٥٤٢ وتردد طويلاً قبل نشره كأنه
 قدر - بحق - أنه سيفض عليه الملائمة ويعرضه للسخط والنقمة ..
 ويومئذ بدأ العلماء والمفكرين ومحسبهم رجال الدين بتساءلون :

" ترى أي شيء في هذا الكشف الكوبرنيكي ؟

هل خالف قواعد الدين وخرج على سنن الايمان ؟ ولأي شيء صدر الكتاب
 وأجمعت شعاب الكنيسة من رومانبة الى لوثرية على تحريمه ومنع تحليله ؟

* * *

فأما الملاحظة صاروا يقولون : " في دنيا العلم هذه نرى أنه لا محل
 للديانة المشبهة ، ولا للإله المشبه .. ونرى أن القلب الانساني قد ضيع
 نفسه مستسلماً للمقل في كفاحه بين بدي الله .. "

" ان الأرض وعليها الانسان ضائعة في آفاق ليس لها نهاية ، وهذه الآفاق الكونية بما وسعت محكومة كليها بالقوانين الآلية " (١) .

وأما الكنيسة فقد أسست محاكم خاصة لمحاكمة رجال العلم والفكر
 وكانوا اذا ثبت على أحدهم شيء استتب وأخذت عليه الموثيق بأن لا يعود اليه فاذا عاد قبضوا عليه وألقوه حيا في النار أو رموا به من عال الى مكان سحيق ، فأهلك على هذه الصورة في مدى القرون الوسطى ، كثير منهم كما تحدثنا عن ذلك سابقا

* * *

هذه صورة صادقة للعالم كما بدا في أعين الناس بعد أن جاء "كوبرنيكس" فأخرج الأرض من مركز الكون وأطلقها مع الشمس في أجواء الفضاء لكنها في أساسها صورة كاذبة لا أصل لها على الاطلاق في المعتقدات الدينية ، فليس في الأديان الكتابية عقيدة توجب على انسان أن يؤمن من بجمود الأرض في مكانها ودوران الأفلاك من حولها وليس في الأديان الكبرى قاطبة حكم من الأحكام يعلق مقاصد الخلق على وضع من أوضاع الفلك

لقد كانت صورة الأرض في وسط العالم من عمل " أرسطو " (٢) و " بطليموس " الا أنهما لم يتفقا على وضعها في ذلك الموضع ، ولا على تقدير الحركات الفلكية التي تحيط بموضعها ، وليس شيء من ذلك من فعل الأديان الكتابية الكبرى أبدا

وسنرى في الصفحات التالية مصداق ذلك ان شاء الله تعالى .

(١) راجع كتاب ديانة المستقبل تأليف " جون آلف بودين " نقلا عن

كتاب عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٣٩ ط : دار الكتاب

المصري بيروت - لبنان .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩

(8)

موقف الاسلام ازاء الكشف الكورنيكي

أما موقف الاسلام فعموما كان ازاء العلم مختلفا عن موقف رجال الدين الكسبي .. اذ ليس هناك أوضع من ذلك الحديث الشهير للنبي صلى الله عليه وسلم . الذي يقول :

” اطلب العلم ولو في الصين ” (١) . أو ذلك الحديث الآخر الذي يقول :
” ان طلب العلم فرضا على كل مسلم ” (٢)

وهناك أمر رئيسي : القرآن الى جانب أنه يدعو الى المواظبة على الاشتغال بالعلم . فانه يحتوى أيضا على تأملات عديدة خاصة بالظواهرات الطبيعية وبتفاصيل توضيحية تتفق تماما مع معطيات الحديث . وليس هناك ما يعادل ذلك في التوراة والانجيل ...

ومن تأمل في هذا القرآن الذي يقول الله فيه * ما فرطنا في الكتاب من شيء * وقوله * وهو تبيان لكل شيء * يجد هناك كثيرا من دواعي الإعجاز لا يتنبه اليها العقل الا بعد ان يبحث ويعين وينشط . هذا الإعجاز يظهر في دقة التعبير في القرآن الكريم وقد يبر الانسان بنظرة متسارعة ببعض الآيات تدل على دوران الأرض أو على كرويته ، لا يشعر به الا بعد أن يتأمل بالدقة ولنضرب مثلا بدوران الأرض وكرويته .. ولكن قبل ان نمضي في التحدث عن هذا المثل .. فاننا يجب أن نجيب على سؤالين هامين :

السؤال الأول :- هل تجوز محاولة ربط القرآن بالنظريات العلمية نقول : ان

هذا أخطر ما نواجهه .. ذلك أن بعض العلماء في اندفاعهم في التفسير وفي محاولاتهم ربط القرآن بالتقدم العلمي .. يندفعون في محاولة ربط كلام

(١) الحديث أخرجه

(٢) أخرجه ابن ماجه ، مقدمه ١٧

الله بنظريات علمية مكتشفة يثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة .. وهم في اندفاعهم هذا يتخذون خطوات متسرعة .. ويحاولون اثبات القرآن بالعلم .. ولكنه كتاب عبادة .. ووضوح .. ولكن الله سبحانه وتعالى في علمه علم أنه بعد عدة قرون من نزول هذا الكتاب الكريم .. سيأتي عدد من الناس .. ويقولون انتهى عصر الايمان .. ويدا عصر العلم .. ولذلك وضع فسي قرآنه ما يعجز هؤلاء الملاحدة الذين لا يؤمنون الا بالعلم التجريبي .. ويثبت ان عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بينه القرآن في صورة حقائق العلم .. بينه كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرناً .. ولم يكشف العقل البشرى معناها الا في السنوات الماضية ..

فمطاء القرآن متجدد دائماً كما يفهم هذا التجدد من قوله تعالى :

* سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق *

اذا لا يجوز تفسير القرآن بأية نظرية ما لم تكن حقيقة علمية ..

السؤال الثاني :-

وإذا قال بعض الناس هل يفهم من القرآن الآن ما لم يكن مفهوماً لدى الأولين ؟ فيجاب عن هذا بأن في الآية التي ذكرناها ما يدل على هذا وهو حرف " السين " في كلمة * سنريهم * لأن معناها المستقبل .. والمستقبل هنا لا ينتهي .. بل أن عطاءه مستمر لهذا الجيل والجيل الذي بعده .. والجيل الذي بعده .. الى يوم القيامة .. ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا أن هناك حقائق وآيات سيكشف عنها كل جيل .. ولكن كما قلنا - ونقول دائماً - ليس معنى هذا أن نحمل معاني القرآن أكثر مما تحتمل .. كما فعل ذلك كثير ممن انبهروا بالكشوف العلمية الحديثة ..

(١) يراجع في هذا الشرح الوافي الى كتاب معجزة القرآن ، محمد متولى الشعراوي ص ٨٦ - ٨٧ ولكن بتصرف طفيف .

وأن نتعامل معه على أساس أنه كتاب جاء ينبئنا بعلم الدنيا .. فالقرآن لم يأت ليصطبنا أسرار علم الهندسة .. أو علم الفلك .. أو علم الفضاء إلى آخر هذا .. ولكن القرآن كتاب هدى إلى الصراط المستقيم يقول تعالى ﴿ الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾

ولكن الله - كما قلنا - وضع في كتابه الكريم ما يمكن أن نرد به على الذين يحاربون هذا الدين حتى يوم القيامة ..

ومن هنا فإن آيات الكون الكبرى التي أنبأنا الله بها في القرآن الكريم والتي نصرف بعضها .. وبعضها لا نعرفه معرفة اليقين حتى الآن ... أرادنا الله سبحانه وتعالى أن نفحم بها أولئك الذين يقولون انتهى عصر الإيمان وبدأ عصر العلم ...

فليعلم الثقلان من الملاحدة وغيرهم أنه لا يمكن - بحال من الأحوال - أن يتعارض العلم الصحيح مع هذا القرآن المجيد . فأى علم يتناقض مع القرآن الكريم كاذب وغير صحيح ... (١)

بل أثبت العلم الحديث (٢) أنه لا توجد حقيقة كونية واحدة تتصادم مع ما جاء في القرآن .

وإذا وجد هناك - في الظاهر - أن بعض المكتشفات العلمية يتصادم مع القرآن ، فنحن نؤكد مرة ثانية أن هذا التصادم المزعوم يأتي أحياناً عن حقيقة قرآنية أسىء تفسيرها لتبدو في غير معناها الحقيقي .. أو حقيقة علمية كاذبة يحاول الناس استغلالها ضد القرآن ..

إننا لا نثبت كتاب ربنا بالعلم ، وإنما العلم هو الذي يحتاج إلى أن يثبت ولكن نحاول أن نرد على هؤلاء الملاحدة أن كروية الأرض لا يتعارض مع القرآن الكريم .. أن القرآن الكريم قد أشار إلى هذا الدوران في كلمتين فقط فاقراً

(١) المرجع السابق ص ٨٩ بتصرف طفيف

(٢) دراسة الكتب المقدسة على ضوء العلم الحديث - موريس بوكاي ١٣٩

ما يلي :

(كروية الأرض • الأرض • • • مددناها) ••

فيماتان الكلمتان قد أسىء فهمهما بحيث يستدل بهما بعض الناس ممن يريد النيل من الاسلام على أنهما يتعارضان مع كروية الأرض اذا قيل لهم : " ان الأرض كروية الشكل " يقولون : لا ! انها مبسوطة ومدودة لماذا ؟ لأن الله تعالى أخبرنا في كتابه العزيز بقوله * والأرض مددناها *
فلذلك يجب أن نقف عندها قليلا لئلا يكون هذا سلاحا بأيدي الكفرة

الملحدون :

* والأرض مددناها *

ومعنى المد •• البسط (١) : أى بسطناها •• هذه حقيقة لا نزاع فيها وليس في استطاعة أحد أن ينكر هذه الحقيقة الملموسة في الكون ونحن نرى الأرض مبسوطة أمامنا •• فلا تناقض بين القرآن وبين الظاهر الموجود •• ولكن عندما اكتشفت كروية الأرض •• ثار علماء الدين واتهموا كل من يقول ان الأرض كروية بالكفر •• لأنه يخالف في رأيهم القرآن الكريم •• ومن أمثال هؤلاء المتزمتين موجودون في العالم الاسلامي الى يومنا هذا •
فنقول لهؤلاء وهؤلاء لقد أسأتم تفسير حقيقة علمية قرآنية •• الله تعالى أعطانا بنفس الكلمتين اللتين احتججتم بهما على بساطة الأرض ، دليلا على كروية الأرض بل أعطانا أكثر من دليل على ذلك في القرآن • ولنناقش هذا كله :

اذا قالوا ان الأرض مبسوطة لأننا أينما ننظر الى الأرض نراها مبسوطة اذا كنت في خط الاستواء •• فالأرض أمامك مبسوطة •• فاذا انتقلت الى القطب الجنوبي فالأرض أمامك مبسوطة •• واذا كنت في القطب الشمالي فالأرض أمامنا مبسوطة •• واذا كنت في أوروبا •• أو أميركا •• أو آسيا أو أى قارة

من قارات الأرض الخمس فالأرض أمامك مبسوطة وبل الأرض مبسوطة أمام
البشر جميعا في كل موقع موجودين فيه فالأرض اذن مبسوطة - لأنها
لا يمكن أن يحدث هذا في جميع أماكن الأرض الا اذا كانت مبسوطة ..
هذا دليل المعارضين في عدم كروية الأرض استدلالا بقوله تعالى :

* والأرض مددناها *

وأما نحن نستدل أيضا بما استدلوا به على كروية الأرض :

كون الأرض مبسوطة في جميع جهات الأرض دليل على كرويته بدليل
أنها لو كانت الأرض في أى شكل من الأشكال غير الكروية لوصل الماشى
في الأرض الى حافة + فمثلا ان المثلث له ثلاث حفات لو مشى عليه ماش ليصل
الى احدى حافته ان طالت مدة المشى أو قصرت .

وهكذا المربع أو المسدس أو غير ذلك فالشكل الوحيد الذى نراه مبسوطة
أماننا باستمرار ولا يمكن أن نصل الى حافة لهما مهما مشينا عليه هو الشكل الكروى
فقط لا ثاني له أبدا .

وهكذا أبلغنا القرآن في كلمتين اثنتين * والأرض مددناها * .. الى
كروية الأرض تتناسبان مع كل زمان ومكان بدون أن تتصادمان مع مفهوم الذين
نزل القرآن في أيامهم ، ولا مع الذين بلغوا الى سطح القمر في القرن العشرين ..
وصوروا الأرض وهم على سطح القمر .. بالها من عجب واعجاز |
اذن فالأرض مبسوطة أماننا في كل مكان ، لأنها كروية الشكل ولو
ذلك لوصلنا الى حافة ما صدق الله : * والأرض مددناها * .
ويتضح القول بما مضى ، في أن الكشف الكوبرنيكي لمركز المالم لا يتعارض
مع القرآن العظيم . ومن الروائع أن القرآن المجيد قد أثبت كل ذلك قبل أن يصل
اليه العقل البشرى منذ قرون عدة .

وكما نؤكده أيضا أن هذا الكشف - لو كان - في جيونظيف بعيد عن طفيان
الكنيسة ومكائد اليهود ، لما حصل هذا الالحاد الفظيخ الذى شمل كل شىء ..
وكل كيان .. وبعد هذا تنتقل الى آية أخرى تؤكده الآية السابقة وهي
كالتالي :

قوانين الكون

* لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون * (١)

والحديث هنا عن قوانين الكون .. الشمس لا تدرك القمر .. لا نهما كما قال العلماء بتحركان في خطين متوازيين لا يلتقيان أبداً .
(٢)

ان هذه الحقيقة العلمية انما ظهرت في هذه السنوات الأخيرة .. وذكرها القرآن منذ أربعة عشر قرناً .

والشاهد عنفنا في هذه الآية في قوله تعالى : * ولا الليل سابق النهار * ان هذه الكلمات الأربعة * ولا .. الليل .. سابق .. النهار * يحطينا الله بها أنه خلق الأرض على هيئة كرة . وكيف يفهم هذا من الآية ؟ ؟

وتحقيق ذلك كالاتي : * ولا الليل سابق النهار *

في هذه الكلمات الأربعة حقيقتان : لا النهار يسبق الليل .. ولا الليل يسبق النهار .. لا النهار يسبق الليل حقيقة كانت معلومة عند العرب ... ولم يتعرض لها القرآن لأنها حقيقة .. لا الليل يسبق النهار خطأ كان موجود عند العرب فصحه القرآن بقوله * و الليل سابق النهار * اذن لا النهار يسبق الليل .. ولا الليل يسبق النهار .. معنى ذلك أن الليل والنهار يوجدان معا في وقت واحد على الأرض .. لأن النهار لا يسبق الليل .. والليل لا يسبق النهار .. وهذا لا يتأتى الا اذا كانت الأرض كروية .. لكن ليس هذا هو القصد النهائي من الآية .. الله سبحانه وتعالى صحح بهذه الآية معتقدات العرب في أن الليل سابق النهار ، وقرر بهما أيضا أن الليل والنهار موجودان معا على الأرض في آن واحد ، ليعلنا عن حقيقة خلق الأرض .. وتوضح ذلك بضرب أمثلة بسيطة :

(١) سورة يس الآية ٣٨

(٢) راجع كتاب معجزة القرآن : متولى شعراوي ص ٩٠

لو أن الله تعالى قد خلق الأرض مسطحة .. فاما أن تكون الشمس
ساعة الخلق في مواجهة السطح .. وحينئذ يكون النهار قد وجد أولا ..
ثم يأتي بعد ذلك الليل ..
واما ان تكون الشمس غير مواجهة للسطح ساعة الخلق .. ومن هنا يكون
الليل قد أتى أولا .. ثم بعد ذلك يأتي النهار ..
ولكن كون الله - سبحانه وتعالى يقول لنا أن النهار والليل خلقا معا .. لم
يسبق أحدهما الآخر دليل على/الله سبحانه وتعالى قد خلق الأرض كروية ..
لأنه حدد الشكل الوحيد الذي يوجد فيه الليل .. والنهار .. على سطح الأرض
مما ساعة الخلق ..

وهكذا نرى - أيها القارئ الكريم - أن القرآن الكريم قد مس حقيقة
هامة في أربع كلمات ولم يصل إليها العلم البشري كله الا في الاونة الأخيرة
فليعلم الذين افتتنوا بالكشف الكوبرنيكي الى حد الالحاد ظانين أن العلم يناقض
الدين فليعلموا ان القرآن قد سبقهم في هذا المضمار . ولو كان عندهم الصبر
والاجتهاد والنسبة الطيبة لراجعوا القرآن الكريم عند تمت الكيسة ورجالاتها
الطفاة . ولكنهم كانوا في الحادهم يعمهون ..

دوران الأرض .. والجبال (٢)

ان الكشف الكونيكي لدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، مما يتبعج به
الملاحدة ويدعون أن هذا الكشف يخالف تلقائيا تعاليم جميع الأديان قاطبة ..

-
- (١) استفدنا هذه المعلومات القيمة من كتاب محجزة القرآن تأليف متولى شمراوى
مع تغييرات طفيفة .. ص ٩١ - ٩٢
- (٢) ان هذا الدوران رغم شيوعه لم يزل في أوروبا أناس يشكون في ذلك : ومن
هؤلاء العالم الرياضى الكبير الفرنسى (بوانكاريه) في كتابه (العلم والفروض
العلمية) يرى ان الدوران مقبول ولكنه يحتاج الى اثباته بالأدلة المحسوسة
ان هذا يدل على ان الأمر لم يكن محل اتفاق عند العلماء في أوروبا ..
راجع دائرة القرن العشرين فريد وجدى ج ١ ص ١٨٢

نقول لهم : ان هذا ادعاء بغير دليل . وان كانت الكتيبة في أوروبا قد طفت وأتت بهذه الجريمة النكراء ، هل من الانصاف في التحقيق أن تضرب جميع الأديان بنفس المصا ؟ .. هذا مما يتنافى مع العلم الحديث .. ولو تكلف الملاحدة برجوع الى دراسة الدين الاسلامي المجيد دراسة موضوعية ، لوجدوا فيه بنيتهم .. ولكن الاحاد ظلمات تغطي القلوب . وتمسى البصائر وتجعل الانسان في حيرة في أمره كما هو واضح ^{في} تصرفات هؤلاء الملاحدة . والسؤال هنا هو : ما هو موقف القرآن من دوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس ؟

نقول : ان من تدبر في معاني القرآن بما يتعلق بذلك ، يجد أن القرآن الكريم فيه دلالات متعددة على حركة الأرض بنوعيتها ، ولكنها جاءت عن طريق الإشارة لا صريح العبارة مراعاة - فيما أظن - لمقتضى الحال في خفائها وعدم احساس الناس بها . فلو أن القرآن صاح الناس - آنذاك - بحركة الأرض وهم يحسبونهم ساكنة لكذبوه .. وحيل بينهم وبين هدايتهم كما كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قضية الاسراء والمحراج .. . فكان من الحكمة البالغة ومن الاعجاز البلاغي في الأسلوب أن ينبه الناس في كتابه الله الى آياته سبحانه في حركة الأرض حول محورها ، وفي حركتها حول الشمس بمختلف الاشارات الى نتائج كل من الحركتين منها عليهم بها ، وحثا لهم على اكتناه أسبابها ..

حقيقة تجب الإشارة اليها

ان القرآن الكريم له طريقة خاصة في تقرير هذه الحقيقة ، حقيقة دوران الأرض حول نفسها ، وهي تخالف طرق أهل الأرض جميعا . لأنهم حينما بحثوا في هذا الموضوع ، بحثوا فيه بحثا جافا جامدا لا روح فيه لا يصل الى هدف نبيل ، كما دتيم في تقرير أيسة حقيقة علمية .. وأما القرآن يستخدم مشاهد الكون وحقائق النفس في اثبات العقيدة الصحيحة .. فيحصل

الكون كله اطارا للمنطق الذي يأخذ به القلوب ه و يوقظ به الفطرة ويجلوها
 لتحكم منطقتها الواضح السواصل البسيط ه ويستجيبن به المشاعر والوجدان بما
 هو مركز فيهما من الحقائق التي تشبهها الخفلة والنسيان ويحجبها الاحاد
 والكفران . . . ويصل بهذا المنطق الى تقرير الحقائق العميقة الثابتة في تصميم
 الكون وأغوار النفس ه والتي لا تقبل المراء الذي يقود اليه المنطق الذهني
 البارد الذي انتقلت عدواه اليها من المنطق الاغريقي وفشا فيها بسى علم
التوحيد أو علم الكلام ه أو يصل اليه العلم الحديث التجريبي البحث .

الحركة اليومية للأرض في القرآن

وبعد هذا نقول للقارئ الكريم : اذا أردنا الدلالة على الحركة اليومية

للأرض في القرآن وجدناها في قوله تعالى :

* يفتش الليل النهار يطلبه حثيثا * (١) فالمفتش يفتح ان يكون الليل
 أو النهار لأن التعبير يفتشها - كما يقول الزمخشري (٢) واذن فهو يفتشها ان لو
 كان أحدهما هو وحده المفتش لا الآخر لجاء التعبير القرآني نصا في ذلك
 لا يحتمل غيره لأنه كالم الخالق سبحانه الذي لا يجوز أن يأتي
 لفظه أضيق أو أوسع من المعنى الذي قصد ه واذن فكل من الليل والنهار
 يطلب الآخر طلبا حثيثا باذن الله وبقدرة الله ه كي يفتشاه ثم يكون
 ذلك على وجه التجدد المستمر كما تفيد صفة المضارعة في الفعلين
 مع الحالية في الفعل الثاني .

فتأمل معي أيها القارئ ه - جلال هذه الكلمات القرآنية الخمس كيف صورت

أدق تصوير تلك الظاهرة الكونية العجيبة ه ظاهرة زحف النهار اثر
 الليل حالا محله من طرف ه وزحف الليل اثر النهار حالا محله من الطرف

(١) سورة الأعراف : ٥٤

(٢) تفسير الكشاف الزمخشري ج ٢ ص ١٠٩

وقال : " وقرئ يفتش بالتشديد . أي يلحق الليل النهار ه والنهار بالليل
 يحتملها جميعا " .

الآخر ففي كل بقعة من بقاع الأرض أثناء دورتها اليومية حول نفسها ،
أو حول محورها أمام الشمس ، نتيجة لذلك الدوران الذي يدل على عظم
جلاله وجماله . (١)

* * *

ثم هذا الدوران نفسه قد دل القرآن عليه بما يكاد يكون نصا صريحا
في قوله تعالى :

* يَكُورُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُورُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ * (٢) والتكوير فسي

اللغة اللف واللى (٣) يقال : " كارت العمامة على رأسه وكورها " كما يقول

الزمخشري في تفسيره . الا أنه جعل يلتمس لذلك معنى مجازيا ، لما غاب

عنه ما ظل مجهولا للناس أجمعين لقرون بعده ، من أن الله سبحانه يلف

الليل على النهار بلف محوري حقيقي للأرض التي هي محل الليل ، ويلف

النهار على الليل بلى حقيقي لأشعة ضوء الشمس في فلاف الأرض الهوائي

الذي تلموه الظلمة وهي تدور " (٤)

وفي الفعل (يكور) المكر مرتين في الآية محجزة علمية أخرى ، إذ قد

دل بوضوح على كروية الأرض بكروية جوها الذي يشغله ، ويتماوره الليل

والنهار على التجدد على كل بقعة من بقاع الأرض ، وفي هذا غناء عن

الاستشهاد على كروية الأرض بكلمة (دحاها) (٥) التي اختلف فيها

الناس اختلافا كبيرا .

(١) الضمير في قوله تعالى * يَفْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ * فانه راجع الى لفظ الجلالة

في اول الآية الكريمة في سورة الاعراف : ٥٤

(٢) سورة الزمر : ٥

(٣) راجع لسان العرب ج ٥ / ص ١٥٧ ، وراجع أيضا الصحاح في اللغة والملمع
ص ٤١٨

(٤) راجع تفسير الزمخشري ص : ١١٢ ج ٤ ط : الكتاب العربي .

راجع كتاب الاسلام في عصر العلم محمد احمد الخماوي ، اعداد د . احمد عبد
الاسلام الكردي ص ٢٧٣ .

(٥) اشارة الى قوله تعالى * والأرض بعد ذلك دحاها * في سورة النازعات : ٣٠

حركة الأرض السنوية حول الشمس

في القرآن

أما حركة الأرض السنوية حول الشمس ففي القرآن دلالات كثيرة ولكن نكتفي
بواحدة منها وهي دلالة تكاد تكون في صراحة عبارة تنص على أن للأرض
حركة غير حركتها اليومية ، وتلك هي دلالة قوله تعالى :

* وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب ، صنع الله الذي
أتقن كل شيء * (١)

والسحاب كما هو معروف لا يتحرك بذاته ولكن ينتقل محمولا على الرياح
فكذلك الجبال يراها الرائي فيظنها جامدة في مكانها وهي تمرمر مسرعة محمولة
أيضا ، وليس لها حامل الا الأرض ، فالأرض اذن هي المسرعة بها كما
تسرع الرياح بالسحاب وكلا الأمرين من صنع الله الذي أتقن كل شيء .
فلاستنتاج في الواقع قريب غير بعيد لأن قوله تعالى * تحسبها * يدل
أول ما يدل على رحمة الله بالعقل البشري . فالإنسان يظن - كما قلنا -

أن الجبال جامدة . . ولكن الله تعالى يريد أن يخبرنا بأن هذه الجبال التي نراها
أمامنا ونحسبها جامدة تتحرك من مكان الى آخر ، ولكنها تمرمر السحاب
لماذا ؟ لأن السحاب لا يملك ذاتية الحركة . . لا يتحرك بنفسه . . انما
تحركه الرياح فالسحاب يدون الرياح يبقى في مكانه . ولكن الرياح
هي التي تدفعه من مكانه الى آخر . وكذلك الجبال لا تتحرك بنفسها
لأنها هي أوتاد الأرض ورواسيها ان قال الله أنها تمرمر السحاب ،
يدرك العقل ان حركتها ليست ذاتية بل هي تابعة لحركة أخرى تدفعها . .
تماما كما تدفع الرياح السحاب . .

فهذا من معجزات القرآن الكريم الذي ينبغي أن يدل الناظر الى أن في
حركة الأرض الحاملة للجبال من آيات الله ومن المنافع لعباده ، ما يشبه الآيات
والمنافع التي أودعها الله في حركة الرياح الحاملة للسحاب والتي نوه

الله بيها في آيات كثيرة من كتابه الحكيم . (١)

لماذا لم يذكر المفسرون دوران الأرض؟

نقول : انه ليس عجيبا ان يفوت المفسرين جميعا هذا المعنى على قرينه لمن يعرف ما أثبتته العلم الحديث للأرض من حركة حول الشمس ، لأنهم لم يكونوا يحرفون أن للأرض حركة ما ، لا يومية ولا سنوية . ومن هنا صرفوا المعنى عما يقتضيه المفعول المطلق في الآية الكريمة ما يستلزمه قوله تعالى : * صنع الله الذي أتقن كل شيء * من أن الظاهرة التي لفت الله اليها الانسان في قوله : * وترى الجبال * هي ظاهرة كونية فيها من اتقان الصنع ما يدل على جلال حكمته وقدرته سبحانه . . .

ولكن المفسرين - جزاهم الله عنا خيرا - رأوا أن الآية تدل على النقض لسنن الله في الكون يوم القيامة أي بين بدي يوم القيامة ، وهذا ليس بعيدا فحسب ولكنه أيضا لا يتناسب مع ظاهر الآية الكريمة . والذي دعاهم الى هذا أمران :

أولهما : ما ذكرناه من أن دوران الأرض لم يكن مألوفا عند الناس حتى الفلاسفة اليونانيين .

ثانيهما : رأوا أن الآية ذكرت بعد آية تدل على القيامة وهي قوله تعالى : * ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين * (٢) . ثم جاءت الآية * وترى الجبال * فقالوا " ان مشهد الجبال هكذا يتناسق مع ظل الفزع ، ويتجلى فيه وكأنما الجبال مذعورة مع المذعورين مفزوعة مع المفزوعين هائمة مع الهائمين الحائرين المنطلقين بلا وجهة ولا قرار " (٣) .

(١) يراجع في هذا التفسير الى كتاب معجزة القرآن ، متولى الشعراوي ص ٩٢ ، وكتاب

الاسالم في عصر العلم محمد احمد الحمزاوي ص ٢٧٥

(٢) في سورة النمل : ٨٧

(٣) راجع في ظلال القرآن ، سيد قطب ج ٢٠ المجلد السادس ص ٣١٤ وراجع ايضا تفسير زاد المسير في علم التفسير الامام ابي الفرج ج ٦ ص ١٩٦ ، تفسير

هذا ما ذهب اليه جلّ المفسرين من * أن صنع الله * في الآية يسدل على نقض السنن الكونية .

موقف الزمخشري من هذه الآية الكريمة

ومن راجع تفسير الزمخشري يجد أنه وحده الذي أدرك بدوقه البيانسي عدم التلازم بين قوله تعالى * صنع الله الذي أتقن كل شيء * وبين ما سيحل بالجيال بين مدى الساعة ، فقدر محدثونا بليق في رأيه بذلك الصنع المتقن إذ قال : " والمعلّى يوم ينفخ في الصور وكان كبت وكبت ، أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين " ثم قال : * وصنع الله * يريد به الاثابة والمماقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي اتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب الى آخر ما قال مما رفضه غيره مثل أبي حيان في تفسيره ونسبه الى مذهب الزمخشري في الاعتزال .

ونقول : ولو عرف الزمخشري وأبو حيان ما نعرفه اليوم - بمنه تعالى - من دوران الأرض حول الشمس بتلك الكيفية الباهرة وما يحكمها من تلك السنن الالهية الدقيقة القاهرة وما يترتب عليها من المنافع للناس ، اذن لكبروا الله وتعارعوا الى المعنى المتبادر من الآية ومن تشبيها التمثيلي ومن القرائن الحسية والبلاغية فيها ولفهموا الخطاب في * وترى الجبال * على أنه خطاب للإنسان الآن وفي كل عصر آت ، بدله على آية من آيات الله الكبرى عليه يرتدى الى الله .

عودة الى أدلة المفسرين

وأما أدلة المفسرين التي تقول ان الآية * وترى الجبال * تدل على يوم القيامة تتعارض مع آيات أخرى في القرآن الكريم والبك بعضها منها :

=== ابن كثير سنة ٧٧٤ ج ٥ ص ٢٦٠ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . تفسير جامع البيان في التفسير ، للشيخ السيد محين الدين محمد بن عبدالرحمن الحسنى الحسينى الايجي الشافعي سنة ٨٣١ - ٨٩٤ هـ ج ١ ص ١٨٨ وهو يقول ان هذه الآية تدل على احوال الجبال يوم القيامة يعني بسير أولها ثم بنفسها الله ثانيا ثم تكون هباء منثورا والله أعلم .
(١) تفسير الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٣٨٧

نقول لهم : ان وصف الحسبان لا يناسب يوم القيامة ولكن هناك يقينا .

﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ (١)

ويقول الله سبحانه وتعالى عن الجبال يوم القيامة :

﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ﴾ (٢)

فكيف ينسفها الله ثم نحسبها جامدة ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض .. والسموات ﴾ (٣)

في يوم القيامة .. فينسف الله الجبال ويبدها .. وكل شيء أمامك يكون

يقينا فأنت ترى الجنة .. وترى النار .. وترى الله رؤيا اليقين .. فالحسبان

في الدنيا واليقين في الآخرة ..

ثم نقول لهم : لو تأملوا في الآية التي قبل الآية ﴿ ويوم ينفخ في الصور .. ﴾

لوجدت مثبلة للآية ﴿ وترى الجبال .. ﴾ وهي تتحدث أيضا عن ظاهرة

من حركة الأرض وهي قوله تعالى : ﴿ ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكنوا فيه

والنهار مبصرا ان في ذلك آيات لقوم يؤمنون ﴾

فان من لطيف المناسبة أن تشير آية ﴿ ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكنوا فيه

والنهار مبصرا ﴾ الى ظاهرة تنشأ من إحدى حركتي الأرض وأن تشير آية

﴿ وترى الجبال ﴾ الى الحركة الأخرى تلك الإشارة المجيئة .

ومن حكمته البالغة ان جعل بين الآيتين آية تتعلق بيوم البعث ، لتصرف

الأذهان بها عن المعنى الذي لم تكن لتعقله قبل أن يأذن الله بالكشف عن

سنة الله في حركة الأرض حول الشمس كسيار من السيارت التي أقسم

الله بها تثبيتها الى آياته فيها . ان يقول سبحانه :

﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾

(١) في سورة

(٢) في سورة

(٣) في سورة

ولما كان القرآن انما أنزل لهداية للناس ، قد اقتضت الحكمة الالهية
في آياته الكونية أن ينزل بأسلوب لا يصدم البديهي المسلم به عند الناس
فيكذبوه ولا يثافي الحقيقة الكونية فيكون ذلك داعيا الى تكذيبه ان ايسر
الله سبيل الكشف عنها لا ولي العلم في مستقبل المصور . .

وهذا من أعجب عجائب القرآن التي لا تنقضي ، ومن أدل الدلائل على
أن القرآن - حقا من عند الله ، فان التعبير عن الحقيقة الكونية بأسلوب يطابقها
تماما أو يدل عليها أولى العلم .

ولعل أوضح مثل لهذه الظاهرة القرآنية العجيبة قوله تعالى :

* والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم *

فانظر الى القضية الأولى ، قضية أن الشمس تجري ، كيف انطبقت على البديهي
المساهد من حركة الشمس في السماء من المشرق الى المغرب في كل مكان يحيش فيه
الانسان ، في نصف الكرة الشمالي وفي نصفها الجنوبي من قطب الى قطب لكن
هذه الحركة انما هي في الظاهر ، وقد فسرتها الفلسفة اليونانية أو العلم
القديم ، بما فسرت أو فسرت ، مما خطأه علم الفلك الحديث انما أثبت أن حركة
الشمس في الظاهر حول الأرض - كما هو معروف - هي حركة نسبية راجعة في
الحقيقة الى حركة الأرض حول محورها امام الشمس من المغرب الى المشرق
مرة في اليوم . . ينشأ عنها النهار والليل ، كما أثبت للأرض حركة سنوية حول
الشمس تنشأ عنها الفصول .

فهل فقدت الآية الكريمة شيئا من دلالتها . بهذا الذي أثبتته العلم ؟ ان
الذي جسد بما أثبتته العلم هو انتقال الحركة من الشمس الى الأرض فصار للأرض
حركتان تفسران الليل والنهار واختلاف الفصول ، بدلا من حركة الشمس وحدها .

(١) سورة يس : ٣٨

(٢) راجع كتاب (لله العلم) بشير التركي ص ١٠٢

وهنا نتبين عجيبة من عجائب الاعجاز العلمي في القرآن ، فقد جاء علم
 الفلك الحديث بعد نحو ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن فأثبت للشمس حركة
 غير هذه الحركة الظاهرة من المشرق الى المغرب . فقد أثبت أن هذه الحركة
 ذاتية للشمس ، وقدر سرعتها بركبها أي من حيث المقدار والاتجاه ، فأما
 المقدار فهو (اثني عشر ميلا) في الثانية تقريبا . وأما الاتجاه فهو نحو
 النجم المسمى (فيجا) في الانجليزية والنسر الواقع في العربية ، أي أن
 علم الفلك الحديث أثبت أن الشمس على عظم كتلتها الهائلة ، تجرى في الفضاء
 بسرعة اثني عشر ميلا في الثانية في اتجاه النسر الواقع .^(١)

* والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم *

فأنت ترى معنى - الان - ان في قوله سبحانه * والشمس تجرى * معجزة
 علمية عظيمة لم تكن تخاطر لأحد على بال ، حتى كشف عنها علم الفلك
 الحديث ، لم يكشف عنها الا في القرن التاسع عشر بعد أن تهيأ له من الات الرصد
 وأدوات التحليل الضوئي ومن المقدرة على تفسير النتائج التي توصل اليها عن طريقها
 ما أدى به الى الكشف عن ذلك السر العظيم ، كتلة من النار قدر كتلة الأرض ٣٣٣
 الف مرة تقريبا تجرى في ملكوت الله بسرعة تزيد على ضعف ما يسمونه بالقمر
 الصناعي في دورته حول الأرض .^(٢)

لقد فتن الناس أوكدوا ، بهذه الأقمار أو القميرات الصناعية التي ليس للانسان
 فيها الا صنعها واحكام اطلاقها مستعملا في ذلك ما وهبه الله من علم ومقدرة ،
 أما دوراتها حول الأرض فليس له فيه فضل . اذ هي انما تدور طوعا لسنن
 الله في الحركة من ناحية وفي الجاذبية بينها وبين الأرض من ناحية

أخرى ، ان صح التعبير .

(١) راجع كتاب الاسلام في عصر العلم ، محمد احمد الخمراوي ص ٢٨١ والعلم

عند الله .

(٢) راجع كتاب العلم يدعو الى الايمان ص : ٥٥

السؤال المجيب :

فكيف يمكن ان يكون في هذه القميرات دليل على وجود الانسان وما بلغ ممن
 رقي في الصناعة والحلم ، ولا يكون في الشمس وجريها في الفضاء على ذلك
 الوجه العظيم المائل دليل على وجود الله العزيز الحكيم سبحانه الذي خلق
 الشمس واجراها وقدر لها مجراها في الفضاء * ان في ذلك لا آية للمتوسمين *
 وأخيرا ان المحجزة العلمية الكبرى المتمثلة في قوله تعالى * والشمس
 تجري لمستقر لها * ينطوى تحتها في الواقع معجزة اخرى ، ان قد خطأت
 علم الفلك القديم حين قال في تفسير الشروق والغروب : ان الشمس معلقة
 أو مركوزة في فلك مادي كروي هو الذي يدور بالشمس حول الأرض ، فحمل
 حركة الشمس غير ذاتية . . . والآية الكريمة تقول ان لها حركة ذاتية
 سرية . فان الجري لا يمكن الا ان يكون ذاتيا . . . وقد وجد التفسير
 الفلسفي أو الفلكي القديم طريقة الى كتب التفاسير ليس فقط فيما يتعلق بالشمس
 ولكن أيضا فيما يتعلق بالقمر . . . وقد اعتبرها فلاسفة اليونان خطأ -
 من السيارات ، التي فسروا حركتها عبر السماء بما فسروا به حركة الشمس فافتروضوا
 أي السيارات ، مركوزة في افلاك كرية شفافة مجوفة بعضها داخل
 بعض ، ومركزها جميعا الأرض فيبي تدور كلها بحركات مختلفة من المشرق الى
 المغرب حول الأرض التي جعلوها ساكنة لا حركة لها وتبهم في ذلك
 فلاسفة المسلمين والمفسرون (١) . . . لا عيب فيهم الا أن أيامهم تقدمت على هذه
 الكشوف العلمية الصحيحة .

(١) راجع كتاب الاسلام وتذوالعصر الحديث محمد احمد الغمراوي ص ٢٨٢ .

من هدايا القرآن

لقد رأينا فيما سبق ان العلم الحديث قاصر في فهم شئ من أسرار الكون حتى في فهم أسرار المادة نفسها التي يعبدها الملاحدة فتجد أحدهم يضرب الأرض برجله ويقول : " هذه هي الحقيقة " اذا كان الأمر كذلك فهل لنا محشر المسلمين أن نقدم لهم هدايا من القرآن الكريم اذا رجعوا اليها لعلمهم بهتدون؟ فما هي اذن تلك الهدايا ؟

لنبداً بأول آية - بعد البسطة - في أول سورة من القرآن ، لنبدأ بالآية الكريمة فاتحة أم الكتاب * الحمد لله رب العالمين * ولندع شطرها الأول * الحمد لله * للمؤمنين . . . لنجعل شطرها الثاني * رب العالمين * الهدية الأولى لأرباب الجهالة العلمية ولنغيرهم . . .

ان كلمة * العالمين * لا شك أنها كلمة فاجأت العرب من ناحيتين على الأقل : ناحية الجمع وناحية تذكير الجمع ، فلذا اختلف المفسرون في مفهوم رب العالمين (١) لأنهم لم يكونوا يعلمون الا عالماً واحداً هو يعيشون فيه . والناس الى اليوم لا يتحدعون الا عن عالم واحد هو الذي تبصر ونحس ونعيش فيه . فلما جاء القرآن بلفظ الجمع لكلمة العالم ، قصرت أفهام الناس في فهمه لأنه شئ لم تألفه الأسماع والأفهام والأفكار .

والتمس المفسرون تلك الحوالم المتعددة ، فقيل هي : عوالم الانس والجن والملائكة وقيل هي عوالم الحيوان والنبات والجماد وغير ذلك مما ذكره المفسرون بهذا الصدد . فعلى من يريد المزيد مراجعة التفاسير التي نذكر أسماء هاني الهامش (١)

(١) تفسير الطبري ابن جرير : ج ١ ص ٣٣

(٢) التفسير القرطبي : ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩

(٣) التفسير الكبير : فخر الرازي ج ١ ص ٦

(٤) تفسير الكشاف : ج ١ ص ١٠ (٥) تفسير أضواء البيان : ج ١ ربح المعاني لألوسي

(٦) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٣٠ (٧) تفسير المراغي : ج ١ ص ٣٠ ج ١ ص ٢٩

(٨) تفسير المنار : ج ١ (٩) التبيان ، الطوسي ج ١ ص ٣٣

(١٠) فتح القدير ، محمد الشوكاني ج ١ ص ١٩

(١١) تفسير أبي سعيد الجزء الأول ص

(١٢) تفسير الجواهر ج ١ الدائرة ص ١٢٠

ولكن ليس كل ذلك بموف معنى ذلك اللفظ : لفظ * العالمين * . وأنت اذا قلت " العالم " لم تفهم الا عالما واحدا . هو هذا الشامل لكل ماترى من أرضي وسماء .
ولكن اذا أخذنا بحرفية اللفظ في الفهم دون التفات الى المجاز يكون هذا العالم واحدا من أفراد ، وعالما من عوالم مثله ، فأين هذا المفهوم الجديد فى الكتب الفلسفية وفي أى كتاب قبل القرآن العظيم ؟

اذن ان هذا المفهوم هدية من هدايا القرآن الى هذا الكيان الانساني .

ثم جاء العلم الحديث بعلم الفلك الحديث . بمراقبه ومراصده وتحليلاته الرياضية وغير الرياضية فبين أن المجموعة الشمسية التي نحن فيها ومنها ، ليست في هذا العالم المجرى شيئا مذكورا ، وبين أن هناك عوالم أخرى مترامية المطارح تعدد لا بالمئات ولا بالآلاف ، ولكن بالملايين .^(١)

لكن العلم الحديث لم يمتد الى الآن في العوالم الأخرى الى أرض كالأرضنا . .

اذن على ارباب الجمالة العلمية الملاحدة ان يجتهدوا في البحث عن هذه العوالم الأخرى ، واما أن يأخذوا لفظة * رب العالمين * هدية لهم من القرآن الكريم . فلا يدعوا علم جميع ما في هذا الكون الواسع الملىء بالأسرار الغامضة . .

هدية ثانية

وهي في قوله تعالى * الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ليعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما * (٢)

ان (أل) في * الأرض * هنا هي حتما للجنس لا للبهيمة ، بدليل قوله * مثلهن * والسموات السبع متعددة وليس في ذلك شك ، فلا بد أن تكون الأرضون السبع متعددة ايضا على نفس النحو والنمط ، ولتحقق المثلية المنصوص عنها في الآية ، لا أنهم سبع طبقات في أرضنا هذه كما فهم الناس ويفهمون

(١) العلم يدعو للايمان ص ٥٩

(٢) سورة الطلاق آية : ١٢

فأرضنا واحدة • وليس يفهم العلم ولا الناس من لفظ الأرض إذا أطلقوا الأرضنا هذه جملة بحذافيرها وطبقاتها كلها ، فتفسير الأرضين السبع بطبقات سبع في هذه الأرض تفسير لا يتفق مع اللغة ، ولا مع العلم ولا مع القرآن ولا مع الحديث الكريم : " اللهم رب السموات السبع وما أظلمهن ورب الأرضين السبع وما أظلمن " لمن يدقق في فهم الحديث •

هذه النتيجة التي تتفق مع حرفية القرآن • وحمله على الحقيقة اللغوية لا على المجاز ، تحل لنا وللاسانية مشكلة السموات السبع حلا حاسما • فقد عجز الناس الى الآن عن الوصول الى فهم للسموات السبع فمثلا :

قال بعضهم انها السيارات السبع ، فظيهر من السيارات عشرة ليس من بينها القمر كما يقول اليونان (٢) •

وقال بعضهم انها سبع عوالم في السماء ، فكانوا كأن لم يقولوا شيئا ، إذ ليس هناك ما يحدد معنى عوالمهم هذه • والعوالم والأكوان اكثر من سبعة بكثير • وأما العلم الحديث يتحدث عن سبع السموات على النحو التالي :

" انا لدينا اليوم معطيات علمية عديدة تدفعنا الى أن نقسم الفضاء الكونى كما يلي : (١)

(١) - السماء الأرضية : وهي سماكة الجوالتي يبلغ ارتفاعها أربعين كيلومترا تقريبا •

(٢) - السماء القمرية : فاذا ضربنا هذا العدد الذى يمثل بعد السماء الأرضية في عشرة الاف مرة وجدنا قيمة بعد السماء القمرية أى ما يقرب من أربع مائة ألف كيلومتر •

(٣) - السماء الشمسية : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى وجدنا ما يقرب من أربع مليارات كيلومتر أى معدل قيمة شعاع سماء النظام الشمسى •

(١)

(٢)

(٣) لله العلم تأليف بشير التركى ص ١١٣ - ١١٤

(٤) - سماء النجوم القريبة : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى وجدنا خمس سنوات ضوئية (١) تقريبا وهو قيمة بعد مجموعة النجوم القريبة .

(٥) - سماء المجرة : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى وجدنا خمسين الف سنة ضوئية وهو معدل قبعة شمعا مجرتنا . . .

(٦) - سماء المجرات القريبة : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى وجدنا خمسة الاف مليار من السنوات الضوئية وهو عدد المجرات القريبة " (٢)

(٧) - سماء الكون : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى وجدنا خمسة الاف مليار من السنوات الضوئية وهذا البعد يفوق عمر الكون اذ أن عمر الكون لا يفوق خمس عشرة مليار سنة وهذا يعني اذا تكون جرم سماوي قبل خمس عشرة مليار سنة وابتعد بسرعة الضوء وهي أكبر سرعة نعرفها في الكون وهو يبعث البنا نورا كي نتبين موقعه فلا يكون ذلك الجرم أبعد من خمس عشرة مليار سنة ضوئية فيتضح اذن أننا بهذا الرقم الذي هو خمسة الاف مليار من السنوات الضوئية قد خرجنا من الحدود الكونية .

ثم قال : فهذه هي السبع سماوات حسب علم القرن العشرين لا نستطيع اليوم أن نفهم

لماذا نفس هذه النسبة في الأبعاد أي " عشرة الاف " .

هذا حسب تقديرات (بيو) (Biot) و (بوسيفولت) (Boussingault)

و (هومبولد) (Humboldt) (٣)

* * *

(١) السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء مدة سنة بسرعة ٣٠٠.٠٠٠ كيلومتر في الثانية أي كيلومتر تقريبا . ولكن التحقيقات الحديثة اثبتت ان الالكترونات

(٢) لله الملم تأليف بشير التركي ص ١١٣ - ١١٤

اسرع

(٣) المرجع السابق ص ١١٤

هذه هي مبلغ علمهم من مفهوم السموات السبع . وقد تكون هذه الأرقام حقا ولكن - نحن معشر المسلمين - لا نستطيع أن نقبل هذه الأرقام كأنها حقيقة علمية لمفهوم السموات السبع لعدم أسباب :

أولا :-
انهم صرحوا بان هذه التقديرات تقريبية . ولذا لا نعترف به حتى يصير حقيقة علمية .

ثانيا :-
هم جعلوا السموات السبع محصورة في هذا الفضاء فقط هل عندهم علم يقيني في هذا ؟ الجواب : لا

ثالثا :-
قد ورد في القرآن ان السموات * طباق * ان أنها تغلف بعضها بعضا كطباق على طبق ومتساويا في كيانها . هذا الذي نفهمه من كلمة الطباق ولكن هؤلاء قالوا ان سماكة الجوف فوق الأرض تعتبر سماء وكذلك القمر تعتبر سماء مع العلم ان الأرض والقمر لا يوجد بينهما أى تطابق فالأرض اكبر بكثير من القمر ..

اذا انتفى التطابق بين هذه السموات المزعومة ينتفى أن تكون هي السموات السبع المذكورة في القرآن .

وأين سبع الطرائق التي ذكرها القرآن في هذه السموات الفضائية المزعومة ؟

رابعا :-
فالقرآن قال لنا أن الله خلق سبع سموات وسبع أرضين والعلم الحديث جعل احدى الأرضين سماء ، هذا يدل دلالة واضحة على أن السموات السبع المنصوطة بها في القرآن ليست هي التي يزعم بها أرباب الجهالة العلمية .

خامسا :-
ثم جعلوا القمر من جملة السموات السبع مع أن القرآن صرح في آية أخرى بأن القمر ليس من جملة السموات السبع وإنما جعل نورا فيهن . يقول تعالى : * وجعل القمر فيهن نورا * (١)

سادسا :- ان العلم الحديث لا يعرف شيئا حتى الآن - عن الستة الباقية

من الأرضين بينما القرآن صرح بأن عدد الأرضين - مثل عدد السموات السبع ، اذ كان مفهوم السموات السبع غير معروف حتى - الآن - لدى أرباب العلم الحديث وكذلك عدد الأرضين السبع • فعليهم - اذن - أن يأخذوا هدية القرآن في هذا الباب ويجهتدوا في البحث ليكشف لهم مرقب المائتي بوصة الجديد عن بعض هذه السموات السبع والأرضين الستة الباقية ••

ما لم يصل اليه العلم الحديث بعد

فتلك هي بعض هدايا القرآن للعالم ، وللعلم الحديث بصفة خاصة ، نود

أن نلخصها في الصفحات التالية :

- (١) - وجود ستة مراحل للخلق عموما •• أو ستة أيام بالتمبير القرآني وأصحاب الجهالة العلمية لم يعرفوا - بعد شيئا عن ذلك •
- (٢) - تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض •• وأرباب الجهالة العلمية •• لم يعرفوا - حتى الآن - تفاصيل صحيحة عن ذلك •• وانما يقولوا فقط : انفصلت الأرض عن الشمس بسبب انفجار داخلي أو تصادم مع بعض الكواكب ، أو مع نجم أكبر منها - كما مر ذلك بنا سابقا •
- (٣) - خلق الكون ابتداء من مادة دخانية •• وكانت تشكل كتلة متماسكة ففتقها الله سبحانه وتعالى بقدر خاص ••
- وأما العلم الحديث أشار الى هذه الكتلة الغازية ، ولكنه جاهل تماما من الذي فتق هذه الكتلة الغازية وكون منها السموات والأرض السبع •• بل نسب كل هذه المعجزة الى الصدفة العمياء ••
- (٤) - تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض بمعنى تعدد الأرضين •• ان العلم الحديث - لم يعرف - بعد - شيئا عن ذلك •

(٥) - وجود خلق و سبط بين السموات والارض ...

ان العلم الحديث لا يدري ما ذا يعنى كلمة * وما بينهما * الا ما

كان من تانون الجاذبية الذى لم يزل في حكم المفروضات ..

فعليتهم - اذن - أن يجتهدوا في البحث الى معرفة كل ذلك والا فهم

مقصرون في بحوثهم ..

أبعد هذا يقال أن العلم يتعارض مع الدين ؟ ..

اذن ان الذين أهدوا من علماء الطبيعة لم يلحدوا بصفة أنهم علماء ، بل

بسبب أنهم جهلاء .. فهم مخطئون ..

خطأ واضح

لقد رأينا ان العلم الحديث لا يتعارض مع الايمان بالله ، فمن الخطأ - اذن -

أن نسنده للحاد الملحدين اليه ..

فالعلم الحديث برىء من هذه التخبطات .. وانما ذلك الاحاد الفريد ، راجع

الى نسبة الملاحظة وخبث نياتهم ..

فالعلم الحديث اسم للعلم الباحث في الكائنات وطبيعتها التي طبعت عليها

وجبلت .. وليس بضرورى أن يكون علماء الطبيعة ملاحدة .. بل انهم أجدر

بأن يصرفوا بوجود البارئ سبحانه وتعالى ، من علماء العلوم الأخرى ..

وتد رأينا في تقارير العلماء (واين أولت) والدكتور (اندروكونواى ايفى)

و(اينشتين) و (فرانسيس اورجر بيكون) ، ما يكفى للدلالة على أن العلم

لا يدعو الى الاحاد وانما يدعو للايمان على حد تعبير العالم الامريكى ا . كرسى

موريسون .

والذى يدل على ذلك : لو كان الاحاد من مقتضى العلم الطبيعي أو مقتضى

علم من العلوم ، لزم أن لا يوجد بين علماء من يؤمن بالله وكان كلمهم ملاحدة ..

وليس الا كذلك ..

وقد عرف المسلمون علم الطبيعة - كما بينا ذلك في أول البحث - ولكنهم

لم بالحرفوا عن الله تعالى ، بل زاد ذلك في ايمانهم قوة وصلابة وقلنا سابقا
أنهم كانوا عندما يقرؤون كتاب (المجسطى) المتعلق بعلم الطبيعة ،
يحتبرون أنفسهم بشرحون به كتاب الله العزيز . وأقرب دليل على ذلك الحكايات
المشهورة التي تقول :

" يحكى أنه بينما كان يجلس ، ذات يوم ، فلكنان عربيان ، في ساحة الجامع . .
وأمامهما كتاب (المجسطى) . . مرت بهما جماعة من علماء الدين فتوقفت مستفهمة
عن النبح ، الذى منه يرتوون . . فأجاب أحدهما :
" اننا نقرأ شرح الآية التالية :

* أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت
والى الأرض كيف سطحت * (١)

* * *

هذا ، ان دل على شىء فانما يدل على أن العلم لا يؤدى صاحبه الى
الاحقاد . . لا بالقرب . . ولا بالبعيد . .
بل العلم هو أقوى سلاح يتسلح به المؤمن لمحاربة الأعداء . . يقول
الله تعالى : * وجاهدكم به جهادا كبيرا * .
وهذا " البناني " أحد كبار فلكتيي العرب يقول :

" ان علم النجوم هو علم يتوجب على كل امرئ أن يعلمه . . كما يجب
على المؤمن أن يلم بأمر الدين وقوانينه . . لأن علم الفلك يوصل الى برهان
وحدة الله . . والى معرفة عظمته الهائلة . . وحكمته السامية . . وقوته الكبرى . .
وكمال خلقه . . (٢)

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف المستشرق رينريد هونكة ص ١٣٠

(٢) المرجع السابق ص ١٣٠

وشهد شاهد من أهلنا

ولقد رأينا في خلال هذا الفصل وغيره أنه لا يوجد هناك أي تضارض بين القرآن الكريم وبين العلم الحقيقي ...
نقول بكل ثقة واطمئنان .. أنه لا يمكن - بحال من الأحوال - أن يتصادم القرآن مع آية كونه حقيقية ..

لماذا ؟

لأن القائل هو الخالق : ولا يمكن ان يكون هناك انسان أعلم بقوانين الكون من خالقه ..

ولكن الهدف عند بعض المستشرقين ، من الطعن في القرآن الكريم ، ويجب أن نغطن لذلك - هو محاولة الايهام بأن القائل بشر .. وليس الله ..

ونحن هنا في ختام هذا الفصل ، فصل مناقشة الملحدين لا ندافع عن كتابنا وإنما طبعنا القرآن نفسها تدافع عن نفسها .. لأنها مبنية على الحق .. والحق لا يمكن ان يتغير الى باطل أبدا ..

هذا ما أدركه بعض المنصفين من الغربيين كأمثال العالم الباحث (موريس بوكاي) الفرنسي الذي ينقل البنا ان المسيحيين قد بدوا يغيرون موقفهم من الاسلام .. ويعترفون بجديده الاسلام .. وأنه كتاب دين وعلم .. وعلاوة على ذلك بدوا يحترفون بالمظالم التي ارتكبوها ضد الاسلام التي كانت سببا لصد الناس - ومعهم الملاحدة - عن هذا النور العظيم والبرهان الساطع .
فلننقل عنه الجملة الآتية :

شاهد من الفاتيكان

يقول موريس بوكاي :

" لقد صدرت وثيقة من سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين وعنوانها :
(توجيهات ، لاقامة حوار المسيحيين والمسلمين ..) وترجمتها بالفرنسية :

" انها وثيقة شديدة الدلالة على الموقف الجديد التي تبنت ازاء الاسلام
ففي الطبعة الثالثة - عام ١٩٧٠ - من هذه الدراسة تطالب هذه التوجيهات
بمراجعة موقفنا ازاء الاسلام وبنقد أحكامنا المسبقة "

وفيهما أيضا " علينا أن نهتم أولا بأن نغير تدريجيا من عقلية اخواننا
المسيحيين فذلك يهم قبل كل شيء " . .
ويجب التخلي (عن الصورة البالية التي ورثنا الماضي اياها أو شوهرتها
الفريات والاحكام المسبقة . .)

كما يجب الاعتراف بالمظالم التي ارتكبها الغرب المسيحي في حق المسلمين . .
ثم زاد قائلا :

" بهذا الشكل تقوم وثيقة الفاتيكان - التي تحتوى على (مائة وخمسين)

صفحة تقريبا . . ببسط ودحض نظرات المسيحيين الكلاسيكة عن الاسلام . . " (١)

" كما أنها تقدم عرضا لما عليه الاسلام في الواقع من تقدم على حضارى وغير
ذلك . . "

والوثيقة تعالج أخيرا الحكم السابق القائل : " بأن الاسلام دين جامد يبقى
أتباعه في عصر وسيط بائد . . ويجعلهم غير أهلين للتكيف مع منجزات العصر
الحديث التقنية "

وهي أيضا تقارن مواقف مماثلة في بعض البلاد المسيحية ، وتعلق " أننا نجد
في الفكر الاسلامي مبدأ لامكانية تطور المجتمع المدني " (٢)

والكلام عند موريس الى الآن . .

" الواقع أن مصرفة ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، من وجهة
النظر هذه ، أمر أساسي . . ولكن الحادث هو أن هناك أجزاء من القرآن وخاصة
ما كان لها ارتباط بمعطيات العلم ، قد ترجم بشكل سيء أو علق عليها بحيث

(١) راجع كتاب دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بسوكاى ص ١٣٦

(٢) المرجع السابق ص ١٣٩

يكون من حق العالم أن يدفع وهو على حق في الظاهر . بانتقادات لا يستحقها القرآن في الواقع " . .

" وهناك نقطة جزئية تجدر الإشارة إليها فوراً . . هذه الأخطاء الراجعة إلى الترجمة أو تلك التعليقات المنلوطة . . (١)

وهكذا شهد شاهد من أهله يعلن بكل ثقة لجميع الملاحدة ومعتزلي المسيحيين : ان الاسلام دين علم وحضارة ولا يتعارض مع التقدم العلمي بل يحرض عليه ويجازي عليه أيضا . .

ثم اختتم موريس بوكاي كلمته بالتصريح التالي :

" واذا كنت قد توصلت إلى ادراك زيف الأحكام الصادرة عامة في الغرب عن الاسلام فاني مدين بذلك إلى ظروف استثنائية ففي المملكة العربية السعودية نفسها أعطيت عناصر التقويم التي أثبتت لي درجة الخطأ في بلادنا عن الاسلام . . " وسأظل مدبنا بالعرفان وبشكل لا حد له للمخفور له جلالة الملك فيصل الذي حُسى ذكراه باحترام عميق . .

سيظل محفوراً في ذاكرتي دائماً أن كان لي الشرف الاثير أن استمع اليه يتحدث عن الاسلام وأن أذكر في حضرته بعض مشاكل تفسير القرآن في ارتباطها مع العلم الحديث . .

ان كوني قد تلقيت معلومات قيمة من جلالته نفسه ومن حاشيته ليشكل بالنسبة لي امتيازاً خاصاً . . " (٢)

وبهذا القدر ، نكتفي لبيان انحراف الملحدين في قولهم : ان العلم يتعارض مع الايمان بالله . . .

فقد كذبهم العلم الحديث وكذبهم القرآن ثم أخيراً كذبهم الكاتب الفرنسي

(موريس بوكاي) ؟

(١) المرجع السابق ص ١٤٣

(٢) المرجع السابق ص ١٤٣

وبعد هذا ننتقل الى الباب الاخير من هذا البحث وهو آثار الالحاد في
أوروبا الحديثة .. انه بيت القصيد .. حيث فيه يرى الضرر الالحادي في التصور
والسلوك .. وفيه يعتبر من يعتبر .. فيتحرر عن الالحاد ومخالفة أوامر الله ..
وفيه نرى عقوبة الفطرة تقح على الأوربيين الملحدين ..
نراهم يتخبطون في تصوراتهم كلها من السياسة والحكم والأخلاق
والمبادئ والقيم والعلم والملاقات الدولية وفي كل شيء ..
وفيه نرى تحقيق قوله تعالى :

* من أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ،
فيقول رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتي فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى * (١)

فما أعظمه من ضنك ! يعيشه الملاحدة في أوروبا الحديثة وفي الأمم
الملحدة كلها ...

الباب الثالث

أثر الاتحاد في الحياة الأوروبية

- الفصل الاول : اثر الاتحاد في الفكر الاوربي
- الفصل الثاني : اثر الاتحاد في الحكم والسياسة
- الفصل الثالث : الخمر وعجز القوانين الوضعية
- الفصل الرابع : مشكلة العتوبات في القوانين الوضعية
- الفصل الخامس : ظهور اثار الاتحاد في الدول الكبرى
- الفصل السادس : اسباب تد مير الامم والشعوب
- الفصل السابع : عقوبة الفطرة
- الفصل الثامن : حضارة لا تلائم الانسان

الباب الثالث

آثار الاتحاد في الحياة الاوربية

توطئة :

ان حضارة الغرب - كما شاهدناها خلال هذا البحث - حضارة قد أسست
حكمتها النظرية والعملية على قواعد خاطئة .. (١)

وقد جرت فلسفتها وعلومها واخلاقها واقتصادياتها واجتماعها وسياستها ،
وقانونها .. وبالجملة ، كل ما يتصل بها .. قد جرى كل ذلك من نقطة
انطلاق منحرفة .. وبقيت تخطو وترتقى في وجهة غير صحيحة حتى
انتهت الى مرحلة ترى منها نهاية هذه الحضارة هي الهلاك .. (٢)

* * *

ونتيجة فساد اعتقاد اوربا فقد انحزلت عن كل معنى اخلاقي
فسادت (الميكانيكية) في السياسة (حيث الناية تبرر الوسيلة) والاشرة تظهر
في الاقتصاد بما سموه (الانسان الاقتصادي) .. (٣)

والاباحية في الاخلاق بسيادة التحليل الجنسي لفرويد اليهودي ..
ان الانسان المحاصر قد سلم قيادة للخريزة الجنسية حين قصر غاياته في
الاشباع المادي فصار أضل من الانعام .

ذلك ان الحيوان ينظم غريزته تلقائيا .. اما الانسان العاقل الاوربي
المحاصر الذي يحيش في فراخ دون امل نرى عقله يسير بخريزته الى الحد
الذي يتلف النفس والجسم معا ...

(١) مستقبل الحضارة بين العلمانية والشبيوعية والاسلام يوسف كمال محمد سنة

١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

(٢) راجع ايضا النحلة تسبيح الله تاليف محمد حسن الحمصي ص ١٩٨ ط الرابعة

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .. انظر ايضا (حقوق الانسان في الاسلام) مجمع البحوث

الاسلامية ص ٤٣ سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م وانظر المجتمع روم ما كيفر وزميله ،

ت على احمد عيسى ، مصر ١٩٦١م ص ١١١-١١٢

(٣) نظم الحكم الحديثة في ميشيل ستيفورت ت احمد كامل ، القاهرة ١٩٦٢م

نعم ! لقد غاص الانسان في اعماق المحيطات ، وطار في اجواء
الفضاء وفجر الذرة ولمس القمر ودار حول الارض مرات وكرات ...
ولكن صخب الالة ونذير الحرب والصراع على المادة قد اطف حياته .. وصارت
روحه مسجونة في جسده .. (١)

الضرب ان هذا العالم الفني بكل هذه التسهيلات المادية ولكنسه
لا يستطيع ان يعيش في سلام ..

وهذا الانسان الذكي يحطم نفسه بالصراع ..
وقد اصبح العلم والرفاهية من اكبر اسباب الشقاء والضيق للانسان .. (٢)

* * *

لقد استخدم الطاقة من النار ...
ثم ارتقى بها الى الكهرب ووصل الى ذروتها بالذرة ..
ثم سكن القصور وتفنن في الماكل والملبس ..
الا انه لا يحس بالسعادة في نفسه ..
ولا بالامن في وطنه ..
ولا بالسالم في عالمه ..
بل صار خائفا يترقب ..

ماذا يترقب ؟

يترقب حربا تدمره تدميرا ..

لماذا كل تلك الويلات ؟

لانه يعتمد عن ربه .. والحد فيه .. وانكر الخيبات (٣)

-
- (١) النحلة تسبح الله محمد حسن الحمصي ص ١٩٨
(٢) هزيمة الشيوعية في عالم الاسلام انوار الجندی ص ١٢٩
(٣) يقول هكسلي^(١): " اني لا افهم اذا صح وجود حياة اخرى تحياها النفوس كيف
لا نستطيع ان نجد سبيلا الى استكشاف هذه الحياة . فلاشيء ما يتصل بالانسان
يمكن ان يتوارى عن الانسان " راجع الطاقة الروحية لبرجنسون هنرى ت ، سامي
الدويهي ، بيروت ١٩٦٣ م

وأراد ان يقيم حبلته بجيده فقط ..

فلذلك كان نصيبه المعيشة الضئيلة ..

* ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضئيلة * الآية ١٢٤ في سورة طه

وسنرى في الصفحات الآتية اننا الان على ابواب حرب الفناء التي لا تذر

شيئا أتت عليه الا جعلته كالرميم ..

ولم يعد للذكاء الانساني طريق النبوغ سوى التفنن في ابتكار الات المهلكة ..

في الوقت الذي تظهر فيه جميع الدول - في الأمم المتحدة - اشمئزازها من

الحرب (١) نجدها تتسابق في الاستعداد لها تسابقا يستنفذ أكبر قدر من

مواردها ومجهودها ..

كل هذا وكثير من البشر يعانون من الفقر والمرض ولا يجدون ما يسد رمقهم

او يشفى غلظتهم ..

فهل هذه المدنية تليق بالكرامة الانسانية ؟

الجواب لا ! وانما هي اثر من آثار الالحاد ..

* * *

أين موضع الداء

ومن يلحق نظرة فاحصة الى هذه الحضارة عن كتب بل عن كتب ايضا يجد ان

هناك سلسلة من الفساد لا تنتهي قد اصبحت تخرج من شجرة الحضارة نفسها ..

وأن هذه الامم قد أعبل صبرها على هذا العذاب فقلوبها مضطربة ، وارواحها

غير مطمئنة .. ولكنها لا تدري أين موضع الداء في جسمها ..

تجد الاكثرية من هؤلاء الملاحدة تظن - خطأ - ان منبع تلك المفساد

والالام هو في الفروع .. فروع هذه الشجرة الالحادية الخبيثة .. فلا يزالون

يضيئون اوقاتهم ومسابيحهم في معالجة الفروع .. الفروع فقط .. ولكنهم لا يدركون

ان الفساد كله في اصلها وجذورها .. وان الأمل في نشأة فرع صالح من اصل فاسد

حماقة وجنون ..

(١) راجع كتاب الأمم المتحدة وموازين القوى المتحولة في الجمعية العامة كيبا، داغره، ٤٠

وصدق الله تعالى * ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون * * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار * (سورة الابراهيم الايات ٢٥-٢٦) .

فتة أدركت موضع الداء وليس عندها دواء

وهناك بجانب اخر فئة قليلة من اصحاء العقول كامثال (الدكتور الكسيس

كاريل) (١) قد ادركوا ان الاصل من شجرة حضارتهم ، هو الفاسد - كما نرى تفاصيل ذلك فيها بعد - ولكنهم لما نشؤوا في ظلال هذه الشجرة المملونة * * وتخذت اجسامهم بثمارها يكادون لا يفهمون اى شىء يستبدلونه بهذا الاصل الفاسد * *

ولا يعرفون ايضا ان الاصل الصالح هو الذى تتفرع منه اغصان واوراق

صالحة * *

وعلى هذا كله تتساوى حال الفئتين :

فكل اولئك يتطالبون شيئا يشفى الاممهم ولكنهم لا يعلمون ما هو الشىء المطلوب * * وابن بوجد * * ؟؟

هذه هي المأساة التي تعيش فيها الدول الملحدة اليوم * *

* * *

وقد ظهرت هذه المأساة وذلك التدمير في مظاهر شتى * *

(١) الانسان ذلك المجهول اليكسيس كاريل ت شفيق اسعد فريد ، بيروت

ص ٢٠٦ - ٢٠٧ فهو يقول : " هناك غلطة اخرى تعزى الى اضطراب

الاراء فيما يتعلق بالانسان والفرد * * تلك هي المساواة الديمقراطية * * ان

هذا المذهب يتهاوى الان تحت ضربات تجارب الشعوب * * ومن ثم فانه ليس

من الضروري التمسك بزيفه " راجع الصفحات المذكورة آنفا .

لعلنا بحسن بنا ان نكشف عن اهم عناصر هذا التدمير في اختصار شديد مراعاة

لحجم هذه الرسالة ومدتها ..

(اولا) - الالحاد والفكر الاوربي

(ثانيا) - فصل السياسة عن الدين وعجز القوانين الوضعية ..

(ثالثا) - المهور النتائج الالحادية في الدول الكبرى التي اخذت نصيبا وافرا ..

(رابعا) - عقوبة الفطرة .. فهي حضارة لا تناسب الانسان ..

واليك توضيحا لكل من ذلك *

الفصل الأول

أثر الاتحاد في الفكر الأوربي

ومرجوع سريع إلى التاريخ الحديث الأوربي نجد ان الفكر الحديث لحضارة

الغرب للمادية ، افتتحه فيلسوفان شهيران :

(أولهما) - ديكارت . . . واضح منهج البحث الاستنباطي . . . ومن ورائه اتباعه

الفرنسيون والالمان وغيرهم . . .

(ثانيهما) - فرنسيس بيكون واضح المنهج التجريبي . . . ومن ورائه

المدرسة الانجليزية . . .

وقد لاحظ المؤرخون التشابه بين ديكارت وبيكون في ربط الفلسفة

بالحياة العملية . فالغاية من الفلسفة ليس مجرد العلم كما ذهب أرسطو وانما

تحقيق رفاهية البشر . . .

فكان هذا بداية فصل العلم عن الدين .

* * *

فالفلسفة العقلية - وان بدأت بتمجيد العقل والاشادة بسلطانه الا

أنها كانت كفلسفة التجريبيين في اتصالها بالحياة العملية . . . (١)

بؤء كذالك الكاتب (كرين برنتن) في كتابه القيم افكار ورجال

بمايلي : " ولكن توضيح الامر ينبغي ان يظهر لنا مدى انصراف العقل الكامل

عن العقيدة المسيحية " وقال : " ان دفعة المذهب العقلي تتجه بعيدا عن

المسيحية . . . والعقل يميل الى القول بان المقول هو الطبيعي وانه " ليس هناك

ما هو فوق الطبيعة " . . . وليس في نظامه مكان للاله الشخصي ، وليس هناك

مجال في عقله للاستسلام الصوفي للايمان . . . "

اذن فالمذهب العقلي يميل ان يبعد الله وما ليس بالطبيعي من الكون

. . . فلا بد ان من التوسع في الموضوع .

(١) افكار ورجال تاليف كرين برنتن ت : محمود محمود ص ٤١٩ القاهرة ، نيويورك

(وجاء ديكارت)

ان ديكارت الفرنسي - وان كان ينتسب الى الايمان بالله - ولكن اول
عبارة نادى بها هي " العقل اعدل الاشياء قسمة بين الناس " (١) وكان
هذا نداء الى فصل الدين عن العقل .

فلذلك اسس ديكارت الوجود على الفكر على حساب الاديان كلها . .
فقال : " انا مفكر فانا - اذن - موجود " (Je pense Donc Je suis)
من هنا بدأ الالحاد يشق طريقه الى الامام في الفكر الاوربي . (٢) لماذا ؟
لانه جعل العقل الانساني رمزا لحرية الانسان تجاه الكنيسة . .

(٢)
(ثم جاء كانت)

أما كانت فقد ذهب الى ابعد من ذلك لانه رأى ان وجود الله من
المسائل الشائكة (او من النقائص) التي لا يستطيع المرء ان يقطع فيها
برأى لانه ليس من عالم الظواهر التي ينبغى للفيلسوف ان يحصر نفسه
فيه . .

ومعنى ذلك ان كانت لم يكن مؤمنا بالله حق الايمان لانه يدعي انه
لا يستطيع احد ان يجزم بوجوده عن طريق العقل . .

* * *

(٣)
وظهر الفيلسوف (كومت) (Comte) في القرن التاسع عشر
سنة ١٧٩٨ م - ١٨٥٧ م فأسس المذهب الوضعي (positivisme)
وهي فلسفة لا تعتبر شيئا حقيقيا واقعيا الا ذلك الموضوع الوضعي الذي جاء
اثر التجارب الحسية وامكن اختباره بالحس وكان معنى هذا اخراج الافكار الروحية
والخيبية من اى نظرية كما الحياة حيث الطبيعة هي المصدر الوحيد وما وراءه وهم وخيال .
ان هذا - لاشك - تقدم ملموس في سبيل الالحاد . .

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ليوستف كرم ص ٥٦

(٢) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة اميل بوتروا ت : احمد فؤاد الاهواني
مصر ١٩٧٣ م

(مقاومة فرنسيس بيكون للسلطة الدينية)

وكان اثر " بيكون " كبيرا اذ اندفعت اوربا وراءه تثق بالعلم ولا تؤمن
الا بالتجربة . (١)

وبدأت هذه النزعة الواقعية في اول امورها عند فرنسيس بيكون سنة ١٦٢٦م
فحارب السلطة الدينية - باسم البحث العلمي - في مختلف صورها . . . واعتبر التجربة
مصدر كل شيء ومعينه الذي لا يفيض . . . وابتعد سلطان النقل عن مجال
البحث العلمي ومعنى ذلك كان يزعم انه يؤمن بالله ولذا يقول :

" ان القليل من الفلسفة يميل بصاحبه الى الالحاد . . . ولكن التعميق
في دراستها ينتهي بالعقل الى الايمان به . . . "

ومع ذلك نجده مرة اخرى يعارض بالحلم الحديث ، منطق ارسطو
الذي كان يسود في اوربا آنذاك فوضع اساس المنهج التجريبي الحديث . . .
ثم نجده ايضا يرفض رفضا باتا ان يسخر العلم لخدمة الدين . . . واعتبر هدف
النظر العقلي فهم الطبيعة لاستغلالها والافادة منها في دنيانا الحاضرة . . . عن
طريق دراستها دراسة قائمة على المشاهدة والاستقراء التجريبي . (٢)

وبذلك انفصل العلم عن الدين . . .

واصبحت اوربا تقاوم السلطة الدينية . . . ونشأت فيها سلسلة من الجمعيات
العلمية للبحث التجريبي كلها تقوم على رفض السلطة الدينية . . . وكان من اظهر
هذه الجمعيات :

مدرسة الطبيعيين الفلورنسيين عام ١٦٥٧م

والجمعية المالكية في لندن عام ١٦٤٥م . . . وكان من رجالها (نيوتن) صاحب
الجاذبية .

وتلتها اكااديمية الملوم في فرنسا عام ١٦٦٦م

ثم الاكاديميا دل شنتوه في ايطاليا (٣) (Academie Del Cemento)

- (١) قصة الفلسفة تاليف (ويل ديورانت) ت احمد الشيباني ص (١١) المكتبة الاهلية بيروت
(٢) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ٢٠٤ توفيق الطويل ط ٢ مصر راجع ايضا سلسلة
تراث الانسانية ، مجموعة من الاساتذة ، الهيئة العامة للكتاب ج ٢ انظر عن بيكون
(٣) المرجع السابق ص ٢٠٥ وراجع ايضا افكار ورجال (برنتن) ص ٤٢٦ و ص ٤٢٩

وشاع انشاء مثل هذه الجمعيات في اوربا كلها . . . وعلى نظمها نشأت مراد
باريس عام ١٦٦٧ م وجرينتس عام ١٦٧٧ م (٤)

وكانت هذه كلها محسدرات معادية للكيسة وجميع الافكار الدينية وان لم تعلن ذلك . . .
وقضوا ثلاثة ثرون وهم يحطمون في بطة ما ورد في المسيحية من تعاليم . . . وما تردد
بصدرالوحي من " مزاعم " . . .

وقد تكفل اصحاب هذه المصانع بالدفاع عن المنطق واستخدامه في تفسير

كل ما يعرض لهم من ظواهر ولو كان في صميم العقيدة الدينية . . . فكانوا على
هذا التمرد المتطور حتى جاء اليوم الذي ظهر المحدث المعاني للوجود (هيوم)
فزاد الطين بلة . . . فكان شرا مستطهرا على الكتب المقدسة . . . وشرا على القائمين
بأمرها . . .

(٥)

وبهذا انزلت الكثيرون في اوربا الى مهاوى الالحاد . . . فانكر (هيوم)

وجود الله اطلاقا فقال كلمته المشهورة :

" لقد رأينا الساعات تصنع في المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع

تكيف نسلم بان له صناعا ؟ " (١)

فصاروا يستدلون بالحادهم بالتطور الملهي الذي جلى للانسان . . . ولم

يكن على علم باسباب الشروق والنسرب . . . فلذا زعم ان هناك قوة فوق الطبيعية
تجعلها تشرق وتغرب . . .

وها قد عرفنا - على حد زعمهم - اليوم ان شروق الشمس وغروبها يحدث

بالدوران الارض حول نفسها . . . وبهذا انتهت ضرورة القول بهذه الطاقة تلقائيا

بعدما عرفنا الاسباب المؤدية الى هذين الحركتين الكونية :

" فاذا كان قوس قزح مظهرها لانكسار اشعة الشمس على المطر . . . فماذا

بدعونا الى القول بانها اية الله في السماء . . . " (٢)

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٥ نقلا عن كتاب :

(٢) المرجع السابق ص ٣٥

وراجع ايضا اثر العلم في المجتمع بتراندرسلت : تمام حسان مصر ص ٦

من اجل هذا كله ، وغيره قال هكسلي :

" اذا كانت الحوادث تصدر عن قولنين طبيعية فلا ينبغي نسبها الى

اسباب فوق الطبيعة " (١) وزاد قائلا :

" فالدين نتيجة لتعامل خاص بين الانسان وبيئته " (٢) ويقول ايضا :

" ان هذه البيئة قد فات اوانها او كاد ، وقد كانت هي المسئولة

عن هذا التعامل فاما بعد فنائها وانتهاء التعامل معها فلا داعي للدين " .

ويضيف : " لقد انتهت العقيدة الى اخر نقطة تفيدنا . . وهي

لا تستطيع ان تقبل الان اية تطورات .

لقد اخترع الانسان قوة ما وراة الطبيعة لتحمل عبء الدين ، جاء

بالسحر ثم بالمعلبات الروحية ثم العقيدة الالهية حتى اخترع فكرة (الاله الواحد) .

" لقد وصل الدين بهذه التطورات الى اخر مراحل حياته . . ولا شك ان هذه

العقيدة كانت في وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا . . بيد ان هذه الاجزاء قد فقدت

اليوم ضرورتها ومدى افادتها للمجتمع المحاضر المتطور . . "

ثم جاء البيان الشيعوي ليكمل هذا التطور اللاحدي فقال :

" ان الدستور والاخلاق والدين كلها خدعة البورجوازية وهي تستر وراءها

من اجل اطاعتها . . "

و يقول فيلسوف الشيوعية انجلز :

" ان كل القيم الاخلاقية هي في تحليلها الاخير من خلق الظروف الاقتصادية " .

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٦ ، ينقله عن كتاب :

Religion Without Revelation, N.Y, 1958 P.58

(٢) نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٨ و ص ٣٩

هذه كانت قضية الملاحدة... لقد أصبح الالحاد سائدا في جنين

أفكارهم...

تارة يعبرون عنه بالعلمانية...

ومرة بالحضارة...

وطورا بالتقدم...

وحيثا بالوجودية...

واحيانا بالانسانية...

ومرات بالتطور المطلق... وغير ذلك من الاسماء البراقة ولكنها في

نفس الوقت (١) هي كلمات اريد بها الباطل...

وتلك بعض اثار الالحاد في الفكر الاوربي...

* * *

ونتيجة فساد اعتقاد اوربا اختلت عندهم الموازين وقد استحكمت بها

الاهواء والشهوات واضطربت فيها الحقائق فاشتبه الحق بالباطل والسبب في

ذلك انه عندما يعلن العالم اكتشافا يقبل المعتقدات الدينية السائدة رأسا

على عقب... فلا غرابة - اذن - ان تضطرب الحقائق بالباطل هناك (٢).

يقول "سول": "صار لزاما على الذين نبذوا الايمان بالله كلية ان يبحثوا عن

يديل لذلك فوجدوه في الطبيعة" (٣)

وكتب الفكر الغربي تسمى ذلك العصر عصر تأليه الطبيعة أو عبادة

الطبيعة... وليست هذه المبارات مجازا بل هي مستمثلة على الحقيقة

تماما فكل صفات الله التي حرفها الناس عن المسيحية نقلها فلا سحفة الطبيعة

الى السهم الجديد، مع فاروق كبير بين الالهيين في نظرهم...

(١) راجع كتاب افكار ورجال (كرين برتنن) ص ٤٢٢ - ٤٢٣

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٧

(٣) المذاهب الاقتصادية الكبرى، جورج سول، ترجمة راشد البراوي مصر ١٩٦٥م

وسنرى بعض ذلك في فصل الاتحاد واثره في الاخلاق الاوربية (١) ان شاء الله تعالى .

* * *

ومعد هذا نتقل بالقارىء فوراً الى اثار الاتحاد في السياسة والحكم لنرى هناك كيف تم الفصل النكد بين الدين والحكم . . . وكيف اصبحت هذه القوانين الوضعية بعد استقلالها عاجزة عن تلبية متطلبات الحياة . . . وكيف صار الناس ضحية لهذه القوانين المصطنعة . . . الى هناك . . .

وقفة قلبية مع رواد الفكر الاوربي

وقبل ان نتقل الى اثار الاتحاد في السياسة والحكم ، نود ان نتوقف هنا قليلاً عند رواد المدنية الاوربية المعاصرة . . .
دارون ، وماركس ، وفرويد و دوركايم . . .

ويعتبر دارون - كما مر ذلك بنا مراراً - اهمهم حيث ابتكر نظريته في التطور المصوى واصل الانواع تتلاءم مع الاتجاه الالحادى الذى غزا اوربا . . . فخير وجه التاريخ الاوربي بقوله : " ان الانسان حيوان متراقباً من الأميبا - (Amoeba) . "

ومعدما اعتبر الناس انفسهم حيواناً ، غابت عن حسهم الكرامة الانسانية وتفردت في هذا الوجود . . . فانتشر الانحلال الحلقى والترف . . .

(١) نوء كد دائماً ان المسئول بهذا الالحاد هو الكنيسة لأول وهلة لقيامها بحماقات كثيرة منها : انها قاومت رئيس بلدية في المانيا لانه اخترع غاز الاستصباح بحجة ان الله خلق الليل ليلاً والنهار نهاراً . . . وهو بمخترعه يريد تخيير مشيئة الخالق فيجمل الليل نهاراً . . . راجع محاضرات الموسم الثقافي بالكويت ٢٧٥/١ ، حكمت هاشم ، الكويت ١٩٧٦ م

و (فرويد) قد تحدثنا عنده مرة في مذهب اللاشعور ، كما تحدثنا عنه في تفسيره السلوك الانساني على اساس الفريضة الجنسية . . .
ان هذا اليهودي قد جعل الجنس هو المحرك الاول والدافع الاصيل للانسانية ويشمل هذا التفسير الفرد والجماعة والاخلاق والدين والفن والفكر . . .

فكان هو من اسباب تدهور الاخلاق في اوربا الحديثة . . .
وأما (دوركايم) قد رأينا انه يرى ان الدين ليس فطريا في الانسان ويحصل ذلك من العقل الجمعي الذي اخترعه من نبات افكاره ، فصار الناس كلما يتعمقون في دراسة العقل الجمعي يعتمدون عن الايمان . . . وبهذا ساهم في عزل الدين عن المجتمع . . .
وأكمل (ماركس) الحلقة في العلوم الاجتماعية والاقتصادية فرسم حلقة التطور الاجتماعي على انه لا يحركها سوى الاشباع المادي وان ادوات الانتاج هي التي تطورت بالانسان . . . (١)

فكان هو اول من أسس دولة الحادية صرفة بحبل من اليهود ومن الملاحدة . . .

(١) راجع بالتوسع كتاب مستقبل الحضارة بين الملمانية والشيعوية والاسلام ، يوسف كمال محمد ص ١٦

وراجع (فرويد ويافلوف) هاري ويلز ت : شوقي جلال ، مصر
وراجع الموجز في التحليل النفسي سيجموند فرويد ، أحمد زكي ، مصر
١٩٦٣ م ص ٦٦

الاحاد والدولتان العظيمتان

في الوقت الراهن ^{يبلغ} الاحاد بين الناس الى اختراع مذهب الحادى جديد

في امريكا سموه " البراجماتزم " .. (6)

هذا المذهب الذى يقول بأن الفكرة لا تكون فكرة الا اذا كان فيها ما يدل

على نوع السلوك الناجح والا فهي وهم ..

فبدلا من الحكم على المعنى بالرجوع الى اصوله او بالاستدلال من مبادئ

أولية ثابتة اخضع (ولهم جيمس) صاحب المذهب المعنى الفكرة للأشياء ..

كما يسمون ذلك ايضا بالمذهب العملى ..

فالماركسية الشيوعية والبراجماتية هما القطبان اللذان يجذبان اليهما

مستقبل المدنية الاوربية في العصر الحديث ..

* * *

وبهذه الرؤى ادر كنا مدى تأثير الاحاد في الأمم الأوربية

وما اشتق منها من امريكا وروسيا ..

ويمد هذا لا يشك احد في ان اوربا دولة الحادية محضة (٢) ولا

ينخدع ببعض مظاهر الكنيسة هناك .. كما لا ينخدع ايضا بنشاطات الفاتكان

السياسية .. وذلك ان المسيحية الحالية تمجز تماما عن ان تكون قوى

محركة للمجتمع .. (١)

وسنرى مصداق ذلك في الصفحات الاتية ..

(١) راجع اساليب المنزول الفكرى للعالم الاسلامي : د . على محمد جريشة - محمد شريف

الزيبق ص ٨

(٢) يقول (كرسون) : ذهب بعضهم في الانكار الى ايجاد حد انهم يدعوننا حتى

الى حذف اسم الله نفسه وفي هذا يقول (دولباخ)

" ان عقيدة الله المأثور نسيج من المتناقضات ، ان فكرة الله هي الضلالة المشتركة

للنوع الانساني "

راجع المشكلة الاخلاقية ، تأليف (كرسون) ت عبد الحليم حمود ط ٢ القاهرة

الفصل الثاني

اثر الالحاد في الحكم والسياسة

فالذي لا شك فيه ان فصل الدين عن الحكم والسياسة ، كان موجودا بالفعل اى ان نوعا من العلمانية الموضوعية كان يسود الحياة الاوربية طيلة القرون الوسطى ..

وذلك ان الشريعة المسيحية لم تطبق في عالم الواقع .. ولما جاء عصر التنوير قام الملاحدة للقضاء على البقية الباقية . فلندع الكلام للشيخ ابي الحسن الندوي ليوضح لنا هذه النقطة بالذات :

* * *

" لم تكن المسيحية في يوم من الايام من التفصيل والوضوح ومعالجة مسائل الانسان بحيث تقوم عليه حضارة ، او تسير في ضوئه دولة ، ولكن كان فيها اشارة من تعاليم المسيح ، وعليها مسحة من دين التوحيد البسيط ، فجاء بولس فطمس نورها وطعمها بخرافات الجاهلية التي انتقل منها ، والوثنية التي نشأ عليها ، وقضى قسطنطين على البقية الباقية ، حتى اصبحت النصرانية مزيجا من الخرافات اليونانية والوثنية والرومية والافلاطونية المصرية والرهبانية ..

" اضمحلت في جنبها تعاليم المسيح البسيطة كما تتلاشى القطرة في الهم ، وعادت نسبجا خشيبيا من معتقدات وتقاليد لا تغذى الروح ، ولا تمد العقل ولا تشمل الفأفة ، ولا تحل معضلات الحياة ولا تسير السبيل .. "

وزاد سال (Sal) مترجم القرآن الى الانكليزية عن نصارى القرن السادس عشر يقول : " واسرف المسيحيون في عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا في ذلك الكاثوليك " في هذا المعنى " (٢)

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ابو الحسن الندوي ص ٢٨

(٢)

نقلا عن الكتاب السابق ص ٢٨

وراجع ايضا البداية او النهاية ، مارلى تشايلد وزميله ٦ ، ١٢٧

وليس غريباً ان نجد (مكيا فيلي) ينادى - اول مرة - بصراحة الى استبعاد الدين وعزله عن الحياة . . . وعن المجتمع الانساني كله . . . فلا بد من توضيح ذلك !

أول دعوة الى فصل الدين عن الحكم والسياسة

- ان (مكيا فيلي) هو اول من تبني دعوة علمانية ذاتية . . . والى عزل الشئون الاجتماعية بكاملها عن فكرة الدين . . . فسي هذا الاتجاه الجديد (بالمكيا فيلية) فهي منهج عملي للحكم ، تقوم - كما رسمها واضعها في (الأمبر) على ثلاثة اسس متلازمة مستمدة من تصور لا ديني صرف هي :
- ١ - الاعتقاد بان الانسان شرير بطبعه . . . وان رفته في الخير مصطنعة يفعلها لتحقيق غرض نفسي بحت . . .
 - وما دامت تلك هي طبيعته المتأصلة فلا حرج عليه ولا لم اذا انساق وراءها .
 - ٢ - الفصل التام بين السياسة وبين الدين والاخلاق . . . و فرق (مكيا فيلي) تمام التفريق بين دراسة السياسة ودراسة الشئون الاخلاقية . . . وأكد عدم وجود ربط بينهما . . .
 - ٣ - ان الناية تبرر الوسيلة . . . وهذه هي القاعدة العملية التي وضعها مكيا فيلي بديلاً عن القواعد الدينية والاخلاقية . . . ولذلك فان لها عنده تفسيراً خاصاً . . . (٣)

(١) انظر الامير ص ٢٤٤ فاروق سعد مطبوع مع الفكر السياسي قبل الامير ومعه عام ١٩٧٥ م

(٢) الامير : السابقة ص ٣٥ . . . راجع ايضا تاريخ النظرية السياسية الفصل الثاني والجد بر بالذكر انه قد سبق دعوة مكيا فيلي نظريات كثيرة كلها تنادي الى فصل الدين عن السياسة . . . ومن ذلك النظرية الخيالية : ومن نماذجه جمهورية افلاطون . راجع كتاب النظرية الخيالية ترجمة حنا خباز و راجع ايضا سلسلة تراث الانسانية (لونييا) ٣٨٤ / ١

ومن ذلك ايضا النظرية الاجتماعية لارسطو راجع تاريخ علم الاجتماع (جاستون بوتول) ص ٩ وكذلك نظرية (الحق الالهي) راجع : مدخل الى علم السياسة

وقال مكيا فيبيلي ان الدولة غايبة بذاتها ولا داعي للخوض فيما وراء ذلك .. أي ليست الغاية هي المثل العليا كما يقول الفلاسفة ، وليست هي تنفيذ القانون الالهي كما يقول المؤمنون ...

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية لا مانع من سلوك أي سبيل يوصل اليها واستخدام اية وسيلة من شأنها تسهيل ذلك صيرها وصفت تلك السبل والوسائل باتها غير اخلاقية وصيرها تناقضت مع الدين ومنهجها في السلوك .. (١)

تلك صورة موجزة للمكيا فيبيلية كما ظهرت في عصر النهضة ..
فلا شك ان ذلك اثر من الاثار الالحادية ...

(١) ان هذه الفكرة مأخوذة - بلا شك - من الفكر اليهودي التلمودي . قد مر بنا انهم قالوا في بروتوكولاتهم (ان الغاية تبرر الوسيلة) كما قالوا في تلمودهم ما يلي :

" تتميز ارواح اليهود عن باقي الارواح بانها جزء من الله كما ان الابن جزء من والده " فهم شعب الله المختار " أما غيرهم فيقول عنهم التلمود : " الخارج عن دين اليهود حيوان فسمه كلبا او حمارا او خنزيرا .. والنطقة التي هو منها هي نطقة حيوان " راجع (الكنز المرصود في قواعد التلمود) د . روهلنج وزمبله ت : يوسف حنا نصر الله ببيروت

مظاهر الالحاد في المذاهب الجديدة

ان هذه الحضارة الحديثة ، الى جانب ما حققت من خطوات تقدمت فيها البشرية تقدما رائعا في مجالات الاكتشاف والبحث العلمي والصناعة الالوية ، ووسائل الترفيه الرفيد ، وتعميم المنافع و " المساواة " بين مختلف الطبقات . . .

رغم كل ذلك قد اقترنت هذه الحضارة بنقائص أساسية ومساوي فاضحة أبرزها : (١)

التنافس الاستعماري والصراع بين الاتوام وظلم الطبقات والافراد بعضهم لبعض . . . وغلبة الاثرة . . . والاهداف المادية على الناس افرادا وجماعات . . . وضعف التوازن الخلقي والضميري . . . وتزعزع القيم واضطراب العقائد والقلق الروحي واهمال المواهب والملكات الروحية في الانسان . . . وتسخير العلم لغايات مادية غير اخلاقية (٢) وحصرا للاصلاح الاجتماعي حين يكون اصلاح ، بالنواحي الاقتصادية وحدها . . . وبالجملة دون الغايات والاهداف . . .

كل ذلك لسبب اساسي هو ان هذه الحضارة قامت على الالحاد . . . الالحاد فقط . . . فلذا لم تركز على تصور صحيح ، - لحقيقة الكون - وحقيقة الانسان - وحقيقة الحياة فاهملت في الانسان مواهبه الروحية . . . كما اهملت صلة الانسان بخالق الكون وجمدت وتنكرت مسئولية الانسان امامه . . .

(١) راجع كتاب الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الافكار الغربية ، محمد المبارك

ص ٤٤ - ٤٥ ط الثانية ١٩٧٠ - ١٣٨٩ هـ

وانظر ايضا مقدمة مبادئ الاسلام للمودودي وفصل لا اله الا الله منسج حياة من معالم في الطريق

وانظر ايضا السبيل الى عالم افضل كارل بيكر ، ت : عبد العزيز اسماء بل القاهرة ١٩٤٨ م

ص ٧٢

(٢) الصنم الذي هو ، ستة من كبار الغرب ، مترجمة فؤاد حمودة ، المكتب الاسلامي

١٩٦٠ م ص ٩٠

وكانت نتائج انهيار العقائد والقيم الخلقية والروحية انفسح المجال لظهور مذاهب جديدة في العقيدة والاخلاق والسياسة تحل محلها • وكانت المذاهب المادية والعلمية والاشتراكية والديمقراطية والقومية وغيرها •• (١)

ومن مظاهر هذا الالحاد الفريد الاعتزاز بالقوة المادية في المال وتقييم الناس على اساس الشراء والحياة والعصبية •• والسخرية من المؤ منين الضعفاء •• وغير ذلك •• (٢) (٣)

* * *

ولا يسعنا ان ننتقل الى الجزء التالي حتى نشير الى هذه الدعاوى الفارغة التي يزين بها الملاحدة حضارتهم هذه ، بانها حضارة الحرية والديمقراطية التي تحقق للبشرية المساواة والسلام الدوليين ••

المساواة الفارغة

نود هنا ان نبين للناس ان هذه المساواة التي تتزين بها هذه الدول الملاحدة ، انها دعاوى فارغة واستهزاء بعقول الناس • ان ذلك يظهر لنا من ناحيتين :

(١) اقوال بعض الغربيين

(٢) فتح سوق لبيع العبيد السود •

واليك فكرة موجزة عن كل منهما :

(١) الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الفكر الغربي محمد المبارك ص ٤٤

(٢) الدين والدولة ، الدكتور محمد البهي ص ٦١

(٣) راجع كتاب مدخل الى علم السياسة (هارولد لاسكي) ت : عز الدين

محمد البهي مصر ١٣٦٥ هـ

وتاريخ العالم ، جمع جون أ • هامرتن ، ت : ادارة الترجمة مصر ج ٤

في هذين الكتابين نجد (لاسكي) يصيب النظريات السياسية الاوربية

قد يمسها وحدثها وينقد الديمقراطية نقدا لا ذعا الا انه تربي في ظل

هذا الحكم المادي ما استطاع ان يدل على نظرية سياسية عادلة ••

أولاً - اوريبيون ينقضون هذه الديمقراطية المنحرفة :

ان المتأمل في هذه الدول الديمقراطية في العصر الحديث ، يجد انها ترفع صوتها بين الجماهير والعوام :

- الحرية ! - المساواة ! - الأخوة !

ولكنها في نفس الوقت أكبر عدو من اعداء الحرية والمساواة والاخوة . . بل انها هي التي حالت - ولم تنزل - تحول بين الناس وبين الحرية الحقيقية واذا اردنا مصداق ذلك فلنستمع الى التصريحات التالية : يقول (لاسكي) (١)

" ان الدولة (الديمقراطية) تبذل الكثير في سبيل تحقيق المساواة بين المواطنين فيما تمنحهم من ضمانات . . كما تتجه اوامرها القانونية الى حماية الملكية القائمة للامتيازات اكثر مما تعمل على توسيع نطاقها .

" فانقسام المجتمع الى فقراء واغنياء يجعل اوامر الدولة تعمل لصالح الاغنياء ان نفوذهم برغم (نواب الدولة) وذي السلطة فيها على ان يكون لرفعاتهم الاعتبار الاول . .

" وتعتبر الدولة عن رغبات اولئك الذين يسيطرون على النظام الاقتصادي . . فالنظام القانوني بمثابة قناع تختفي وراءه مصلحة اقتصادية مسيطرة لتضمن الاستفادة من النفوذ السياسي .

" فالدولة اثناء ممارستها لسلطتها لا تعمل على تحقيق العدالة العامة او المنفعة العامة وانما تعمل على تحقيق المصلحة للطبقة المسيطرة في المجتمع بأوسع معاني هذه المصلحة . . (٢)

(١) مدخل الى علم السياسة ص ٨٥ تاليف (هارولد لاسكي) ت : راشد البراري مصر ١٩٦٥ م

(٢) لورا جنت كتاب تاريخ البشرية تجد ان الشيوعية تدعي انها شكل سياسي لمجتمع اشتراكي قائم على الملكية العامة لوسائل الانتاج مخطط ومتحرر من الاستغلال " ولكنها كليها كلمات جوفاء . . تاليف منظمة اليونسكو ت : عثمان نوية وزملاءه ، مصر ١٩٧١ م

والكلام ما زال مع (لاسكى)

ان الحرية والمساواة اللتين حصلنا عليهما كانتا اولا وقبل كل شىء حرية ومساواة
لمالك الثروة .. (١)

" والامثلة الواقعية على ذلك واضحة للعيان ولعلها في الحرب التي

خاضها وتخوضها الولايات المتحدة اصرح دليل على خضوع السياسة الديمقراطية
لفضط الطبقة المحتكرة .. (١)

فالحرب العالمية الاولى وكذلك الحرب الثانية ثم حرب (فيتنام) كلها

دخلتها (امريكا) دون ان يكون لها مصلحة مباشرة او يتعرض أمنها القومي
للخطر وبغض النظر عن دوافعها ونتائجها .. كان الشعب الامريكى يرفض تدخل
حكومته في هذه الحرب وكانت المظاهرات الصاخبة احتجاجا على ضياع الأرواح
والأموال فيما لا جدوى منه ..

" لكن الدابضة الرأسمالية التي تملك مصانع السلاح وشركاتها الكبرى التي

تتولى تسويقها .. تكمن مصلحتها في اشغال الحروب واستمرارها ..

والذى حصل - ويحصل - دوما هو : تنفيذ رغبة هذه الفئة القليلة

مقابل تعطيل رغبات الشعب كاملة .

(٦)
ولما حاول الرئيس (كندى) تقديم المصلحة القومية وعقد اتفاقية وفاق

دولى ، تخلصت منه هذه الطبقة .. فازهقت روحه بعملية اغتيال غريبة لاتزال

اسرارها في طي الكتمان الى الان .. "

(١) المصدر السابق : ٥٠ ، ١٩٠ ، ١٤٠

وراجع ايضا كتاب لغة تراث الانسانية ج ٣ ص ٣٤٢ حيث يقول فيه (ارنولد

توينبى) : اصبح استخدام اصطلاح الديمقراطية مجرد شعار من

الدخان لا خفاء الصراع الحقيقى بين مبدأى الحرية والمساواة "

وللكاتب (رسل) بحث مثل ذلك راجع كتاب المقل والمادة ص ٤١ - ٤٢ ٢

تاليف برتراند رسل ت : احمد ابراهيم الشريف القاهرة ١٩٢٥م

وهكذا رأينا في هذا النص الواضح ان المساواة في ظل السياسة الديمقراطية مجرد خيال او خداع .. بل لقد ساهم الديمقراطية نفسها في انهيار الحضارة وذلك لسماحها لوجود الصراعات الدائمة بين الاحزاب المنقسمة على بعضها
اولا ..

والتحريض على المنافسات الحقاء بين المواطنين ثانيا ..
وعدم وجود سياسة متجانسة لمدى طويل اخيرا ..

* * *

وملاحظة هذه المساوىء هي التي دفعت بالكاتب الانجليزي

(د . د . لنداس) الى القول :

" ان هناك دائما هوة رهيبه بين النظريات الرفيعة عن الديمقراطية التي تطراؤها في كتب النظريات السياسية وبين وقائع السياسة الفعلية " (١)
ان دل هذا على شيء فانما يدل على تأثير الاحاد في جميع التصورات الاوروبية وسلوكها ..

وبعد هذا ننتقل الى الجزء الثاني وهو المأساة الانسانية الكبرى ..

(١) ان مثل هذا الخداع السياسي كما يوجد في الديمقراطية (الليبرالية) يوجد ايضا في الديمقراطية الشيوعية الشعبية فهذا لينين يقول : " يجب على المناضل الشيوعي الحق ان يتمرس بشتى ضرب الخداع والغش والتضليل - فالكفاح من اجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية " نقلا عن

كتاب اشتراكيهم واسلامنا بشهر الصوف : ٣٦ و ٣٧

وقد صرح (مايلز كوبلاندي) صاحب لصحة الامم ان هذه السياسة التحليلية هي منهج السياسة الامريكية . راجع شرح كتاب الدبلوماسية والميكانيكية محمد صادق ص ٣٤١ .

وراجع ايضا معالم تاريخ الانسانية ص ٤ - تأليف هـ ج . ويلز ت : عبد العزيز توفيق جاويد القاهرة ١٩٦٧ م

بيع العبيد السود

ان اوربا التي تدعى الحرية والمساواة والاخوة قامت بفعل تعجبه الاسماع
وبأباه الطباع وتدمع منه العيون وتحزن له القلب ...

وهذا الفعل .. هو الاضطراب العظيم .. او تجارة العبيد السود بأرخص

الأثمان ..

تحكي لنا المعطيات التاريخية الموثوقة بيها ، ان هذه التجارة كانت

استنزافا لحبوية الشعب الافريقي ..

وكانت تختلف اختلافا تاما عن مجرد اخضاع شعوب مغلوبة على امرها ..

حتى انها كانت - على حد تعبير (باسيل دافيد سون) (١) أسوأ تأثيرا من

الموت الاسود الذي يقال انه قضى على ثلث سكان أوربا .. ذلك لأن تجارة

العبيد امتدت اثارها فشملت النواحي الاجتماعية وحطت من قدر الحياة الانسانية

نفسها بالنسبة للافريقيين ولأوروبيين الذين تعاملوا ل بيها .. والبك بيان ذلك :

قصة تجارة العبيد في الاسواق الاوربية

ان من وقف على العمل البربري الذي قام به الاوربيون - الذين يدعون

المساواة والحرية والاخوة ضد الشعب الافريقي - يعلم يقينا ان هذه الخوفاية

كلمات جوفاء لا تستند الى حقيقة واقعية ...

بذكر التاريخ ان طلب اوربا للعبيد بدأ حوالي سنة ١٤٤٤ م حين وصلت

شحنة من السود من (السنغال) (٢) الى (لشبونة) واستمر الطلب عدة مئات من السنين

بعد ذلك على حين كان البرتغاليون وغيرهم يتنافسون في ميدان هذه التجارة ..

حتى قيل : ان عدد العبيد الزنج الذين اختطفوا من افريقيا فاق عدد سكان البرازيل

باكملهم .

(١) راجع : افريقيا القديمة تكتشف من جديد : تاليف (باسيل دافيد سون) ترجمة

نبيل بدر وسعد زغول مراجعة محمود شرفي الكيال ص ٥٨

وقد جلب تجار العبيد من افريقيا اعدادا بالملايين مات الكثير منهم نتيجة الحروب
او اثناء شحنهم على ظهر السفن . (١)

وقد قدر مؤرخ برتغالي اخيرا ان نحو ٣٨٩٠٠٠٠ عبد قد تم
جلبهم من ساحل (انجولا) وحدها ما بين سنة ١٤٨٦م وسنة ١٦٤٠م بمعنى
ان نحو ٣٨٩٠٠٠٠ عبد في السنة الواحدة كانوا يختطفون من منطقة لم تكن
قط كثيفة السكان .

وقد ورد تقرير للملك فيليب الاول العدد العبيد الذين اخذوا من
(انجولا) ونقلوا الى البرازيل ما بين سنوات ١٥٧٥ - ١٥٩١ م بانهم :
٥٢٠٥٣ بمعدل ألفي عبد كل عام .

وأما (كادو بنجا) قدر العدد الكلي للعبيد الذين نقلوا الى
البرازيل واكثرهم من (انجولا) و (موزمبيق) بين عامي ١٥٨٠ و ١٦٨٠ م
بحوالي مليون ، بمعدل عشرة الاف كل عام (١)

هذا ما فعلته اوربا الجاهلة باخوانها في الانسانية . كانوا يبيعونهم
بيع السلمة بل كان العبيد احقر عندهم من السلمة . (٢)

وتلك هي المعاملة الاوربية الملحدة بالانسانية . ثم بعد ذلك تجدهم
يدعون انهم الانسانيون الرحماء يراعون حقوق الانسان و يحترمونها وان كنت
تعجب فأعجب من التقارير التالية .

(١) المرجع السابق ص ٥٨

(٢) تطور المجتمع الامريكي ص ١١٢ فما بعده تأليف (كينث لن) ت : نعيم
موسى دار البقظة ١٩٦٦م يقول فيه : وهو يعيب الرأسمالية - " ولا عجب
من ان يفضل الناس العبودية البيضاء اي (عبودية رأس المال) على عبودية
(الزنج) طالما انها تدر ربحا اكثر وتحررهم من جميع المسئوليات والاعمال
التي يقوم بها مالكو العبيد (الزنج) .

تقارير ليفربول

بخبيرنا التاريخ انه خلال احدى عشرة سنة ٠٠ من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٧٩٣ م قامت من ليفربول نحو حوالي ٩٠٠ رحلة بحرية لتجارة العبيد حملت اكثر من ٣٠٠٠٠٠٠ ربيد وكانت تبلغ قيمتهم في هذه الايام ١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مليون جنيه ٠٠

ولمخ ما في هذه الرحلات التسممات (١٤٠٠٠٠٠٠٠٠) مليون جنيهه بمعدل مليون جنيه كل عام ٠

ويضيف (بارت) في كتاباته في منتصف القرن التاسع عشر من تجارة العبيد داخل السودان الغربي والتي كان مركزها (كانسو) (بنيجريا) (١١) بلغتها الى ذروتها حتى انه ساد الاعتقاد احيانا بصحوبة القضاء عليها ٠٠ (١) هذه من الاعمال الاجرامية التي قامت به اوربا تجاه الشعب الافريقي ٠٠ بعدما اعلنوا مراعاة حقوق الانسان ٠٠ (٢)

هل هذه الافاعيل المنكرة تتناسب مع الاخوة والمساواة والحرية ؟ وهكذا يفعل الالحاد باهله ٠٠

وصدق الله تعالى ﴿ لقد افلح من زكاهما وقد خاب من دساها ﴾ هذا وصف موجز لفساد التصور الاوربي بسبب الحادهم في الله عز وجل ٠٠ والصياد بالله من الالحاد ٠٠

فلننتقل سريعا الى لون آخر من ألوان التأثير الالحادي في الحياة الاوربية وهو ادهي وأمر ٠٠ فالى هناك ٠٠

(١) المرجع السابق ص ٥٩

(٢) راجع الامم المتحدة وموازن القوة المتجولة في الجمعية العامة تاليف كيميل داغر ص ٩

الفصل الثالث

الخمير وعجز القوانين الوضعية

وقد تواترت الاشارات في القرآن الكريم الى جهل الانسان بأمر نفسه ومستقبله ومصيره ومآلات افعاله ، مع تاثره بالشهوات والهوى وبالضمير بحيث لا يصلح - بجهالتة هذه وضعفه وهواه - لأن يتولى وضع منبرج لحياته هو وان كان مزودا بالقدرة على استخدام المادة الصماء ومعرفة قوانينها اللازمة له في الخلافة ..

ولكن لما خسر الناس انفسهم بالحادثهم ، ارادوا ان يضعوا لانفسهم مناهجا لحياتهم ، فكانت النتيجة الخسارة الفادحة للانسانية جمعا كما ذكرنا آنفا .

ومن يتامل في القوانين الوضعية يجد فيها اثر الاحاد واضحا ، يجد ان هذه القوانين عاجزة كل العجز ان تلبى جميع متطلبات الانسان .. ولن نذهب بك الى اعماق التاريخ وكفينا ان نشبت هنا حادثة واحدة فقط فسي تاريخنا المعاصر .. ان هذه الحادثة لا تدع مجالا للشك من ان الانسان بمعجز كل المعجز ان يقوم بنفسه دون رجوع الى شريعة الله الذي يعلم السر وأخفى ..

ان هذه الحادثة وقعت في (اميركا) التي لا يجاريها احد في التقدم

الصناعي والتكنولوجي ومع ذلك سترى عجزها وتراجعها عن هذا الميدان .. واليك القصة تلخصها عن كتاب " نحن والحضارة الغربية " للشيخ المودودي :

وفي النهاية نبدي رأينا الشخصي ان شاء الله تعالى ..

" في اوائل شهر ديسمبر سنة ١٩٣٣ م صدر الاعلان الرسمي في اميركا

بالغاء قانون تحريم الخمر (prohibition Law) (١)

(١) راجع كتاب نحن والغرب للشيخ المودودي المرجح ص ٥٣

" فارتد اهالى الدنيا الجديدة الى معاقرة المداومة والكأس بعد اربعة عشر عاما
 .. قضوها في مشقة تحريمها .."

(١٢)

كان تولى السيد (روزفلت) لرئاسة الجمهورية الامريكية الاعلان بانتصار

(الخمر) على الأمر ، فاعقبته اولا اباحة الشراب الممزوج بـ ٣٢ ٪ من الكحول

في ابريل من سنة ١٩٣٣ م بقانون رسمي ثم لم تمض عليه بضعة اشهر حتى ألغى

التعديل الثامن عشر من مسودة الدستور الاميركي وهو الذى اباح به على الناس

بيع الخمر وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها ..

" كانت هذه اكبر تجربة جربها الانسان لاصلاح الاخلاق والسلوك

الاجتماعي بقوة القانون وسلطة الحكم لا يوجد لها نظير في التاريخ .. وذلك

انه قبل ان يدخل التعديل الثامن عشر على الدستور الاميركي اقيمت في البلاد

دعاية واسعة النطاق ضد الخمر .. دعايات في ترغيب الاميركيين عن الخمر وتثبيت

مضارها بالقاء الخطب وتاليف الرسائل والكتب وعرض المسرحيات وافلام السينما ..

وانفقت في سبيل هذا التبليغ عشرات السنين ، وبذلت الاموال حتى

قدران نشرات النشر والاذاعة بلغت تكاليفها من لدن بدء الحركة الى سنة

١٩٥٥ م مبلغ خمسة وستين مليون دولار ٦٥٠٠٠٠٠٠٠ دولار .

وانه بلغ عدد الصفحات التي سو د بياضها لبيان مساوى الخمر والزجر

عنها تسعة الاف مليون صفحة ..

وذلك قبل بدء التجربة .. واما ما تحمته الامة الاميركية في الاربعة

عشر عاما الماضية من النفقات الباهظة لأجل تنفيذ قانون التحريم فقد

مجموعها باربعة ملايين جنيه . (١)

" وتدل الاحصاءات التي اذاعها ديوان القضاء الاميركي للفترة

الواقعة بين يناير من سنة ١٩٢٠ م واکتوبر من سنة ١٩٣٣ م

أنه قتل في سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نسمة وسجن نصف مليون وغرم
الجنة ما يربو على مليون ونصف مليون جنيه ، وصادر من الأملاك ما يساوي
أربعمائة مليون جنيه . . .

لماذا كابدت اميركا ، كل هذا النقص الهائل في الأُنفس والأموال ؟

يجيب الشيخ المودودي بقوله :

” كابدته اميركا لفرض واحد هو : تلقين الأمة الاميركية ” المتحضرة ”

مفاسد الخمر الجمّة ، وتبينها الى مضارها الروحية والصحية والاخلاقية
والاقتصادية . . .

” ولكن كل هذه الجهود المتوالية التي بذلت قبل تنفيذ التحريم .

ومعده بتأييد من قوة الحكومة وسلطانها ، خابت لدى الأمة الاميركية . . .

* * *

والسؤال هنا هو : كيف خابت اميركا في هذه المحاولة ؟ هل

تنقصها قوة تفرض بها شخصيتها على الشعب الاميركي ؟ أو ازيلت
المضار عن الخمر ؟ ورجعت الى المنافع ؟

يجيب الشيخ المودودي بقوله :

” لقد عاد القوم من هذا الجهاد الاصطلاحي بصفقة خاسرة ”

لم يكن اخفاق الحكومة الاميركية في تحريم الخمر ولا الفأؤ ها لقانون

التحريم بعد تنفيذه راجعة الى ان مضار الخمر التي أعيد وأبدىء في بيانها

فيما قبل - واستخدمت سلطة القانون وقوة الدعاية لاستئصالها . . . قد

تحولت الى المنافع ، وأوجاء اكتشاف على جديد يصح آراء الناس

في الخمر . . .

"بل الحق ان قد برهنت لهم شواهد اقوى وتجارب أوسع وأكثر... مما كان منها في السابق ان الخمر ام الخبائث... وان لها النصيب الاكبر في تشويه اخلاق الأمم الغربية وتخریب صحة ابدانها وفساد معاشها واجتماعها... ولكن الذي كان حرم باصواته استعمالها قبل اربعة عشر عاما... عاد هو نفسه يصر على اباحتها... واطلاق الحرية في استعمالها..."

* * *

* والذي نعلمه انه لم يجحد احد من خلق الله بمضار الخمر حتى ولا اشد حمايتها وهواتها ، ولا تقدم احد ممن يخالف تحريمها ببينان لمحاسنها ومنافعها بقام له وزن في جنب مفسدها الكثيرة... وعندما عرض على المؤتمر الاميركي الاقتراح بادخال التعديل الثامن عشر على الدستور بتأييد قوى من الرأى العام تثبت القوم في الأمر... ووازنوا جيدا بين الحياتين ، حياة بليلة ببال الراح المباح واخرى جافة بجفاف الزهد والامتناع ولم يوافق المؤتمر على هذا التعديل الا مراعاة لكل ذلك المضار التي في الخمر... ثم أبدته عليه ست واربعون ولاية من الولايات المتحدة...

وصادق على قانون التحريم التابع له كل من مجلس

النواب (Congress) ومجلس الأعيان (Senate) وتم كل ذلك حسب رضا الأمة الاميركية وارادتها... وما دام امر هذا التحريم حبرا على القراطاس وحدثا في الأفواه بقيت الأمة تؤيده وتحبب عنه . (١)

" ولكن العجب - وأمر الغريب كله غريب - انه لم يكذب يدخل هذا القانون في طور التنفيذ وفي حيز العمل حتى تبدلت الأمة غير الأمة

فمادت - وهي ارتقى أم الارض مدنية واقولها سياسة وأغزرها علما وأرجحها عقلا واميلها الى الحقيقة والواقع - عادت لا تطبق الصبر عن أم الخبائث هذه ، وما باتت ليلة واحدة بدونها حتى جن جنونها وطار حواسها وأخذت تأتي من الافعال ما يخيل الى الناظر انها توشك ان تشدخ رأسها بغير أوصخرة كفضل العاشق المجنون ...

فلم تكند تغلق الحانات القانونية العلنية في البلاد بجانب ، حتى انفتحت فيها بجانب اخر الاف مؤلفة من الحانات السرية التي يحتال فيها اصحابها ضروبا من الحيل لبيع الخمر وشرائها وشربها وسقيها . . . اتقاء مؤاخذة القانون .

* * *

وبلغ من طغيان شهوة الخمر على الناس ان اصبحت دلالة رجل منهم لاخر من اقاربه او اصدقائه على مكان حانة خفية او على كلمة سرها ، عملا من البر والاحسان عظيما . . .

وقد اصبحت الحكومة لا تستطيع ان تراقب عدد الحانات كما كانت تفعل ذلك قبل التحريم . . . فاختلط الحابل بالنابل ، لا يعرف النوع الجيد من الرديء وأقبل الناس على شرب الخمر بشكل لا مثيل له في تاريخ اميركا

فغلت اثمان الخمر غلاء فاحشا . . . وعادت مهنة بيع الخمر من اريح المهن وأنفصها بينما كان عدد مصانع الخمر الحائزة للامتياز قبل التحريم لا يمدو اربعمائة ، فقد عثروا في مدة سبع سنين بعد التحريم على قريب من ثمانين ألف ٨٠٠٠٠ مصنع . . .

ووجدوا اكثر من تسعين الف أتون لصنع الخمر . . . على اقل تقدير . . . (١)

" لقد حدث ان اصبح الاميركيون يشربون مئتي مليون غالون
(Gallons) من الخمر في كل سنة .. وكانت الخمر التي تصنع
بعد التحريم أردأ نوعا وأشد بالصحة ضررا حتى قال الأطباء انه سم
وليس خمرا .

عدد المرضى

قد كان عدد المرضى حسب الاحصاءات لمدينة (نيويورك) في
قبل التحريم فصار
سنة ١٩٨٨ م / ٢٥٢ نفسا / (٤٧٤١) نسمة بعد التحريم .

وكان عدد المهاجرين من استعمال الخمر آنذاك : ٢٥٢ نفسا
ثم بلغ عدد المرضى فيها لسنة ١٩٢٧ م بعد التحريم أحد عشر الفا
وعدد المهاجرين سبع الاف ونصف الألف . ما عدا الذين لم يعثروا
عليهم فلا يعلم عددهم الا الله ..

" كذلك كثرت الجرائم وخاصة جرائم القتلان كثرة فاحشة وشبهه
القضاة الاميركيون انه لم تعهد في تاريخ بلادنا هذه الكثرة الكاثرة من الصبيان
المقبوض عليهم في حالة السكر " انتهى (١)

هذه هي من نتائج الالحاد .. وهذه امريكا قد عجزت قوانينها
ان تقرر هذا الحكم ... والان نود ان نعلق على هذه الحقيقة التاريخية
الثابتة .

تأملات في هذا التقرير

ومن يتأمل في هذا التقرير يصل الى النتائج التالية :

(١) زالت عن القلوب حرمة القانون ونشأت نزعة للبغي والتمرد في كل طبقة من طبقات المجتمع الاميركي . .

(٢) لم تتحقق الغاية المقصودة من تحريم الخمر ، بل زاد الطين بلة ، بحيث زاد استعمالها بعد التحريم على ما كان عليه قبله . .

(٣) لقد تجشمت الحكومة خسائر فادحة لا تحصى في تنفيذ قانون التحريم . . ومثلها ايضا اصاب الشعب الاميركي لاشترائه الخمر خفية باثمان غالية فتأثرت بذلك اقتصاديات البلاد .

(٤) كثرت الامراض واختلت الصحة وازدادت نسبة الوفيات وفسدت الاخلاق وشاعت الرذائل وتفاحشت الجرائم في جميع طبقات المجتمع الاميركي وعلى الاخص في الجيل الناشئ . . .

وكانت هذه كلها من ثمرات هذا القانون الذي صدر من تلك القلوب الملحدة والافكار المنحرفة التي جمعت نقطة انطلاقها الاحقاد والبعد عن هدى الله في التصور والسلوك والحكم . .

هناك سؤال هام يفرض نفسه على الباحث وهو : ما هو السر في عجز القانون الاميركي ؟ هل هذا النقص يرجع الى القانون نفسه او الى الواضعين لهذا القانون ؟

فسوف نرى الاجابة على هذه الاسئلة في الصفحات التالية عندما نتحدث عن تحريم الخمر في الاسلام . .

كيف تم تحريم الخمر في الاسلام

والان هيا بنا نرسل نظرة عابرة في قطر كان يعد أعشق الناس
الى شرب الخمر وأجهل اقطار الارض في أظلم عصور التاريخ الانساني ..
قطر كان الناس فيه مقهالكين على شرب الخمر ومتفاوتين فيها ..
وأشعارهم شاهدة على ذلك : كانوا يعتبرون شرب الخمر لا زما من لزوم
حياتهم ..

ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

حدث هناك ان هذا القطر هاجروا الخمر وهاجروا من يشربها بل
يضر بونه بالنمال - ولم يكتفوا بان ياتبهم امر من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فينتهبوا عنه ؟ بل قاموا هم بانفسهم يستفتون النبي صلى الله عليه
وسلم عن حكم الخمر ..

فاذا الايات القرآنية الكريمة تقول :

* يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومناج للناس ، واثمهما
أكبر من نفعهما ..* (١)

فيسمع الناس الاية الكريمة .. وليس فيها امر او نهى وانما هي
خير عن حقيقة الخمر وانها ذات منافع وذات مضار ولكن ضررها أكبر من نفعها
ولكن بسبب تأثير تعاليم الاسلام فيهم ، نجد قوما منهم يتركونها ويقولون :
لا حاجة لنا في شربها ولا في شيء فيه اثم كبير .. ويشربها قوم لقوله تعالى :
* ومنافع للناس ..* ..

ثم أعيد السؤال ثانية عن الخمر ، اذ كان بعض الناس يصلون
وهم سكارى فنزلت الاية التالية :

(١) سورة البقرة : ٢١٩

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ (١)

فحرم السكر في اوقات الصلاة ولكنه تركها قوم بالمرّة وقالوا : لاخير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة • وقال قوم •• نشربها ونجلس في بيوتنا فكانوا يتركونها وقت الصلاة ويشربونها في غير اوقات الصلاة وذلك لكيلا يصلوا وهم سكارى أو يضطروا الى ترك الصلاة من أجل السكر •• فبعد ذلك تطلعت نفوسهم الطاهرة الى بيان شاف للخمر ••
فأنزل الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والالزام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون •• ﴾ ﴿ انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم المداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متديون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين •• ﴾ (٢)

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : " انتهى بنا يا رب ! " وقال أنس رضى الله عنه : " حرمت ولم يكن للعرب يومئذ عيش اعجب منها ، وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر •• قال : فأخرجنا الحجاب الى الطريق ، ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً ، كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها " •

(١) النساء ٤٣/

(٢) المائدة ٩٠/

يراجع في ذلك كتاب الشيخ القرضاوى سماه

أما منا تجربتان

أيها الملحد : ولو كنت ملحدا ولكن العقل والمنطق يستطيعان ان يفرقا بين المستقيم والمعوج .. وبين الحق والباطل اذا لم يكن هناك هوى النفس ..

أماك تجربتان اثنتان :

— تجربة اجريت في اميركا في العهد القريب

— واخرى جريت في العرب في صدر الاسلام

والفرق بينهما كما سمعت ايها الملحد ! فلك ان توازن بينهما وتقارن

ثم تستخلص من ذلك العبرة .

ففي القطر الاميركي قام اولوا الاصلاح بدعاية واسعة ضد الخمر

مدة سنوات طوال ، وبذلوا ملا بين الدورات لاعلان مضارها ومساوئها وبينوا

آفاتها وسىء آثارها في جسم الانسان واخلاقه واقتصاده بأدلة ناهضة

من تعاليم الطب والاستنباط المنطقي وأثبتوها اثباتا لا يدع احدا في شك

من الأمر .. بل أروا الناس مضار الخمر رأى العين متمثلة في الصور وسموا

سعيهم لأن يؤمن الناس بمفاسد أم الخبائث .. فاستعدوا لتكريمها

من تلقاء انفسهم .. ثم ان المؤتمرا اميركي وهو اكبر حزب سياسي للاميركيين

حينئذ قطع بتحريم الخمر باكثرية غالبة ، فسن له قانونا ، ثم جاءت الحكومة

و هي من اعظم حكومات الأرض واقواها . فاستفرغت جهودها لمنع بيعها وشراؤها

وصنعها وتدبيرها واستيرادها ، ولكن الأمة وهي في طليعة الأمم " اللثقة

المستنيرة " ترفض هجرها فاضطر القانون في مدة اربعة عشر عاما أن يرجع القهقري

فيحل بنفسه ما حرمه بالأمس ..

أنظر يا ملحد كيف يصنع الالحاد باهله .. فهم دائما في ريبهم

بترددون .

ثم انظر يا ملحد الصفحة الثانية البيضاء .. هل رأيت أحدا في الاسلام

قام بنوع من الدعاية ضد الخمر .. هل رأيت أحدا انفق مالا في سبيل تحريمه ؟
الجواب لا !

وقال انس بن مالك : كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر فـي
بيت أبي طلحة .. فاذا مناد ينادى فقال القوم : اخرج فانظر ! فاذا
مناد ينادى ، ألا ان الخمر قد حرمت .. قال : فجرت في سلك المدينة
فقال لي ابو طلحة : اخرج فاهرقها ! فمهرقتها ..
وقيل كان رجل يشرب الخمر واوشكت الكأس أن تمس شفثيه ، اذا
بداخل دخل عليه وقرأ آية التحريم ، فانفصلت الكأس من فيه للحال ، ولم
يذق لسانه قطرة مما فيها بعد ذلك ..

وكل من شرب منهم بعد ذلك ضربوه بالنعال وبالجرید والعصى ثم
جلدوه أربعين ، ثم جعلوا حد الشرب ثمانين جلدة .
فكان من نتيجة ذلك ان هجر هؤلاء الابرار ، شرب الخمر هجرا ..
ثم حينما بلغ الاسلام اقطار الأرض من افريقيا وآسيا زهد الأُمم
فيها ونفروا عنها .. حتى صرت ترى اليوم - وقد ضعفت آثار تعليمه -
ملايين من المسلمين في هذه الدنيا يجتنبون الخمر بدون زاجر من قانون التحريم
او مانع من نظام التمييز ...

ولكن لو أحصيت اليوم نسبة الشاربين في العالم ولحل تكون هذه الجماعة

الاسلامية ، أزهت الأُم في الخمر ...

ولو شرب من هذه الأمة شارب ، لا يشرب الا وهو يعتقد انه يرتكب اثما
ومعصية ، فيندم عليه في قلبه وربما تاب عنها من تلقاء نفسه ..
وانما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس أن يا قوم
لقد حرم الله الخمر ... أعلنها في الأمة كانت أعشق للخمر من الأمة
الأُميركية .

فودعتها وداعا لا رجعة لها بعده ما دامت في دائرة الاسلام ..

هل تدبر جيداً - في ما ملحد - أسباب هذا الفرق العظيم بين

التجربتين :

الاسلامي والاميركي ؟ ... ولو تدبر حق التدبر تبين لك أمور

هي كالأصول الكلية الثابتة لا في الخير وحدها بل في جميع مسائل القانون

والاخلاق ..

أولهما :-

_____ انه فرق اساسي بين الاسلام والقوانين الوضعية في

تنظيم السلوك الانساني ، فالقوانين الوضعية تعتمد تماما على الرأي الانساني ..

والمحلم ان الرأي الانساني مضطرب بطبيعة حال الانسان .. فكيف اذا كانت

تلك القوانين مستمدة من آراء العامة ؟ فيهم مجرمون يريدون البقاء على

اجرامهم كما حصل ذلك في هذه القصة التي نحن بصددها ..

* * *

ولنفرض ايضا ان القوانين مستمدة من رأي الخاصة اصحاب الاختصاص

بوضع القوانين ، فانهم ايضا لا يزالون يتأثرون في كل آن بالمعاطف والنزعات

الانسانية والاسباب والحوامل الخارجية واحكام العلم والعقل القابلة للتغيير

مما لا يلزم ان يكونوا بجانب الصواب في كل حال ..

وهذا التأثير بلا شك - يؤدى الى التغيير في الافكار والآراء وهذا

التغيير يتبدل بالضرورة بمقاييس الخير والشر والصحيح والخطأ .. والجائز

والمحظور ... والحرام والحلال ..

واضطراب هذه المقاييس يكره القانون على ان يميل معها حيث مالت وذلك

لا يتحقق للأخلاق والقدنية مقياس ثابت .

وأما الملاحدة الذين ابتعدوا عن الله تعالى يدعون الى الحرية في كل

شيء هذا الذي يعبرون عنه بهذه الكلمات :

التقدمية - التطور - الواقعية - تحرير المرأة ...

يعنى ان نترك الزمام بيد انسان نفسه لكي يتقدم ويتطور ويكون من الواقعيين ويحرر المرأة .. فلذلك يكرهون الاستسلام لله في الحكم .. (١)

ولا بدري هذا القائل بجمله ان قانونهم كمثل سائق مريض يسوق السيارة فتحبث يدها بموجهتها يمينا وشمالا بدون نظام ..

والمعلم ان اضطراب الموجهة يعقب اضطرابا في سير السيارة فلا تلتزم طريقا مستقيما .. واذا هي سارت مثل هذا السير فلا تلتزم طريقا مستقيما ، واذا هي سارت مثل هذا السير المختلج بينة وسرة فلا بد ان يتأثر به السائق ومن معه في السيارة .. فيكونون تارة على سواء الطريق وتارة على جانبه يخشى في كل حين ان يسقط بهم المركب في فجوة او يصطدم بهم بصخرة او يصيبهم من صدمات الطريق ما هو أشد وأتعب ..

هذه هي السمة البارزة في جميع القوانين الوضعية .. فمن هذه الحثيثة قلنا ان القوانين عاجزة كل العجز ان تلبى جميع متطلبات الانسان ..

واما الاسلام بخلاف ذلك لأن جميع الاصول الكلية ومعظم الفروع الجزئية فيه هي من وضع الله الى الرسول صلى الله عليه وسلم . وليس للرأى الانسانى التدخل فيها من سبيل .

فلذا اتفق جميع المسلمين في الأرض على تحريم الخمر وأعدوا اصواتهم بحق ذلك لم يستطيعوا ان يحلوا هذا الحرام أبدا

(١) الاسلام في الواقع الايدولوجى المعاصر ، د . محمد البهي ص ٢٢ ط ١

من بركات التشريع الاسلامي

وقد يقول القائل : ان الفقهاء قد تدخلوا في بعض الجزئيات في الاسلام نقول له : ان كان لهم بعض التدخل في الجزئيات فيهم لا يمدوا أن يستنبطوا فروعا جديدة من تلك الأصول الكلية . . .
 والحكمة في ذلك مراعاة لوضع الحياة المتبدلة . . . وان من بركات هذا التشريع الرباني أنه يضع بأيدنا مقياسا ثابتا للمدينة والأخلاق لا يتزلزل . . . فلا يكون في قوانيننا الخلقية والمدنية اثر للتلوث . . . ولا يمكن عندنا ان يصبح حرام الأضحية حلال اليوم ثم يعود حراما غدا . . .
 انما الحرام في الاسلام حرام الى الأبد . . .
 والحلال حلال الى يوم يلقونه تعالى . . .
 عليك يا الله أيها الملحد : أي الفريقين أولى بالأمن ، الذي يسلم زمام مركبه الى حاذق تام البراعة . . . او الذي يسلمه لمضطرب غير مجرب ؟ ؟ الجواب عند الملحد . . .
 وأما نحن معشر المسلمين انما افتخارنا في اتنا على قول ثابت في الحياة الدنيا . . . فهذا فضل من الله تعالى . . . والملاحدة فلا يهتدون سبيلا . . .

يقول تعالى :

* يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة
 وفضل الله الظالمين * (١)

هذا هو الفرق الاول حسب ترتيبنا - بين القوانين الوضعية وبين الشريعة الاسلامية . . .

وأما الأمر الثاني الخطاير ان السلطات الدنيوية اذا ارادت وضع القواعد الانسانية ومحاولة الاصلاح في التمدن والاخلاق والاجتماع فهي تحتاج في كل مسألة فرعية الى استرضاء عامتها للاطلاع فيها قبل ان تتولاه وتأخذ في العمل له .

ولذلك يتوقف نفاذ كل مادة من مواد قانونهما على رضا جمهور العامة وكل ما ينفذ في البلاد من قانون تنظيمي ، بخلاف رضاهم فإنه - لا محالة - يلقى آخر الأمر بعد كثير من الفساد واضطراب الأحوال .

وليس هذا خاصا بما جربته اميركا وحدها وانما تشهد به تجارب الدنيا بأجمعها . . . وهذا دليل على ان القوانين المدنية عقيمة نكدة لا تمنى شيئا في اصلاح الأخلاق والاجتماع . لأن المفسدين الذين تقصد هذه القوانين الى اصلاحهم هم الذين يتوقف على رضاهم تقرير تلك القوانين وتنفيذها او الفأؤها هذه هي مشكلة القوانين الوضعية اللاحادية . . .

الحل الاسلامي لهذه العقيدة

وقد حل الاسلام هذه العقيدة بطريق آخر . . . ان تأملته علمت انه لا حل لهذه المشكلة سواه . . . وهو انه قبل ان يتعرض لمسائل التمدن والاجتماع والأخلاق وقبل أن يطالب الانسان باطاعة قوانين الشرع .
يدعوه أن يؤمن بالله وبكتابه ورسوله . . .

فلا انسان حينئذ مختار أن يؤمن أو لا يؤمن ..

ولكنه متى آمن بالله والكتاب والرسول ،

يحل كل سؤال : لماذا كذا ؟ ولم كذا ؟

وكل ما يقرره كتاب الله ورسوله كان امرا واجب الاذعان له ..

فلذا بدعونا الاسلام الى الايمان بكلمة (لا اله الا الله محمد رسول

الله) واذ ثبت هذا الأصل من الايمان بالله جرى عليه جميع

القوانين الشرعية ولم يعد لرضاه أو سخطه دخل في مسألة كلية

أو جزئية ...

ولو تأملت - يا ملحد - ان هذا السبب في ان المشروع الذي

لم يتحقق في اميركا على رغم ما أهلك في سبيله من ملا بين الدولارات

و على رغم ذلك التبليغ والدعاية والنشر النادر النظم في تاريخ

الأمم ومساعي الحكومات المتوالية على طول السنين ، تحقق في دنيا

الاسلام باعلان واحد أعلنه الرسول عن ربه ...

الاحقاد والجهل والانسان

ومن تأمل في التاريخ الانساني يجد كلما ابتعد الانسان

ووضع لنفسه ضجعا لحياته يجد الناس تحتها الشقاوة والمتاعب .

وذلك لا لشيء الا أن الانسان قاصر كل القصور ان يهاجم هذه الضحاقة

لأنها غيب . ولقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في أكثر من

آية .

يقول الله تعالى :

* ولكن اكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . . . (١)

- * بسألونك عن الروح : قل : الروح من أمر ربي وما أوتيتم
من العلم الا قليلا * (١)
- * وما تدري نفس ماذا تكسب فدا ، وما تدري نفس بأي ارض
تموت ان الله عليم خبير * (٢)
- * آباءكم وابتاؤكم لا تدرون ابيهم اقرب لكم نفعا * (٣)
- * فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * (٤)
- * وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون * (٥)
- * لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا * (٦)
- * ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم
من ربهم الهدى * (٧)
- * ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن
فيهن * (٨)
- * ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا * (٩)

(١) الاسراء : ٨٥	(٢) لقمان : ٣٤
(٣) النساء : ١٩	(٤) النساء : ١٢
(٥) البقرة : ٢١٦	(٦) الطلاق : ١
(٧) النجم : ٢٣	(٨) المؤمنون : ٧١
(٩) المعارج : ١٩	

" وغير هذه الاشارات في القرآن كثير . . . وهي تجسء - غالباً - تعقيباً على التشريعات والتوجيهات التي ينسبها الله للناس ، ويخبرهم محيياً انهم هم لا يستطيعون ان يشرعوا لانفسهم ، وليست لديهم القدرات والاستعدادات الضرورية لوضع ضريح لحياتهم هم انفسهم ، لانهم يجربون انفسهم ويجربون مآلات تصرفاتهم ورفقاتهم ، و يخضعون لاهوائهم وشهواتهم وكلها مؤثرات تجعل من الخطر على وجودهم ، وعلى خط سيرهم في الحياة ان يتولوا هم وضع شريعتهم وتخطيط ضريح حياتهم الاصيل . (١)

ف نجد هذه الاشارات في مثل هذه المناسبات :

* ثم جعلناك على شريعة من الامراتبها ، ولا تتبع اهواء الذين

لا يعلمون *

* كتب عليكم القتال وهو كرمكم . وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير

لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم . والله يعلم وانتم لا تعلمون * (٢)

* يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن

لتذهبوا ببعض ما آتيتوهن - الا ان ياتين بفاحشة مبينة - وعاشروهن

بالمعروف ، فان كرهتموهن فمسي ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً

كثيراً * (٣)

* يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة

واتقوا الله ربكم ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة

وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه . . . لا تدري لعل الله

يحدث بحد ذلك أمراً * (٤)

(١) راجع الاسام مشكاة الحضارة - يد قطب ص ٢٦

(٢) الجاثية / ١٨

(٣) البقرة / ٥٦

(٤) النساء / ١٩

(٤) الطلاق / ١

✽ يو صيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين .. فان كن نساء
فوق اثنتين فلمين ثلثا ما ترك . وان كانت واحدة فلها النصف ، ولا يورثه
لكل واحد منهما السدس ما ترك - ان كان له ولد - فان لم يكن له ولد وورثه
أبواه فلأمه الثلث .. فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها
اورثين - آباءكم وابدانكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا . فريضة من الله ..
ان الله كان عليما حكيمًا ✽

هذا ما اشار اليه القرآن الكريم من ان الانسان لا يستطيع ان يضع
لنفسه تشريحا عادلا .. ولقد رأينا انفا فشل اميركا في هذا المجال وفي
مجالات تشريحية اخرى .. الذي يقال في شأن اميركا ، يقال ايضا في جميع
القوانين الوضعية .. فكلها تتسم بالقصور والجهل لانها اتخذت الالهام
قاعدة الانطلاق .

الدكتور الكسيس كاريل يتكلم

ان هذه الحقيقة قد ادركها بعض الباحثين الاوربيين كأمثال الدكتور
الكسيس كاريل المؤلف الذكر .. كان هذا الدكتور يقرأ القرآن حين قرآن
الانسان جاهل من ان يضع لنفسه منهجا لحياته ولذا ألف كتابا فسماه
" L'Homme L'inconnu " المجهول
فلندعه يتكلم :

(١) ترجمة الدكتور الكسيس كاريل .. ولد دكتور كاريل بالقرب من (ليون في فرنسا)
وحصل على اجازة الطب بها .. كما حصل على اجازة المعلم من (ديجون) وبعد
ان مارس التدريس في جامعة ليون عدة اعوام رحل الى الولايات المتحدة
واشتغل في معهد (روكفلر) للابحاث العلمية في (نيويورك) وبقي هناك
قراية ثلاثين عاما حتى اعتزل العمل به سنة ١٩٣٠ .. ثم عميدت اليه وزارة الصحة
الفرنسية بمهمة خاصة تتصل بالحرب ، وكانت هذه المهمة تكملة لمهمة اضطلع
بها ابان الحرب العالمية الاولى ، عندما كان يعمل جراحا مع القوات الفرنسية
والبريطانية والاميركية وضع جائزة نوبل عام ١٩١٦ لباحث الطبية الفذة .
راجع الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص ٧

" وفي الحق لقد بذل الجنس البشري مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه ،
ولكنه بالرغم من اننا نملك كنزاً من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء
وكبار العلماء الروحانيين في جميع الازمان ، فاننا استطعنا ان نفهم جوانب معينة
فقط من انفسنا .. اننا لا نفهم الانسان ككل .. اننا نعرفه على انه مكون
من موكب من الاشباح تسير وفي وسطها حقيقة مجبولة .
ليس هذا الذي يقوله القرآن بقوله * يسألونك عن الروح قل
الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا *
ثم اضاف قائلاً :

" وواقع الامر ان جبرلنا مطبق .. فاغلب الاسئلة التي يلقبها على
انفسهم اولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب .. لأن هناك
مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية ، ما زالت غير معروفة .. فنحن لا نعرف
حتى الان الاجابة على اسئلة كثيرة مثل :

" اننا ما زلنا بعيدين جداً عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل
العظمي والمضلات والاعضاء .. ووجوه النشاط العقلي والروحي .. وما زلنا
نجعل الصواب التي تحدث التوازن المصبي ومقاومة التعب والكفاح ضد
الأُمراض ..

اننا لا نعرف كيف يمكن ان يزداد الاحساس الأدبي وقوة الحكم ،
والجراحة ولا ما هي الاهمية النسبية النشاط العقلي والأدبي .. كذلك النشاط
الديني ..

" أي شكل من اشكال النشاط مسؤول عن تبادل الشعور او الخواطر ؟
(١)

" كيف نستطيع ان نحول دون تدهور الانسان وانحطاطه في المدنية

المصرية ؟

(١) راجع كتاب الانسان ذلك المجهول في الكسيس كاريل تحرييب شفيق اسعد

" وهناك أسئلة أخرى لا أعدد لها ، ويمكن ان تلقى في موضوعات تعتبر في غاية الأهمية بالنسبة لنا . . . ولكنها ستظل جميعها بلا جواب . . . فمن الواضح ان جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان غير كاف وان معرفتنا بانفسنا ما زالت بدائية في الغالب . . ." (١)

ولكن لماذا كان جهلنا مطبقا بحقيقة الانسان ؟ لماذا كان الذين يدرسون الحياة كمن ضلوا في طريقهم في غب متشابك الاشجار ؟ هل كان ذلك لقصور وسائلنا العلمية في فترة من الفترات ؟ أم لظروف وقتية من ظروف حياتنا الانسانية ؟ ومن ثم يكون هناك امل كبير وفرص كثيرة لتكملة تلك الوسائل ، وتغيير هذه الظروف ثم الوصول الى معرفة الحقيقة الانسانية كاملة واضحة محددة ؟

ام هناك اسباب ثابتة في طبيعة الحقيقة الانسانية من جهة وفي طبيعة تفكيرنا من جهة اخرى ؟

يجيب هذا العالم (الكبير) بقوله :

" قد يعزى جهلنا في الوقت ذاته الى طريقة حياة اجدادنا ، والى طبيعتنا المعقدة والى تركيب عقولنا " . (٢)

وهكذا يتضح من هذا التقرير الحاسم من هذا العالم الكبير الذي اتاحت له فرصة الاطلاع على نتائج البحوث الضخمة ، ان هناك فارقا اساسيا بين علوم المادة وعلم الحياة . . . وان هذا الفارق لا يتعلق ببيئة ولا زمان . . . وانما هو كامن في امرين ثابتين :

١ - تعقد الموضوع

٢ - طبيعة تركيبنا

وبهذا نستطيع ان نقول ان الحضارة الغربية ، تشق طريقها الى الدمار . . . الدليل هو أوروبا نفسها . . .

(١) راجع كتاب الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص ١٤

(٢) المرجع السابق ص ١٦

أوروبا في القرن العشرين قد وصلت الى ذروة من العلم والقوة المادية

وضخامة الانتاج لم تصرف لها البشرية مثيلا منذ مولدها ..

وأوروبا في القرن العشرين قد وصلت الى مستوى من الهبوط الخلقي والريجي

لم تصرف البشرية أسوأ منه في جاهليتها القديمة والحديثة على السواء

وهذا بـرتراندرسل الفيلسوف الانكليزي الملحد المعاصر ، لم يمنعه

الحاده أن يقول الحق فيما يرى من تدهور الحضارة المادية فقال :

" ان سيادة الرجل الابيض قد انتهت " (١)

لم يقل ذلك لان الرجل الابيض قد خلا من الانتاج ، ولكنه قال

ذلك لأن الرجل الابيض قد فرغ من الداخل ..

فرغ من العقيدة الصالحة ..

فرغ من الروح ..

فرغ من الاخلاق بمعناها الانساني الواسع لا بمعناها النفسي الضيق

الذي يمارسه الغرب في وقته الحاضر ..

ولو كان التقدم الملمح .. او الانتاج المادي او غير ذلك من الاشياء

الموجودة لوجب ان يرتفع الغرب اليوم الى القمة الانسانية العليا في كل

ميدان من ميادين السلوك البشري .. ولما وجد هذا الوجه الكالح تحت

هذه القوانين الوضعية الجائرة المجازة ..

فقد رأينا كيف عجزت هذه القوانين في تحريم الخمر ..

القوانين التي تجيز للناس التفرقة العنصرية والاستعمار والانحلال الخلقي

والانحطاط الروحي والصراع الكريه والفرع المدمر الذي يعيش فيه العالم

من خوف الحرب والبيلاك ..

(١) معركة التقاليد ، محمد قطب ص ٨٧

الخلاصة :

ان من آثار الالحاد في اوربا الحديثة عجز القوانين الوضعية التي اتخذت نقطة انطلاقها من الالحاد والتعطيل .. اولا .. ومن الجهل المطبق لحقيقة الانسان ثانيا ..

من هنا وقع الناس في ظل هذه القوانين المزعومة في تخبط واضطراب ولا استطاع قانون من قوانينهم ان يضع للناس نظاما شاملا مضبوطا صالحا للحياة الانسانية ..

والذي نراه دائما هو ان اي نظام وضعه الانسان لا نسان - بعيدا عن مضيغ الله - لا بد ان يعرض الحياة الانسانية ويعرض الانسان نفسه للعطب والدمار في صورة من صور العطب والدمار .. وسنرى ان شاء الله في مبحث " عقوبة الفطرة " كيف اصبح الانسان في قلق شديد بسبب ما صنحته يداه من اسلحة مدمرة واستعدادات حربية ..

الفصل الرابع

مشكلة العقوبة في القوانين الوضعية

أولا - في الشريعة :

تقوم نظرية العقوبات في الشريعة الاسلامية ، وفي كل شرع الله على ارضه ، على الاعتقاد ان الانسان مخلوق يتمتع بالخيار الكامل في افعاله . . (١)

وهو يفعل كل ما يفعل باختياره وارادته وليس مجبورا كما تدعيه الجبرية ، ولا هو خالق لفعاله كما تدعيه المعتزلة (٢) المتطرفة ، ولا هو مريض كما يدعيه الملاحدة . (٣)

وانما يقترب الجرائم بارادته وخالص قصده . . ولذلك اوجب الله تعالى انزال العقوبات عليه لتكون عبرة (نكالا) للآخرين ، فيخافون من مصير المجرم و يجتنبون الاتيان بمثل ما أتى به . .

واليك نصوص تؤيد ذلك :

* انا هديناك السبيل اما شاكرا واما كفورا * (٤)

* فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . * (٥)

وفي العقوبات قال تعالى :

* والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما نكالا من الله * (٦)

* الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ثمانين جلدة * (٧)

الى غير ذلك من الايات الكريمة التي تشير الى اثبات المشيئة للانسان وانه مطالب بكل ما يقوم به من عمل . .

(١) راجع شرح الاصول الخمسة ، عبد الجبار محمد ص ٣٣٢
 هذا يخالف ما يقوله الجبرية راجع الملل والنحل شهرستان ج ١ ص ٨٧
 (٢) راجع كتاب المعتزلة ، زهدى حسن جار الله ص ٣٠
 (٣) كتاب الشريعة الاسلامية وتحديات العصر ، وحيد الدين خان ص ٢٥
 (٤) سورة الانسان / ٣ (٥) سورة الكهف / ٢٩ (٦) المائدة / ٣٨
 (٧) النور / ٢

هذا هو الكلام المعقول الذي تتجلى فيه الحكمة في خلقه التي هي غاية الوجود الانساني . فتعال الى ارباب الجهالة العلمية لترى تفكيرهم بهذا الصدد ..

ثانيا - المقوبات عند الملاحدة :

ان الملاحدة ومن لف لفهم في نظرهم الجديدة التي ظهرت في اوربا في نهاية القرن التاسع عشر باسم " علم الجريمة " بدعون بان الجريمة ليست عملا متعمدا بل هو عمل اضطراري (١) وسبب الجريمة - في وجهة نظرهم هذه - يكمن في الاصول الحياتية والامراض العقلية والمسر المادي (الفقر) والاحوال الاجتماعية .

وعلى هذا الاساس طالبوا باعتبار المجرم مريضا وبمعالجته بدلا من معاقبته فوقوا جميعا في صفوف الظلمة ضد ارباب الحقوق الشرعيين . هكذا يفعل الاحاد باهله ..

وقد حظيت هذه النظرية السخيفة بقبول عام في الضرب ، فاقبمت الاصلاحيات في كثير من البلدان الاوربية بدل السجون ، والنيت المقوبات الرادعة للجرائم الاخلاقية .. هكذا يدعون .. ولكن تصرفاتهم تكذب هذا القانون ..

فمثلا كانوا يعتبرون المجرم مريضا تجبر معالجته ، ولماذا لا يطبقون ذلك في جميع الاحوال :

(١) ان هذه الفكرة الشنيعة قد سبق ان اشرنا الى ان ميكافيلي هو من اسسها لانه يقول لا يجب الاعتقاد بأن الانسان شرير بطبعه وان رغبته في الخير مصطنعة يفتعلها لتحقيق غرض نفسي بحت .. وما دامت تلك هي طبيعته المتأصلة فلا حرج عليه ولا لوم اذا انساق وراءها " راجع الأمبر : ص ١٤٤ فاروق سعد ، مطبوع مع كتاب الفكر السياسي قبل الأمبر وبعده ، بيروت

ولماذا ابقوا المقومات الرادعة للجرائم الخاصة بالأمن والدفاع؟

ولماذا لا يقال لهؤلاء مثل ما قيل للسابقين؟

ان هذه الحقيقة نفسها تشكل في هذه النظرية التي تعتبر الجرائم عملاً اضطرارياً
هذا من ناحية ..

ولكن العلم الحديث أشار الى خطأ هذا القانون وهذه النظرية ..
لأنه قد اثبت ان الناس في المجتمعات المزدهرة والصحية اكثر ميلاً
الى اقرار الجرائم ضميم في المجتمعات الفقيرة وغير الصحية ..
لقد رأينا في هذا الباب ان جميع التدابير قد أخفقت في اوربا وامريكا
في الحيلولة دون الجرائم ..

بل لقد ارتفع معدل الجرائم في الدول التي سلكت طريق تخفيف

العقوبات ..

وعلى سبيل المثال .. ألفت (سريلانكا) وولاية (دويلاوهر)
الامريكية عقوبة الاعدام ، ولكنها اضطررتا لاعادتها بعد ان تفشيت الجرائم
ولذلك اضطر خبراء لا لتشريع لمراجعة نظريتهم السابقة ..
ويقول احدهم " ان اعتقاد الناس ان القتل يستوجب عقوبة
الاعدام للقاتل يتمتع في نفسه بقيمة ردة عظيمة " (١)

المملكة العربية السعودية خير شاهد

أيضاً

ان المملكة العربية السعودية خير شاهد على كذبهم واكبر شاهد على ان

تطبيق الشريعة الاسلامية يتمشى مع كل زمان ومكان ..

فهي تعتبر النموذج الحي في الدول الاسلامية التي لا تزال تنفذ العقوبات

الشرعية فالمعلم ان معدل الجرائم هنا اقل بكثير من الدول المتحضرة ..

* * *

(١) الشريعة الاسلامية وتحديات العصر ، وحيد الدين خان ص ٢٦

ان هذا التقرير ليس لاجل انتمائنا الى الاسلام وانما الواقع نفسه

في المملكة العربية السعودية هو الذي يتكلم

ومن الدراسات التي سجلها الباحثون لهذه المملكة ، ما سطره الدكتور

عبد العزيز عامر في حديثه عن نجاح تطبيق المقوبات الشرعية في مكافحة

الجرائم وذلك في كتاب (التميز) فقال :

” واذا كانت الشريعة الاسلامية في الناحية الجنائية قد

غدت الاصل الاسلامية على سمعتها ، وكفتها مؤونة البحث عن تشريعات

اخرى ، واقبمت على اسمها المتينة الحكومة الاسلامية الرشيدة التي بسطت

سلطاتها على اهم بقاع المعمورة اجبالا عدة . . فانها لا تزال مصدرا صالحا

للتشريع ، وان تطبيقها في العصر الحديث قد امدنا بأية بيئة وحجة دامغة

وأكد انها شريعة كل عصر وأوان . . فان ما تتناقله الألسن عن الأمن

في المملكة العربية السعودية واستتباب النظام في ظل الحكم بالشريعة الاسلامية

لا صدق شاهد على ما نقول ، فلا يختلف اثنان في أن الامن هنالك مستتب

في كل مكان ولا بجرؤ كائن من كائن سواء كان من اعراب البادية ام من سكان

الحضر على اقتراء اية جريمة ، خصوصا السرقات . والسرف في ذلك هو الأخذ

باحكام الشريعة والشدة في معاملة المجرمين والثأر للناس وللمجتمع من كل من

يرتكب جرما وتعدل الاحصاءات الرسمية في السرقة ان الحد لا يطبق الا مرة واحدة

او مرتين خلال السنة في جميع تلك البلاد الواسعة المترامية الاطراف .

” فاذا عرفنا كيف ان هذه البلاد تتوافر فيها معظم المفريات على ارتكاب

الجريمة خصوصا في موسم الحج الذي يمكن فيه ارتكاب كثير من جرائم الاعتداء على

النفوس والمال بالنسبة للحجيج فما كان يحدث في اليهود الماضية ، واذا عرفنا

مع ذلك انه منذ تطبيق التشريع الاسلامي فيها على يد حكم السعود بين الرشيد ،

والأمن مستتب ، والنفوس والأموال محفوظة . . والحجاج الذين يعدون بمئات

الالوف الذين يفدون على تلك البلاد كل سنة . . ملين دعاء الله لهم

بالحج ، فينتشر فيها الامان والطمأنينة وتبتعد عن محيطهم الجريمة ، حتى انه
 يندر ان تسمح بجريمة تقع على احد الحجاج الان . . . نقول اذا عرف كل
 ذلك عرف السبب وتاكّد اليقين بان الشريعة الاسلامية باحكامها السمحة
 ويحدودها الصارمة في الظاهر من الأمر . . . الضطوية على الرحمة بالناس في
 باطنه هي السر في نقل تلك البلاد من جاهلية البداوة وظلام الظلم الى
 صعيد المدنية ومجال العدل ، كما حصل في صدر الاسلام . . . (١)

فماذا أقول ؟

أقول ان نجاح تطبيق الشريعة الاسلامية خصوصا في مجال العقوبات في
 تلك البلاد ، وقيامها على مصالح الناس في العصر الحاضر لا كبربرهان على
 سموها وتفوقها وانما ليست من الشرائع الخالية او شرائع القرون البالية . . .
 بل انما شريعة حية ابدية صالحة لكل مكان وزمان ، لانها من وحي الله
 الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . . .
 ويعلم ما فيه صلاح الناس وما فيه فسادهم ، لانه هو الخالق لهم
 العلم بدقائقهم ودخائل نفوسهم . فكيف مع ذلك يكون تشريع الخالق كتشريع
 البشر . . .

ونعتقد ان هذا القول فيه من الوضوح والأمانة في الاستشهاد ما بسكت
 القائلين بأن المجرم مريض يجب ان يعالج وان الشريعة في هذا المحيط
 قد دخلت في ذمة التاريخ . . . بل انما شريعة تتحدى جميع الأنظمة الوضعية
 وقد رأينا ذلك في السطور الماضية . . . والان نود ان نتقل الى خطوة اخرى
 لنرى فيها بعض تحديات الشريعة الاسلامية للقوانين الوضعية . . .

(١) علم الاجتماع ، الرئاسة العامة لتعليم البنات : ط اولى سنة ١٣٩٧ هـ -

الفصل الخامس

ظهور آثار الاتحاد في الدول الكبرى

ان للكثيرين يظنون ان محبة الشهوات سهلة وميسورة ، ولكنها مشقة
وجهد وثقلة ، وعقابيلها في حياة المجتمع - بل في حياة كل فرد - عقابيل
مؤذبة مدمرة ماحقة ..

والنظر الى الواقع في حياة المجتمعات التي " تحررت " من قيود
الدين والاخلاق والحياء ، في هذه العجالة ، يكفي ان يلقي الرعب في
القلوب .. لو كانت هناك قلوب ..

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هي (الممول) الاول الذي حطم
الحضارة القديمة ، حطم الحضارة الاغريقية (١) وحطم الحضارة الرومانية ،

(١) اليونان : كان اليونان ارقى الأمم القديمة حضارة ، وكانت المرأة في اول
عمره منحلة لا قيمة لها في المجتمع ثم ارتفعت مكانة المرأة بتأثير العلم
وانتشار انوار الحضارة .. وكان الحجاب شائما في البيوتات العالمة ..
ثم جعلت الشهوات النفسية تتغلب على اهل اليونان حتى تبدلت مقاييس
الاخلاق عندهم الى حد جعل كبار فلاسفتهم وعلماء الاخلاق عندهم لا
يروون في الزنا وارتكاب الفحشاء غضاضة يلام عليها المرء وبعباب .. وقلما
يروون بأسا بأن يعاشر الرجل المرأة علنا من غير عقد ولا نكاح .. فكان
ذلك هو السبب الحقيقي لزوال هذه الحضارة .. ثم جاء بعدهم الرومان فتقدموا
قليلًا في سبيل المدنية والحضارة .. ثم بدأت تتخبر نظرتهم الى العلاقات
والروابط القائمة بين الرجل والمرأة من غير عقد مشروع .. حتى ان العلماء فيهم
يعدون الزنا شيئا عاديا .. وكان ذلك من اسباب هلاكهم وزوال حضارتهم
ولما (الفرس) كانت هناك (المزدكية) التي دعت الى شيوعية النساء :
وأما في (بابل) كان الناس ينظرون الى الزنا بعين التقديس والاحلال ..
وأما في (الهند) آنذاك كان هناك (بام مارك) .. هذه صور من الماضي ..
وسيرى القارئ ان صورها لا فرق بينها وبين الصورة الاتحادية الحالية .. وان
اختلفتا في مظاهرهما الا انها لا تختلف في جوهرهما ..

وحطم الحضارة الفارسية . . . وهذه الفوضى ذاتها هي التي تحطم الحضارة الغربية اللاحدة . . . وقد ظهرت آثار التحطم شبه كاملة في انهيار فرنسا التي سبقت في هذه الفوضى والتي تعتبر - بحق - أم الحضارة اللاحدة . . . الحالة . . . كما بدأت هذه الآثار تظهر في اميركا والسويد وانجلترا وغيرها من دول الحضارة الحديثة . . . فلا بد اذن من التوضيح . . .

واليك بعض الأمثلة تؤيد ما قلناه . . .

أولا :- فرنسا ام الحضارة الاباحية :

هناك بحث قيم للاستاذ ابي الاعلى المودودي - رحمه الله - امير

الجماعة الاسلامية بباكستان في كتابه القيم " الحجاب " سوف تنقل عنه كثيرا

من هذه المحطات التاريخية مما يتناسب وهذا الموضوع .

ومن نظر في انهيار فرنسا التام في كل حرب خاضتها منذ سنة ١٨٧٠

الى اليوم لا يستغرب من الكلمات التي سجلها الاستاذ ابو الاعلى للمودودي في كتابه

المذكور حيث يقول :

" ان اول ما قد جر على الفرنسيين تمكن الشبهوات منهم ، اضمحلال

قواهم الجسدية ، وتدرجها الى الضعف يوما فيوما ، فان الهياج الدائم قد

او هن اعصابهم ، وتعبد الشبهوات يكاد يأتي على قوة صبرهم وجلدهم ،

وطغيان الامراض السرية قد اجحف بصحتهم ، فمن اوائل القرن العشرين لا يزال

حكلم الجيش الفرنسي يخفضون من مستوى القوة والصحة البدنية المطلوب في

المقطوعة للجند الفرنسي على فترة كل بضع سنين . لأن عدد الشبان الوافين

بالمستوى السابق من القوة والصحة لا يزال يقل ويثدر في الأمة على

مسير الايام . . . وهذا مقياس أمين يدلنا كدلالة مقياس الحرارة في الصحة

والتدقيق على كيفية اضمحلال القوى الجسدية في الأمة الفرنسية . (١)

(١) راجع كتاب الحجاب للسيد ابي الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية بباكستان

ثم قال : " ومن اهم عوامل هذا الازمحلل : الامراض السرية الفتاكة .
 يدل على ذلك ان كان عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة الى ان تعفيهم من العمل
 وتبعث بهم الى المستشفيات في الستين الاوليين من سنى الحرب العالمية
 الاولى لكونهم مصابين بمرض الزهري ، خمسة وسبعين الفا . وابتلى بهذا
 المرض وحده ٢٤٢ جنديا في آن واحد في ثكنة متوسطة . وتصور
 بالله - الكلام لأبي الاعلى المودودي - حال هذه الأمة البائسة في
 الوقت الذي كانت فيه - بجانب - في الضيق الحرج بين الحياة والموت ، كان
 ابناؤها الشيباء تحطل الاف منهم عن اعمال الدفاع ، من جراء الخماسهم
 في اللذات . . وما كفى امتهم ذلك خسرانا ، بل ضيعوا جانبا من ثروة الأمة
 ووسائلها في علاجهم في تلك الاوضاع الحرجة .

" يقول دكتور فرنسي نحاسي يدعى الدكتور (لبريه) . انه
 يموت في فرنسا ثلاثون الف نسمة بالزهري ، وما يتبعه من الامراض الكثيرة في كل
 سنة . وهذا المرض افتك الامراض بالأمة الفرنسية بعد حى (الدق) .
 وهذه جزيرة مرض واحد من الامراض السرية التي فيها عدا هذا أمراض
 كثيرة اخرى " . (١)

قلة الزواج في فرنسا

ومن تأمل في اخلاق الفرنسيين عن كذب وعن كذب أيضا يراهم
 انهم يتأنفون من الزواج وذلك لسهولة تلبية الميل الجنسي وفوضى العلاقات الجنسية .
 والفرار من تربية الاطفال . ومن ثم قل التناسل فيهم وانحدروا الى البهاوية . .
 فلنستمع الى الاستاذ المودودي مرة ثانية ليؤكّد هذه الحقيقة :
 " سبعة او ثمانية في الالف هو معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون
 في فرنسا اليوم . ولك ان تقدر من هذا المعدل المنخفض كثرة النفوس التي لا (٢)

(١) المصدر السابق ص ٩١ - ٩٢

(٢) ص ٩٢

تتزوج من اهلها . ثم هذا النذر القليل من الذين يعقدون الزواج ، قل فيهم من ينوون به التحصن والتزام المعيشة البرة الصالحة بل هم يقصدون به كل غرض سوى هذا الغرض حتى انه كثيرا ما يكون من مقاصد زواجهم ان يحللوا به الولد النفل الذي قد ولدته امه قبل النكاح ، ويتخذوه ولدا شرعيا ” .

المدوي في مستعمراتها

نقول : ان هذه العادة قد انتشرت في جميع المستعمرات الفرنسية انك تجد الرجل ليس تحته الا زوجة واحدة ولكنك تجد في بيته اولادا كثيرين مختلفين في اللون واللغة وكثيرين ينتسبون اليه . ذلك ان القانون سمح له ان يتزوج زوجة واحدة فقط ويحرم عليه تعدد الزوجات على حين فتح له باب المومسات والمحبات واذا ولدن له اولادا غير شرعيين فله الحق ان يضمهم الى بيته باسم زوجته الشرعية الوحيدة . وهذا القانون شائع في جميع المستعمرات الفرنسية ولا يحتاج الى استدلال او ادنى تأمل

ويوجد ايضا في تلك المستعمرات بيوت الدعارة للنساء مفتحة ابوابها ليل نهار لممارسة الالتقاء الجنسي علنا بدون حياء من الناس . بل اصبح ذلك عادة حتى لا يفكر فيها أحد هناك من الناحية الاخلاقية . وكل ذليلك رغم الجهود المبذولة من العلماء هناك وأئمة المساجد وكثيرهم قاموا بدورهم في تقبيح هذه المادة ولكن الشباب اصبحوا كالذئاب الضارية لا يلتفتون الا الى ما يتلقونه من اساتذتهم الفرنسيين . وهناك امور من المضحكات المهكيات لا يصدقها الا من عاش هناك فترة من الزمن .

هذا بعض آثار الالحاد في فرنسا ومستعمراتها .

الآن الكلام لكاتب فرنسي بصورتنا كيف كان الشرض من الزواج - آنذاك
 في فرنسا اسمه : (بول بيورو) وهو يقول :
 " من العادة الجارية في طبقة العاطلين في فرنسا ان المرأة منهم تأخذ
 من خدنها ميسثاقا قبل ان يعقد بينهما النكاح ، ان الرجل سيأخذها ولدها
 الذي ولدته قبل النكاح ولدا شرعيا له . وجاءت امرأة في محكمة الحقوق
 بمدينة سين (Sime) فصرحت : " انسى / قد أذنت بعلى عن
 النكاح بأني لا أقصد بالزواج الا استحلال الاولاد الذين ولدتهم نتيجة
 اتصالي به قبل النكاح . وأما ان اعاشره واعيش معه كزوجة ، فما كان في نيتي
 عند ذلك ، ولاحق في نيتي الان . ولذلك اعتزلت زوجي في اصيل اليوم
 الذي تم فيه زواجنا . ولم التقي به الى هذا اليوم (١) لاني كنت لا أنوي
 قط ان اعاشره معاشرة زوجية .

ثم أضاف (بول بيورو) قائلا عن عميد كلية شهبيرة في باريس :
 " ان عامة الشباب بروسدون يعقد النكاح استخدام بنفي في بيتهم
 أيضا . ذلك انهم يظلون مدة عشر سنين او اكثر يهيمون في أودية الفجور
 احراارا طلقاء ثم يأتي عليهم حين من دهرهم يملون تلك الحياة الشريفة
 المتقلقة فيتزوجون بامرأة بعينها ، حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينته ،
 ولذة المخادنة الحرة خارج البيت " (٢)

وهكذا تدهورت فرنسا وهكذا هزمت في كل حرب خاضتها وهكذا
 تتوارى عن مسرح الحضارة ثم عن مسرح الوجود يوما بعد يوم حتى تحقق
 سنة الله التي لا تتخلف وان بدت بطيئة الدوران في بعض الأحيان بالقياس الى
 تعجل الانسان . وصدق القائل حيث يقول :
 انما الأمم الاُخلاق ما بقبت وان هم ذهبوا اخلاقهم ذهبوا

(١) المرجع السابق ص ٩٤

(٢) المرجع السابق ص ٩٤

أما الدول التي لا تزال تبدو فقيرة ، وألم تظهر فيها آثار الدمار
واضحة بعد هذه نماذج مما يجري فيها ، فلنبدأ :

السويد : (13)

يقول صحفي من زاروا السويد حديثاً (١) . . . بعد ان يتحدث عن
" حرية الحب في السويد " وعن الرخاء المادي والضمانات الاجتماعية في
مجتمعيها الاشتراكي النموذجي : " اذا كانت اقصى احلامنا ان نحقق للشعب
هذا المستوى الاقتصادي الممتاز وان نزيل الفوارق بين الطبقات بهذا الاتجاه
الاشتراكي الناجح ، وان نؤمّن من المواطن ضد كل ما يستطيع اي عقل ان
يتصوره من انواع العقبات في الحياة . . . اذا وصلنا الى هذا الحلم البهيميج
الذي نسمى بكل قوانا وامكانياتنا الى تحقيقه في بلادنا الشرقية . . . فيل نرضى
نتأجه الاخرى ، هل نقبل الجانب الاسود من هذا المجتمع المثالي ؟
هل نقبل " حرية الحب " واثرها الخطير على كيان الأسرة ؟

دعونا نتحدث بالارقام :

" مع وجود كل هذه المجتمعات على الاستقرار في الحياة ، وتكوين أسر
اسرة فان الخط البياني لعدد سكان السويد يميل الى الانقراض . . . مع وجود
الدولة التي تكفل للفتاة اعانة زواج ثم تكفل لطفلها الحياة المجانية حتى يتخرج
في الجامعة فان الاسرة السويدية في الطريق الى عدم انجاب اطفال على الاطلاق !
" يقابل هذا انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين ، وارتفاع مستمر في نسبة
عدد المواليد غير الشرعيين . مع ملاحظة ان عشرين في المائة من البالغين
الاولاد والبنات لا يتزوجون أبداً .

" لقد بدأ عهد التصنيع . وبدأ معه المجتمع الاشتراكي في السويد
عام ١٨٢٠ م كانت نسبة الأمهات غير المتزوجات في ذلك العام ٧ في المائة

(١) راجع في ظلال القرآن ، سيد قطب الجزء الرابع الطبعة السابعة ص ٣٢٩

نقد عن كتاب الحجاب .

وارتفعت هذه النسبة في عام ١٩٢٠ م الى ١٦ في المئة . والاحصائيات بعد ذلك لم أشر عليها . ولكنها ولاشك مستمرة في الزيادة إ

بدء العلاقات الجنسية البشعة في السويد

ثم اضاف قائلا :

" وقد أجرت المعاهد السويدية العلمية عدة استفسارات عن " الحب الحر " في السويد فتبين منها ان الرجل تبدأ علاقاته الجنسية بدون زواج في سن الثامنة عشرة والفتاة في سن الخامسة عشرة . وان ٩٥ في المئة من الشبان في سن ٢١ سنة لهم علاقات جنسية ثم أكد ذلك بقوله :

" واذا اردنا تفصيلا تقنع المطلبين بحرية الحب فاننا نقول : ان

٧ في المئة من هذه العلاقات الجنسية مع خطيبات و ٣٥ في المئة مع حبيبات و ٥٨ في المئة مع صديقات عابرات .

" واذا سجلنا النسب عن علاقة المرأة الجنسية بالرجل قبل سن العشرين

وجدنا ان ٣ في المئة من هذه العلاقات مع ازواج و ٢٧ في المئة منها مع خطيب و ٦٤ في المئة منها مع صديق عابر .

" وتقول الابحاث العلمية : ان ٨٠ في المئة من نساء السويد مارسن

علاقات جنسية كاملة قبل الزواج و ٢٠ في المئة يقين بلا زواج .

" وأدت حرية الحب بطبيعية الحال الى الزواج المتأخر . والى الخطبة

الطويلة الأجل . مع زيادة عدد الاطفال غير الشرعيين كما قلت . (١)

اذا بلغ المجتمع الى مثل هذا المستوى البيهيمي ، فلا بد ان يزيد

تفكك الأسرة فيه ويكثر الطلاق ولذا قدروا نسبة الطلاق في السويد انه

قد ارتفع عام ١٩٥٤ الى ١١٤ طلاقا بين كل ١٠٠ الف من السكان .

ثم الاقبال على المخدرات والخمور شىء فوق حد الوصف . ولا فرق في ذلك بين الكبار والصغار . وكما كانت حرية الحب مكفولة في السويد كانت حرية الاحاد مكفولة ايضا . ولذا ان عشرالذين يصلون الى سن البلوغ في السويد يتمرضون لاضطرابات عقلية ويقول اطباء السويد : " ان ٥٠ في المئة من مرضاهم يعانون من اضطرابات عقلية تلازم امراضهم الجسدية " (١)

ولا شك ان التمادي في التمتع بحرية الاحاد سيضعف هذه الانحرافات النفسية ويزيد من دواعي التفكك الاسرى ، وبقرسيم الى هوة اتقراض النسل . . هذا ما فعله الاحاد واتباع الشهوات بهذا المجتمع . وكل ذلك نتيجة الحياء عن منهج الله تعالى . لانه ليس هناك الا منهج واحد هو الجسد والاستقامة والالتزام وكل ما عداه ان هو الا هوى يتبع وشهوة تطاع ، والحاد وفسوق وضلال .

ثانيا - الحال في امريكا : (١٤)

ومن تتبع المجتمع الامريكى ير ان الحال في امريكا لا تقل عن هذه الحال في المسويد رغم هذه الظواهر البراقة الخارجية ، هناك الدمار الداخلى يسرى في عروق هذا المجتمع وعوامل التدمير تعمل في كيانها لان سنة الله لا تختلف . فكل امة تتخذ الاحاد والابتعاد عن منهج الله مذهباً لحياتها فلا شك ان تنال نصيبها من الدمار والويلات . وامريكا قد بدأ ينتشر فيها الانحلال الخلقي والانجراف فى الشهوات فى شتى المجالات . . هذا ما لاحظته رئيس الولايات المتحدة ان ستة من كل سبعة من شباب امريكا لم يعودوا يصلحون للجندي بسبب الانحلال الخلقي الذى يحشون فيه (٢) .

(١) نقلا عن كتاب الحجاب للمودودى ص ١٢٩ - ١٣٠

(٢) فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٣٣٢

وقد كتبت احدى المجلات الامريكية منذ اكثر من ربع قرن تقول :

" عوامل شيطانية ثلاثة بحيط ثلوثها بدنابانا اليوم . وهي جميعها

في تسخير سمير لا اهل الارض :

أولا :- الادب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحة ورواجه بعد

الحرب العالمية الاولى بسرعة عجيبة .

والثاني :- الافلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهيواني (١)

فحسب بل تلقنهم دروسا عظيمة في باهه .

الثالث :- انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء الذي يظهر في ملايسين

بل في عربيين وفي اكارهن من التدخين واختلاطين بالرجال بلا

قيد ولا التزام .

وهذه المفاصد الثلاثة فبنا الى الزيادة والانتشار بتوالي الأيام .

ولا بد ان يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين وفناءها

اخرا الامر فان نحن لم نحد من طفيلانها فلا جرم ان يأتي تاريخنا مشابها

لتاريخ الرومان . ومن تبصيرهم من سائر الأمم الذين قد اوردهم هذا الابتداع

للأهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء . مع ما كانوا فيه من خمر ونساء او مشاغل

ورقص ولهو وغناء " (٢)

(١) راجع تطور المجتمع الامريكي ، تاليف كينت لن ت : نعيم موسى ، دار البقطة

١٩٦٦ م انه اميركي ومع ذلك صرح بالتصريح التالي : " أرى موكبا

لا نهاية له من اعمال السلب والاحتيال الحكومية ، وللصوصية

التجارية وشنق الاعناق وقلة السدوى والاختلاس والزنى

الشرعى " .

(٢) المرجع السابق ٣٣٢

والذي حدث ان اميركا لم تحد من طفيلان هذه العوامل الثلاثة .
بل استسلمت لها تماما وهي تضي في الطريق الذي سار فيه الرومان . ودليلنا
على ذلك ما كتبه صحفي آخر عن موجة انحراف الشباب في امريكا (١) وبريطانيا
وفرنسا وهو يقول :

" انتشرت موجة الاجراء بين المراهقين والمراهقات من شباب امريكا
واعلن حاكم ولاية نيويورك انه سوف يجعل علاج هذا الانحراف على رأس برنامج
الاصلاح الذي يقوم به في الولاية .

" وعهد الحاكم الى انشاء المزارع " والاصلاحيات " التهذيبية
خاصة بين طلبة وطالبات الجامعات ومنها الحشيش والكوكايين لا يدخل في برنامجه ،
وانه يترك امره للسلطات الصحية "

وهكذا عجز المصلحون في رد الشباب في امريكا الى رشدهم وكيف يستطيعون

اصلاح مجتمع قد اختار الالحاد على الهدى والايمان .

وكيف يستطيعون ذلك وقد بلغت ارقام الجرائم فيه كالتالي :

" ان الاحصائيات الامريكية الحديثة تشير الى ان ١٧٥٠٠٠٠ جريمة

خطيرة ترتكب في كل عام . وأن ١٥٠٠٠٠٠ طفل بين ٧ و ١٧ سنة من عمره

تقبض عليهم الشرطة من هؤلاء ٣٥٠٠٠٠٠ يقدمون الى محاكم الاحداث لا يقل

في العام عن اربعة ونصف مليون مدمن وان حالات الانتحار فهي اكبر من ذلك

بكثير "

(١) راجع كتاب المجتمع الامريكي عاريا ص ٣٠ تأليف فينس باكارد ت : عبد الحميد

سليم مصر ١٩٧٢ م يقول هذا الاستاذ نابلي : " اننا نجد تناقضا في مجتمع

بجاول ان يضع اناسا على القمر في حين ان ملايين من سكانه في المدن لا

يجرؤون على السير وحدهم لبلا في الشوارع او في الحدائق المجاورة لبيوتهم "

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب ج ٤ ص ٣٣٣

(٣) مستقبل الحضارة بين الملمانية والشيعوية والاسلام يوسف كمال ص ٢٨

ويقول القاضي (لندس) انه يسقط فيها مليون حمل على الاقل في كل

سنة ويقتل الاف الاطفال من فور ولادتهم ..

وفيها تبلغ نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في احدى المدن

٤٨ بالمائة حسب احصاء عن مدينة (نغز) عاصمة (كولورادو) .

وفيها تبلغ نسبة البيوت والاسر المحطمة بالطلاق تقفز فترة بعد فترة

كلما ازداد الاختلاط وكثرت الاباحية وهذه النسبة المخيفة تضي في هذه

النسبة حسب احصائية امريكية صدرت سنة ١٩٥٠م.

نسبة الطلاق ٦% عام ١٨٩٠

١٠% = ١٩٠٠

١٠% = ١٩١٠

١٤% = ١٩٣٠

٢٠% = ١٩٤٠

٣٠% = ١٩٤٦

٤٠% = ١٩٤٨

انشاء غرف ولادة في جميع المدارس

وفي امريكا صدرت التعليمات الى جميع مدارس نيويورك بانشاء غرف

ولادة في كل مدرسة على ان يدرب اثنتان من موظفي المدرسة على اعمال التوليد

الى ان يتم استدعاء الطبيب المختص ، وقد صدرت تلك التعليمات من المجلس

الصحي للمدينة بناء على طلب مجلس التعليم الذى يرى تسجيل الطالبات الحوامل

على الاستمرار في الدراسة بدل فصلهن من المدرسة وقال المجلس : ان عدد الطالبات

الحوامل دون زواج في مدارس (نيويورك) وحدها بلغ ٢٤٧٨ حاملا في عام

١٩٦٩م (١)

(١) راجع كتاب خطر التبج والاختلاط عبد الباقي رمضان ص ١٢٣ ط اولي في

مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م

ففي عام ١٩٦٨م وقعت ٥٤ مليون جريمة كبرى في الولايات المتحدة وجرائم القتل فيها تزيد ٤٨ مرة عن مثيلاتها في بريطانيا والمانيا واليابان مما ٠٠ فالعنف اصبح حقيقة اساسية موجودة في المجتمع الامريكي والامريكسون يهشون في رعب الجريمة كل يوم ٠٠ ولذا يخشى اغلبية السكان الخروج وحدهم ليلا وتقتنى تلك العائلات الامريكية بنادق في بيوتها بينما يحاول اكثر سكان المدن الرحيل بعيدا الى الريف هربا من كابوس جرائم المدن المخيف . (١)

* * *

وقرر كيندي في تصريحه الخطير سنة ١٩٦٢م ٠ ان مستقبل امريكا في خطر لان شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية المطلقة على عاتقه ، وانه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لان الشهوات التي غرقوا فيها افسدت قواتهم الطبية والجسمية والنفسية . (٢)

ثالثا - وفي روسيا المتحدة ايضا :

(١٥)
وشرح خروشوف سنة ١٩٦٢م كما صرح كيندي في نفس العام بأن مستقبل روسيا في خطر وان شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها لانه مائع منحل غارق في الشهوات .

ففي روسيا وفي المانيا كذلك شعار تناقله الالسن وهو : عار على البنت الروسية والالمانية ان تبقى بكرًا وأدوات منع الحمل موجودة في كل طريق . (٣)

(١) المرجع السابق ص ١٤٠

(٢) المرجع السابق ص ١٤٠

(٣) المرجع السابق ص ١٤١

رابعا - نظرة غابرة على بريطانيا :

ولم يعد غريبا ان نجد الشهوات في جميع المجالات في بريطانيا بعد ما أن تقدم بالفعل بعض اعضاء المحافظين الى مجلس العموم البريطاني في دورته في نوفمبر سنة ١٩٦٥ بمشروع قانون يتضمن باباحة العلاقات الجنسية (١) .
واذا وقع هذا كيف نستغرب من الحكاية التالية يذكرها الاستاذ المودودي في كتابه السابق :

" و منذ شهرين اثنين كان شيخ عجوز في طريقه الى القرية ، عندما أبصر على جانب الطريق - وتحت شجرة - غلاما يضاجع فتاة . .
" واقرب الشيخ منهما . وركز الغلام بحصاه وزجره ووبخه ، وقال له : ان ما يفعله لا يجوز ارتكابه في الطريق العام ، ونهض الفتى وركل الشيخ بكل قوته في بطنه . . ووقع الشيخ وهنا ركله الفتى في رأسه بحذائه . . واستمر يركله بتسوة حتى تهبشم الرأس .
" وكان الغلام في الخامسة عشرة ، والفتاة في الثالثة عشرة من عمرها " (٢)

القصة العجيبة من بريطانيا

نشرت جريدة التايمز اللندنية تقارير طبية وصرخات رسمية وخاصة عديدة بشأن الاجهاض وخطره فيها :
وقفت الجمعية الطبية البريطانية مذهولة ازاء ارقام الاجهاض الملحوظة في الربع الاول من سنة ١٩٧١ م اي في ربيع سنة فقط والبالغة : ٢٢ ٨٠٨ حادثة ورددت حسب العمر على الشكل التالي :

(١) مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام . يوسف محمد كمال ص ١٦

(٢) كتاب الحجاب ابو الأعلی المودودي ص ١٣٠

(٣) راجع كتاب خطر التبرج والاختلاط عبد الباقي رمضون ص ١٤٣

عدد الحوادث	السن
٥٣٣	اقل من ١٦
٤٠٢٣	١٦ - ١٩
١٣٨٧٣	٢٠ - ٣٤
٣٧٨٦	٣٥ - ٤٤
١١٤	٤٥ وما فوق
٢١٧	بدون تحديد

هذا وقد عكست الجمعية الطبية المذكورة على العدد الاجمالي لحوادث الاجهاض لعام ١٩٧١ م البالغ ٨٠٧٢٣ حادثة قاتلة :

ان الزيادة في عدد الحوادث في الاجهاض في الوقت الحالي تحتم علينا المطالبة بوضع حد حازم وفعال للاجهاض خاصة وان الارقام في زيادة مستمرة . . .

في السويد :

انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين الى غير المتزوجين وارتفاع مستمر في عدد المواليد غير الشرعيين مع ملاحظة ان ٢٠% من البالغين من الاولاد والبنات لا يتزوجون ابدا وان نسبة الطلاق في السويد هي اكبر نسبة في العالم كله ،
وانه يحدث حادثة طلاق واحدة من بنين ست اوسبع زوجات طبقا للاحصائيات التي اعدتها وزارة الشؤون الاجتماعية في السويد . (١)

وفي ايطاليا : (١٦)

اثبت الاحصاء ان ٧٥% من الشعب الايطالي يفضلون قراءة مجلات الجنس والنكاهة اكثر من اهتمامهم بالصحف السياسية اليومية ، واكد الاحصاء ايضا ان مؤسسات نشر الكتب والمجلات الجنسية العارية تعتبر اضعف المؤسسات في ايطاليا .

(١) المرجع السابق ص ١٤٢ وقد تحدثنا عن السويد سابقا
ولكننا اعدنا هذا التقرير عن ايطاليا لهذا الموضوع الطلاق.

وفي المجر : (١٧)

اعلن البروفسور المجرى : ان عدد حالات الاجهاض التي تحدث في العالم اصبحت تبلغ ٣٠ مليون حالة سنويا اي ما يعادل حالة اجهاض واحدة كل ثانية و اشار الى ان عدد عمليات الاجهاض في بعض الدول يفوق عدد حالات الوضع ومن بين هذه الدول المانيا والنمسا وبلجيكا . (١)

وفي الدانمرك : (١٨)

قامت تظاهرة نسائية ضخمة في شوارع عاصمتها كوبنهاجن سنة ١٩٧٠م تناقلتها بعض وكالات الانباء بالاذاعات ونشرت في كثير من الصحف منها مجلة الاسبوع العربي بنفس العام وفي شهر ايلول ونشرت صورتها في المجلة .. اشترك فيها عدد كبير من الفتيات وطالبات الجامعة وكن يرددن الهتافات التالية وبحملنها على اللافتات المكتوبة والمصورة في المجلة :

- نرفض ان نكون اشياء ..
- نرفض ان نكون سلعا لتجارة الاباحية ..
- سعادتنا لا تكون الا في المطبخ ..
- نريد ان تبقى المرأة في البيت ..
- اعيدوا البنا انوشتنا ..
- اننا نرفض الاباحية .. (٢)

هكذا يفعل الالحاد باهله ... يا ليتهم يقرئون قوله تعالى :

* وقرن في بيوتكن ولا تسبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطمن الله ورسوله انما يريد الله ليهذب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا * (٣)

(١) المصدر السابق

(٢) خطر التبج والاختلاط عبد الباقي رمضون ص ١٤٤

(٣) سورة الاحزاب الآية ٣٣/

وقوله تعالى : * واذا سألتموهن متاعا فسئلهن من وراء حجاب ذلكم

أظهر لقلوبكم وقلوبهم .. * (١)

وقوله تعالى * يا أيها النبي قل لا أزوجك وبناتك ونساء المؤمنين

بدنهن عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذيكن
وكان الله غفورا رحیما * (٢)

تقول الكاتبة الانجليزية اني رود عن ذلك :

" اذا اشتغلت بتاتنا في البيوت خوادم او كالخوادم هير وأخف

بلاء من اشتغالهم في المعامل حيث تصح البنت ملوثة بأدران تذهب
برونق حياتها الى الأبد ..

أيا ليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والصفاء والطهارة

رداء الخادمة والرقيق اللذين يتنعمان بأرغد عيش ويحاطن معاملة أولاد
رب البيت ولا يصح عرضهم بسوء ..

نعم انه عار على بلادنا الانكليزية ان تجعل بناتها مثلا للردائل

بكثرة مخالطتهم للرجال ، فما بالناس نسي وراء ما يجعل بناتها تحمل ما
يوافق فدلرتها الدابعية كما قضت بذلك الديانة السماوية وترك اعمال الرجال
للرجال سؤامة لشرفها .. (٣)

حقا .. هذا ما اشار اليه الاستاذ محمد فريد وجدي بقوله :

" وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية .. " (٤)

ولكنها ^{ان}تركت هذه الوظيفة " نجم عن الشقاء المستديم للمرأة وللمجتمع كله " (٥)

(١) سورة الاحزاب / ٥٣ (٢) سورة الاحزاب / ٥٩

(٣) الاسلام روح المدنية ضد مصطفى الغلاييني ص (١١) المكتبة الاهلية ١٣٤٤هـ

(٤) راجع دائرة معارف القرن العشرين فريد وجدي ٦٣٩/٨

(٥) انظر المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ص ٣٠٠ ط ٤ المكتب الاسلامي

وراجع ايضا مجلة الاعتصام العدد ٣ السنة ١٣٩٨/٤١

كوبنهاجن تصدر المطبوعات الجنسية (١٩)

وكتبت مجلة "حضارة الاسلام" في عددها العاشر لعام ١٩٢١ ما يلي :

" تنتشر في كوبنهاجن - عاصمة الدانمارك المتاجر التي تختص ببيع المطبوعات الجنسية حتى اصبح هذا هو طابع تلك المدينة واكثر صادراتها في انحاء العالم . وهي عاصمة (الدهسبيين) يحجون اليها ، ويتجمعون في انحاء مباديها الواسعة ويسبرون نهارا وايابا بلابسيهم الخاصة القليلة واقدامهم الحافية وشعورهم الشعثة الوسخة في شوارعها . . (١)

والهيب والخنفس والبوب - شباب فارغ نفسيا وروحيا وفكريا . .
 أهملته الحضارة الالحادية الحاضرة فلم تملأ فراغه ، فراح يطوهه بنفسه
 في اماكن العبث والليهو حسب الهوى . . . فاصبح يتصرف حسب الأهواء ،

مرة يلبس القصير الضيق

واخرى الطويل الفضفاض

ومرة يطيل شعره حتى يبلغ ظهره

واخرى يحلقه من اصله

ومرة يقلد الحشرات

ومرة يقلد الحيوانات . .

الى غير ذلك من المتناقضات في السلوك والتصرفات والخواطر والأفكار . .

هذا ما يفعله الالحاد بأهله . . .

(١) مجلة "حضارة الاسلام" في عددها العاشر لعام ١٩٢١ ص ٢٧

أوربا عامرة

صار الجنس وعظيائه شيئاً يرافق الفرد الاوربي اينما وجد وحيثما كان في حله وترحاله وفي جميع جوانب حياته حتى غدا شيئاً مألوفاً ومعرفاً عليه وبتمبير آخر - متواطاً عليه - دون تمييز بين خير او شر ودون تفرق بين فضيلة ورنذلة أو بين ضاراً ونافع أو بين صالح أو فاسد .
والغريب ان جميع المستعمرات الاوربية - حتى ولو بعد ان نالت استقلالها - يقد شابها أوربا في كل هذه الدعارة . وربما يفعلون اشياء في هذه الناحية ما لا يفعله الاوربيون انفسهم .

ففي تلك المستعمرات تجد النساء المرافقات - او السكرتيرات - وهن رفيقات تحت اسم جديد . . فلا يكاد يخلو منهن مصنع أو متجر او حانوت او مكتب . . للخدمة والمتعة والتسلية والضيافة . .

وعموماً فان الحياة المادية المحضة هي التي تسود اوربا وجميع مستعمراتها في الشرق والغرب واصبح هدف الناس الوحيد هو تأمين المال والخمرة واللذة دون اهتمام للقيم الانسانية والكرامة والادمية ودون اى امثال للحقائق العلمية والاكتشافات الطبية والنظريات العقلية والآراء المنطقية . .

قد سادت الانانيات ، وتفشت الأوبئة وكثرت الجرائم واصبح الانسان عدواً لأخيه الانسان . .

بل
فالحقيقة ان الذى يتصل بالأوربيين عن كتب عن كتب أيضاً يستغرب أن تكون في قلوبهم أدنى شئ من الغيرة الانسانية .

تجدهم يرقصون مع زوجات اصدقائهم في حضرتهم اوفسي
حال غيابهم .. ولا يشعر احد منهم بغيبة .. بل يعتبرون ذلك ثمنا
وحضارة وثقفا ..

اذا رأيتهم يرقصون لا تجد بينهم وبين البهائم فرقا بل البهائم
اهدى منهم بكونها باقية على فطرتها وخلقتها .. واذا أردنا مزيدا
على ذلك فلنقرأ الكلمات التالية :

" ففي مسرحية - هير - ظهر فيها الممثلون "عراة" تماما
على خشبة المسرح ، ثم ظهرت في نيويورك (تشي غيفارا) وقف
فيها الممثلون ليمارسوا عملية الشذوذ الجنسي - اللواط امام اعين
المتفرجين ..

وفي نيويورك ايضا مسرحية (أوه كالكوتا) تحتوى على
عشر شخصيات ، منها خمسة رجال وخمس نساء وقفوا ليقوموا فيهما
بعملية الملاقة الجنسية " كل رجل مع امرأة " علانية وأمام مئات
المتفرجين دون اي حرج وبوقاحة حيوانية منقطعة النظير ..

وفيها ايضا تعرض الفتيات والنساء باوضاع مغرِبة ومثيرة يراها
الصادق والفاقد كما تعرض الأزياء وكل منها بسمرة فيأخذ الرجل
منهن من تعجبه ...

انا لله وانا اليه راجعون ..

صدق الله تعالى * ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا *
هذه من آثار الالحاد والاعراض عن وحى السماء .. ان هذا لا يدع
مجالا للشك من أن الدول الأوربية تنهار ان استمرت على هذا
الخط المموج ...

الخلاصة :

- ان في تلك المجتمعات الالحادية تجد :
- الشاب الشارد والخمور والحشيش والافيون
 - الجيل المنحل المريض جسميا وعقليا ونفسيا ..
 - عصابات القتل والخطف والاعتصاب الجنسي ..
 - عصابات التهريب للمخدرات كالافيون والحشيش
 - تجار الشهوات والفرائز وبيع الفتيات وتاجير البغايا ..
 - عصابات من الاطباء والمحامين ورجال القانون لتغطية الجرائم وهضم الحقوق لقاء الرشوة المالية والجنسية ..
 - نوادي العزاة يتصرى فيها روادها من كل رداء دون اي حياء
 - افواج العاهرات والمومسات يحترفن الزنى لكسب الكفاف ..
 - الاغاني الفاحشة والموسيقى المثيرة والتشبهات المبهجة
 - كتب الجنس ومجلات العزى ومساح الرقص والمجون ..
 - افواج (اليريبين) المتشبهين بالحيوانات والحشرات ..
 - افواج (البوب) الفارقين في السكر والمخدرات والزنى والفحش ..
- الى غير ذلك من مظاهر الالحاد والفساد مما لا يمكن عددها وحصرها .. (١)
- هذه هي صورة اوربا الحالية شرقية وغربية . وهذه الصورة ، كما قلنا ، تنطبق على اغلب مستعمراتها التي قلدها في التبخر والاختلاط والاباحية والالحاد .

- (١) نكرر دائما ان اسباب هذا الالحاد الفريد راجع بادى ذى بدء الى طفيان الكنيسة قد اتت قومها برهبانية تصادم الفطرة الانسانية .. وكانت هذه الاباحية المطلقة ردود فعل لهذه الرهبانية العاتية .. ومثال ذلك قول احد رجال الكنيسة لتلاميذه مرة : " اذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا انكم ترون كائنا بشريا بل ولا كائنا وحشيا .. وانما الذى ترون هو الشيطان بذاته والذى تسمعون هو صفيير الثعابين "
- راجع اساطير افرقيبية من سلسلة التراث الانسانية .

المفصل السادس

أسباب تدمير الأمم والشعوب

إذا قلنا ان أوروبا تشق طريقها الى الدمار ، لا نقول ذلك من بنات افكارنا وانما نجد امامنا نصوصا قاطعة لا تقبل اى تأويل .. فهي تشير الى اسباب تدمير الشعوب والأمم ..

ومن يتأمل في هذه الاسباب يجدها تنطبق على أوروبا الحالية أيضا

انطباق .
إذا رجعنا الى القرآن الكريم نرى من القواعد الكلية التي اثبتتها ، ان الله تعالى ليس يظالم حتى يهلك أمة بلا سبب وهي تعمل صالحا .

* وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون * (١)

وليس المراد بهذا الهلاك والتدمير ان تقلب طبقات البلاد فحسب ، بل من صور الافناء والتدمير أيضا ان يشتت أمر الأمم وتكسر قوتهم الاجتماعية وتضرب عليهم الذلة والعبودية والخزى ..

وبحسب هذه القاعدة القرآنية ، لا يصيب أمة ما اى نوع من انواع

الدمار والخراب الا اذا تركت منهج الخير والصالح واخذت تسلك مناهج الشر والفساد والعتو والمصيان وبذلك ظلمت نفسها بنفسها ..

* * *

ان الله تعالى حيث يذكر في كتابه امة اصيبت بعذاب وهلاك يذكر

بجانب ذلك جرميتها اثباتا لتلك القاعدة ، حتى يتبين للناس ان وبال اعمالهم

السيئة هو الذى يفسد دنياهم وآخرهم ..

يقول تعالى * فكذلك أخذنا بنبيه .. وما كان الله ليهلهم ولكن كانوا

انفسهم يظلمون *

والأمر الآخر الذي يستخرج من هذه القاعدة هو انه لا يكون باعث الهلاك والدمار هو الفساد الفردي بل هو الشر والفساد الاجتماعي القوي . . .
 ومعنى ذلك انه اذا كانت المفاصد الاعتقادية والمعلبية ، انما توجد متفرقة في الافراد وكان مستوى الامة الديني والخلقي رفيعا . . من حيث المجموع على حدة . . تظل الامة من حيث المجموع محتفظة بكيانها ولا تحل بيها فتنة عامة تجر عليها الهلاك باكملها . .

ولكنه متى جاءت المفاصد الاعتقادية والسلوكية تجاوز الافراد الى الامة بأسرها وتقدر شعور الامة الديني والاخلاقي الى حد انها اصبحت صالحة لان يزكف فيها الشر والفساد بدل الخير والصالح . . فان المنايا الالهية - عندئذ - تنصرف عن هذه الامة ، وتأخذ هذه بالهبوط من طباء المز الى درك الهوان حتى تحين الساعة التي يهيج فيها غضب الله عليها فيدمرها تدميرا . . وقد تحدثنا جانبا من اسباب هلاك الأمم في مبحث الانتخاب الطبيعي عندما تكلمنا على النشو والارتقاء والان نرجع الى القرآن الكريم لنرى أدلة اخرى تؤيد الاولى ، نكررها لخصبوتها عن حس الناس اليوم . . فتلک أمة نوح عليه السلام قد اهلكت حين تأصلت فيها مفاصد الاعتقاد والسلوك وجملت تنمو وتنتشر في المجتمع كله ، ولم يبق من أمل في أن شجرتها الخبيثة ستنتج ثمرا صالحا أبدا فاضطر نوح عليه السلام الى أن ينادى ربه :

* رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . . ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا * (١)

ومن عرف الاوربيين عن كذب بل عن كذب ايضا يعلم ان فساد الاعتقاد والسلوك موجودان عندهم بشكل لا مزيد عليه . ولقد رأينا في الفصل السابق كيف انتشرت فوضى الجنسية والفساد والانحلال الخلقي فيهم . .

قسسوم عساد

وتلك عاد لاهلكوا حينما بلغ الشر والفساد من نفوسهم بحيث أصبح

المفسدون الظالمون هم الآمرون ..

* وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتجموا امر كل جبار

عنيد * (١)

اليس الملاحدة في اوربا واميركا بل في روسيا ايضا هم الذين يملكون زمام

العالم وعندهم (النقض) حق الفيتو؟ فكل قضية ليست لهم فيها اية

مصلحة يستملون حق الفيتو ..

وان غدا لناظره لقريب ..

* + *

قوم لوط

فلنتقدم الى قوم لوط الذين اتخذوا فوضى الجنسية شعارا لهم فأخذهم

الله بحذابه عندما بلغوا من تبلد ^{الترهابة} حسيم الخلق ووقاحتهم، اذ عادوا يرتكبون الفواحش

علا ئية في المجالس والأسواق ولم يبق فيهم شعور لكون الفواحش فواحش :

* انكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناد يك الممكر * (٢)

فمن شدة تبلد حسيم كانوا يستغربون من الذين يتنزهون من اقتراف

هذه المنكرات فقالوا :

* اذرجوا آل لوط من قريتم انهم اناس يتطهرون *

هل يوجد هناك فرق بين هذه الصورة وبين اوربا الحديثة ؟

لا ! بل يوجد عندهم الان ما هو ادهى وأمر .. لقد نبت جيل في اوربا

واميركا متحلل من كل قيد .. حقيقة .. لا يربطه رابط من خلق اودين أو تقليد

في مسألة الجنس لا شيء على الاطلاق يقول له : أمسك كل شيء حوله انما

يقول : أقدم ..

كل التوجيهات وكل "التنظيمات" وكل التيار تهيء له الانطلاق الجنسي

وتزينه له وتدفعه اليه . . .

وصار أمرا طبيعيا جدا وهينا جدا ، ومعروفا جدا ان تتخذ كل فتاة
صديقا (Boy Friend) وكل فتى " صديقة "

(Girl Friend) يقضيان كل ما يريدان . . . وحبوب منع الحمل

تبسر الطريق . . .

واستتمت اوربا وامريكا بنتائج " الاختلاط " كاملة . . . ويدا للناس

هناك ان هذا هو الأمر الطبيعي الذي لا يستنكر . . . ابدا . . . صورة طبق

الاصل . . . رأينا قوم لوط لا يستنكرون على ذلك بل يخرجون من بيتهم عن ذلك

من قريتهم . . .

وهؤلاء المتأخرون ايضا يجعلون كل من لا يمارس هذه الفعلة القبيحة

رجصيا غير متمدن . . . (١)

* * *

اهل مدين

وهناك صورة اخرى اذا نظرنا الى اهليبا نجدهم كأنهم يعيشون

في القرن الحشرين هذه الصورة هي صورة اهل مدين . . .

ان هؤلاء الفسقة الخونة قد ذاقوا عذاب الله عندما اصبحت

الامة كلها خائنة غشاشة سبئة المعاملة . ولم يبق التطفيف في الوزن والكيل

واخذ الزائد على الحق شيئا مريباً عندهم ومات الحس الخلقى فيهم السي

حد انهم يلومون من ينههم عن ذلك ويخطئونه . . .

* يا قوم أوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياء هم ولا تمشوا

في الأرض مفسدين * (٢) قالوا يا شبيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا

ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بحزير * (٣)

(١) راجع التطور والثبات في حياة البشرية الاستاذ محمد قطب ص ١٥٤ - ١٥٥

(٢) هود اية ٨٥ (٣) هود اية ٩١

هذه صورة من الصور الاحادية قد بما فأهلك الله اصحابها وسنة الله
لا تتخلف وسوف يلقى هؤلاء الملاحدة المعاصرون ما لقي اسلافهم من
الدمار والويلات .

* انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا *

* * *

انتحار الحضارة الغربية

قد تبين لنا السنن الربانية في هلاك الشعوب والأمم ، ونريد هنا
ان نزيل الالهام عن قلوب قد يخيل اليها ان رقي هذه الأمم الغربية
أبدى سرمدى ، لشدة ما تندفع به العقول من هذا الرقي المجيب الذى
حازته ام الغرب في مبادئ السياسة والتجارة والصناعة والحرف والعلم والفنون .
والشئون الاقتصادية (١) وغير ذلك .

كما يخيل الى تلك القلوب ان الغرب قد قضى الأمر بدوام غلبتها
واستبلائها على العالم وانها قد اختصت - دون غيرها - بالحكم على
البسيط الارضى والسيطرة على عناصر الكون وان قوتها قد بلغت من الشدة
والرسوخ الى ان لا يمكن استئصالها . . . الى اخر هذه التخيلات الفارقة . . .

وإذا رجعنا الى التاريخ نجد ان مثل هذا الظن الكاذب قد غلب العقول
في كل زمان بالنسبة الى كل تلك الأمم التي كانت " الأمة الغالبة " في زمانها . . .
ففرعون مصر وأمتا عاد وثمود والكلدانيون في العراق وأكاسرة فارس والفرزاة

اليونانيون الفالبيون ، وملوك الروم الحاكمون على اقطار الارض ، والمجاهدون
المسلمون الفاتحون للعالم وجنود التتر المخربون ودولة غانا (٢) ومالي (٣) والسنغاي (٤)
والامام ساموراي (٥) وسيطرته في افريقيا الغربية ، كل اولئك قد مثل دور القوة

(١) راجع تكوين العقل الحديث ج١٠٠ هـ راندال ت: جورج طعمة دار الثقافة ج١ ص ٤٦٨

(٢) غانة) كانت دولة في افريقيا الغربية (٣) مالي) هي جاء ت بعد غانا

(٤) سنغاي) جاء ت ايضا بعد (مالي)

(٥) الامام سامورى) كان ايضا في غرب افريقيا قائد شجاعا . . .

والسيادة على مسرح هذه البسيطة ..

فكل أمة من تلك الأمم لما نهضت غمرت العالم كله بسيادتها .. وقد
سمع دوى شوكتها وجبروتها في ربوع الأرض وحتى خيل للناس ممن كانوا
يحاصرونهم ان قوتها لن تزول ...

ولكن جاء اجلها وقضى بزوالها الحاكم القوي الذي لا زوال لقوته أبدا
عثر عثرة لم ير لآخرها وجود بمدتها .. او خضعت لمحكومها .. بالأمس
واصبحت مملوكة لمالكها في الغابر ..

يقول تعالى * قد خلت من قبلك سنن فسيروا في الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين * (١)

وانا لقرى - اليوم - كل بقعة من بقاع الأرض آثار الأمم التي سبقتنا
وقد خلفت تلك الأمم من ايات حضارتها وتمدينها وصناعاتها وحذقيها وكمال
براعة يدها ما يدل على انها لم تكن باهون من هذه الأمم الراقية الغالبة في
زمانها بل الصواب انها (الامم الماضية) كانت اقوى وأغلب من هذه
الأمم المعاصرة في ذلك العصر :

* كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها * (٢)
ولكن كيف كانت النتيجة ؟

انها انخدعت بها وجدت نفسها فيه من حالة النعم .. وفتنتها الرفاهية
فتكبروا وتجبروا لما استتب لهم من القوة والغلبة ، فأخذوا يظلمون انفسهم بما
يرتكبون من سيئات الأعمال :

* واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين * (٣)

وقد أمرهم الله على رغم تركهم وابتعادهم عن هدى الله والحادهم :

* وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة * (٤)

ولكن كل مهلة أمرلوها اصبحت لهم بلاءً جديداً .. اذ يزعمون انهم قد عجزوا

الله بمكرهم وتدبيرهم .. وهناك انصرفت عنابة الله عنهم ..

* ومكروا ومكرا ومكرا وهم لا يشعرون * (٥)

(١) آل عمران / ١٣٧ (٢) الروم / ٩ (٣) هود / ١١٦ (٤) /

(٥) الحج / ٤٥

وان المكر والتدبير الالهي لا يواجه المرء من امام بل هو ينبعث من داخل الانسان نفسه فيسرى الى ذهنه وقلبه ليصم عمله ، ويجعله مكفوف البصيرة لا مكفوف البصر : * فانها لا تصي الابصار ولكن تصي القلوب. التسي في الصدور * (١)

واذا افتقد المرء نور قلبه الداخلي ، فكل تدبيره لمصلحته يأتي على العكس المقصود فيضر - والعياذ بالله - وكل خطوة بخطوها نحو غاية النجاح تقوده الى مهوى الهلاك : * فانظر كيف كانت عاقبة مكرهم .. انا دمرناهم وقومهم اجمعين * (٢)

اننا نرى كل يوم سنة الله ، سنة الصعود والهبوط في كل شئ ، فهناك حركة دائمة وتخير ودوران مستمر لا تدع شيئاً يستقر على حال فكل بناء يصحبه راب وكل ربيع يتلوه خريف وهكذا على العكس .. فانت ترى حبة مستصفرة تذروها الرياح اليوم من مكان الى آخر وغدا تتأصل هذه الحبة في الارض فاذا هي شجرة باسقة الفروع .. ثم تصبح خشبة فتسقط على الارض وهكذا دائماً ..

وهذا كله من عمل الرفع والخفض الجاري في هذه الحياة .. فاذا ما رأينا حالاً من هاتين الحالتين تستمر لمدة طويلة ذهب بنا الظن الى ان هذه الحالة ستبقى الى الأبد .. لا ! وليس الأمر كذلك .. يقول تعالى * وتلك الايام نداولها بين الناس * (٣)

تلك هي سنة الله فيها خلق وهذه السنة كما هي جارية في سائر الموجودات هي جارية ايضاً في الانسان في حالته الفردية او في حالته الجماعية القومية .. فلا يزال العز والذل .. والحسر واليسر .. والصعود والنزول .. وما الى ذلك من الحالات ينتاب الافراد والامم المختلفة ..

(١) سورة الحج الاية / ٤٦

(٢) سورة النحل الاية / ٥١

(٣) سورة آل عمران الاية / ١٤٠

هذه السنة الريانية لا تتخلف :

* سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً * (١)

بالأمس القريب كانت دولتا فرنسا وانجلترا في القمة في عالم الصناعة والتجارة والسياسة والاستعمار .. وكيف كان الوضع ؟ لقد أصبحتا في زاوية النسيان وانسحبتا من مركز القيادة العالمية لتسلما القيادة لاميركا وروسيا .. والان بدأت الصين تفضو العالم بصناعتها الجديدة ولا نعلم ماذا يحدث الله بعد ذلك ..

وبعد هذه الجولة البعيدة - نستطيع ان نقول بكل ثقة وامان اني الامم

الغربية تشق طريقها الى الهلاك والدمار .. لماذا ؟

لان وبال الاعمال السيئة الذي ذاقته الامم السالفة قد أحاق اليوم

بالأمم الغربية ..

وذلك انه قد انذرت هذه الامم بكل وجه ممكن للانذار ..

فأنت الحرب العالمية ومشكلات الاقتصاد .. وازدياد التحطال .. وانتشار

الامراض الفتاكة وتبدد النظام العائلي .. كل اولئك آيات بينات لوتأملوها

لعلوا ان كل /ثمرة /ظلمهم وعتوهم على ربهم واتباعهم للشبهوات .. سنجسد

مزيديا من ذلك في باب عقوبة الفطارة الآتي ..

ان كل ذلك يمر امام الملاحظة .. ولكنهم لا يجدون في هذه الايات

ما يعتبرون به فلا يزالون يميلون عن الحق ويشردون عنه * كأنهم حمير فترت

من قسورة * (٢)

تراهم يمشدون المؤتمرات الدولية لمعالجة الشؤون الدولية ولكن لا تصل

ابصارهم الى الملة الرئيسية للمرض الذي اصاب جسم العالم فافقده وعيه .. الا

وهو مرض الاحاد والابتعاد عن الله ..

وبهذا الخطأ البين في العلاج لا يزال دائراً هم يستفحل كلما

عولج .. * وان عسى ان يكون قد اقترب أجلهم * (٣)

الفصل السابع

عقوبة الفطرة

من الثابت نقلا وعقلا - ان الضمير الانساني لم يكن مستطاعا ان يستقر على قرار في امر هذا الكون وفي امر نفسه ، وفي غاية وجوده ، وفي ضيق حياته ، وفي الارتباطات التي تقوم بين الانسان والكون والتي تقوم بـ افراده هو وتجمعاته ..

لم يكن مستطاعا ان يستمر الضمير البشري على قرار في شيء من هذا كله قبل ان يستقر على قرار في امر عقيدته وفي امر تصوره لآلهه ..

ولما علم الله ان الانسان لا يستطيع ان يصل الى يقين واضح في ذلك الأمر

أودع في فطرته هذا السر العظيم :

وَاللّٰهُ الدِّينَ الْقَيُّمُ

* فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله / ولكن أكثر

الناس لا يعلمون * (١)

ثم أودع في هذا الكون موقظات الفطرة اذا نبتت في جو غير صالح ..

* وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم آياتا تبصرون * (٢)

ومن تلك الموقظات الكون بضعافته ، وظاهرة الحياة والموت ، وظاهرة الليل والنهار

ظاهرة الشمس والقمر ، ظاهرة الاجابة عند الشدائد ظاهرة الاتقان في بناء

الكون ، ظاهرة الحكمة في كل شيء ، وظاهرة العناية في الخلق ، ظاهرة الوحدة

المتثلة في التكامل في اجزاء هذا الوجود .. ظاهرة السببية .

ان كل واحدة من هذه الالواهر توقظ الفطرة الانسانية - كما سبق ذلك -

اذا تأمل فيها الانسان .. يقول تعالي * قد بينا الآيات لقوم يوقنون * (٣)

(١) الرهم / ٣٠

(٢) الذاريات / ٣٠

(٣) البقرة / ١١٨

ولكن الانسان الذي تتحطل فيه اجهزة الاستقبال الفطرى لا يشعر بهذه الظواهر ..
 ولا ينظر في خلالها الى خالق مدير حكيم .. وانما تقول ترد بدا لقول
 الجاهليين : * وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر *
 مثل هذا الانسان لا بد ان ينال جزاءه من عقوبة الفطرة .. ولقد ر
 رأينا أثناء هذا البحث وخاصة في باب اسباب هلاك الأمم الولاات التي صبت
 على رؤوس المنكرين الملاحدة في القديم .. ونود في هذه الفقرة ان نشير
 الى عقوبات قد منحت به البشرية اليوم نتيجة كفرها والحادها ..
 اذا سمعنا هذا فلنقرأ الكلمات التالية :

لقد تكبدت البشرية عقوبة الفطرة في الحرب العالمية الاولى ويقدر
 الاحصائيون الخسائر التالية :

عدد القتلى : ٩٩٨٧٧١ نفسا
 عدد الجرحى من ذوى الاصابات الخطيرة : ٦٢٩٥٥١٢ نفسا
 عدد الجرحى من ذوى الاصابات العادية : ١٤٠٠٢٢٠٣٩ نفسا
 عدد اسرى الحرب : ٥٩٨٣٦٠٠
 عدد ضحايا الحمى الوافدة من اسبانيا من نتائج الحرب : ١٠٠٠٠٠٠٠
 المجموع : ٤٦٢٧٩٩٢٢ نفسا (١)

كان هذا بعض عقوبات الفطرة .. فما وقع في الحرب العالمية الثانية
 ادهى وأمر ..
 أنظر كيف يفعل الاحاد بأهله ..

(١) بدر الدين السباعى ، الحرب والشيوعية ، دار ابن الوليد حصص ١٩٥٧ ص ٣
 نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في معازل الاسلام ، عبد الله
 التل ص ٣٤ .

المقوبات التي تجرى اليوم في عروق الملاحظة

يقول طبيب فرنسي يدعى الدكتور (ليريد) :

" انه يموت في فرنسا ثلاثون الف نسمة بالزهرى وما يتبعها من الأمراض
الكثيرة كل سنة ٠٠ وهذا المرض هو افتك الأمراض بالأمم الفرنسية بعد
حمى الدق ٠٠ " (١)

وتقول دائرة المعارف البريطانية عن المجتمع الأمريكي انه يعالج في
المستشفيات الرسمية هناك مائتا الف مريض بالزهرى ومائة وستون الف مصاب
بالسيلان اللبني في كل سنة بالمعدل ٠٠ " (٢)

" وقد اخص بهذه الأمراض وعدها ستائة وخمسون مستشفى على انه ي
يفوق هذه المستشفيات الرسمية نتائج الأطباء غير الرسميين الذين راجعهم
٦١ % من مرضى الزهرى و ٨٩ % من مرضى السيلان ٠٠

ويقول كتاب القوانين الجنسية : (Laws of Sex)

" يموت في اميركا ما بين ثلاثين واربعين الف طفل بمرض الزهرى
الموروث وحده في كل سنة ، وان الوفيات التي تقع بسبب جميع الأمراض عدا السل
يربو عليها جملة عدد الوفيات الواقعة من مرض الزهرى وحده " (٣)
" واقل ما يقدره المسؤلون في مرض السيلان انه قد اصيب به ٦٠ %

من النفوس في سن الشباب ، وقد اجمع علماء الماهرون في امراض النساء على أن
٧٥ % من اللاتي تجرى العملية الجراحية على اعضاءهن الجنسية يوجدن متأثرات
بمرض السيلان " (٤)

انظر كيف يفعل الاحاد باهله ٠٠٠

(١) المذاهب المعاصرة عبد الرحمن عبيرة ص ٧٧ اعيدت هذه الجملة مرة ثانية لعلاقتها
بالموضوع.

(٢) دائرة المعارف البريطانية ج ٢٣ ص ٤٥

(٣) كتاب القوانين الجنسية ص ٣٠٤

(٤) كتاب القوانين الجنسية ص ٣٠٤

امراة تنتحر

قد انتقمت الممثلة الشهيرة (مارلين مونرو) من نفسها بالانتحار
فكتبت قبل انتحارها نصيحة لبنات جنسها تقول فيها :
" احذرى المجد ... احذرى من كل من يخدعك بالأضواء ..
انى اتعس امرأة على هذه الأرض .. لم استطع ان اكون أما .. انى امرأة أفضل
البيت .. الحياة المائبة الشريفة على كل شى .."

* * *

" ان سعادة المرأة الحقيقية فى الحياة المائبة الشريفة الطاهرة
بل ان هذه الحياة المائبة لى رمز سعادة المرأة بل الانسانية .. وتقول
فى النهاية :

" لقد ظلمنى كل الناس ... وان العمل السينمائى يجعل من المرأة
سلمة رخيصة تافهة مهمات من المجد والشهرة الزائفة " .

* * *

محاولات الانتحار

وليس غريباً ان تؤكّد الاحصائيات العالمية ان نسبة محاولات
الانتحار عند النساء اكثر منها عند الرجال ..

(11)

والبنك تقاريلتر يكتبها احد الاطباء الاجتماعيين فى فيينا : يقول :

" وقد لوحظ ان النساء اكثر محاولة من الرجال ..

فى عام ١٩٤٨ م كان عدد المحاولات فى النساء ٣٨١ وهذا يوافق

٥٨,٦١ % من المجموع ..

وفى عام ١٩٥٦ م كان العدد ٥٩٠ اى بنسبة ٥٦,٧٣ %

وفى عام ١٩٥٩ م كانت النسبة ٥٥,٩٤ %

كما لوحظ ان نسبة المحاولات فى الفتيان والفتيات الذين تتراوح اعمارهم

بين ١٤ عاما و ٢٠ عاما ترتفع باستمرار ..

فعند الفتيات كانت النسبة في عام ١٩٤٨ م ٦٥ %

وفي عام ١٩٥٦ م كانت النسبة ٦٥٣ %

* * *

واما عند الفتيات فالنضاد مخيف :

ففي عام ١٩٤٨ م حاولت ٥٠ فتاة الانتحار وهذا بشكل نسبة ٧٦٩ % من

مجموع محاولات الانتحار في ذلك العام ..

وفي عام ١٩٥٦ م حاولت ٨٩ فتاة الانتحار .. وهذا بشكل نسبة ٨٥٥ %

وفي عام ١٩٥٩ م حاولت ١٥٠ فتاة الانتحار .. وهذا يعني ان كل تسعة

ايام توجد ست محاولات انتحار (اربع منها) من جانب الفتيات (واثنان)

من جانب الفتيان . (١)

و هناك العديد من المصائب التي تصيب المرأة من حيث يبقى الحلليم

حيران عند سماعها .. فاليك نوعا من ذلك :

قد نشرت الصفحة الامريكية في عام ١٩٧٧ م من ان فتاة امريكية

في احدى الولايات الوسطى بالقرب من مدينة غير مشهورة وجدت مقتولة وقد

طارحت جثتها في الخابة ..

وحمل البوليس الجثة الى المستشفى ونشر اعلانا يتضمن سن الفتاة وصفاتها

الجسدية لكي يحضر قريبا لتسلم الجثة ..

فماذا كانت النتيجة ؟ ..

تقول الصحف : ان المستشفى تلقت ١٢٠٠ مكالمة من اناس كل منهم

يشك في انها قرينته ويستوضح بعض صفات الفتاة اخرى بينما حضر الى المستشفى

شخصيا قرابة ٥٠٠ شخص لمعاينة الجثة . (٢)

* * *

(١) المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ص ٢٧٣ - ٢٧٤

(٢) مجلة الدعوة بالرياض صفر ١٣٩٧ هـ

ان هذا على أى شىء يدل ؟

يدل على ان فتيات كثيرة قد فقدن .. وكلهن على تلك تلك الصفات وفي السن نفسه .. وكما يدل على ان هناك عددا اخر من الفتيات اللاتي لسن على هذه الصفة .. قد فقدن ايضا لا يعلمهن الا الله .. ؟

والاظرب ان امريكة التي تريد ان تفتش ما فوق القمر ولا تدرى ما يجرى في ولاية واحدة من ولاياتها .. فكيف بالولايات كلها ؟ ..
ان هذا لهو البلاء المبين !

فتلك من عقوبات الفطرة التي لا تمضي ولا تخان ..

* * *

المطالبة بحق حرية اللواط في أمريكا

فقد نشرت الصحف " ان وفدا يبلغ تعداداه (عشرين) شخصا يمثلون اللوطة والسحاق في الولايات المتحدة الامريكية قاموا بمقابلة السيدة (مارغريت) مساعدة الرئيس (كارتر) للعلاقات العامة للمطالبة بحق حرية الحمل في المؤسسات العسكرية ولسماح بمزيد من اللوطة في مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة الاستخبارات ووزارة الخارجية ووضعت صفة معفى من الضرائب لمنظماتهم .. وقال رئيس الوفد : ان هذه هي المرة الاولى في تاريخ الولايات المتحدة التي رأينا فيها ان الرئيس (كارتر) بمناسبة الاعتراف بحقوق ومطالبات عشرين مليون امريكي من الجنسين يسمح لهم بممارسة عملية اللواط والسحاق والشذوذ الجنسي بانواعه " (1)

* * *

(1) المجتمع العدد ٣٥٠ نقلا عن الدستور الاردنية

رجل يعقد على رجل في دول الشمال الاسكندنافية

ان مما يصادم الفطرة السليمة ان تطالب البرلمانات في دول الشمال (الاسكندنافية) باعتبار عقد الرجل على الرجل عقدا قانونيا مشروعا يقام في الكنيسة بل لقد تم عقد فعلى في احدى الكنائس بولاية كاليفورنيا * (١) ان هذا أسوأ من كل ما ذكره .. هكذا يفعل الالحاد بأهله ...

* * *

الزواج رجعى في الشيوعية

أما فيما يتعلق بالزواج ، فالشيوعية تمده وما ينشأ عنه من الأسرة وتربية الاطفال أثرا من آثار البرجوازية الرجعية ، وبقية من تقاليد العصر الاقطاعى لا تليق بالمجتمع المصلى الحديث ... لا نقول هذا الكلام لمجرد المزادة على الغير ، بل امامنا نصوص من الشيوعية نفسها تؤيد ذلك :

(١) - البيان الشيوعى الذى يقول :

" ان الاسرة البرجوازية سوف تختفى بشكل طبيعى باختفاء رأس المال .. وأما التهرب البرجوازي عن الأسرة وأهميتها في التربية وعن أهمية العلاقة بين الولد وأبويه ، فهو ما يشير الاشمزاز .. ان تقدم الصناعة الحديثة سوف يقع كل الصلات العائلية بين افراد الطبقة العاملة " (٢)

(١) مجلة الدعوة المصرية العدد ١٣٩٨/٣٦

ومراجعة كتاب الطفولة الجانحة تجد ما تقشعر منه الجلود من آثار الالحاد وخاصة ص ٥٣ ، جان شازال ت : انطوان عبده بيروت ١٩٧٢م

(٢) الضم الذى هو ص ٢٤ ، ستة من كبار الغرب ت : فؤاد حمودة ، المكتب الاسلاي ١٩٦٠م

(ب) تحدث (أثر كستر) العضو السابق للحزب الشيوعي عن نوايا الشيوعية بالنسبة لقاعدة الأسرة وقال :

" أما بخصوص الدافع الجنسي فقد كان مقرا ومعترفا به ، إلا أنا كنا في حيرة بشأنه ..

كان نظام الأسرة عندنا أثرا من آثار النظام البورجوازي ينبغي نبذه لأنه لا يبنى إلا الفردية والانفلاق والاتجاه إلى اعتزال الصراع الطبقي .. بينما الزوج البورجوازي لم يكن في نظرنا إلا شكلا من أشكال البغاء يحظى بوضوء المجامع وموافقة إلا أن السفاح والاتصال الجنسي الماير كان يعتبر ابها شيئا سيئا غير مقبول ...

من هذا ترى أن الفضيلة البورجوازية شيئا سيئا كما أن السفاح كان سيئا كذلك ...

* * *

" وأما الموقف الصائب الذي ينبغي أن نتخذه نحو هذا الدافع الجنسي فهو الفضيلة العملية التي تتلخص في أن الإنسان ينبغي له أن يتزوج ويخلص لزوجته وينجب أبناء عمالين ..

فإذا تساءلت : اليس هذه الفضيلة البورجوازية التي استنكرناها من قبل ؟ قيل لك : أن هذا التساؤل لئبها الرفيق يدل على أنك لا زلت تفكر بالطريقة الآلية لا بالطريقة الجدلية ..

أن نظام الزواج الذي يعتبر في المجتمع الرأسمالي مظهرا من مظاهر الفساد والتحلل يتحول " من دافيا " إلى عكس ذلك المجتمع المالي السليم فهل فهمت لئبها الرفيق أم تحب أن أعيد عليك جوابي بطريقة " محكمة " أكثر من هذا ؟

وهكذا رأينا اثر الاحاد في الدول الملحده في الشرق والغرب قد
تساويا في التفكك الأسمى والتفسخ الاجتماعى الا أن الشيوعه تضيف
الى ذلك شيئا زائدا .. وهو الشعور الدائم بالهلع والرقابة البوليسية
والشك من كل انسان .

الخلاصة :-

ان المجتمع الشيوعى الملحد أخس جميع اصناف الملاحده كلمهم ...
سواء من الناحية الاخلاقية او من ناحية الطمانينة النفسية والسعادة الاجتماعية ..
انه مجتمع ملعون شقى منحط الى اقصى درجة الانحطاط
الخلقى والفساد الاجتماعى حتى لا يتخيل احد منهم فى الخلاص
من هذه الدناءة والسفالة ..
وكل ذلك لكفرهم وعنادهم على خالقهم ... لقد فتحت لهم ابواب
كل شىء ولكنهم فيها مبلسون ...
وصدق الله تعالى :
* فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شىء حتى اذا فرحوا
بما أتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون * (١)

شيطانان قد تسلطا على الملاحدة

انه قد سلط على الأمم الملاحدة شيطانان قويان يجرانهم

الى ما فيه الهلاك :

اولهما :- شيطان قطع النسل

والاخر :- شيطان القومية

فالشيطان الاول قد سيطر على افرادها ..

والآخر قد سيطر على أممها وحكوماتها : فكل منهما عقوبة من عقوبات الفطرة ..

ان الشيطان الاول ، شيطان قطع النسل ، قد قلب عقول رجالها ونساءها

فجعلهم يستأصلون أنسابهم بأيديهم ... انه يعلمهم تدابير منع الحمل ويحضهم

على تعمد الاسقاط وبلقنهم فوائد عملية التحميم : (Sterzation)

التي يقضون بها على قوتهم التوليدية للأبد ، ويبحث فيهم من القسوة

والغلظة ما يجعلهم يقتلون اولادهم بأيديهم ، فهذا هو الشيطان الذي

يدفعهم تدريجيا الى الانتحار ...

انظر كيف يفعل الالحاد باهله ...

* * *

وأما الشيطان الثاني الذي هو القومية : فقد سلب أكابر ساستهم

وقادة حربهم قوة التفكير السليم والتدبير الصحيح ، فهو يبحث فيهم نزعات

الأثرة " المسابقة والتنافر والتعصب ، والحرص والطمع ، وبذلك يقسمهم ويفرقهم

شعبا متعادبة متحاربة ، ولينديق بعضهم شدة بعض ... وهذا ايضا من صور

النقمة الالهية ..

* أو يلبسكم شعبا وينديق بكم بأس بعض * (١)

انظر كيف يفعل الالحاد باهله ...

الاستعدادات الحربية لتدمير العالم مرة ثالثة

ان شيطان التومية قد جمع ذخائر البارود في انحاء العالم ...

وأقام مراكز هنا وهناك ، انتظارا للحرب العالمية الثالثة ...

ان هذه الحرب التي يستعدون لها اذا حلت سيهون في جنبها هلاك

الأمم الماضية ..

وهذا الذي أقوله لا مبالغة فيه ، فان الاستعدادات للحربية التي

لا تزال تباشر الآن في أوروبا وأمريكا واليابان للحرب الآتية ترسل هزة

الذعر والخوف في نفوس أولى الابصار من تلك الأمم نفسها ، وقد

استطيرت ألبابهم روعا لما يتصورون من نتائج الحرب الآتية ..

فدونك تقريراً من المستر سرجل نيومان (Sergel Neuman)

الذي كان عضواً في الهيئة الجندية الأمريكية سابقاً قد كتب مقالا عن

صورة الحرب الآتية يقول فيه :

" ان الحرب الآتية لن تقتصر على الجنود المتحاربين ، بل هي ستكون

افناء عاما لا تنجو منه النسوة ولا الأولاد ، وذلك ان عقول العلماء

الكيمائيين (Scientists) قد نزعوا وظيفة الحرب

والقتال من الجنود الانسانيين وفوضتها الى المركبات الكيماوية والالات الحرب

التي لا روح فيها ولا شعور والتي لا تميز بين محارب وغير

محارب (Non Combatant) (١)

فالان لا يتحارب الفريقان في الميادين أو في القلاع ، بل ستقع

حربها في المدن والقرى ، لأن قوة العدو الاصلية - حسب النظرية

الجديدة - لا تكون في جنودها بل في بلادها المعمورة وأسواقها

التجارية ومصانعها الصناعية .

" فالآن ستؤي كل هذه الاماكن بالقنابل من فوق ، وسوستنفجر
 عن المواد المحرقة والغازات السامة وجراثيم الأمراض التي تهلك الافا
 مؤلفة من الجموع الانسانية ، ومن تلك القنابل قنبلة عظيمة
 تدعى (Lewiste Bomb) تكفي وحدها لتهدم اضخم
 عمارة من عمارات لندن . وهناك غاز سام يعرف باسم (Green,
 Green, Gas) خاصيته كسم الحية . . . وكل من استنشقه لقي من الأذى والحتف
 ما يلقاه السلم . . (١)

" وهناك اثنا عشر نوعا آخر من مثل هذه الغازات كلها غير مرئي
 فلا يحس المرء أثره بادئ ذي بدء - واذا أحسه فلا يكون هناك امكان لتدبر
 الصالح . . .

" ومن تلك الغازات غاز اذا وصل الى علياء الجو امتلا وانتشر . .
 فاذا اجتازت منطقتيه طائرة عسى كل من فيها . . وقد قدروا أنه انه
 لو يطلق بعض الغازات السامة بمقدار رطل واحد على مدينة (باريس) لأفنى
 كل ما فيها في ساعة واحدة ، وهذه العملية لا تحتاج الا الى مائة من
 الطائرات . . (٢)

وقد اخترعوا قنبلة مدفعية كهربائية محرقة ، لا يزيد وزنها
 على كيلوجرام واحد ، ولكن هذه القنبلة الصغيرة تنطوي من القوة على
 ما يدهش وذلك انها اذا اصطدمت بشيء تولدت منها حرارة بمقدار
 ٣٠٠٠٠ (فيهرنهايت) فما يكون منه حريق لا يمكن أن يطفئه شيء حتى
 الماء (٣) يفيد في اطفائه بل هو كالبترول يزيد تضرما ، ولم ينجح
 علم الكيمياء بعد في ان يجد ما يطفى به هذا الحريق . . .

(١) المرجع السابق ص ٨٨

(٢) المرجع السابق ص ٢٩

وما بنوون أنهم سيقذفون هذه القنبلة على كبار شوارع المدن والعواصم ،
حتى يضطرم فيها ذلك الحريق الهائل من جانب الى آخر .. فاذا فزع
الناس بهذا السحير وحاولوا الفرار منه القيت على رؤوسهم قنابل الغازات السامة
لكي يستكمل الردى والهلاك ..

ونظرا الى هذه المخترعات الملكه قد حدث الماهرون انه تكفى
عدة دائرات لأن تهديم بها اكبر وآمن عاصمة في الأرض في مدة ساعتين فقط
وأن يسم مئات الآلاف من النفوس الانسانية بحيث يرجعون الى فراشهم بالليل
سالمين ولا ينتبه منهم احد من نومه في الصباح ، وأن يهلك الماشية والسوائم
وتخرب الحقول والرياض .. فتسم ذخائر الماء كلها في قطر بأجمعه .. ولم
تكشف العلم التجريبية (Science) بعد وسيلة ناجحة لمدافعة
مثل هذه الحملات المردية الا ان لا يهجم كل من الفريقين المتحاربين على
الآخر ..

هذا بيان موجز لما يتخذون من الأهب للحرب المستقبلية ، ومن
شاء التوسع في الموضوع فليراجع كتاب " ما يكون من صفات الحرب الآتية "
الذى نشره الاتحاد البرلماني العالمي بجنيف بعد التحقيق التام ..
واذا نظرت فيه علمت كيف ان الحضارة الغربية قد هبأت الاسباب لخرابها
وفنائها بأيديها ...

فحياتها الان مرتبنة بالساعة التي تعلق فيها الحرب ، فاذا ما شبت
الحرب بين دولتين كبيرتين من هذا العالم ، فاظموا انه قد قضى الأمر بخراب
هذه الحضارة الغربية ، لأنه اذا نزلت الدولتان الكبيرتان ساحة الحرب
فلن يكون هناك ما يمنع الحرب ان تكون عالمية ، واذا كانت الحرب عالمية
فلا بد أن يكون الجوار والدمار ايضا عالميا شاملا ..

* ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليد يقيم بعض الذي علموا عليهم يرجعون *

(١) المراجع السابقة ص ٨٠

(٢) سورة الروم الاية ٤١/

الوراثة الأرضية من جديد

على كل حال قد اقترب الوقت ، لأن يدبر امر الوراثة الأرضية من جديد وان سقط هؤلاء الملاحدة الظالمون المترفون عن مقام الخلافة الأرضية وتشرف بها أمة أخرى .. لعلها ان تكون من الأمم المستضعفة فلينظر الناظرون من يقع عليه الانتخاب الالهي في هذه المرة لانقاذ العالم من هذا الفساد المتراكم ...

انا لانعلم الغيب لتعيين أمة بانها هي التي ستقام في الأرض بعد هؤلاء الملاحدة الذين عكروا جوار العالم بالحادهم .. ولكننا علمنا من كتاب ربنا انه اذا صرع الله أمة لأجل اعمالها السيئة ، أقام مقامها أمة .. لا تكون آئمة متمردة كأختها المضروب عليها ...

* وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم * (١)

ان كانت هذه الحضارة لا تلائمنا فما هي الشروط اللازمة للحضارة حتى تكون حضارة مثالية تسعد في ظلها البشرية جمعاء ...؟

ففي الصفحات الاتية محاولات للاجابة على هذا السؤال ..

المفصل الثامن

حضارة ثلاثم الانسان

لقد رأينا في الصفحات الماضية ان هذه الحضارة الالحادية لا تصلح

ان تستمر على القيادة المالمية ، لانها لم تتوفر فيها شروط الخلافة •

ان الملاحدة يعتبرون هذا الكلام ضربا من الجنون لانهم يظنون

ان حضارتهم هذه ، هي ارقى حضارة عرفتيا البشرية جمعا ••• فقد نقلنا

عن الملحد الماتى (جوليان هكسلى) قوله :

” تعتبر التطورات العلمية التي حدثت في القرن الماضى انفجارا

معرفيا في وجهه الاساطير الانسانية عن الالهة والدين كما تفجرت الافكار

القديمة عن المادة ونسفت بمجرد تفجير الذرة ” •

وتعتبر الصفحات الاتية ردا على هذا التحدى الالحادى ل ترى مما :

المجتمع المتحضر الذى يلائم هذا الانسان من المجتمع المتخلف الذى لا يتناسب

وكرامة الانسان • وانما نريد فقط

لانريد هنا من الملحدين ان ياخذوا كلامنا دون تحكيم عقولهم

ان يبيدوا التعصب الالحادى المذموم ••

واذا وافقونا على ذلك ، فالبهيم الصفات التي يجب ان تتوفر

في المجتمع المتحضر المثالى الذى يجب ان يكون على قيادة الشعوب والامم ••

(أولا) - ان المجتمع المتحضر هو الذى يتحرر فيه جميع افراد المجتمع من

عبودية بشر على بشر •

(ثانيا) - ان يكون هذا التجمع على أمر يتعلق بارادتهم المحضة ••

(ثالثا) - ان تكون انسانية الانسان هي محل الاحترام لا المادة ••

(رابعا) - ان يتحلى بالقيم والاخلاق

(خامسا) - أن تكون الاسرة قاعدة التجمع

اعتقد جازما انه لا يوجد عاقل يرفض هذه الشروط لانها كلها تؤكّد كرامة الانسان

واحترامه - اذن لنضع المجتمع المادى الحاضر في الميزان ••

أولا - التحرر الكامل من عبودية انسان على انسان :

ان التحرر الكامل من عبودية انسان على انسان لا يتحقق ابدا الا اذا كانت الحاكمة العليا لله تعالى وحده .. متمثلة في سيادة الشريعة الالهية ... تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحررا كاملا وحقيقيا من العبودية للبشر .. وتكون هذه هي = الحضارة الانسانية = لان حضارة الانسان تقتضي قاعدة اساسية من التحرر الحقيقي للانسان .. ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع .. ولا حرية في الحقيقة ولا كرامة للانسان في مجتمع يحضه ارباب بشرعون وبعضه عبيد يطعمون ... ولا نعى الشريعة هنا في الاحكام القانونية فحسب - كما هو المفهوم السائد اليوم - ولكن نعى بالشريعة التصورات والمناهج والقيم والموازين والمعادن والتقاليد .. كل ذلك تشريع يجب ان يخضع لافراد قديما وحديثا لضغطه .. اتوافق - ايها الملحد - ان يصنع الناس - بعضهم لبعض - هذه السلطات وهذه الضغوط ..

الجواب لا ! لا نكم تختلفون دائما لتحركم من ضغوط الكنيسة .. ومن ثم نتفق معكم ان التحرر الكامل هو الذي لا يكون فيه ضغط احد على احد ولا يشرع احد لا احد .

اذا وجدنا الناس في المجتمع الرأسمالي الطائفي والمجتمع الاشتراكي المستغل يصنعون هذه الضغوط لشعبهم فيماذا نسي هذين المجتمعين ؟ حسب قاعدة التحرر ؟

فلا شك انهما مجتمعا مختلفان او مجتمعا جاهليان .. اذن ان المجتمع الاسلامي - وحده - هو المجتمع المتحضر ، لانه هو وحده يهيمن عليه اله واحد ، ويخرج الناس فيه من عبودية المباد الى عبودية الله وحده .. وبذلك يتحررون التحرر الحقيقي الكامل الذي يتركز اليه حضارة الانسان .

ثانياً - ان يكون التجمع على أمر يتعلق بإرادتهم المحضة واختيارهم الذاتي :

حين يكون التجمع على أمر يتعلق بإرادتهم المحضة واختيارهم الذاتي مثل العقيدة والتصوير والفكرة ويكون كل ذلك صادراً عن الله واحد ، تتمثل فيه السيادة العليا ببشر ، وان كان صادراً من آرباب ارضية فلا بد ان تتمثل فيه عبودية البشر للبشر ..

ثم انه اذا كان التجمع على الجنس واللون والقوم والارض ، فهو تجمع متخلف رجعي لأنه لا تمثل فيه الخصائص العليا للانسان ...

فالانسان يبقى انساناً بعد الجنس واللون والقوم والارض ولكنه لا يكون انساناً بمد ضياع الروح والعقيدة والفكرة .

اذا القينا نظرة غابرة على المجتمعات الحالية نجدها كلها قائمة على الجنس واللون والقوم والارض وليست قائمة على إرادتهم المحضة من عقيدة وفكرة وروح ..

فالمجتمع الذي يكون التجمع على الجنس واللون والقوم والارض فهو مجتمع متخلف وليس مجتمعاً متحضراً ..

واما المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة واختيارهم الذي هو المجتمع المتحضر ...

فالمجتمع الاسلامي وحده هو المجتمع الذي تمثل فيه العقيدة رابطة التجمع الاساسية واقرب مثال لذلك هو المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة ^{قال} حيث الرسول صلى الله عليه وسلم " سلمان منا آل البيت " .

هو المجتمع الذي اعتبرت فيه العقيدة هي الجنسية التي تجمع بين الأسود والابيض والاحمر والاصفر .. والصربي والرومي والفارسي والحبشي وسائر اجناس الارض في أمة واحدة .. ربها الله .. وعبوديتها له وحده والاكرم فيها الا تقي والكل فيها انداد يلتقون على أمر شرعه الله لهم ولم يشرعه أحد من المباد ...

ثالثا - ان تكون انسانية الانسان هي موضع الاحترام :

المجتمع المتحضر هو المجتمع الذى تكون انسانية الانسان هي موضع الاحترام . فاما حين تكون " المادة " - في اية صورة - هي القيمة العليا كما في نظرية التفسير المادى للتاريخ وفي صورة الانتاج المادى . في امريكا واوربا وسائر المجتمعات التي تعتبر الانتاج المادى قيمة عليا تبرز في سبيلها القيم والخصائص الانسانية فان هذا المجتمع يكون - بلا شك - مجتمعا متخلفا .

ولسنا نريد في هذا التقرير ان نحقر المادة في صورة من صورها لأن الانتاج المادى من مقومات الخلافة في الأرض هـ عن الله . . . ولكننا لا نعتبرها هي القيمة العليا التي تسقط في سبيلها خصائص " الانسان ومقوماته " وتذهب معها حرية الفرد حيث يصبح مجرد آلة في المجتمع . . .

وحيث تكون القيم الانسانية والاخلاق الانسانية هي التي يقوم عليها المجتمع فهو المجتمع المتحضر . . . لأن القيم والاخلاق بهما يتفرد الانسان عن الحيوان وبهما ايضا فضلت أمة محمد على سائر الأمم السابقة فقال تعالى : * كنتم خيرا أمة اخرجت للناس تأمرون بتنا المعروف وتنهون عن المنكر وتؤمن بالله * (١)

فأي مجتمع من المجتمعات اذا تخلى عن هذا المبدأ فهو مجتمع جاهلي متخلف بصرف النظر عن تقدمه المادى . وسواء ان هذه المجتمعات فقيرة او غنية فانها ترتقى صعدا بالاخلاق الفاضلة التي هي اخص خصائص الانسان فاذا ابتعدت عن هذه المبادئ مع حضارة المادة - فلن يكون ذلك حضارة انما هو " التخلف " او هو " الجاهلية " (٢) وذلك ان خلاصة رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي مكارم الاخلاق .

وقد ورد في الحديث ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " بحثت لأتم مكارم الأخلاق " (٣)

(٢) راجع عرضا كتاب معالم في الطريق سيد قطب ص ١١٠

(١) سورة آل عمران / ١١٠
(٣) الحديث ورد في الموطأ للإمام مالك رضي الله عنه (٨)

وظائف

رابعاً - ان تكون الأسرة قاعدة التجمع :

فحينما تكون الأسرة هي قاعدة المجتمع • تقوم هذه الأسرة على أساس الزواج المشروع أولاً ثم تكون رعاية الأولاد هي اهم وظائف الأسرة يكون هذا المجتمع متحضراً ••

لأن الأسرة بمثابة البيئة الصالحة بخرج نباته باذن ربها ••
ففيها تنشأ الأولاد تنشئة صحيحة وتنمى فيها القيم والأخلاق الانسانية
الحقة •

واما حين تكون علاقات الجنسين على أساس المهور والانفعال لا على
اساس الواجب والتخصص الوظيفي في الأسرة •• حين تصبح وظيفة المرأة
هي الزينة والعناية والفتنة ••

وحين تتخلى المرأة عن وظيفتها للاساسية في رعاية الجيل الجديد •
وتؤثر - او يؤثر ثلها المجتمع ان تكون مضيعة في فندقى او سفينة او طائرة
او سكرتيرة مكتب •••

حين تنفق المرأة طاقتها في الانتاج المادى وصناعة الادوات ولا تنفقها
في صناعة الانسانية - لماذا ؟ لان الانتاج المادى أعلى وأعز في النفوس من
الانتاج " عندئذ يكون هذا هو " التخلف الحضارى " أو الجاهلية
في المفهوم الاسلامي •

وقد رأينا فيما مضى ان العلاقات الجنسية البهيمية هي المحول الأول الذى
حطمت الحضارات المادية قديماً وكديماً ••

خامساً : لأن المجتمعات التي تسود فيها الاخلاق الحيوانية لا يمكن بحال من
الاحوال ان تكون مجتمعات متحضرة مهما تهلخ من التقدم الصناعى والاقتصادى
والعلمى ••

ان هذا المقياس لا يخطئ • في قياس مدى التقدم " الانسانى " (١)

(١) المرجع السابق مع تنقيحات طفيفة ص ١١١

وأخيرا قد رأينا فيما سبق ان الحضارة المادية الملحده الحاضرة ليست
مجتمعا متحضرا بالتحقيق .. لان الحضارة الحقيقية الراقية لا توجد الا بعد
ما يقوم " الانسان " بالخلافة عن الله تعالى في ارضه على وجهه
الصحيح : بأن يخلص عبوديته لله تعالى ، ويخلص من العبودية لغيره ..
وأن يحقق منهج الله وحده ويرفض الاعتراف بشرعية منهج غيره .. وان يحكم
شريعته وحدها في حياته كلها و ينكر تحكيم اي شريعة سواها ..
وان يتحلى بالقيم والاخلاق التي قررها الله له ويسقط القيم والاخلاق
المدعاة ثم بأن يتعرف بعد ذلك كله الى النواميس الكونية التي اودعها
الله هذا الكون المادي ويستخدمها في ترقية الحياة ... وعندما يفعل ذلك
فيؤمئذ يكون هذا الانسلان كامل الحضارة ... ويكون هذا المجتمع قد بلغ
قمة الحضارة ..

فأما الابداع المادي وحده فلا يسي - في الاسلام - حضارة بدليل
ان الابداع المادي قد يوجد وتوجد معه الجاهلية والتخلف وقد وصف القرآن
لبعض الجاهلين القدامى مجتمعاتهم انها قد قطعت شوطا كبيرا في
المجالات المادية ومع ذلك ما زالوا جاهليين .. يقول تعالى :

* فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء ، حتى اذا فرحوا
بما آوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين * (١)

وقال ايضا : * اتركون فيما هنا آمنين ، في جنات و عيون وزروع ونخل
طالها خضيم .. وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ؟ فاتقوا الله واطيعوا
ولا تطيعوا امر المفسدين تالذين يفسدون في الارض ولا يصلحون * (٢)

وبهذه تلك نعلم ان هذه الحضارة المادية لا تلائم الانسان ، لان
فيها قد لاقى الانسان كثيرا من الاضطرابات والهموم والمصائب والانحلال الخلقى

(١) الانعام / ٤٣-٤٥

(٢) الشعراء / ١٢٧-١٣٥

والتفكك الاسرى والدعارة والفجور . . . وقد حطت فيها كرامة الانسان وارتفعت فيها قيمة الماء الصماء . . .

وانذا لم يرض الملاحدة بهذا البحث العلمي الذي اقام عليهم الحجة ينتقل معهم الى استماع شهادات من بعض مفكرى أوروبا المنصفين :

أولا - شهادة الكسيس كاريل

يقول الكسيس كاريل (١) في كتابه القيم : الانسان ذلك المجهول وهو

عالم اتبحت له فرصة الاطلاع على نتائج البحوث الضخمة هو الذى تحدثنا عنه سابقا ويبدأ شهادته بالكلام عن مخالفة البشر لما يسميه " القوانين الطبيعية " ونسبته نحن " قوانين الفطرة التي فطر الله الناس عليها " والعواقب التي لا بد أن يلقاها من يخالف هذه القوانين الصلبة التي لا تلبس ، ولا تترك مخالفيها بلا عقوبة ثم يأخذ ما حل بالبشرية فعلا من هذه العقوبة :

" ان الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب ، لأنها لا

تلائمنا . لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية . اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس ، وأوهامهم ونظرياتهم ورجائهم . وعلى الرغم من انها انشئت بمجهوداتنا الا انها غير صالحة بالنسبة لحجنا وشكلنا " (٢)

(١) ولد الدكتور كاريل بالقرب من ليون في فرنسا وحصل على اجازة الطب بها ، كما حصل على اجازة العلوم من ديجون . وبعد ان مارس التدريس في جامعة ليون عدة اعوام رحل الى الولايات المتحدة . واشتغل في معهد (روكفلر) للابحاث العلمية بنيويورك . وه قرابة ثلاثين عاما حتى اعتزل العمل بسنة ١٩٣٦م ثم عمدهت اليه وزارة الصحة الفرنسية بمهمة خاصة تتصل بالحرب وكانت هذه المهمة تكلمة لمهمة اضطلع بها ابان الحرب العالمية الاولى ، عندما كان يعطى جراحا مع القوات الفرنسية والبريدانية والامريكية . . . ومنع جائزة نوبل عام ١٩١٢م لأبحاثه الطبية الفذة ، (راجع كتاب الاسلام ومشكلات الحضارة سيد قطب ص ٧)

(٢) راجع كتاب : الانسان ذلك المجهول الكسيس كاريل ص ٣٨

" يجب ان يكون الانسان مقياسا لكل شيء " .. ولكن الواقع هو عكس ذلك .
 فهو غريب في العالم الذي ابتدعه . انه لا يستطيع ان ينظم دنياه بنفسه لأنه
 لا يملك معرفة عملية بطبيعته .. ومن ثم فان التقدم الهائل الذي احرزته علوم
 الجماد على علم الحياة هو احدى الكوارث التي عانت منها الانسانية .. فالبيئة
 التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة لا بالنسبة لقوامنا ، ولا بالنسبة
 لهيئتنا ..

" اننا قوم تمساء لأننا ننحط اخلاقيا وعقليا .. " (١)

" ان الجماعات والأُمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية اعظم نمو
 وتقدم ، هي على وجه الدقة الجماعات والأُمم الآخذة في الضعف والتي
 ستكون عودتها الى البربرية واليهودية اسرع من عودة غيرها اليها ..
 " ان الحضارة لم تفلح حتى الان في خلق بيئة مناسبة للنشاط
 العقلي . وترجع القيمة العقلية والروحية المنخفضة لأغلب بني الانسان -
 الى حد كبير - للنقائص الموجودة في جوهم السيكلوجي . اذ ان تفوق
 المادة ومبادئ " دين الصناعة " حطمت الثقافة والجمال والأخلاق ..
 هكذا يقول هذا المالم "الكبير" الأوربي الاميركي الذي لا يجادل
 العلماء ، علماء الحضارة الحديثة في مكانته " الملمية " ولا في " حداثة "
 نظرياته - أودراساته بتعبير ادق - ولا في جديتها . هو يرى ان هذه الحضارة
 القائمة على محاربة الأخلاق والمبادئ السامية ، لا تلائم هذا الكائن الانساني
 الذي صار غريبا بين مكتشفاته ومخترعاته انه عقوبة الفطرة وبتعبير آخر انه
 السنة الربانية التي لا تتخلف .

(١) المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٤

ثانياً - شهادة (ول ديورانت)

ولنأخذ شهادة (ول ديورانت) الكاتب الأميركي المتفلسف . . وهو رجل لا يمكن ان يقال انه من اعداء هذه الحضارة . فهو شديد الاعجاب بالتقدم الذي تمثله هذه الحضارة في مجموعها.

وهو يبذومعارضا للدين في جملته ، كما انه ظاهر العداء للاسلام بصفة خاصة . . وقد نشرت له مؤسسة فرنكلين ترجمة جزء من كتابه مناهج الفلسفة ونشرت له جامعة الدول العربية ترجمة اجزاء من كتابه قصة الحضارة . ويستطيع قارئ اللغة العربية ان يلاحظ موقفه هذا من الاعجاب بهذه الحضارة في جملتها ، كما يلاحظ موقفه من الدين جملة وعداء الظاهر للاسلام خاصة . ومع هذا كله فهو يؤدى هذه الشهادة عن هذه الحضارة في كتابه " مناهج الفلسفة " (٢)

يقول هذا الكاتب الأميركي :

" وثقافتنا اليوم سطحية ومعرفتنا خطيرة ، لأننا أغنياء في الآلات فقراء في الأغراض . وقد ذهب اتزان العقل الذي نشأ ذات يوم من حرارة الايمان الديني ، وانتزع العلم منا الأسس المتعالية لأخلاقنا ، ويبذوالمالم كله مستخرقا في فردية مضطربة تعكس تجزؤ خلقنا المضطرب " *

* يلاحظ ان الكاتب - مع اقراره بأن حرارة الايمان الديني قد انشأت ذات يوم اتزاناً في العقل لا يدعو ولا يحمل لاستعادة حرارة الايمان الديني . انما هو يلجأ الى الفلسفة لتعيد اتزان العقل المفقود ! والفلسفة في تاريخها الطويل كانت حصيلة ذهنية باردة ، لم تؤثر قط في حياة البشرية . فالحياة البشرية لا تؤثر فيها الا العقيدة الدافعة . ولكن الكاتب الغربي - الأميركي - لا يملك الا هذا الحل المهزيل . . لأنه هارب من الكنيسة !

(١) المرجع السابق ص ١٨٤

(٢) راجع كتاب الاسلام ومشكلات الحضارة ، سيد قطب ص ١٣٣ مع تفهيمات طفيفة .

اننا نواجه مرة اخرى تلك المشكلة التي اقلقت بال سقراط ، نعنى
كيف نهتدى الى اتخلاق طبيعية تحل محل الزواجر العلوية التي بطل أثرها
في سلوك الناس ؟ . . (١)

” وعندنا مئة الف سياسى وليس عندنا ” رجل حكيم ” واحد . اننا
نطوف حول الأرض بسرعة لم يسبق لها مثيل . ولكننا لا نصرف الى اي شئ
نذهب ، ولم نفكر في ذلك ، او هل نجد هناك السعادة الشافية لأنفسنا
المضطربة .

اننا نهلك انفسنا بمعرفتنا التي اسكرتنا بخمر القوة . ولن ننجس
منها بغير الحكمة ” (٢)

” واخترع موانع الحمل وذووعها هو السبب المباشر في تخير اخلاقنا
فقد كان القانون الاخلاقي قديما يقيد الصلة الجنسية بالزواج ، لأن الفكاح
كان يؤدى الى الأبوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ولم يكن الوالد مسئولا عن
ولده الا بطريق الزواج ، أما اليوم فقد انحلت الرابطة بين الصلة الجنسية
وبين التناسب وخلقت موقفا لم يكن آباءنا يتوقصونه ، لأن جميع العلاقات
بين الرجال والنساء آخذة في التغير نتيجة هذا العامل . ويجب على القانون
الاخلاقي في المستقبل أن يدخل في حسابه التسهيلات الجديدة التي جاءت
بها الاختراعات لتحقيق الرغبات المتأصلة ” (٣) .

هذه هي شهادة هذا العالم الاميركي ، اداها لا لكونه بحسب
التدين ولكن الأمر الواقع فرض نفسه عليه .

(١) راجع مناهج الفلسفة ” ول ديورانت ” ج ١ ص ٦ - ٧

(٢) المرجع السابق ص ٦ - ٧ ج ١

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٥

ثالثا - شهادة الأستاذ أبي الأعلى المودودي

والآن نسمح شهادة الأستاذ أبي الأعلى المودودي في بعض جوانب هذه الحضارة وما أنشأت من آثار تنطوي على تهديد مدمر للحياة الانسانية ذاتها فضلا على الخصائص الانسانية .

من كتاب " الحجاب " :

" ولما كثرت بذلك اختلاط الصنفين ، واحتكاك الذكور بالاناث ، وأخذت تظهر عواقبه الطبيعية في المجتمع ، تقدم هذا التصور للحرية الشخصية ، وهذه الفلسفة الجديدة للأخلاق ، فبدأ من قلق الآباء والبنات ، والأخوة والأخوات والبعولة والزوجات ، وجملا نفوسهم المضطربة تطمئن الى ان الذي هو واقع امام اعينهم ، لا بأس به ، فلا يوجسوا منه خيفة ، ان ليس هبوطا وترديا ، بل هو نهضة وارتقاء (Emancipation) وليس فسادا خلقيا بل هو عين اللذة والمتعة التي يجب ان يتقنها المرء في حياته وان هذه الهواية التي يدفع بهم اليها الرأسمالي ، ليست بهواية النار ، بل هي جنسة تجرى من تحتها الأنهار .

" ولا يزال هذا الداء الوبيل - من غلبة الشهوات البهيمية - ينخر في كيان الأمم الغربية و ينتقص من قوة حياتها بسرعة هائلة . والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في مفاصل أمة ، الا اوردها موارد التلف والفناء . ذلك بأنه يقتل في الانسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية لبقائه وتقدمه في هذه الحياة .

" وأنى للناس - لعمر الله - ذلك الهدوء وتلك الدعسة والسكينة التي لا بد لهم منها لمعالجة أعمال الانشاء والتعمير ما دامت تحيط بهم محركات شهوانية من كل جانب ، وتكون عواطفهم عرضة ابدال لكل فن جديد من الاغراء والتبريج ، و يحيق بهم وسط شديد الاستثارة قوى التخريص ، ويكون

الدم في عروقهم في غلبان مستمر بتأثير ما حولهم من الأُدب الخليج والصور
 الحارية ، والاذني الماجنة ، والافلام الغرامية ، والرقص المثير ، والمناظر
 الجذابة من الجمال الانثوى الصريان ، وفرض الاختلاط بالصنف المخالف
 استغفر الله ... "

وبعد هذه المأساة التي اصابنا الانسانية فما هي كيفية الخلاص
 منها وما هو طريق الخلاص أيضا ...
 في الصفحات الآتية نحاول - بكل اختصار - أن نجيب عن
 هذا السؤال ان شاء الله تعالى .

الخاتمة

كيف الخلاص من الاحقاد

ان نصوص القرآن كلها تشير الى ان طريق الخلاص من الاحقاد هو الايمان بوجود الله . . . يقول تعالى * ومن يؤء من يهد قلبه * الآية ولكن ما الايمان الذي نعنيه في هذه الدراسة ؟

نقول في الاجابة عن هذا السؤال ، ان الايمان الذي نعنيه هنا ليس مجرد اعلان المرء بلسانه أنه مؤء من . فما اثر المنافقين الذين قالوا آءنا باءواهم ولم تؤء من قلوبهم :

* ومن الناس من يقول آءنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤء منين يخادعون الله والذين آءوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون *

وليس مجرد قيام الانسان باعمال وشعائر اعتبد ان يقوم بهـا المؤء منون ، فما اكثر الدجالين الذين يتظاهرون بالصالحات واعمال الخير ، وشعائر التعبد . . . وقلوبهم خراب من الخير والصالح والاخلاص لله :

* ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم . واذ قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا *

وليس هو مجرد معرفة ذهنية بحقائق الايمان ، فكم من قوم عرفوا حقائق الايمان ولم يؤءوا * وجحدوا بها واستبقتبها انفسهم ظلما وعلوا . . . *

وحال الكبر والحسد او حب الدنيا بينهم وبين الايمان بما علموه من بعد ما تبين لهم الحق * وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون *

ولا يدخل في الايمان الذي نعنيه هنا الايمان (بالشيعوية) والايمان (بالوجودية) والايمان (بالقومية) والايمان (بالوطن) والايمان (بالثورة) والايمان بنبي ذلك مما ابتدء البشر لانفسهم مما لم يأذن به الله . . .

وليقبل الناس ما شاءوا . . .

ان الايمان الذي نعنيه .. الذي يخلص من الالحاد هو الايمان الذي
حدده سيد قطب في ظلال القرآن فلنقرأ هذه الكلمات :

" فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله .. التصديق الذي لا يبرد
عليه شك ولا ارتياب .. التصديق المخلص الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع
ولا يضطرب .. ولا تهيج فيه هواجس .. ولا يتلجلج فيه القلب والشعور ..
والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله ، فالقلب متى تذوق حلاوة
هذا الايمان واطمأن اليه وثبت عليه .. لا بد من محاولة لتحقيق حقيقته
في خارج القلب في واقع الحياة في دنيا الناس .. يريد ان يوحد بين
ما يستشعره في باطنه من حقيقة الايمان .. وما يحيط به في ظاهره من مجريات
الأمر وواقع الحياة ، ولا يطبق الصبر على المفارقة وبين الصورة الايمانية
التي في حسه .. والصورة الواقعية من حوله .. لأن هذه المفارقة
تؤذي به وتصدمه في كل لحظة ومن هنا هذا الانطلاق الى الجهاد
في سبيل الله بالمال والنفس .. فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن .. يريد
به ان يحقق الصورة الوضيئة التي في قلبه ، ليراهم محتلة في واقع الحياة
والناس " (١)

" والخصومة بين المؤمن وبين الحياة الجاهلة من حوله خصومة ذاتية
ناشئة من عدم ابتداعه كذلك التنازل عن تصور الايماني الكامل الجميل
المستقيم في سبيل واقعه الحملي الناقص الشائن المنحرف ..
فلا بد من حرب بينه وبين الجاهلية من حوله ، حتى تنتهي هذه الجاهلية
الى التصور الايماني والحياة الايمانية " .

هذه العناصر والمقومات هي التي تكون " الايمان الحق " وان شئت
قلت " العقيدة الحقة " واذا فقد بعض هذه العناصر فان ما بقي منها لا يستحق
ان يسمى (ايمانا) أو (عقيدة) ..

يمكن ان تسمى (فكرة) أو (نظرية) أو (رأيا) أو أى عنوان من هذه المناوين . . . اما الايمان الحق فهو الذى تشرق شمسهُ على جوانب النفس كلها فتسفلد اليها اشعتها حاملة الضوء والحرارة والحياة . . .
وبصغبتى ما كتبه في هذا المقام الاستاذ احمد امين رحمه الله مفرقا بين الرأى والمقيدة قال :

” فرق كبير بين ان ترى الرأى وأن تمتقده . . . اذا رأيت الرأى فقد ادخلته في معلوماتك . . .

واذا اعتقدته جرى في دمك وسرى في مخ عظامك وتغلغل في اعماق قلبك ” (١)

حقا . . . ذوالرأى فيلسوف يرى رأيا صوابا قد يكون في الواقع باطلا أما ذوالمقيدة فجازم بات ذلك الاقتناع والتصديق .
الرأى جثة هامدة . . . لا حياة لها ما لم تنفع فيها العقيدة من روحها . . .

ذوالرأى سهل ان يتحول ويتحور ، هو عند الدليل أو عند المصلحة تظهر في شكل دليل . . .

أما ذوالمقيدة مخبر مظهر له ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :

” لو وضعوا الشمس في يمينى ، والقمر في شمالي ، على أن ادع الذى جئت به ما تركت . . . ”

مثل هذا الايمان هو الذى نحبهِ ، وهو طريق الخلاص من الالحاد . . .

وبعدا هذا التقرير الحاسم نود ان نشير الى شئتين هامتين :

أولهما : ما هو الاله الذى نؤمن به ؟

ثانيهما : كيف يوصف الله ؟

في الصفحات الاتية محاولات للاجابة عن ذلك .

(١) كتاب فيض الخاطر . احمد امين ج ١
نقلا عن كتاب الايمان والحياة د . يوسف القرضاوى ص ٢٢

الله الذي نؤمن به

لقد قامت الأدلة على أن وراء هذا الكون قوة عليا تحكمه وتدبره وتشرف عليه . سماها أحدهم العلة الأولى ، وسماها غيره العقل الأول وسماها غيرهم المحرك الأول ، وسماها غيرهم (بهموه) وسماها أيضا غيرهم (بالأب والابن وروح القدس) وسماها القرآن العظيم المبين ، وكتب السماء التي لم تحرف ، بهذا الاسم الجامع لصفات الجمال * الله * . . .
إن هذه القوة العليا - وعجباة أخرى . . . هذا الإله العظيم ليس في استطاعة العقل البشري إدراك كنهه - ولا معرفة حقيقته . . . كيف وقد ثبت عجز الإنسان عن معرفة كنهه ذاته وعن كنهه النفس وعن حقيقة الحياة وعن حقيقة المادة وكثير من حقائق الكون المادية من كهربية ومغناطيسية كل ذلك ما عرف إلا بآثارها . . . فكيف بطمح الملحد في معرفة ذات الله العلي الكبير . . .

* ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير * (١)
وكيف يستطيع العقل البشري أن يتصور إليها تكون الأرض وما فيها من جبال وانهار وأبحر ورمال وصخور وكل شيء من بابس ورطب قبضته يوم القيامة . . . !

فأي خيال يستطيع أن يتصور هذه العظمة ؟
فلذا أرشد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أقرب طريق وأنفعها في هذا الباب فقال :

" تفكروا في آيات الله ولا تفكروا في ذات الله فانكم لن تقدروه قدره " .

يقول تعالى * وما قد روا الله حق قدره .. والأرض جميعا قبضته يوم

القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون *

نعم ان الملحدين ما قدروا الله حق قدره فلذا بدأوا يبحثون عنه

من ذرات المادة الصماء .. وهم لا يدركون حجم انبته وعظمته وهم لا يستشعرون

جلاله وقوته ..

ولما علم الله أن الانسان عاجز كل العجز أن يتصور مقدار عظمته

الله عز وجل خالق كل شيء .. كشف برحمته الواسعة - لهذا الانسان المسكين

الضعيف عن جانب من عظمته وقوته .

ان هذا الجانب يقرب للبشر الحقائق الكلية يتصورها ادراكهم المحدود .

فقال * والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه *

هنا منقطع الخيال ويرجع الملحدين الى حجمه الطبيعي . لأنه أدرك ان هذا

الاله لا يمكن ان يتصوره العقل البشرى الضعيف كيف يتصوره والأرض جميعا

قبضته يوم القيامة . فأى عقل يستطيع ان يعرف مدى هذه العظمة

وهذه القوة ؟ .. فما على الانسان الذي من الله تعالى عليه ووصل الى

هذا الفهم العميق الا أن يقول :

* سبحانه وتعالى عما يشركون *

كيف يوصف الله عز وجل

لقد رأينا في السطور السابقة أن طار بقى الخلاص من الأحاد هو الايمان

بالله على نحو ما حدده سيد قطب رحمه الله وهنا نود ان نشير الى نقطة هامة

وهي : اقرار صفات الله كما جاء بها القرآن هو العصمة الوحيدة من الاحاد

هذا ما قرره الشيخ الامام ابن تيمية فلنستمع اليه :

يقول : " فأما الأول وهو (التوحيد في الصفات) فالأصل في هذا

الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله ، نفيا وإثباتا فثبت لله

ما أثبتته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه " .

وقال ايضا " قد علم ان طريقة سلف الامة وأثبتها اثبات ما اثبته من الصفات من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك يلقون عنه ما نفاه عن نفسه مع اثبات ما اثبته من الصفات من غير الحاد : لا في أسمائه ولا في آياته . فان الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته ، كما قال تعالى : * والله الأسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون *

وقال تعالى * ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خيرا أم من أتى/يوم القيامة اعطوا ما شئتم * الآية (١) اذن نصل الى النتائج التالية :

١ - من زاغ وحاد عن طريقة القرآن في اثبات صفات الباري

من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تأويل ، لا يسلم من الاحاد ولوائت وجوده بدليل هذه التبريدات المذكورة في الآيتين . .

هذا ما أكده شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله :

" وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم (الأنبياء) من الكفار والمشركون

والذين أتوا الكتاب ، ومن دخل في هؤلاء من الصائبة والمفلسفة والجهمية

والقرامطة والباطنية ونحوهم . . فانهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية

على وجه التفصيل ، ولا يثبتون الا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل ، وانما

يرجع الى وجود في الأذهان، يتمتع تحققه في الأعيان " . ثم زاد قائلا :

" فقولهم يستلزم غاية التعديل (الاحاد) وغاية التمثيل ، فانهم

يمثلونه بالمتنوعات والمعدومات ، والجمادات ، ويحذلون الأسماء والصفات ، وتعطيلها

يستلزم نفي الذات " .

بهذا التقرير نفهم أن نفي صفات الله يؤدي ذلك الى نفي الذات وهو الاحاد

الصرف . (٢)

(١) الرسالة التدمرية ، شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٧ تحقيق الاستاذ زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي .

(٢) المصدر السابق ص ١١

٢ - توافق بعض أسماء الله مع بعض أسماء المخلوق لا يؤدي الى التشبيه :

وبيان ذلك : قد تقرر معنا انه يجب اثبات الصفات بلا تشبيه . ولكننا تجد
بعض أسماء الله ذكرت في القرآن توافق أسماء بعض المخلوقين فما المخرج من
ذلك ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول :

ان اتفاق الاسمين (اسم الله واسم المخلوق) لا يؤدي - بحال من

الأحوال - الى تشبيه المخلوق بالخالق . .

فلا بد من ضرب أمثلة على ذلك :

قد سمي الله نفسه (حيا) فقال : * الله لا اله الا هو الحي القيوم *

وسمى بعض عباده (حيا) فقال : * يخرج الحي من الميت ويخرج الميت

من الحي *

هل الحياة كالحياة ؟ الجواب لا !

وما قيل في صفة الحياة ، يقال ايضا في جميع الصفات . . مثل السمع والبصر

والعلم والرضا والغضب والعمل والنداء والتكليم والاستواء . .

* * *

ولست أدري لماذا أول الناس الصفات أو نفوها خوفا من التشبيه ؟ ان

الاشترك اللفظي لا يؤدي الى التشبيه . فالأمر بحسب المضاف اليه وذلك ان الله

تعالى وصف نفسه بأنه استوى على عرشه فذكر ذلك في سبع مواضع من كتابه ، انه

استوى على العرش ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره في مثل قوله * لتستوا على

ظهوره * وقوله * فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك * وقوله * واستوت على

الجودي *

هل يعقل في الذهن أن استواء الله مثل استواء هذه المخلوقات ؟ لا !

ليس الاستواء كالأستواء . .

فالأمر - كما قلنا بحسب المضاف اليه فاستواء الله على عرشه خاص به واستواء

المخلوق خاص به لا يشاركه فيه الخالق . .

ولعل وهمهم جاء من فهمهم للآية * هل تعلمون له سميا * يقول اهل اللغة : هل تعلم له سميا أى نظيرا يستحق مثل اسمه وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس * هل تعلم له سميا * مثيلا أو شبيها . . فلا اشكال في ذلك أبدا . . . هناك آية أخرى تعتبر الفبصل في هذا الباب وهي قوله تعالى :

* ليس كمثل شئ * وهو السميع البصير * (١)

ففي قوله * ليس كمثل شئ * رد للتشبيه والتمثيل . . وقوله * وهو السميع البصير * رد للاحاد والتعطيل . .

تماثيلا لهذه القاعدة المقررة نقول ان الله تعالى وصف نفسه ببسط اليدين فقال : * وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل بداه مبسوطان ينفق كيف يشاء *

ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله : * ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط * فيجب اذن - أن نثبت لله بسط اليدين وان لم نثبته نكن من الملحدين المعطلين . . ثم ننفي المماثلة والتشبيه والا نكن من المشبهين . . هل يد الله كيد الانسان ؟ الله تعالى أخبر ان هذه الأرض كلها قبضته يوم القيامة فأين التشبيه - اذن - بين تلك وهذه اليد ؟ وبين ذلك البسط وهذا البسط ؟ . .

وكما لا يجوز ان ننفي عن الله صفة العلم والقوة والرحمة والوجود والحياة والكلام - رغم اتصاف المخلوق بكل ذلك - لا يجوز لنا اذن أن ننفي أو نؤول صفة اليد والاستواء عن الله خوفا من التشبيه . . اذا فعلنا ذلك كأننا لم نفهم مراد الله من الآية * ليس كمثل شئ وهو السميع البصير * فصدر الآية نفي التشبيه وفي آخرها اثبات للصفات .

(١) شرح العقيدة الطحاوية اخرج ناصر الدين الاباني محمد : ص ٩٩ سنة ١٣٩١ هـ

النتيجة :

قد يقول قائل : ان الخوض في مسألة الصفات قد فات زمانه .. والان نحن في معركة شرسة مع الملحدين المنكرين لوجود الله تعالى .. فلنا في حاجة الى معركة قد خاضها ابن تيمية والشيخ محمد عبد الوهاب رحمهما الله تعالى .

نقول لهذا القائل قد عرفت شيئا وفاتتك أشياء .. ان ما فاتك ان نفى الصفات أو تأويله يجعل في الانسان نوعا من قابلية الالحاد .

وبيان ذلك : ان الملحدين الكافر عليه - لعائن الله - بوء من بقوة مطلقة

سماها (الطبيعة) . وهذا المرء من النافي للصفات بوء من بالله ثم ينفي عنه

جميع الصفات مخافة تشبيهه بالملخوق .. فوصف الهه بالسلوب وجعله هو الوجود

المطلق بشرط الاطلاق .. (١) فما الفرق اذن بين هذا " المرء من " وهذا الملحدين؟

ان الفرق بينهما في التسمية فقط : والا كلاهما بوء من بقوة لا وجود

ليها في الخارج .. الملحدين آمن بقوة مطلقة ليس لها صفة ..

وهذا المرء من آمن بقوة (اله) لا تتصف بصفة .. وجميع من يحترم

عقله يعلم ان هذه الصورة لا وجود لها في الخارج ابدا .. انما توجد في

الذهن فقط !

انذاروا الى نتيجة نفي الصفات أو تأويلها ، فانها تؤدي - بقصد أو بغير

قصد - الى انكار وجود الله .

وبعد هذا كيف نقول ان قضية نفي الصفات لا وجود لها في الواقع

المعاصر .

والمتفق عليه عند العلماء السلفيين ان من قال : ليس لله علم ولا قوة ولا

رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا ناجى ، فقد أهدى لانه مثل ربه

بالمحددات والجمادات .. وكذلك من قال ان الله ما استوى وليس له يدان حقيقة

(١) الرسالة التدمرية ، ابن تيمية ص ١١

فقد الحد ايضاً لأنه نفي ما وصف به نفسه .. هو الذي يعلم نفسه ويعلم ما يلبق به من الصفات الكمالية . (١)

وكذلك الحال في العارف الثاني .. فمن قال لله علم كعلمي أوقوة كقوتي أوجب كحبي اوريا كرضائي أوبدان كبدائي أو استواء كاستوائي فلا شك انه من المشبهين المثلين لله بالحيوانات . (٢)

فالخلاص من الالحاد اذن يتمثل في شيئين :

١ - الايمان بذات الله سبحانه بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل .

٢ - الايمان بالصفات بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل .

هذا ما تحدث عنه الشيخ ابن تيمية وهو يرد على الذين ينفون الصفات

فقال :

” وهو لاء جميعا يفرون من شيء فيفقرون في نظيره وفي شرمينه . مع

ما يلزمهم من التحريف والتعطيل . ولو امكنوا النظر لسوا بين التماثلات وفرقوا بين المختلفات ، كما تقتضيه المقولات : ولكانوا من الذين أوتوا العلم الذين يرون انما انزل الى الرسول هو الحق من ربه ، ويهدى الى صراط العزيز الحميد . (٣)

اطمئنان وتبسه

ان المؤمن من الذي يؤمن في أعماق قلبه أن ربه له ذات ليست كسائر الذوات .. وله صفات ليست كصفات أحمق بالأمن أم من لا يعرف شيئاً عن ربه الا انه قوة مطلقة في الذهن ؟ فيقول انه : لا موجود ولا معدوم ؟ ولا حى ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، وليس متصلاً ولا منفصلاً ، وليس في داخل الكون ولا في خارجه ولا يتكلم ولا يرحم انما رحمته ارادة الرحمة وغضبه

ارادة الغضب وليس له جبهة العلو ولا يستوى على عرشه وليس له يد ولا البسط
ولا البهش .

لا يستويان ابدا فالمثبت يعيش في أمن وطمأنينة واما النافي يعيش
في خيال وتبه ولا يجد في قلبه حلاوة الايمان .^(١)
هذا ما أقره
صاحب نهاية الأندام وهو من سلاطين أئمة المعارف العقلية يقول : لقد طفت
في تلك المعاهد كلها . . . وسيرت طرفي بين تلك المعاهد فلم أر الا واضعا
كف حائر . . . على ذقن أوقارعا سنّ نادم .

* * *

وكيف لا يعيش المثبت في طمأنينة نفسية اذا علم أنه ربه في السماء
* أم آمنتم من في السماء * .

وانه فوق عرشه بكيفية تليق به . . . وأنه يتكلم * وكلم الله موسى تكليما *
وأنه يرحم * ان الله بالناس لروءوف رحيم *
وأنه سميع بصير * ان الله كان سميما بصيرا *
وأنه حي * الله لا اله الا هو الحي القيوم *
وأنه يحب * فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه *
وأنه يمقت * ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم اذ
تدعون الى الايمان فتكفرون *

وأنه وصف نفسه بالمكر والكيد * ويمكرون ويمكر الله *
* انهم يكبدون كيدا وأكيد كيدا *
وأنه وصف نفسه بالعمل : * أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا
انعاما فهم لها مالكون *
وأنه ينادى ويناجي * وناديناها من جانب الطور الايمن وقرناها
نجيا *

(١) ايثار الحق على الخالق ابو عبد الله محمد بن المرتضى البهاني ص ٨

وأنه وصف نفسه بالتعليم * الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان *

وأنه يغضب و يلعن * و غضب الله عليهم و لعنهم *

ونظائر هذا كثير جدا . فلا شك ان الذى يحمل في رأسه هذه المعاني

كحقيقة و يحبش عليها ، انه يكون في مأمن عن وساوس الشيطان و من لوشة

الاحاد و فوق كل ذلك انه في مرضاة الله لأنه عرف ربه على حقيقته ، عرفه

كما اخبره في كتابه . . . وكما اخبر بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم . . .

وأما الذى ينحت في رأسه صنما ذهنيا فيجمله ربا ثم يقول للناس هذا

هو الله الذى لا اله الا هو فلا شك /^{انه} لا يكون في محل بر الله واحسانه لأنه كره

الصفات المنزلة في القرآن . وانه استبدلها بصفات مصطنعة فلا بد ان يسخط

الله عليه سبحانه . . . يقول تعالى :

* ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم *

نعلم - اذن - أن مسألة اثبات صفات الله ليست مسألة اجتماعية

حتى تتعلق ببيئة أو بطور اجتماعى أو سياسى وانما هي حقيقة . . . بأخذها

المجتمع كما هي فيكون ايمانه كاملا . . . او يرفضها فيكون ايمانه غير كامل

* سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب

المالين *

فسبح نفسه عما يصفه المفترون المشركون . . . وسلم على المرسلين لسلامة

ما قالوه من الانك والشرك ، وحمد نفسه ، اذ هو سبحانه المستحق للحمد

بما له من الأسماء والصفات ، وبدبح المخلوقات .

حواشي الباب الثاني

(١) الذرة : في الفيزيكا والكيميا .. اصغر جزء من المادة اعتبرها جون دالتون الوحدة التي تنقسم اليها المادة .. وثبت غير هذا الان .. فالذرة تتكون من نواة بها جسيمات تحمل شحنات كهربية موجبة تسمى (البروتونات) وجسيمات لا تحمل شحنات كهربية وتساويها في الوزن تقريبا تسمى (نيوترونات) .

ويحيط بالنواة جسيمات اصغر من البروتونات تسمى (الالكترونات) تحمل شحنات كهربية سالبة .. وعدد ها يساوى عدد البروتونات لتعادل الذرة كهريا ..

وتختلف ذرات العناصر المختلفة في الوزن .. فمثلا ذرة الايدروجين تتكون نواتها من بروتون يدور حولها الكترون .

وذرة الاكسجين بنواتها (٨) بروتونات يدور حولها (٨) الكترونات ولم يزل العلماء يقدمون الذرات حتى انتهت بحوث الذرة في امريكا بالقبلة الذرية والخدمات السلمية للطاقة الذرية . الموسوعة ص ٨٤٤ - ٨٤٥

(٢) المجرة ، المجموعة الكبرى للنجوم والسدم بين الارض والمجرات الخارجية تحتوى على ثلاثين الف مليون نجم ، فضلا عن المجموعة الشمسية وتقع المجموعة الشمسية على بعد ٣٠ سنة ضوئية من مركز المجرة التي تشبه القوس او العدسة ..

والمجرة تدور حول محور عمودى على مستوى الطريق اللبنى (وهو طريق ابيض في السماء) فى مائتى مليون سنة ضوئية . . الموسوعة ص ١٦٤٨ .

(٣) بوفون ، جورج لوى لكرك ، الكونت دى : ١٧٠٧ - ١٧٨٨ عالم طبيعى ومؤلف فرنسى ، كان أميناً لحديقة الملك (حديقة النباتات الان) بباريس . . من ١٧٣٩ الى آخر ايامه ، كرس حياته لكتابة موسوعته الضخمة : " التاريخ الطبيعى " ٤٤ جزءاً .

(٤) جورج جاموف ١٩١٤ - فيزيقى ورياضى امريكى من اصل روسى أجرى بحوثه الأولى عن الطبيقة النووية بجامعة لينجراد وكوبنهاجن عين استاذاً بجامعة لينجراد ١٩٣١ ثم ذهب للولايات المتحدة فعمل ١٩٣٤م بجامعة جورج واشنطن . . له كتاب (ميلاد الشمس وموتها) ١٩٤٠م و (تاريخ حياة الارض) ١٩٤١م و (واحد ، اثنان ، ثلاثة ، لا نهاية) ١٩٤٧م . (ونشوء الكون) والاخيران مترجمان الى العربية . . الموسوعة ص ٦٠٧

(٥) الأثير فى الكيمياء : مصطلح يطلق على أثير الايثيل ، وهو مركب من الاصل " ايثيل " (واكسجين . مائع لا لون له طيار قابل للاشتعال . يستخدم مذيباً عضوياً . ومخدراً .

اما فى الفيزيكا وعلم الفلك ، فالأثير وسط فرضى ينقل الضوء والحرارة ويملاً جميع الفراغات . غفى ، عديم الرائحة لا يتدخل فى حركة الاجسام خلال الفضاء وينكر الكثيرون وجوده الطادى : يسمى ايضاً فى الفرنسية (Ether) . راجع الموسوعة ٥٢

(٦) دوركايم إميل ١٨٥٨ - ١٩١٧م رائد علماء الاجتماع الفرنسيين بعد (كونت) كان استاذاً بالسوربون ، تأثر اتجاهه فى علم الاجتماع بفلسفة كونت الوضعية ، وكان له تابعاً ناقداً . عزا الى العقل المشترك للمجتمع اصل الدين والأخلاق . . الموسوعة ص ٨١٦

(٧) الطوطم : حيوان يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية وبخاصة اهالى استراليا الاصليين . ويعتبر لحمه محرما على افرادها الذين يعتقدون انهم انحدروا منه . . ويحملون لذلك اسمه (مثل عشيرة القنغر) و(عشيرة بامبا) في افريقيا الغربية وغير ذلك . . .
ثم قال : ولا توجد نظرية واحدة مقبولة تماما عن اصل ذلك النظام .

الموسوعة ص ١١٦٦ م

(٨) كوبرنيكوس (Copernic) ١٤٧٣-١٥٤٣ فلكى بولونى . .
برهن عن دوران الكرة الارضية على ذاتها وحول الشمس فغير النظرية القديمة بأن الأرض ثابتة وان الشمس تدور حولها . . وهو ، بذلك ، يعتبر مؤسس على الفلك الحديث ، ولكن الفضل الاول يرجع الى البيرونى ، العلامة العربي الذى قال ذلك قبل خمسمائة عام . راجع شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٩٤ .

حواشي الباب الثالث

(١) هكسلى ، توماس هنرى : ١٨٢٥-١٨٩٥ بيولوجى ومرب انجليزى
تخرج فى مستشفى شيرنسيج كروس ١٨٤٥ . وفى اثناء عمله جراحا ساعدا
على ظهر السفينة البريطانية (راتسنيك) فى رحلة بحرية الى المحيط
الهادى (١٨٤٦-١٨٥٠) جمع اشكالا من كائنات البحر . . ومنفها
على اساس لم يكن معروفا من قبل ونشره ١٨٤٩ تقارير عن عمله فى النبات
الفلسفى للجمعية الملكية . وقد غدا هكسلى داعية للداروينية . . وان كان
قد اعتنقها مع شىء من التحفظ . . له عدة كتب فى فروع علم الحيوان
المختلفة عدا ابحاثه المبكرة التى جمعت فى اربعة مجلدات ومقالاته
ومحاضراته العامة التى جمعت ايضا فى تسعة مجلدات . راجع الموسوعة
ص ١٨٩٩ .

(٢) كانت ، عمانوئيل : ١٧٢٤-١٨٠٤ ، فيلسوف المانى يعد من
اعظم الفلاسفة جميعا . . ولد فى كونجزبرج ، حيث تعلم وعلم بجامعة
المنطق والميتافيزيقية ، فنسب مذهب الشك الذى انتهت اليه الفلسفة
عند هيوم لانها لم تحلل المعرفة الانسانية تحليلا وافيا . . وقد شبه مذهب
بثورة كوبرنيكس فى علم الفلك فبعد ان كانت الارض مركزا والاجرام تدور
حولها اصبحت الارض تدور حول الشمس الثابتة .

وكذلك فى نظرية المعرفة ، فبعد ان كان صوب فكرة ما ، متوقفا على
كونها مطابقة لخارج ثابت ، اصبح الواقع الخارجى مقصور على ظواهره المدركة
بالحس ، وأما وراء الطبيعة ما يسميه (كانت) بالشىء فى ذاته ، فلا سبيل
الى معرفته بالعقل المحض . . واذ حاول الانسان المحااجة بعقله النظرى فى
عقائق الاشياء فى ذاتها وقع فى تناقض . فالبحث فى الله - عنده - ينتهى الى أنه
موجود وغير موجود . . راجع الموسوعة ص ١٤٣٥ .

(٣) كومت ، أو كونت أوجست ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ، فيلسوف فرنسي مؤسس الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقا وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة . . هدفه الأسمى هو اصلاح المجتمع ليعيش الناس في توافق وانسجام ، ومذهبه مبسوط في كتابه " محاضرات في الفلسفة الوضعية " وفيه بين المراحل الثلاثة التي اجتازها الفكر في تطوره :
اللاهوتية التي تعلل الأشياء بقوى خارقة . . والميتافيزيقية التي تعلل الأشياء بمبادئ مجردة . . والوضعية التي تعلل الأشياء بالمشاهدة والتجارب تأييدا للفروض .

و تتفاوت العلوم بساطة وتركيبا فابسطها الرياضة ، فالفلك ، والفيزيائية والكيمياء فعلم الاجتماع . . وكل منها يعتمد على سابقه والاجتماع يعتمد عليها جميعا ، وكلها في خدمته . . راجع الموسوعة ص ١٥١٧ .

(٤) جرينتش ، ناحية بلندن بانجلترا على نهر التايمز تقع فيها الكلية الملكية البحرية ومستشفى جرينتش والمتحف البحري الوطني لا يزال خط الطول الجغرافي يحسب فيها تبعا لخط الزوال . . راجع الموسوعة ص ٦٢٨

(٥) هيوم دافيد ١٧١١ - ١٧٧٢ فيلسوف ومؤرخ اسكتلندي مذهبه نتيجة منطقية لفلسفة لوك وباركلي . قال ان كل شيء بما في ذلك الانسان سلسلة حالات متتابعة ، وليس لشيء دائمة قائمة دائمة . . فمعرفة سلسلة انطباعات حسية . . والفكرة التي يستحيل ردها الى الانطباعات الحسية التي كونتها تكون وهما . .

ومن هنا عرف مذهب هيوم بالشك . . مؤلفه الرئيسي ، رسالة في

الطبيعة البشرية . . راجع الموسوعة ص ١٩٣٣

(6) براجماتية : مذهب فلسفي ، يقيس صدق القضية بنتائجها العملية
فليس هناك معرفة اولية في العقل تستتبط منها نتائج صحيحة بغض النظر
عن جانبها التطبيقي ... بل الامر كه موهون بنتائج التجربة الفعلية
العملية التي تحل للانسان مشكلاته .

ولما كان تقدم العلم يغير من صدق القضايا ، فالصالح في ظروف سابقة
يصبح غير صالح في الظروف الراهنة ، كان " الحق " أمرا نسبيا يقاس الى
زمن معين ومكان معين ، ومرحلة من التقدم العلمي معينة ..

واعلام البراجماتية هم : (جيمس) و (بيرس) و (ديوي) . الموسوعة

ص ٣٣٥

(7) كنيدي . جون فترزجالد : ١٩١٧ - ١٩٦٢ الرئيس الخامس
والثلاثون للولايات المتحدة الاميركية ، ولد ببروكليفين بالقرب من بوسطن ٢٩ مايو
وتعلم في جامعة هارفرد ، خدم في البحرية الاميركية ١٩٤١ - ١٩٤٥ م
اشتغل بالصحافة مراسلا للاخبار ، واشترك في الاعمال السياسية وبرز في
الحزب الديمقراطي .. انتخب عضوا بمجلس النواب ١٩٤٧ - ١٩٥٢ ثم
بمجلس الشيوخ ..

انتخب رئيسا للجمهورية في ٨ نوفمبر ١٩٦٠ م

دافع عن الزنوج الامريكيين للحفاظ على حقوقهم المدنية . توصل مع

المملكة المتحدة والاتحاد السوفييتي الى ابرام اتفاقية تحريم التجارب النووية

في نطاق محدود ١٩٦٢ وذلك لتحقيق السلام العالمى .. اغتالسه

(لى اوزوالد) بطلق نارى في اثناء زيارته لدالاس بتكساس فسقط ميتا فخلفه

ليندن جونسون في منصب الرئاسة ..

راجع الموسوعة ص ١٤٨٦ .

(٨) جمهورية السنغال ١٦٧ر١٦١ كم^٢ ، ٣ر١٤٠ر٠٠٠٠ نسمة بخربي افريقيا عاصمتها دكار . اهم قبائلها الولوف المسلمون ٧٠٠ ألف والباصارا والماندنغو .

من منتجاتها : الذرة والذول السوداني والصبغ العربي .. يجرى فيها نهر السنغال ... كانت جزءا من افريقيا الغربية الفرنسية ثم عضوا بمجموعة الدول الافريقية المرتبطة بفرنسا ٢٥ نوفمبر ١٩٥٨ م . كونت اتحادا مع مالي ولكنه لم يستمر . استقلت في ٢٠ اغسطس ١٩٦٠ م وهي عضو بهيئة الأمم ٢٩ سبتمبر ١٩٦٠ م . بها جامعة افتتحت في ٢٤ فبراير ١٩٥٧ م وتضم كليات الحقوق والاداب والعلوم والطب . الموسوعة ص ١٠٢٣ م

(٩) لشبونة ، مدينة ٣٤ر٤٩٠ر٧٩٠ نسمة ميناء ممتاز بهدوءه واتساعه في غرب البرتغال وعاصمتها . هي من اكبر موانئ اوريا .

(١٥) السودان الغربي اقليم في افريقيا الغربية يمتد بين الصحراء الكبرى والمناطق الاستوائية ويشمل النيجرونيجريا والسنغال وفولتا العليا ومالي وداهومي والكونغو وغانا وتوغو وساحل العاج وسيراليون وليبيريا وغينيا وغير ذلك

(١١) وكانت هذه التجارة البشعة (تجارة السود) تشمل جميع بلدان افريقيا الغربية وفي مقدمتها نيجريا وما حولها من ساحل العاج وغيرها فلنتكلم عن نيجيريا ثم عن ساحل العاج ..
(نيجريا) جمهورية اتحادية ١٦٨ر٩٥٢ كم^٢ ٣٧ر٠٠٠ر٠٠٠٠ نسمة ولكن الاحصائيات الاخيرة تقول انها قرابة ٨٠ر٠٠٠ر٠٠٠٠ نسمة او يزيد .. وهي في نطاق الكومنولث بغرب افريقيا على خليج غينيا عاصمتها لاجوس ، تسب الى نهر نيجر .

وتتكون نيجيريا من اتحادا فيدراليا يضم اربعة اقاليم هي : نيجيريا الشمالية وعاصمتها (كادونا) ومعظم سكانها مسلمون من قبائل الهوسا والفلواني . .

ونجريا الغربية وعاصمتها (ابادن) وسكانها كان حوالى خمسة ملايين معظمهم من قبائل اليوربا .

ونيجريا الشرقية وعاصمتها انوجو وسكانها خمسة ملايين ومعظمهم من قبائل (الايبو) والكمرون الشمالى . . وكانت تحت الوصايا البريطانية ثم انضم الى الاتحاد في يونيه ١٩٦١ م . اهم الموانىء لاجوس . . يزرع الكاكاو والمطاط والنخيل ويستخرج منها البترول . .

تأثر اهل الشمال بحركة الاصلاح الديني التي تزعمها الحاج عثمان دان فوديو وسلا لته في اخريات القرن ١٨ واول ١٩ وما زال أثرها قويا في المنطقة الشمالية . .

كان البرتغاليون أول الشعوب الاوربية الذين وصلوا الى ساحل نيجريا ١٤٧٢ م وتبعهم البريطانيون ١٥٥٢ م وسرعان ما اصبحت المنطقة الساحلية سوقا لترحيل الارقاء الى اوروبا والامريكيتين . . الموسوعة ص ١٨٦٥

(ساحل العاج) جمهورية ٣٢٢٤٦٣ كم٢ ، ٢٣٠٠٠٠٠ نسمة بفرس افريقيا على ساحل المحيط الاطلنطى . . بين ليجريا وغانة عاصمتها وأهم مدنها (أبدجان) ١٧٧٥٠٠ نسمة تتكون من سهل ساحلى منبسطة وهضبة داخلية تغطيها الغابات والسفانا الطويلة . .

وهي تعتبر من اغنى بلاد افريقيا الغربية بمنتجاتها الكثيرة منها جوز القطن والكاكاو وزيت النخيل والخشب والبن وغير ذلك . .

وقد استقر بها التجار البرتغاليون الذين جعلوا السود سلعة حقيرة في القرن ١٦ . .

حصلت فرنسا على حقوق في الساحل ١٨١٢ م ولكنها لم تحتل

المنطقة احتلالا مستمرا الا في ١٨٨٢ .. اصبحت محمية فرنسية ١٨٩١ م ..
وفي يناير ١٩٣٣ م اضيف جزء من فولتا العليا لساحل العاج .. ولكن حينما
أعيد تخطيط فولتا العليا اول يناير (١٩٤٨) ضم اليها مقاطعات بوبو
ديولا سوجاوا .

ادمج ساحل العاج في افريقيا الغربية الفرنسية ١٩٠٤ م فهي عضو
في مجموعة الدول الافريقية المرتبطة بفرنسا منذ ٤ ديسمبر ١٩٥٨ م استقل
في ٧ اغسطس ١٩٦٠ م عضوا بالأمم المتحدة .

ونسبة المسلمين حسب الاحصائيات الاخيرة : ٦٥ في المائة واما المسيحيون
١٥ في المائة والباقي ٢٥ في المائة لا ينتسبون الى دين سماوي . وفي
الشمال يوجد بعض المسلمين مثل مدينة (بندوكو) و (ديكلا) و (كون)
و (ستاما) و (بوتا) و (وجيني) وبلاد كويافا من (مانكونو) و
(سيفيلا) و (توبا) و (تورغو) و (بونجلي) و (بنغاريبو) و (ويندغا)
وغير ذلك .. ثم هم منتشرون في جميع بقية البلاد ..

(12) روزفلت ، فرانكلين ديلا نو : ١٨٨٢-١٩٤٥ الرئيس الامريكي ٣١
للولايات المتحدة الامريكية ، وكيل وزارة البحرية ١٩١٣-١٩٢٠ م رشح ١٩٢٠
نائبا لرئيس الحزب الديمقراطي ، اصيب ١٩٢١ بمرض شلل الاطفال ، ولكنه
استعاد استخدام قدميه ، وأقام في (وارم سبرنجز) بجورجيا ، مؤسسة
لمعالجة ضحايا هذا المرض ..

حاكم نيويورك ١٩٢٩-١٩٣٣ م بدأ عهد رئاسته ١٩٣٣ م والأزمة
على اشدها ، وأعلن مولد الخطة الجديدة ، فاخذت الادارات الحكومية
تعمل على انعاش الاقتصاد ، بانفاق الاموال العامة ، و تنمية الموارد الطبيعية
و تهيئة العمل للعاطلين .. أعيدت الانتخابات ١٩٣٦ . فواجهت روزفلت مقاومة
شديدة وأعلنت المحكمة العليا ببطلان بعض اجراءات الخطة الجديدة فشل في
اعادة تنظيم المحكمة العليا ١٩٣٧ م . مات فجأة ودفن (بهايدي بارك) .. زوجته آنا ،
اليتور روزفلت ..

(13) السويد ، مملكة مساحتها ٤٥٠.٩١٠ كم ٢ وسكانها ١٢٩٠٥٩٥٧٤ نسمة عاصمتها ستوكهولم سطحها جبلي يرتفع الى ٢١٢٣ م تقع في شرق أوروبا ..

(14) امريكا الجنوبية : قارة مساحتها ١٧.٨١٠.٠٠٠ كم ٢ وتعدادها ١١٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة . تنقسم سياسيا الى عشر جمهوريات .
(اميركا الشمالية) : يعرف بهذا الاسم القسم الشرقي من نصف الكرة الغربي مساحته ٢٣.٣١٠.٠٠٠ كم ٢ تعداده ٢٠٠ مليون نسمة يحده شمالا المحيط المتجمد الشمالي ، وشرقا المحيط الاطلنطي وخليج المكسيك ، وجنوبا امريكا الوسطى وغربا المحيط الهادى . الاقسام السياسية بالقارة خصه ..
وقد ضمت للولايات المتحدة ١٩٥٩ م

(امريكا اللاتينية) .. مصطلح يطلق على جميع اقطار امريكا الشمالية ، اى جميع الاقطار الناطقة بالاسبانية او البرتغالية او الفرنسية .. وهذه الاقطار تؤلف اليوم عشرين جمهورية ..

تعتبر - اليوم - الولايات المتحدة في طليعة البلاد الزراعية والصناعية ويعتبر اكتشاف كولومبوس للقارة الامريكية ١٤٩٢ حدثا خطيرا ونقطة تحول في تاريخ العالم . فعلى اثره فتحت تلك القارة للاستيطان الاوربي ونالت استقلالها في يوليو ١٧٧٦ م . راجع الموسوعة ص ١٩٥٩ م

(15) خروشوف ، نيكيتا سرجيفيتش : ١٨٦٤ - زعيم روسى شيوعي ، كان صانع افعال انضم للحزب الشيوعي ١٩١٩ . اصبح السكرتير الاول للمجلس الاقليمي للحزب بموسكو ١٩٣٥-١٩٣٨ و ١٩٤٦-١٩٥٣ عين سكرتيرا اول للجنة المركزية للحزب الشيوعي بعد وفاة ستالين . اصبح له تأثير كبير في الشؤون السوفييتية وفي سياستها الخارجية .. شارك في مؤتمرات جنيف ١٩٥٥ م .. انتقد ١٩٥٦ م سياسة ستالين الدكتاتورية .. راجع الموسوعة العربية الميسرة .

(16) جمهورية مساحتها ٢٠٢١١ كم^٢ وعدد سكانها ٠٠٠ر٠٦٤ر٥ نسمة تقع في جنوب اوربا وعاصمتها روما . و تحتوى على مدينة الفاتيكان .

(17) المجر أو (مجيار) شعب هنغاريا ، وينتس الى الفصيصة اللغوية الفيشية - وكانوا قبائل رحل ، هاجروا ح ٤٦٠ من الأورال الى شرقي القوقاز . . حين اتصلوا بالشعوب التركية ، ومنهم تعلموا الزراعة واقتبسوا نظمهم السياسية والحربية . .

(18) الدنمارك مساحتها ٤٢٩٣١ كم^٢ وسكانها ٠٠٠ر١٠ر٥ نسمة مطلقة في شمال غرب اوربا واقصى جنوب البلاد الاسكندنافية .

(19) كوبنهاجن ، عاصمة الدانمارك وهي ٣٦١ر٥٣ر٧ نسمة وتعتبر كوبنهاجن من اجمل مدن اوربا . .

قد تعرضت هذه المدينة لهجمات متكررة . . ففي ١٨٠٧ قذف البريطانيون المدينة بالقنابل وكادوا يدمرونها كلها بعد ان رفضت الدانمارك المحايدة تسليم اسطولها .

اخذتها الالمان ١٩٤٠-١٩٤٥ وقذفها بالقنابل . وبها جامعة هي من الجامعات الاوربية القديمة ، أسست ١٤٧٩ م وتتألف من خمس كليات : اللاهوت والحقوق والطب والفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية . . راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٩٦ م

(20) زهري : من الامراض التناسلية ، سببه احدى اللويحات الرخوة ، و تنتقل عداوته غالبا بالاتصال الجنسي ، وقد تنتقل من الأم المصابة الى الجنين فسي اثناء الحمل و احيانا باللمس المباشر .

ويمكن الوقاية منه بنشر الثقافة الصحية والاجتماعية لمنع او تنظيم الاتصال

الجنسى العابر (البغاء) . .

هذا هو رأى العلم الحديث . وأما الاسلام الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم منذ اربعة عشر قرنا يقول : * ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا * ثم اوجب على كل من يفعل ويفعل ذلك بعد الاحصان أن يرجم حتى يموت . ولدن لم يكن محصنا يجلد مائة جلدة ثم قال الله تعالى * قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم * الاية * وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن * ثم أمر النساء المؤمنات بالحجاب فقال * يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنات يغضن من ابصارهن من جلا بيهن ذلك أدنى ان يعرفن فيوء زين * وغير ذلك .

هذا هو العلاج الصحيح . . . وأما نشر الثقافة الصحية والاجتماعية ليس

بعلاج والدليل على ذلك ان الدول الكبرى المثقفة هي اسرع الدول الى اقتراف هذه الجريمة النكراء . .

(21) سلمان الفارسى (ت ٦٥٥) ، مجوسى ، تنصر ، وجدّ في البحث عن الحقيدة الحقّة رحل الى الشام ثم الى يثرب (المدينة المنورة) حيث التقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة . . واعتنق الاسلام وأضحى من مشهورى الصحابة ، أشار بحفر خندق في الاماكن الضعيفة للمدينة فحماها من هجوم الاشراب في غزوة الخندق . اشتهر بالزهد والتقشف واتباع السنة النبوية المطهرة وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (سلمان منا آل البيت) اشارة الى الأخوة الاسلامية الفذة . .

(22) حمى : ارتفاع في درجة الحرارة عن حدّها الطبيعي وهي صباها

٣٦ درجة او ٣٦.٥ درجة مئوية .

تقاس درجة الحرارة عادة بوضع مقياس الحرارة في الفم ويوضع في الشرج

في حالة الوضع وصغار الاطفال وبعض المرضى الا ان درجة الحرارة بواسطة

الشرج تكون اعلى منها بواسطة الفم بمقدار خمس الدرجة المئوية .

(23) فيينا ، مدينة ١٢١٤ كم ٢ وسكانها ١٧٦٠٧٨٤ نسمة

وهي عاصمة النمسا .

المراجع العربية والاجنبية

المراجع العربية

(حرف الهمة)

- ١ - الله العلم ، بشير التركي ط سنة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م
- ٢ - الله يتجلى في عصر العلم تأليف نخبة من العلماء الامريكيين بحاسبة السنة الدولية لطبيعيات الارض ت : الدر اش سرهان القاهرة ١٩٦٨ م
- ٣ - الله والعلم الحديث تأليف عبد الرزاق نوفل ط الثالثة سنة ١٣٩٣ هـ
- ٤ - الله جل جلاله ، سعيد حوى ، ١٣٩٥ هـ ط ٢ منقحة
- ٥ - الله تأليف عباس محمود العقاد
- ٦ - الله نظرات في الكون والحياة ، عبد الجواد رجب سنة ١٣٩٤ هـ
- ٧ - أبوداود (السنن)
- ٨ - أباطيل يجب ان تمحى من التاريخ د . ابراهيم على شعوط سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م شارع يعقوب بالمالية .
- ٩ - اتجاهات هدامة في الفكر المعاصر د . محمد محمد حسين
- ١٠ - اتمام الوفاء في سير الخلفاء ، محمد الخضر مكتبة دار الدعوة بحلب الطبعة الاولى المحققة ١٣٩٨ هـ
- ١١ - اثر العلم في المجتمع ، بيرتراند رسل ت : تمام حسان مصر
- ١٢ - اثر العرب في الحضارة الاوربية ، عباس محمود العقاد دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م
- ١٣ - اثر العرب والاسلام في النهضة الادبية تأليف د . عبد الحلیم منتصر
- ١٤ - احجار على رقعة الشطرنج ، وليام ندى كار بيروت ت : جزايرلى ط . الاولى سنة ١٩٧٠ م
- ١٥ - الاخلاق ، موسوعة احمد امين الادبية

- ١٦ - الادوية المفردة ، عبدالله بن احمد البيطار الصتوفي ١٤٦هـ
- ١٧ - الأديان في القرآن ، تاليف محمود بن الشريف
- ١٨ - أساس البلاغة الزمخشري
- ١٩ - اساليب الغزو الفكري تاليف الاستاذين د . علي جريش و محمد شريف الزبيق . . ط الثانية سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
- ٢٠ - الاسفار المقدسة ، دكتور وافي .
- ٢١ - اساطير الافريق سلسلة تراث الانسانية مجموعة من الاساتذة الهيئة العامة مصر . .
- ٢٢ - الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد ، أبو شهبة سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
- ٢٣ - أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، تاليف سبيركين ياخوت ت : محمد الجندي ، دار التقدم موسكو
- ٢٤ - الاسلام في عصر العلم ، محمد فريد وجدى ط ٣ سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م بيروت
- ٢٥ - الاسلام وقضايانا المعاصرة ، احمد موسى سالم دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٥ م
- ٢٦ - الاسلام في عصر العلم ، محمد احمد الخمراوي ، اعداد د . احمد عبد السلام الكردي ١٩٦٠ م
- ٢٧ - الاسلام ومشكلة الحضارة ، سيد قطب مصر سنة ١٩٦٧ م
- ٢٨ - الاسلام على مفترق الطرق محمد أسد ، ت : نجدة هاجر وزميله مصر ١٩٦٠ م
- ٢٩ - الاسلام يتحدى ، وهيد الدين خان ط ٧ سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- ٣٠ - الاسلام في وجه الزحف الاحمر ، محمد الخزالي رجب سنة ١٣٨٦ هـ اكتوبر سنة ١٩٦٦ القاهرة

- ٣١ - الاسلام والنصرانية ، محمد عبدة .
- ٣٢ - الاسلام ومذهب داروين ، محمد باشميل ، جمادى الاولى ١٣٨٤ هـ
- ١٩٦٤ م
- ٣٣ - الاسلام والخلافة ، على الحسينى الخربوطلى ، بيروت ١٩٦٩ م
- ٣٤ - الاسلام والشيوعية ، وزارة الاوقاف الادارة العامة للدعوة
- مصر ١٩٧٦ م
- ٣٥ - الاسلام أو الشيوعية ، تاليف محمد عرفة ص ٣٦
- ٣٦ - الاسلام في الواقع الايدولوجى المعاصر د . محمد البهى سنة
- ١٩٧٠ م
- ٣٧ - الاسلام روح المدنية ، مصطفى الغلايينى المكتبة الاهلية
- سنة ١٣٤٩ هـ
- ٣٨ - الاسلام والعلم الحديث ، عبدالرزاق نوفل ط الثانية
- ٣٩ - اشتراكيتهم واسلامنا يشير العوفة بيروت ١٩٦٦ م
- ٤٠ - اصول الفلسفة الماركسية ، جورج بوليتزر ، ص بيسى ، موريس
- كافين
- ٤١ - أضواء البين ، محمد الأمين الشنقيطى مصر سنة ١٣٨٦ هـ
- ٤٢ - اظهار الحق رحمة الله الهندى ، تحقيق عمر الدسوقي ،
- الدار البيضاء ١٣٨٤ هـ
- ٤٣ - أزمة العصر ، محمد محمد حسين سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
- ٤٤ - افكار ورجال ، جرين برنتن ، ت : محمود محمود مصر ١٩٦٥ م
- ٤٥ - الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام عبدالله التل ، عمان ه رجب
- ١٣٩١ هـ - ١٩٧١/٨/٢٦ م
- ٤٦ - افريقيا القديمة ، تكشف من جديد ، تأليف (باسيل دافين
- سون) ت : نبيل بدر وسعد زغلول مراجعة محمود شرفى الكيال .

- ٤٧ - أفيون الشعوب ، المذاهب الهدامة ، عباس محمود العقاد ط ٦
سنة ١٩٧٧ م دارالاعتصام القاهرة فصل قدوة غير صالحه ص ٢٤
- ٤٨ - اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ط الاولى سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م
- ٤٩ - الامثال في القرآن ، محمود بن الشريف طبعة دارالمعارف
- ٥٠ - الأم المتحدة وموازن القوى المتحولة في الجمعية العامة ،
كميل داغر .
- ٥١ - الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب مصر ١٩٥٧ م
- ٥٢ - الانسان في القرآن ، عباس محمود العقاد طبعة دارالهلال
- ٥٣ - الانسان ذلك المجهول ، اليكس كارل ، ت : شفيق اسعد
فريد بيروت
- ٥٤ - الأناجيل -
- ٥٥ - الانسان بين العلم والدين ، شوقي ابو خليل ط ٢ ١٣٩٧ هـ
١٩٧٧ م
- ٥٦ - أوربا المصور الوسطى ، دكتور سميد عبد الفتاح عاشور
سنة ١٩٧٦ م

(حرف الباء)

- ٥٧ - البداية والنهاية لابن كثير مطبعة السعادة مصر
- ٥٨ - البداية والنهاية ، ماركي تاشيد وؤميله ، ت : عادل حامد
بيروت
- ٥٩ - البستاني ، بطرس ، محيط المحيط
- ٦٠ - بروتوكوت حكماء الصهيون ت : محمد خليفة التونسي الطبعة
الخاصة - مصر .

(حرف التاء)

- ٦١ - التاريخ الاوربي الحديث ، تاليف د . عبدالحميد البطريق وزميله
سنة ١٩٧١ م
- ٦٢ - تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي
- ٦٣ - تاريخ الدعوة الاسلامية آدم ايلورى النجيري
- ٦٤ - تاريخ اوربا العصور الوسطى أهت : فشر مصطفى زيادة مصر
سنة ١٩٦٦ م .
- ٦٥ - تاريخ اخلاق اوربا تاليف ليكس ، نقلا عن كتاب مانا كسر
العالم بانحطاط المسلمين ، ابز الحسن الندوى
- ٦٦ - تاريخ العالم ، جمع جون ا . ه مرتن ، ت : ادارة الترجمة مصر .
- ٦٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم
- ٦٨ - التاريخ الاسلامي وأثره في الفكر التاريخي الاوربي في عصر
النهضة د . جمال الدين الشيال دار الثقافة بيروت ١٩٦٩ م
ص ٨٠
- ٦٩ - تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، عملاز فروخ بيروت
طبعة دار العلم للملايين لبنان ١٣٩٢ م
- ٧٠ - تدهور الحضارة الغربية ، تأليف اسوالد سينفلر
- ٧١ - التصرب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، محمد الفزالى .
- ٧٢ - التصريف لمن عجز عن التأليف خلف بن عباس الزهراوى
- ٧٣ - التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب سنة ١٣٩٤ هـ
١٩٧٤ م
- ٧٤ - تطور المجتمع الاميركى ، تاليف كينت لن ، ت : نعيم موسى
دار اليقظة سنة ١٩٦٦ م
- ٧٥ - تفسير المحيط ، تاليف محمد بن يوسف

- ٧٦ - تفسير النسفي
- ٧٧ - تفسير الجواهر للشيخ الطنطاوي
- ٧٨ - التفسير الكبير ، فخر الرازي
- ٧٩ - تفسير ابن سعود
- ٨٠ - تفسير الطوسي
- ٨١ - تفسير ابن كثير سنة ٧٧٤هـ
- ٨٢ - التفسير الاسلامي للتاريخ د. عماد الدين خليل (الصراع)
ص ٢٥١ سنة ١٩٧٥م
- ٨٣ - التفكير الفلسفي في الاسلام ، عبد الحلیم محمود شيخ الازهر
سابقا الطبعة الاولى سنة ١٩٧٤م
- ٨٤ - تكوين العقل الحديث و. هراندال ت : جورج طعمة دار
الثقافة
- ٨٥ - التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر الدين خان ط ٢ دار النفايس
سنة ١٩٧٢م
- ٨٦ - تهافت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل سنة ١٣٩٥هـ
- ٨٧ - التوراة ، مصطفى محمود الطبعة الاولى سنة ١٩٧٢م
- (حرف الجيم)
- ٨٨ - جامع البيان للشيخ السيد معين الدين محمد بن عبدالرحمن
الحسيني الشافعي سنة ٨٣٢ - ٨٩٤
- ٨٩ - جوهر القاموس ، مطبعة منشورات الكتب
- ٩٠ - الجفوة المفتعلة بين الدين والعلم ، محمد علي يوسف
- ٩١ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية
- ٩٢ - جمهورية افلاطون ت : خباز بيروت
- ٩٣ - جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب دار الشروق سنة ١٣٩٥هـ

(حرف الحاء)

- ٩٤ - حاضر العالم الاسلامي ، لوثروب ستوادارد ، حواسن شكيب
ارسلان ت: هجاج نوييهض سنة ١٩٧٤ م
- ٩٥ - الحجاب لا بي الاعلى المودودي دارالفكر للطباعة والنشر
- ٩٦ - حرية الفكر ، سلا ص موسى ، بيروت سنة ١٩٦١ م
- ٩٧ - حقوق الانسان في الاسلام ، مجمع البحوث الاسلامية ورعايته
للقيم والمعاني الانسانية ، المؤء ترا السادس المحرم ١٣٩١ هـ
- مارس ١٩٧١ م فصل الاعلان العالمي لحقوق الانسان ص ١٢٧

(حرف الخاء)

- ٩٨ - خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، سيد قطب ص ٣٢ سنة ١٩٦٥ م
- ٩٩ - خطر التبرج والاختلاط ، عبد الباقي رضون ، مؤسسه الرسالة
الطبعة الاولى سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
- ١٠٠ - خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد علي البار الطبعة
الاولى سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

(حرف الدال)

- ١٠١ - الدين و تاليف محمد عبدالله دراز ، دارالقلم سنة ١٩٧٠ م
- ١٠٢ - دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدى
- ١٠٣ - دائرة معارف البستاني ، المستشرقون ت : محمد ثابت الفندى ،
وزملاؤه مصر ١٣٥٢ هـ
- ١٠٤ - الدين ، وحيد الدين خان طبع ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
- ١٠٥ - ديانة المستقبل ، تاليف جون الوف بودين ، نقلا عن كتاب
عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ، دارالكتب العربي بيروت

- ١٠٦ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي ،
دار المعارف الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧ م
- ١٠٧ - دراسات في النفس البشرية محمد قطب دار القلم
- ١٠٨ - الدين والدولة ، الدكتور البهي

(حرف الذال)

- ١٠٩ - الذات والفرائز ، سيجموند فرويد ت : محمد عثمان نجاشي
القاهرة ١٩٦١ م

(حرف الراء)

- ١١٠ - رائد الثقافة العامة ، كورنيلوس هيرشبوغ ت : محمد يوسف
نجم وزملاؤه ه ، بيروت ١٩٦٣ م
- ١١١ - الرد على الماديين ، محمد عبد المنعم الخفاجي
- ١١٢ - رسالة بولس لأهل رومية ، الاصحاح العاشر الاية ه
- ١١٣ - روح الدين الاسلامي عفيف عبد الفتاح طيارة سنة ١٣٨٤ هـ
- ١١٤ - روح المعاني ، للأوسى (التفسير)

(حرف الزاي)

- ١١٥ - زاد المسير في علم التفسير ، الامام ابن الفرج
- ١١٦ - زعماء الاصلاح ، احمد امين ، القاهرة ١٩٦٥ م

(حرف السين)

- ١١٧ - سقوط العلمانية ، انور الجندي ط (سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
- ١١٨ - السبيل الى عالم افضل ، كارل بيكر ت : عبد العزيز اسماعيل
القاهرة ١٩٤٦ م
- ١١٩ - سفر التكوين والخروج والتشبية من التوراة .
- ١٢٠ - سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الاساتذة ، الهيئة العامة
للكتاب مصر .

(حرف الشين)

- ١٢١ - شمس العرب تسطع على الغرب ، تاليف المستشرقة الالمانية
رينفريد هونكة ت : فاروق بيضون وزميله بيروت ١٩٦٩ م
- ١٢٢ - الشيوعية ، نظريا وعليا كاريو هنت
- ١٢٣ - الشيوعية والانسانية ، عباس محمود العقاد بيروت ط ٢
- ١٢٤ - شرح الطحاوية القاضي ابن ابي العز الحنفي ، تحقيق
محمود شاكو مصر
- ١٢٥ - الشعر الجاهلي طه حسين

(حرف الصاد)

- ١٢٦ - صبح الاعشى - قلقشندی
- ١٢٧ - صحيح مسلم مع شرح النووى مصر
- ١٢٨ - صحيح البخارى مع شرح فتح البارى
- ١٢٩ - صراع مع الملاحدة حتى العظم ، عبدالرحمن حسن هينكة الميداني
- ١٣٠ - الصنم الذى هوى ، ستة من كبار الغرب ت : فواد حمودة
- ١٣١ - الصحاح في اللغة والعلوم

(حرف الضاد)

- ١٣٢ - ضد دوهرنغ - دياليكتيك الطبيعية ، كارس ماركس وفردريك
انجلس موسكو الطبعة الالمانية ١٩٣٥ م

(حرف الطاء)

- ١٣٣ - الطريق الطويل للانسان ، روبرت ل. كبرمان ت : ثابت جرجس
بيروت ١٩٣٠ م
- ١٣٤ - الطريق الى الاسلام ، محمد اسد ت : عفيف بيروت ١٩٦٤ م

- ١٣٥ - الطفولة الجانحة جان شازال ت : انطوان عبده بيروت ١٩٧٢ م
١٣٦ - الطبرى ابن جرير (التفسير)

(حرف العين)

- ١٣٧ - معالم تاريخ الانسانية هـ . و . ويلز ت : عبد العزيز توفيق
هاود مصر ١٩٦٧ م
١٣٨ - عباقرة العلم ، تليف يوسف كرم نقلا عن كتاب الاسلام ونظرية
دارون احمد باشميل
١٣٩ - عقائد المفكرين في القرن العشرين عباس محمود العقاد دار
الكتاب العربي بيروت
١٤٠ - العقل والدين ، وليم جيمس ت : محمود حسب الله مصر ١٣٦٨ هـ
١٤١ - العقل والمادة ، تليف برتراندرسل ت : احمد ابراهيم
الشريف القاهرة ١٩٧٥ م
١٤٢ - العلمانية واثرها في الحياة الاسلامية (رسالة الماجستير)
للزميل صفر - جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة
١٤٣ - العلم يدعوللا يمان أ . كرسبى موريسون ت : صالح محمود
الفلكى ط ٥ يونيه سنة ١٩٦٥ م
١٤٤ - العلم اسراره وخفاياه مقدمة ج ٣ ، هارولد شابلى وزميلاه
ت : الفندى وزميله مصر ١٩٧١ م
١٤٥ - العلم والدين في الفلسفة المعاصرة احمد موسى سالم دار الجيل
بيروت سنة ١٩٧٥ م
١٤٦ - على مفترق الطرق ، محمد اسد ت : د . عمر فروخ ، دار العلم
للملايين
١٤٧ - عندما يحكم الطفافة ، فصل صناعة الزعيم تليف د . جريشة
١٤٨ - العهد الجديد (الاناجيل والرسائل) مصر ١٩٧٦ م
١٤٩ - العهد القديم (التوراة) بيروت ١٩٥١ م

(حرف الخين)

١٥٠ - الفارة على العالم الاسلامي ر.ل. شائلية ت : محب الدين
الخطيب ط ٢ مصر

١٥١ - الغزو الصليبي والعالم الاسلامي ، تاليف الدكتور عبد الحلیم
محمود

١٥٢ - الغزو الفكري ، جلال كشك ط ٣ الكويت

(حرف الفاء)

١٥٣ - في ظلال القرآن (التفسير) سيد قطب

١٥٤ - فتح القدير (التفسير) محمد الشوكاني

١٥٥ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن حسن ،
تحقيق النقي القاهرة ١٣٧٧هـ

١٥٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الحافظ ابن حجر مصر
المطبعة السلفية ١٣٦٠هـ

١٥٧ - الفتاوى للشيخ شلتوت محمود طبعة الادارة العامة للثقافة
الاسلامية بالازهر جمادى الاخرة ١٣٧٩هـ ديسمبر ١٩٥٩م

١٥٨ - فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ، زكريا هاشم زكريا
هاشم مصر .

١٥٩ - فرويد وبافلوف هاري ويلز ت : شوقي جلال مصر

١٦٠ - الفضاء الكوني نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين تاليف
شوقي ابو خليل

١٦١ - فقه الدعوة ، جمعة احمد حسن من ظلال القرآن لسيد قطب

١٦٢ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد اليبهى
ط ٦ ١٩٧٣م

- ١٦٣ - الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر د . محمد البهي
- ١٦٤ - فلسفتنا محمد باقر الصدر الطبعة التاسعة سنة ١٣٩٩ هـ
- ١٩٨٩ م
- ١٦٥ - فلسفة العلم الطبيعي تاليف (أونجتون) نقلا عن كتاب عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٥٩
- ١٦٦ - فن البحث العلمي ك . ا . ب بفروج ت : زكريا فهمي الالف كتاب ١٩٦٣ م

(حرف القاف)

- ١٦٧ - القرطبي (التفسير) الجامع لاحكام القران عبدالله محمد احمد الانصاري .
- ١٦٨ - قادة الغرب يقولون دمروا الاسلام . . جلال العالم ط ٢ بيروت
- ١٦٩ - القانون لابن سينا طبعة روما سنة ١٥٩٣ م
- ١٧٠ - قذائف الحق ، محمد الفزالي منشورات المكتبة العصرية بيروت
- ١٧١ - قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر مفتي طرابلس الشرقي من منشورات المكتبة الاسلامية ط ٣ ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م
- ١٧٢ - قصة الحضارة ، ول ديورانت ت : محمد بدران القاهرة ١٩٥٧ م
- ١٧٣ - قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار
- ١٧٤ - قواعد المنهج في علم الاجتماع تاليف اميل دوركايم ت : الدكتور محمود قاسم ومراجعة الدكتور محمد بدوي مقدمة الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٧٤ م
- ١٧٥ - القومية العربية في ضوء الاسلام ، رسالة ماجستير للزميل صالح العبودي - جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .
- ١٧٦ - القومية العربية في القرن العشرين ، تاليف دكتور توفيق برو دمشق .

(حرف الكاف)

- ١٧٧ - كارل ماركس ، مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي ، المادية
الديالكتيكية والمادية التاريخية
- ١٧٨ - كتاب ميلاد الشمس وموتها الذي صدر عام ١٩٤٠ م
تأليف جورج جاموت : نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين
شوقي ابو خليل ص ٣٢
- ١٧٩ - كتاب حياة الارض الذي صدر عام ١٩٤١ م للمؤلف نفسه نقلا
عن كتاب الانسان . . المذكور
- ١٨٠ - كفاحي ، يونس الحاج
- ١٨١ - الكشاف (التفسير) ، زمخشري
- ١٨٢ - الكزالمصود في قواعد التمود د . روهكنج وزميله ت . يوسف
حنا نصر الله بروت
- ١٨٣ - كيف نحارب الالحاد تأليف محمد باشميل ط ١ سنة ١٣٩٧ هـ
١٩٦٧ م

(حرف اللام)

- ١٨٤ - لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ ، المكتبة الانكليزية
بدمشق تأليف ل . سينغال

(حرف الميم)

- ١٨٥ - ما يقال عن الاسلام ، العقاد
- ١٨٦ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ابو الحسن الندوي
- ١٨٧ - مبادئ الاسلام للمودودي
- ١٨٨ - مجلة الدعوة المصرية العدد ٣٦ / ١٣٩٨ هـ
- ١٨٩ - مجلة روز اليوسف عدد ١٧ / ٢ / ١٩٧٥ م ص ٦ ، ٧ ، ٨
- ١٩٠ - المجتمع روم مالفير وزميله ت : علي احمد عيسى مصر ١٩٦١

- ١٩١ - محاضرات في النصرانية ابوزهرة طه الكويت ١٩٧٦
- ١٩٢ - مختصر دراسة التاريخ ، ارنولد توينبي ت : فواد نبيل
القاهرة ١٩٦١ م
- ١٩٣ - مذهب النشوء والارتقاء ، منيرة على الغاياتي تقديم محمد
البيهي مصر ١٩٦٥ م
- ١٩٤ - مدخل الى علم السياسة هارولد لاسكي ت : عز الدين محمد
البيهي مصر ١٣٥٥ هـ
- ١٩٥ - المذاهب المعاصرة ، عبد الرحمن عبيرة ص ٧٧
- ١٩٦ - المرأة في عصر ديمقراطية و اسماعيل مظهر ، مصر ١٩٤٩ م
- ١٩٧ - المرأة بين الفقه والقانون ، مصطفى السباعي المكتبة الاسلامية
- ١٩٨ - مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام تاليف يوسف
كمال محمد ١٩٧٤ م
- ١٩٩ - المستقبل لهذا الدين سيد قطب
- ٢٠٠ - المسلمون تحت الحكم الشيوعي ، محمد سامي عاشور
- ٢٠١ - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية محمد شاكر
- ٢٠٢ - المشكلة الاخلاقية والفلسفة ، كرسون ت : عبد الحلیم
محمود ط ٢ القاهرة
- ٢٠٣ - مصير الانسان ، ليكونت دي نوي ت : خليل الجسر المنشورات
العربية .
- ٢٠٤ - مصطفى كمال الذئب الاغبر ، ارمسترونج دار الهلال ١٩٥٢ م
- ٢٠٥ - المملقات السبع (ديوان التابغة الذبياني) احمد بن الحسين
الزوني المتوفي عام ٤٦٨ هـ راجعه الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي
- ٢٠٦ - معجزة القرآن ، محمد متولى الشعراوى (كتاب اليوم) ١٣٥٩ هـ
١٩٧٩ م

- ٢٠٧ - معالم في الطريق ، سيد قطب مصر
- ٢٠٨ - مع الله ، نظرات في الكون عبد الجواب رجب
- ٢٠٩ - المفسدون في الارض س. ناجي دمشق ١٩٧٣م
- ٢١٠ - مقارنة الاديان ، احمد شلبي
- ٢١١ - مقرر علم التوحيد وزارة المعارف في المطلة العربية السعودية للصف الثالث الثانوى
- ٢١٢ - المقدمة عن ستالين ، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية
- ٢١٣ - مقدمة ابن خلدون
- ٢١٤ - مقاييس اللغة ، ابن فارس
- ٢١٥ - مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حبنكة الميداني سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
- ٢١٦ - منازع الفكر الحديث ، جود ، تب عباس فضلى حماس سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م العراق
- ٢١٧ - منهج البحث العلمى عند العرب في العلوم الطبيعية او الكونية جلال محمد عبد الحميد موسى
- ٢١٨ - المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية ، انوار الجندى دار الاعتصام سنة ١٩٧٧ م تحت عنوان الفلسفة المادية ص ١٧٣
- ٢١٩ - المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف ١٣٩٢ هـ
- ٢٢٠ - مناهج الفلسفة ، لى ديورانت ط ١ ص ٦-٧ عن كتاب الموسوعة العربية الميسرة ، صورة طبق الاصل من طبعة ١٩٦٥ م
- ٢٢١ - الموجز في التحليل النفسى لفرويد سيجموند ت : احمد زكى مصر ١٩٦٣ م
- ٢٢٢ - موقف العقل والعلم من رب العالمين وعبادة المرسلين تأليف مصطفى صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانية سابقا سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ

٢٢٣ - الضار . . (التفسير) تاليف رشيد رضا

٢٢٤ - الموطأ (السنن) الامام مالك بن انس

(حرف النون)

٢٢٥ - نحن والحضارة الغربية ، ابو الاعلى العودودى

٢٢٦ - نحو التربية الاسلامية الحرة ابو الحسن الندوى مصر ١٣٩١ هـ

٢٢٧ - نظام المستشفيات البيمارستانات ، عبدالله بن احمد البيطار

المتوفى ٦٤٦ هـ

٢٢٨ - نظم الحكم الحديثة ، ميشيل ستوارت ت ؛ احمد كامل القاوه

١٩٦٢ م

٢٢٩ - نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيهها ، قيس القرطاس

بيروت ١٣٩١ هـ

٢٣٠ - نظام الحكم والسياسة في الولايات المتحدة ، هارولد رينك القاوه

٢٣١ - نقد الفكر الديني ، تاليف جلال الدين العظم

(حرف الهاء)

٢٣٢ - هل نحن مسلمون ، محمد قطب دار الشروق سنة ١٣٩٨ هـ

١٩٧٨ م

٢٣٣ - هزيمة الشيوعية في العالم الاسلامي ، انوار الجندى

(حرف الواو)

٢٣٤ - ابو الجود الحق ، د . حسن هويدى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م بيروت

(حرف الياء)

٢٣٥ - اليهود في القرآن ، عفيف طيارة .

المراجع الأجنبية

- أولا - الفرنسية :
- 1 . VOLTAIRE ESSAI SUR LES MOEUS P.14
 - 2 . POUSSEAU, DISCOURS SUR L'ORIGINE ET LE FONDEMENT DE L'INGALITE , PAMIS LES HOMMES
 - 3 . CHACHOIN , EVOLUTION DES IDEES RELIGIEUES P.158
 - 4 . MAX NORDAU , REPOSE AU MRCREURE DE FRANCE PARIS 1908
 - 5 . SALOMON REINACH, ORPHEUS, P.356
LARESUSSE DU XXEME SIECLE ARTICLE RELIGION
 - 6 . ENRI BERGSON , LES DEUX SOURCES DE LA MORALE, ET DE LA RELIGION P.105
 - 7 . B.DT, HISTORIE MAHOMET ET LE CORAN P.XXXIV
 - 8 . DURKHEIM , OUV , CITE P. 343

ثانيا - الانكليزية :

- 9 . UNIVERSAL HISTORY OF THE WORLD .
- 10 . ENCYCLOPADE DIA OF SCIENCE 1957 VOL 13. P. 233
- 11 . MAN IN THE MODERN WORLD p.130
- 12 . LININ , DELECTED WORKS MOSCOW .1947 VOL 11 P. 667
- 13 . RELIGION , IN THE MIDDEL EAST A.J. ABBER . VOL. 2
P. 606 - 607
- 14 . ENCY. BRITANNICA VOL IX P. 19
- 15.. CHALES OWEN , HISTORY OF ENGLAND BEFORE THE NORMAN CONQUEST , 1910
- 16 . HISBSTANTIMES SUNDAY MAGAZINE , SEPT.24, 1961
- 17 . CONFLICT OF REGILGIOM AMD SCIENCE.

الباب الثاني

١	مناقشة الملحد بسن
	<u>الفصل الاول : قضايا الملاحدة</u>
٢	
٣	اصل الكون
٦	اصل الكون والفروض التي قدمها الملاحدة
٦	الفرض الاول
٧	الفرض الثاني
٨	الفرض الثالث
١٠	عودة الى نظرية التصادم
١٣	موقف القرآن من اصل الكون
١٦	القرآن محجزة قد بما وحد بنا
	<u>الفصل الثاني : تشأة الحياة وتنوعها</u>
١٨	
١٩	روسيا الملحدة تبحث عن نشأة الحياة
	<u>الفصل الثالث : الطبيعة والصدفة</u>
٢٣	
٣٣	العلم والدين بقاتلان فكرة المصادفة العمياء
٣٥	العلم يبطل فكرة المصادفة
٣٥	شهادة علم الهندسة
٣٧	شهادة علم الطبيعة
٣٩	شهادة علم الفلك في ابطال فكرة المصادفة
٤٢	هذا غريب من غرائب الفكر الاحادي
٤٧	الدين يبطل عقيدة الصدفة العمياء
٥١	الافاق والانفس
٥٦	قانون الصدفة
٦٢	حجة شيطانية
٦٤	الدكتور العظم والحجة الشيطانية
٧٠	القطرة السليمة تغمر معرفة الله بدون احاطة

٧٤	<u>الفصل الرابع : الدين يتعارض مع العلم الحديث</u>
٧٨	العلم يدعو الى الايمان
٨١	المادة أم الله
٨٦	مفهوم المادة والمادية
٨٧	الالحاد وقوانين المادة
٩٢	الاساس الاول للاشعور ونقضه
١٠١	الاساس الثاني مقارنة الاديان
١٠٢	المذهب التطوري
١٠٢	المذهب الفطري
١٠٣	خطأ علماء المقارنة
١٠٤	موقف منحرف
١٠٨	الحقل الجمعي ونشأة الدين
١١٠	نقض نظرية دوركاهم
١١٢	اهل مكة أدري بشعابها
١١٤	اما الناحية الدينية
١١٤	وقفات عند الاية
١٢٠	مدى تاثير المجتمع في الانسان
١٢٢	الأساس الثالث - الكشف الكوبرنيكي
١٢٤	موقف الاسلام ازاء الكشف الكوبرنيكي
١٢٤	السؤال الاول
١٢٥	السؤال الثاني
١٢٩	قوانين الكون
١٣٠	دوران الارض والجبال
١٣١	حقيقة تجب الاشارة اليها
١٣٢	الحركة اليومية للأرض
١٣٤	حركة الأرض السنوية حول الشمس
١٣٦	موقف الزمخشري من هذه الاية
١٣٦	عودة الى ادلة المفسرين
١٤٠	السؤال العجيب
١٤١	من هدايا القرآن

- ١٤٣ وأما العلم الحديث فيتحدث عن سبغ السموات على النحو التالي
 ١٤٦ ما لم يصل اليه العلم الحديث
 ١٤٧ خطأ واضح
 ١٤٩ وشهد شاهد من اهله
 ١٤٩ شاهد من الفاتيكان

الباب الثالث

توطئة

- ١٥٣ آثار الالحاد في الحياة الاوربية
 ١٥٥ ابن موضح الداء
 ١٥٦ فئة ادركت موضح الداء ولبس عندها الدواء
 ١٥٨ الفصل الأول : أثر الالحاد في الفكر الأوربي
 ١٥٩ وجاء ديكارت
 ١٦٠ مقاومة فرنسيس بيكون للفلسفة الدينية
 ١٦٤ وثقة قليلة مع رواد الفكر الأوربي
 ١٦٦ الالحاد والدولتان العظيمتان
 ١٦٧ الفصل الثاني : اثر الالحاد في الحكم والسياسة
 ١٦٨ اول دعوة الى فصل الدين عن الحكم والسياسة
 ١٧٠ مظاهر الالحاد من المظاهر الجديدة
 ١٧١ المساواة الفارعة
 ١٦٢ أوربيون ينقضون هذه الديمقراطية المنحرفة
 ١٧٥ بيع العبيد السود
 ١٧٥ قصة تجارة العبيد في الاسواق الاوربية
 ١٧٧ تقارير ليفربول
 ١٧٨ الفصل الثالث : الخمر وعجز القوانين الوضعية
 ١٨٢ عدد المرضى
 ١٨٤ تأملات في هذا التقرير
 ١٨٥ كيف تم تحرير الخمر في الاسلام
 ١٨٧ امامنا تجربتان
 ١٩١ من بركات التشريع الاسلامي

- ١٩٢ الحل الاسلامي لهذه العقيدة
١٩٣ الالحاد والجهل الانساني
١٩٦ الدكتور الكسيس كاريل يتكلم
٢٠١ الفصل الرابع مشكلة العقوبات في القوانين الوضعية
أولا في الشريعة
٢٠٢ ثانيا عند الملاحدة
٢٠٣ المملكة العربية خبير شاهد
٢٠٥ فماذا أقول
٢٠٦ الفصل الخامس : ظهور اثار الالحاد في الدول الكبرى
فرنسا ام الحضارة الاباحية
٢٠٧ قلة الزواج في فرنسا
٢٠٨ المدون في مستعمراتها
٢٠٩ السويد
٢١١ العلاقات الجنسية البشعة في السويد
٢١٢ الحال في امريكا
٢١٣ انشاء غرف ولادة في جميع المدارس
٢١٦ وفي روسيا المتحدة ايضا
٢١٧ نظرة عابرة في بريطانيا
٢١٨ القصة الحجيبة من بريطانيا
٢١٨ وفي المجر
٢٢٠ وفي الدانمارك
٢٢٢ كونيهاجن تصدر المطبوعات الجنسية
٢٢٣ أوربا عامة
٢٢٥ الخلاصة
٢٢٦ الفصل السادس : اسباب تدمير الأمم والشعوب
٢٢٨ قوم عاد
٢٢٨ قوم لوط
٢٢٩ أهل مدين
انتصار الحضارة الغربية

٢٣٤	الفصل السابع : عقوبة الفطرة
٢٣٦	الحقوقات تجري اليوم في عروق الملاحدة
٢٣٧	امراة تنتحر
٢٣٧	محاولات الانتحار
٢٣٩	المطالبة بحرية اللواط في امريكا
٢٤٠	رجل يعقد على رجل في دول الشمال الاسكندنافية
٢٤٠	الزواج رجعى في الشبوعية
٢٤٣	شيطانان قد غلبا على الملاحدة
٢٤٤	الاستعدادات الحربية لتدمير العالم
٢٤٧	الوراثة الارضية من جديد
٢٤٨	الفصل الثامن : حضارة لا تلائم الانسان
٢٤٩	اولا التحرر الكامل من عبودية انسان على انسان
٢٥٠	ثانيا ان يكون التجمع على امر يتعلق بارادتهم
٢٥١	ثالثا ان تكون انسانية الانسان هي موضع احترام
٢٥٢	رابعا وخامسا ان تكون الاسرة قاعدة التجمع
٢٥٤	اولا شهادة الكسيس كاريل
٢٥٦	ثانيا ول ديورانت
٢٥٨	ثالثا شهادة الاستاذ ابي العلا المودودي
٢٦٠	كيف الخلاص من الالحاد
٢٦٣	الله الذى نؤمن به
٢٦٤	صفات الله عزوجل
٢٧٢	حواشى الباب الثانى
٢٧٥	حواشى الباب الثالث
٢٨٥	المراجع المرعبة والاجنبية
٣٠٢	الفهارس